المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن



تفسير الفقهاء وتكذيب السفهاء

للقاضي أبي الفتح عبد الصمد بن محمود بن يونس الغَزْنَوي

(من الآية: ١٨٥من سورة الأعراف إلى الآية: ١١٠ من سورة التوبة)

تحقيق ودراسة

الطالب : نايف موسى علي كريدم

الرقم الجامعي:٤٢٧٨٠١٩٣

رسالة مقدمة لنيل درجة

(الماجستير)

إشراف

الدكتور عبد الودود مقبول حنيف

عضو هيئة التدريس بقسم الكتاب والسنة

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ :

قال عبد الله بن عباس[(١)] -رضي الله عنهما- كان كل رسولٍ يُبعث إلى قومه وبَعث الله محمداً - ﷺ- إلى قومه وغير قومه فذلك قوله عز وجل :﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾[(٢)].

أي قل يا محمد: إني رسول الله إليكم جميعاً، يعني: كافة، أدعوكم إلى توحيدِهِ وطاعته

---

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه، وقال عمر لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عشره منا أحد، مات سنة ثمان وستين بالطائف، وهو أحد المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة، انظر : معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٦٩٩/٣)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٣٣/٣)، والإصابة؛ لابن حجر العسقلاني (١٢١/٤).

(٢) أخرجه أبو الشيخ وابن مرْدَويه عن ابن عباس بلفظ : "بعث الله محمداً ﷺ إلى الأحمرِ والأسودِ فقال : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا". هكذا عزاه الحافظ ابن كثير والسيوطي عن ابن عباس موقوفاً، انظر: تفسير ابن كثير (٥٨٤/٣)، والدر المنثور؛ للسيوطي (٥٨٤/٣) ، وتفسير فتح القدير؛ للشوكاني (٢٩٠/٢).

وجاء الحديث عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ "عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: " أُعْطِيتُ خَمْسًا وَلَا أَقُولُهُ فَخْرًا: بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ، وَالْأَسْوَدِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُحِلَّ لِي الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ فَهُوَ يَسِيرُ أَمَامِي مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ فَأَخَّرْتُهَا لِأُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ "؛ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٣/٦) رقم (٣١٦٤٣)، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٢١٥/١) رقم (٦٤٣)، وأخرجه البزار في مسنده (١٦٦/١١) رقم (٤٩٠٢)، وأخرجه الآجري في الشريعة (١٥٥٦/٣) رقم (١٠٤٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦١/١١) رقم (١١٠٤٧)، وقال في إتحاف الخيرة المهرة : " رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَعَنْهُ عبد بن حميد بِسَنَدٍ صَحِيحٍ، وَتَقَدَّمَ فِي كِتَابِ التَّيَمُّمِ وَفِي كِتَابِ الْجِهَادِ، وَتَقَدَّمَ لَهُ شَوَاهِدُ"؛ انظر : (١٩٢/٨) رقم (٧٧٦٥)، وقال الهيثمي : "رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ" ثم قال :

" وَرِجَالُ أَحْمَدَ رِجَالُ الصَّحِيحِ، غَيْرَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ"؛ انظر : مجمع الزوائد (٢٥٨/٨) رقم (١٣٩٤٤) وحسنه الألباني في إرواء الغليل، ضمن حديث (٢٨٥).

واتباعي فيما أؤديه إليكم[١]

رُوي أنه- ﷺ-كان يدعوا الناس قبل نزول هذه الآية إلى الإسلام واحداً بعد واحد فلما نزلت هذه الآية أظهر ونادى في مكة[٢].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ : تعريف لله تعالى الذي أرسله إليهم بأنه مالك السموات والأرض[٣].

وقوله تعالى :﴿ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي لا شريك له في الإلهية لا خالق ولا رازق غيره يحيي ويميت أي يخلق الخلق من النطفة ويميتهم عند/ انقضاء آجالهم لا يقدر على ذلك أحد سواه[٤].

١=أ

(١) قال ابن جرير:" إنّي رسول الله إليكم جميعًا"، لا إلى بعضكم دون بعض، كما كان من قبلي من الرُّسل، مرسلا إلى بعض الناس دون بعض. فمن كان منهم أرسل كذلك، فإن رسالتي ليست إلى بعضكم دون بعض، ولكنها إلى جميعكم " ، ينظر: تفسير الطبري (١٧٠/١٣)، وتفسير البيضاوي (٣٨/٣)، وتفسير ابن كثير (٦/١) و (٤٨٩/٣).

(٢) قال السمرقندي: عند تفسير هذه الآية "ويقال : إنه أول نداء نادى به في مكة بهذه الآية، وكان من قبل يدعو واحداً واحداً فلما نزلت هذه الآية أظهر ونادى في الناس : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً" انظر: بحر العلوم (٥٥٧/١).

(٣) قال ابن جرير: "الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَتَدْبِيرُ ذَلِكَ وَتَصْرِيفُهُ"، انظر : تفسير الطبري (٤٩٨/١٠).

وقال القاسمي: "نعوت للفظ الجلالة، أي الذي أرسلني هو خالق كل شيء وربه ومليكه"، انظر : محاسن التأويل؛ للقاسمي (٢٠٦/٥).

وينظر أيضا: بحر العلوم، للسمرقندي (٥٥٧/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧٠/١٣)، وينظر: بحر العلوم للسمرقندي (٥٥٧/١)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (١٩٦/٥)، والدر المصون؛ للسمين الحلبي (٤٨٣/٥).

ويقال معناه: يحيي الأموات بالبعث ويميت الأحياء في الدنيا[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ ﴾ أي صدقوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي لا يكتب، ومن رحمته أن يقرأ الكتب؛ وينقل إليهم أخبار الماضين؛ ولكن يتبع ما أوحي إليه[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ معناه: الذي يؤمن بالله وكتبه؛ ومن قرأ وكلمته فهو عيسى ابن مريم[(٣)].

---

(١) قال محمد بن إسحاق: أَيْ يُعَجِّلُ مَا يَشَاءُ، وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ آجَالِهِمْ بِقُدْرَتِهِ، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٥٨٦/٥).

وينظر: بحر العلوم (٥٥٧/١)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (١٩٦/٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧٠/١٣)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل؛ للزمخشري (٥٣٩/١).

(٣) قال ابن عطية: "وقرأ جمهور الناس «كلماته» بالجمع، وقرأ عيسى بن عمر «كلمته» بالإفراد الذي يراد به الجمع، وقرأ الأعمش «الذي يؤمن بالله وآياته» بدل «كلماته»"، المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٤٦٥/٢).

قال الطبري: "واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ " ثم أورد الأقوال وهي قولان، الأول أن المراد بقوله وكلماتي (وآياته) وأسند هذا القول إلى قتادة، الثاني: أن المراد (عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام) وأسند هذا القول إلى الإمامين مجاهد والسدي رحمهما الله؛ ثم بيّن رأيه بقوله: " والصواب من القول في ذلك عندنا أنَّ الله تعالى ذكره أمرَ عباده أن يصدِّقوا بنبوّة النبيّ الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ولم يخصص الخبرَ جل ثناؤه عن إيمانه من "كلمات الله" ببعض دون بعضٍ بل أخبرهم عن جميع الكلمات فالحق في ذلك أن يعمَّ القول فإن رسول الله ﷺ كان يؤمن بكلمات الله كلِّها على ما جاء به ظاهرُ كتابِ الله" انظر: تفسير الطبري (١٧٢/١٣-١٧١)، وينظر كذلك: تفسير ابن أبي حاتم (١٥٨٧/٥)، وبحر العلوم (٥٥٧/١)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٢٩٣/٤)، وتفسير معالم التنزيل؛ للبغوي (٢٤٠/٢)، وتفسير الكشاف؛ للزمخشري (١٦٧/٢)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٤٦٥/٢)، والبحر المحيط؛ لأبي حيان (١٩٦/٥)، وتفسير السمعاني (٢٢٣/٢)، وتفسير البيضاوي (٣٨/٣)، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (١٣٩/١)، وفتح القدير؛ للشوكاني (٢٩٠/٢).

وقوله تعالى :﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ أي اتبعوه فيما يؤدي إليكم لكي تهتدوا من الضلالة[١].

قوله عز وجل : ﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾
معناه: ومن قوم موسى – عليه السلام – جماعة يدعون إلى الحق ويعملون به؛ وبه يحكمون؛ وهم مؤمنوا أهلِ الكتاب: **عبد الله بن سَلَام**[٢] وأصحابه[٣].

ورُوي عن **عبد الله بن عباس** – رضي الله عنهما– أنه قال: هم سبعة أسباط ونصف من بني إسرائيل قِبَل المشرق وخلف الصين عند المطلع أُخذوا من بيت المقدس مستمسكين بالتوراة مشتاقين إلى الإسلام يعملون بفرائض الله تعالى بيوتهم مسومة والأمانة فيهم فاشية قبورهم عند أبوابهم لا تباغض بينهم ولا تحاسد ولا خُلف ولا خيانة ولا كذب ولا غش يعملون بالحق فيما بينهم ولا أمير ولا قاضي، مر بهم رسول الله – ﷺ– ليلة أسرى به إلى السماء فعرض عليهم الإسلام فقبلوه[٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٧٢/١٣)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٦٧/٢).

(٢) عبد الله بن سَلَام بالتخفيف الإسرائيلي أبو يوسف حليف بني الخزرج قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد الله مشهور له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين. ينظر: معرفة الصحابة؛ لأبي نعيم (١٦٦٥/٣)، الاستيعاب ؛ لابن عبد البر (٩٢١/٣)، والإصابة؛ لابن حجر (١٠٢/٤).

(٣) قال أبو الليث السمرقندي: "قال السائب: هم قوم من أهل الكتاب آمنوا بنبينا ﷺ كعبد الله بن سَلَام وأصحابه، انظر : بحر العلوم (٥٧٠/١).

وقال ابن عطية : يحتمل أن يريد به الجماعة التي آمنت بمحمد ﷺ على جهة الاستجلاب لإيمان جميعهم، انظر المحرر الوجيز (٤٦٥/٢).

وأورد هذا القول البغوي في تفسيره معالم التنزيل ، وصحح القول الثاني الذي تأتي مناقشته في الحاشية التالية – إن شاء الله– انظر : معالم التنزيل (٢٩١/٣).

وقال الطبري: "ومن قوم موسى، يعني بني إسرائيل، أمة، يقول: جماعة "، تفسير الطبري (١٧٢/١٣).

(٤) لم أجد هذا النص عن ابن عباس رضي الله عنه ولكن أورد المفسرون أمورا في معناه.

فأخرج الطبري وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبُو الشَّيْخِ عن ابن جريج قوله: "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون"، قال: بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءَهم، كفروا. وكانوا اثني عشر سبطًا، تبرَّأ سبطٌ منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يفرِّق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نَفَقًا في الأرض، فساروا فيه حتى خرجُوا من وراء الصين، فهم هنالك حُنَفاء مسلمُون يستقبلون قبلتنا"، تفسير ابن جرير (١٧٣/١٣)، وفتح القدير؛ للشوكاني (٢٩٤/٢).

وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدِّيِّ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يُهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ قَالَ: بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ نَهَرٌ مِنْ سَهْلٍ، قَالَ حَامِدٌ: سَهْلٌ. نَهَرٌ مِنْ رَمَلٍ يَجْرِي"، تفسير ابن أبي حاتم (١٥٨٨/٥).

وحكى البغوي قال: " قَالَ الكَلْبِي وَالضَّحَّاكُ وَالرَّبِيعُ: هُمْ قَوْمٌ خَلْفَ الصِّينِ بِأَقْصَى الشَّرْقِ عَلَى نهر مجرى الرمل يسمّى نهر أردان، لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مَالٌ دُونَ صاحبه يمطرون بالليل ويسقون بالنهار ويزرعون، لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مِنَّا أَحَدٌ وهم على دين الْحَقِّ. وَذُكِرَ أَنَّ جِبْرَائِيلَ الطَّيْلا ذَهَبَ بِالنَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إليهم، فَكَلَّمَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ جِبْرِيلُ: هَلْ تَعْرِفُونَ مَنْ تُكَلِّمُونَ؟ قَالُوا: لَا، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ فَآمِنُوا بِهِ، فَقَالُوا: يَا رسول الله إن موسى أَوْصَانَا أَنَّ مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ أحمد فليقرأ عليه مني السَّلَامَ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مُوسَى وَعَلَيْهِمْ السلام، ثُمَّ أَقْرَأَهُمْ عَشْرَ سُوَرٍ مِنَ القرآن نزلت بِمَكَّةَ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقِيمُوا مَكَانَهُمْ وَكَانُوا يَسْبِتُونَ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُجَمِّعُوا وَيَتْرُكُوا السَّبْتَ، وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الْيَهُودِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ "، تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٤٠/٢).

قال الواحدي: " قال أكثر المفسرين: إنهم قوم وراء الصين آمنوا بالنبي ﷺ، وتركوا تحريم السبت، يجمعون ولا يتظالمون "، التفسير الوسيط؛ للواحدي (٤١٨/٢)، والوجيز ؛ للواحدي (٤١٧/١).

وقال السمعاني: "روى الكَلْبِي عَن أبي صَالح عَن ابْن عَبَّاس أَنه قَالَ: هَؤُلَاءِ قوم بأقصى الشرق وَرَاء الصين عِنْد مطلع الشَّمْس، كَانُوا على شَرِيعَة مُوسَى – صلوَات الله عَلَيْهِ – إِلَى أَن بعث مُحَمَّد فَلَمَّا بعث مُحَمَّد آمنُوا بِهِ، وَكَانُوا على الْحق من لدن مُوسَى إِلَى زمَان مُحَمَّد عَلَيْهِمَا السَّلَام – وَقيل: هم الَّذين أَسْلمُوا فِي زمن النَّبِي من الْيَهُود مثل (ابْن) صوريا، وَابْن سَلَام، وَنَحْوهمَا، وَالْأول أظهر "، تفسير القرآن؛ للسمعاني (٢٢٣/٢).

أما الفخر الرازي فقد أورد الخبر ثم ذكر أن المفسرين اختلفوا في هؤلاء القوم فأورد الأقوال ثم ناقشها قال : " منهم من قال : إنهم بقوا متمسكين بدين اليهودية إلى الآن، ومنهم من قال إنهم الآن على دين محمد ﷺ يستقبلون الكعبة ، وتركوا السبت وتمسكوا بالجمعة ، لا يتظالمون ولا يتحاسدون ولا يصل إليهم منا أحد ولا إلينا منهم أحد، وقال بعض المحققين : هذا القول ضعيف لأنه إما أن يقال : وصل إليهم خبر محمد ﷺ ، أو ما وصل إليهم هذا الخبر، فإن قلنا : وصل خبره إليهم ، ثم إنهم أصروا على اليهودية فهم كفار، فكيف يجوز وصفهم بكونهم أمة يهدون بالحق وبه يعدلون؟ وإن قلنا بأنهم لم يصل إليهم خبر محمد ﷺ ، فهذا بعيد ، لأنه لما وصل خبرهم إلينا ، مع أن الدواعي لا تتوفر على نقل أخبارهم ، فكيف يعقل أن لا يصل إليهم خبر محمد عليه الصلاة والسلام مع أن الدنيا قد امتلأت من خبره وذكره؟ فإن قالوا :

وذكر مقاتل بن سليمان[1] في تفسيره أن بين الصين وبينهم واديا جاريا من رمل يمنع ذلك الناس من أخبارهم[2]، إلا أنا إنما سمعنا خبرهم؛ لأن الله تعالى أخبر نبينا محمد - ﷺ- عنهم، وسمع **ابن عباس** -رضي الله عنهما- من النبي ﷺ.

أليس إن يأجوج ومأجوج قد وصل خبرهم إلينا ولم يصل خبرنا إليهم؟ قلنا : هذا ممنوع ، فمن أين عرف أنه لم يصل خبرنا إليهم ، فهذا جملة ما قيل في هذا الباب" انظر : مفاتيح الغيب (١٥/٢٧-٢٨).

قال جامعه: والذي يظهر أنه لا يصح من ذلك شيء مسنداً ولعلها مأخوذ من الإسرائيليات التي لا يحتج بها، ولذا قال أبو حيان: "حِكَايَاتٍ طَوِيلَةٍ ذَكَرَهَا الزَّمَخْشَرِيُّ وَصَاحِبُ التَّحْرِيرِ وَالتَّحْبِيرِ يُوقِفُ عَلَيْهَا هُنَاكَ لَعَلَّهُ لَا يَصِحُّ"، البحر المحيط (٥/١٩٨).

وقد قسم ذلك ابن الجوزي ثلاثة أقسام فقال: وفي المشار إليهم بهذا ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم قوم وراء الصين لم تبلغهم دعوة الإسلام، قاله ابن عباس، والسُّدي. والثاني: أنهم من آمن بالنبيّ ﷺ مثل ابن سَلَام وأصحابه، قاله ابن السائب. والثالث: أنهم الذين تمسكوا بالحق في زمن أنبيائهم، ذكره الْمَاوَرْدِي، زاد المسير؛ لابن الجوزي (٢/١٦٢)، ومثله للقرطبي في تفسيره (٧/٣٠٢).

وأحسن ما قيل في تفسير هذه الآية ما أورده ابن كثير في تفسيره حيث قال : "يقول تعالى مخبرًا عن بني إسرائيل أن منهم طائفة يتبعون الحق ويعدلون به، كما قال تعالى: { مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } آل عمران:١١٣، وقال تعالى: { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } آل عمران:١٩٩، وقال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } القصص:٥٢-٥٤ ،قال تعالى: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } الآية البقرة:١٢١، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّدًا* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا * وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } الإسراء:١٠٧-١٠٩ انظر : (٣/٤٩١-٤٩٢).

(١) مقاتل بن سليمان بن بشير الأَزْدِي الخُرَاسَاني أبو الحسن البَلْخِي نزيل مرو ويُقال له ابن دَوال دوز كذبوه وهجروه ورمى بالتجسيم من السابعة مات سنة خمسين ومائة بالبصرة، انظر : الجرح والتعديل (٨/٣٥٤)، وتهذيب الكمال (٢٨/٤٣٤)، والتقريب (٦٨٦٨).

(٢) أورده مقاتل بن سليمان في تفسيره (٢/٥٥٤) مطولاً دون إسناد.

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

والأثر الذي جاء ابن عباس لا يصح، فهو عن ابن جريج مرسل.

وطريقه الآخر هو عن الكَلْبِي، والكَلْبِي هو محمد بن السائب أبو النضر الكوفي النسّابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض، انظر: ميزان الاعتدال (٧٥٧٤)، وتقريب التهذيب (٥٩٠١).

وطريق مقاتل بن سليمان ذكره بلا زمام ولا خطام، ومع ذلك فمقاتل بن سليمان كذبوه وهجروه ورموه بالتجسيم، انظر: ميزان الاعتدال (٨٧٤١)، وتقريب التهذيب (٦٨٦٨).

ولذا علق عليه ابن كثير فقال: " وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهَا خَبَرًا عَجِيبًا"، تفسير ابن كثير (٣/٤٩٢).

وقال الشوكاني: " أَقُولُ: وَمِثْلُ هَذَا الْخَبَرِ الْعَجِيبِ وَالنَّبَأِ الْغَرِيبِ مُحْتَاجٌ إِلَى تَصْحِيحِ النَّقْلِ"، فتح القدير (٢/٢٩٤).

وقال ابن عطية بعد أن أورد الخبر : "قاله السدي وابن جريج وروي بعضه عن ابن عباس" ثم استبعد ذلك بقوله : "قال القاضي أبو محمد : وهذا حديث بعيد" انظر : المحرر الوجيز (٢/٤٦٥).

وقال الخازن: "وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت إلى قول الأخباريين والقصاص في ذلك"، تفسير الخازن (٢/٢٦٠).

وقال الألوسي بعد أن ذكر رواية ابن أبي حاتم ، قال : "وضعّف هذه الحكاية ابن الخازن ، وأنا لا أراها شيئا ، ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفقاً في الأرض أو سلماً إلى السماء" انظر : روح المعاني (٥/٨٠).

معناه: وفرقناهم اثنتي عشرة فرقة، والسبط في ولد إسحاق نحو القبيلة في ولد إسماعيل عليهما السلام؛ وإنما ذكر اثنتي عشرة على لفظ التأنيث وإن كان لفظ السبط مذكر إلا أن معنى الأسباط الفرق والجماعات[(١)].

فإن قيل: كيف قال اثنتي عشرة أسباطا ولا يجمع ما بعد العشرة على لفظ الجماعة يقال اثنا عشر درهماً ولا يقال اثنا عشر دراهم ؟

قيل: ذكر **الزجاج**[(٢)] أن قوله أسباط بدل لا تمييز كأنه قال قطعناهم أسباطا اثنتي عشرة، وقيل: إنما قال ذلك لأن السبط الواحد يجوز أن يقال له أسباط على معنى أنه يرجع

---

(١) قال الأخفش: "أراد اثنتي عشرة فرقة ثم أخبر أن الفرق أسباط ولم يجعل العدد على الأسباط"، معاني القرآن (٣٤١/١).

وقال الطبري: "واختلف أهل العربية في وجه تأنيث "الاثنتي عشرة"، و"الأسباط" جمع مذكر. فقال بعض نحويي البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفرق "أسباط"، ولم يجعل العدد على "أسباط، وكان بعضهم يستخِلُّ هذا التأويل ويقول لا يخرج العدد على غير التالي، ولكن "الفرق" قبل "الاثنتي عشرة"، حتى تكون "الاثنتا عشرة" مؤنثة على ما قبلها، ويكون الكلام: وقطعناهم فرقًا اثنتي عشرة أسباطًا= فيصحّ التأنيث لما تقدَّم، وقال بعض نحويي الكوفة: إنما قال "الاثنتي عشرة" بالتأنيث، و"السبط" مذكر، لأن الكلام ذهب إلى "الأمم"، فغُلّب التأنيث، وإن كان "السبط" ذكرًا، وهو مثل قول الشاعر: وَإِنَّ كِلابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرِ: ذهب ب"البطن" إلى القبيلة والفصيلة، فلذلك جمع "البطن" بالتأنيث، وكان آخرون من نحويي الكوفة يقولون: إنما أنّثت "الاثنتا عشرة"، و"السبط" ذكر، لذكر الأمم"، تفسير الطبري (١٣/١٧٤-١٧٥).

وانتهى ابن جرير إلى أن قال: والصواب من القول في ذلك عندي أنّ "الاثنتي عشرة" أنثت لتأنيث "القطعة"، ومعنى الكلام: وقطعناهم قِطَعًا اثنتي عشرة ثم ترجم عن "القِطَع" ب"الأسباط"، وغير جائز أن تكون "الأسباط" مفسرة عن "الاثنتي عشرة" وهي جمع، لأن التفسير فيما فوق "العشر" إلى "العشرين" بالتوحيد لا بالجمع، و"الأسباط" جمع لا واحد"، تفسير الطبري (١٣/١٧٦).

وقال الفراء:"وإنما قال اثنتي عشرة والسبط مذكر لأن بعده أمما، فذهب التأنيث إلى الأمم"، التفسير الوسيط؛ للواحدي (٤١٩/٢)، وينظر كذلك: تفسير السمعاني (٢/٢٢٣)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٢/٢٤١)، تفسير الكشاف؛ للزمخشري (١٦٨/٢)، الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (٣٠٣/٧).

(٢) إِبْرَاهِيم بن السَّريّ، أبو إسحاق الزَّجَّاج، قال الخطيب: كَانَ من أهل الفضل وَالدين، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، لَهُ كتاب " مَعَانِي الْقُرْآن وَشرح إعرابه "، وَله كتاب " الِاشْتِقَاق "، وَكتاب " فعلت وأفعلت "، ومُصنَّفات، مِنْهَا: كتاب "

نسبهم إلى الآباء ثم يرجع نسب أولئك الآباء إلى أصل ذلك السبط[١].

وأما قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ فمعناه أوحينا إليه في التيه حين طلب قومه منه الماء أن اضرب بعصاك الحجر.

قال عبد الله ابن عباس -رضي الله عنهما- وأكثر المفسرين[٢] كان ذلك حجراً يحملونه مع أنفسهم على الحمار؛ ولهذا عرَّف الحجر بالألف واللام.

وقال الحسن [٣] -رضي الله عنه- أيُّ حَجَر كان يعترض له كان يضرب عليه العصا.

ودخول الألف واللام في الحجر للجنس دون المعهود كما تقول لغيرك اضرب يدك على الحائط أو على الشجرة[٤].

الأنواء ".تُوفي سنة ستَّ عشرَة وثلاثمائة. انظر: تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين؛ للتنوخي (٣٩/١)، وتاريخ بغداد؛ للخطيب (٦١٣/٦)، إنباه الرواة على أنباه النحاة؛ للقفطي (١٩٤/١).

(١) معاني القرآن وإعرابه ؛ للزجاج (٣٨٣/٢)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٢٤١/٢)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (١٦٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٠٣/٧).

وقال ابن عطية: " أَسْباطاً بدل من اثْنَتَيْ. والتمييز الذي بين العدد محذوف مقدر اثنتي عشرة فرقة أو قطعة أسباطا، وإما أن يزول عن التمييز ويقدر وقطعناهم فرقا اثنتي عشرة ثم أبدل أسباطا، والأول أحسن وأبين، ولا يجوز أن يكون أَسْباطاً تمييزا لأن التمييز لا يكون إلا مفردا نكرة، وأيضا فالسبط مذكر وهو قد عد مؤنثا على أن هذه العلة لو انفردت لمنعت إذ السبط بمعنى الأمة"، المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٤٦٥/٢).

(٢) جاء ذلك عن ابن عباس وقتادة وابن زيد، أخرجها الطبري في تفسيره (١٢٠/٢) وابن أبي حاتم في التفسير (١٢١/١)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (١٤٥/١).

وجاء عن عطية العوفي أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢١/١)، وينظر كذلك: بحر العلوم؛ للسمرقندي (٥٧/١)، والكشف والبيان ؛ للثعلبي (٢٠٣/١).

(٣) الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، أبو سعيد من كبار التابعين، أبوه مولى زيد بن ثابت، توفي سنة عشر ومائة، رحمه الله . ينظر – الجرح والتعديل (٤٠/٣)، وتهذيب الكمال (٩٥/٦)، وسير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤)، والتقريب (١٢٢٧).

(٤) قال الثعلبي: "الألف واللام للتعريف مثل قولك: رأيت الرجل"، الكشف والبيان (٢٠٣/١).

وقال الزمخشري والنسفي: (واللام إما للعهد...وإما للجنس)؛ انظر : تفسير الكشاف؛ للزمخشري (١٤٤/١)، مدارك التنزيل؛ للنسفي (٩٢/١).

وقوله تعالى : ﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ﴾ معنى الأنبجاس خروج الماء قليلاً وأما الانفجار الذي ذكره الله تعالى في هذه القصة في سورة البقرة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فهو خروج الماء واسعا، قالوا إنما قال ذلك لأن الماء كان يخرج من الحجر في الابتداء قليلاً ثم يتسع فاجتمع فيه صفة الأنبجاس والانفجار[1] وإنما تفجر منه اثنتا عشرة عينا لأنهم كانوا اثنا عشر سبطا وكان لا يخالط كل سبط السبط الآخر قد علم كل أناس موضع شربه.

واختيار المصنف أن الألف واللام للجنس هو اختيار بعض المحققين؛ فعن الحسن ﷺ قال : لم يأمره أن يضرب حجراً بعينه، قال : وهذا أظهر في الحجة وأبين في القدرة، انظر : الكشاف للزمخشري (١/١٤١).

(١) جاء عن ابن عباس وغيره أن الانبجاس هو الانفجار، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٥/١٥٨٩)، والطبري في تفسيره (١٣/١٧٧)، وبه قال مقاتل في تفسيره (٢/٦٨)، وانظر :تفسير السمعاني (٢/٢٢٤)، ومعالم التنزيل؛ للبغوي (٢/٢٤١).

ولذا قال الثعلبي: "قال أهل التفسير: انبجست وانفجرت واحد، وكان أبو عمرو بن العلاء يفرق بينهما فيقول انبجست عرقت وانفجرت سالت"، انظر : الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/٢٩٥).

وقال الواحدي: "فانبجست بجس الماء وانبجاسه: انفجاره، يقال: بجس الماء يبجس وانبجس وتبجس.إذا تفجر، وهذه الآية واللتان بعدها مفسرة في البقرة"، التفسير الوسيط (٢/٤١٩)، والوجيز؛ للواحدي (١/٤١٧).

وقال ابن قتيبة: "فانبجست: انفجرت يقال: تبجَّس الماء، كما يقال: تفجَّر، زاد المسير؛ لابن الجوزي (٢/١٦٢).

وقال الزمخشري: "فَانْبَجَسَتْ فانفجرت. والمعنى واحد، وهو الانفتاح بسعة وكثرة"، تفسير الكشاف؛ للزمخشري (٢/١٦٩).

وقال ابن عطية: "فَانْبَجَسَتْ معناه انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار"، المحرر الوجيز (٢/٤٦٦).

وقد طرح الرازي هنا إشكالاً وذكر جوابه، فقال: "السُّؤَالُ الثَّانِي: أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ هَاهُنَا: فَانْفَجَرَتْ وَفِي الْأَعْرَافِ: فَانْبَجَسَتْ وَبَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ لِأَنَّ الِانْفِجَارَ خُرُوجُ الْمَاءِ بِكَثْرَةٍ وَالِانْبِجَاسُ خُرُوجُهُ قَلِيلًا. الْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: الْفَجْرَ الشَّقُّ فِي الْأَصْلِ، وَالِانْفِجَارُ الِانْشِقَاقُ، وَمِنْهُ الْفَاجِرُ لِأَنَّهُ يَشُقُّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ بِخُرُوجِهِ إِلَى الْفِسْقِ، وَالِانْبِجَاسُ اسْمٌ لِلشَّقِّ الضَّيِّقِ الْقَلِيلِ، فَهُمَا مُخْتَلِفَانِ اخْتِلَافَ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ، فَلَا يَتَنَاقَضَانِ، وَثَانِيهَا: لَعَلَّهُ انْبَجَسَ أَوَّلًا، ثُمَّ انْفَجَرَ ثَانِيًا، وَكَذَا الْعُيُونُ: يَظْهَرُ الْمَاءُ مِنْهَا قَلِيلًا ثُمَّ يَكْثُرُ لِدَوَامِ خُرُوجِهِ. وَثَالِثُهَا: لَا يَمْتَنِعُ أَنَّ حَاجَتَهُمْ كَانَتْ تَشْتَدُّ إِلَى الْمَاءِ فَيَنْفَجِرُ، أَيْ يَخْرُجُ الْمَاءُ كَثِيرًا ثُمَّ كَانَتْ تَقِلُّ فَكَانَ الْمَاءُ يَنْبَجِسُ أَيْ يَخْرُجُ قَلِيلًا، تفسير الرازي (٣/٥٢٩).

وقوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ معناه وظللنا عليهم الغمام في التيه بالنهار ليقيهم حر الشمس إذ لم يكن هناك شيء يسترهم عنها[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ فالمن التَّرَنْجَبِينَ[٢] السَّلْوَى[٣] طائر يشبه السُّمَاني[٤].

---

(١) قال ابن جرير: "و"الغمام" جمع"غمامة"، كما السحاب جمع سحابة،"والغمام" هو ما غم السماء فألبسها من سحاب وقتام، وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين. وكل مغطى فالعرب تسميه مغموما"، ينظر: تفسير الطبري (٩٠/٢)، وينظر كذلك: تفسير الكشف والبيان؛ لثعلبي (٢٩٥/٤)، وتفسير معالم التنزيل؛ للبغوي (٢٤١/٢).

وجاء عن قتادة والحسن: "كَانَ هَذَا فِي الْبَرِيَّةِ ظُلِّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامِ مِنَ الشَّمْسِ"، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٥٩٠/٥).

(٢)التَّرَنْجَبِينَ: قال ابن منظور: وَقَالُوا: طَرَنْجَبِين فِي التَّرَنْجَبِينَ، لسان العرب (٩٦/١٠) مادة (درق).

ولم أجد عند أحد من أهل اللغة اختلافا في أن المن هو التَّرَنْجَبِينَ وهو عبارة عن مادة لزجة حلوة تشبه العسل تسقط على الأشجار، وانظر: الزاهر في معاني كلمات الناس؛ لأبي بكر الأنباري (٤٥/٢)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٤٩/١٣)، والفائق في غريب الحديث والأثر؛ للزمخشري (٣٩٠/٣)، ولسان العرب (٤١٨/١٣) مادة (من)، تاج العروس (٣١٦/٣٤).

(٣) السلوى: قال الأخفش: "وأما "السَّلْوَى" فهو طائر لم يسمع له بواحد، وهو شبيه أن يكون واحده "سَلْوى" مثل جماعته، كما قالوا: "دِفْلَى" للواحد والجماعة، و"سُلامَى" للواحد والجماعة. وقد قالوا "سُلامَيات". وقالوا "حُبَارَى" للواحد، وقالوا للجماعة: "حُبارَيَات"، معاني القرآن (١٠١/١).

(٤) تقاربت أقوال المفسرين في معنى المن والسلوى.

قال مجاهد: "الْمَنُّ: صَمْغَةٌ، وَالسَّلْوَى: طَائِرٌ"، تفسير مجاهد (٢٠٣/١)، وأخرجه الطبري في التفسير (٩١/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١١٤/١).

وقَتَادَةَ قَالَ: الْمَنُّ كَانَ يُنَزَّلُ عَلَيْهِمْ فِي مَحَلَّتِهِمْ مِثْلَ الْعَسَلِ، مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَالسَّلْوَى هُوَ الطَّيْرُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ السُّمَانَى"، أخرجه يحي بن سَلَام في تفسيره (٢٦٩/١)، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير (٢٧١/١) و (٣٣/٢)، وأخرجه الطبري في التفسير (٩٢/٢).

كلوا من طيبات ما رزقناكم أي من حلال ما رزقناكم من المن السَّلْوَى وما ظلمونا أي ما ضرونا لمخالفتهم أمرنا و إعراضهم عن شكر النعمة ولكن ضروا أنفسهم.

وأخرج يحي بن سَلَام أيضا عن الحسن والضحاك بن مزاحم قالا: السلوى السماني، تفسير يحي بن سَلَام (١/٢٦٩).

وقد أورد ابن جرير عشرة معانٍ للمن وذكر من قال بكل واحد منها، انظر: تفسير الطبري (٢/٩٢-٩٥).

وأما ابن كثير فبعد أن بين أن المفسرين اختلفوا في ذلك – أي في معنى المن – وذكر الأقوال قال: "والغرض أن عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن فمنهم من فسره بالطعام، ومنهم من فسره بالشراب، والظاهر، والله أعلم أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب وغير ذلك مما ليس لهم فيه عمل ولا كد، فالمن المشهور إن أُكل وحده كان طعاما وحلاوة وإن مزج مع الماء صار شرابا طيبا، وإن ركب مع غيره صار نوعا آخر؛ ولكن ليس هو المراد من الآية وحده؛ والدليل على ذلك قول البخاري: ...عن سعيد بن زيد، ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: "الكمأة من المن، وماؤها شفاء للعين" انظر: تفسير ابن كثير (١/٢٦٧).

وأما السلوى فأكثر أهل العلم على أنها طائر يشبه السُمَّاني، يقول ابن جرير الطبري : والسلوى اسم طائر يشبه السُمَّاني، انظر : تفسير الطبري (٢/٩٦-٩٧).

وقال ابن عطية: السلوى طير بإجماع من المفسرين، انظر : المحرر الوجيز (١/١٤٩).

ويقول صاحب أضواء البيان والأظهر عندي في المنّ: أنه اسم جامع لما يمن الله به على عبده من غير كدّ ولا تعب، فيدخل فيه الترنجبين الذي منّ الله به على بني إسرائيل في التيه، ويشمل غير ذلك مما يماثله، ويدّل على هذا قوله ﷺ الثابت في الصحيحين: "الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين، والأظهر عندي في السلوى: أنه طائر، سواء قلنا إنه السماني، أو طائر يشبهه، لإطباق جمهور العلماء من السلف والخلف على ذلك، انظر: (٥/٧٥).

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾ معناه: وإذ قيل لهم وقت خروجهم من التيه اسكنوا هذه القرية أي قرية أرِيْحا[١] ببيت المقدس[٢] [٣].

---

(١) أرِيْحا: "بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، والحاء مهملة، والقصر، وقد رواه بعضهم بالخاء المعجمة، لغة عبرانية: وهي مدينة الجبّارين في الغور من أرض الأردنّ بالشام، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك، سمّيت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح، ، وقد حرّك جرير الياء منه ومدّه"، معجم البلدان (١٦٥/١).

(٢) بيت المقدس: المَقْدِسُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وتخفيف الدال وكسرها، أي البيت المقدّس المطهّر الذي يتطهر به من الذنوب، في اللغة المنزه، وقال اليعقوبي: كورة إيليا وهي بيت المقدس وبها آثار الأنبياء عليهم السّلام، قال المفسرون في قوله تعالى:وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، قال الزّجاج: معنى نقدس لك أي نطهّر أنفسنا لك، انظر: معجم البلدان (١٦٦/٥)، وينظر: البلدان؛ لابن الفقيه (١٤٥/١)، والبلدان؛ لليعقوبي (ص:١٦٦).

(٣) فسرت (القرية) بأمور:

الأول: أنها بيت المقدس، جاء ذلك عن ابن مسعود وابن عباس، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦٨/١).

وجاء عن قتادة، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٧١/١)، وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (١٠٢/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١١٦/١)، وينظر: التفسير الوسيط (١٤٣/١)، زاد المسير (٦٨/١).

وجاء عن السدي مثله، أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠٢/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١١٦/١)، وينظر: التفسير الوسيط (١٤٣/١)، زاد المسير (٦٨/١).

وجاء عن الربيع بن أنس، أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠٢/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١١٦/١)، وينظر: التفسير الوسيط (١٤٣/١)، زاد المسير (٦٨/١).

وجاء عن ابن زيد، أخرجه ابن جرير في التفسير (١٠٢/٢)، وينظر: تفسير السمعاني (٨٣/١).

وجاء عن مجاهد، ذكره الثعلبي في التفسير (٢٠١/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (١٢١/١).

وكلوا منها حيث شئتم من نعمها وقولوا مسألتنا حطةً أي احطط عنا ذنوبنا[١]

الثاني: جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها أريحا، ذكره الثعلبي في التفسير (٢٠١/١)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (١٤٣/١)، وينظر: تفسير السمعاني (٨٣/١).

الثالث: جاء عن مقاتل أنها إيليا، ذكره الثعلبي في التفسير (٢٠١/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (١٢١/١).

الرابع: جاء عن الضّحاك: أنها الرّملة والأردن وفلسطين وتدمر، ذكره الثعلبي في التفسير (٢٠١/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (١٢١/١).

الخامس: جاء عن ابن كيسان أنها الشام، ينظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (١٢١/١)، وتفسير الثعلبي (٢٠١/١).

وكذلك جاء عن وهب، ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٦٨/١).

وقد ذكر الْمَاوَرْدِي من ذلك ثلاثة أقوال فقط: **أحدها** : أنها بيت المقدس، وهو قول قتادة، والربيع بن أنس واختاره ابن جرير، وذكر ابن عطية أنها قول الجمهور ، **والثاني** : أنها قريةٌ ببيت المقدس، وهو قول السدي، **والثالث** : أنها أريحا، قرب بيت المقدس، وهو قول ابن زيد، انظر : النكت والعيون (١٢٥/١).

قُلت : والذي وقفت عليه مسندا هو ما تقدم مخرجاً عن قتادة والربيع والسدي أنها بيت المقدس، وهي أسانيد صحيحة إلى من ذكرت، وبعض هذه الأقوال متداخلة، فبيت المقدس في الشام، وإيليا هي بيت المقدس، وأريحا بلدة في بيت المقدس.

ولذا قال ابن كثير بعد أن ذكر سبب رميهم في التيه : قال : "ولهذا كان أصح القولين أن هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نص على ذلك السدي، والرّبيع بن أنس، وقتادة، وأبو مسلم الأصفهاني وغير واحد، وقد قال الله تعالى "يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ (المائدة: ٢١-٢٤)، وقال آخرون: هي أريحا، ويحكى عن ابن عباس، وعبد الرحمن بن زيد، وهذا بعيد؛ لأنها ليست على طريقهم وهو قاصدون بيت المقدس" – واستبعد قول من قال أنها مصر بل جعله أبعد من القول الثاني–، وقال : "والصحيح هو الأول أنها بيت المقدس"، انظر: (٢٧٣/١).

(١) قال الأخفش: " وقد قرئت نصبا على انه بدل من اللفظ بالفعل. وكلُ ما كان بدلا من اللفظ بالفعل فهو نصب بذلك الفعل، كأنه قال: "أَحْطُطْ عَنَّا حِطَّةً" فصارت بدلا من "حُطَّ" وهو شبيه بقولهم: "سَمْعٌ وطاعةٌ"، فمنهم من يقول: "سَمْعاً وطاعةَ" اذا جعله بدل: "أَسْمَعُ سمعا وأَطيعُ طاعَةً". واذا رفع فكأنه قال: أمْرِي سَمْعٌ وطاعَةٌ"، معاني القرآن؛ للأخفش (١٠٢/١).

وقال الطبري: " (حطة) ، فعلة، من قول القائل:"حط الله عنك خطاياك فهو يحطها حطة"، بمنزلة الردة والحِدة والمِدة من حددت ومددت"، التفسير (٢/١٠٥).

وقال ابن عطية: " وقرأ السبعة والحسن وأبو رجاء ومجاهد وغيرهم «حطة» بالرفع، وقرأ الحسن بن أبي الحسن «حطة» بالنصب، الرفع على خبر ابتداء تقديره طلبنا حطة، والنصب على المصدر أي حط ذنوبنا حطة"، تفسير ابن عطية (٢/٤٦٦).

وبنصب حطة أيضا قرأ بها ابن السميفع وابن أبي عبلة، انظر: زاد المسير (١/٦٩).

وهذا المعنى الأول الذي ذكره المؤلف جاء عن جماعة: منهم: ابن عباس، والربيع بن أنس، وعطاء، وارتضاه ابن جرير، تفسير الطبري (٢/١٠٦)، وكذا الأخفش؛ في معاني القرآن (١/١٠٢)، والزجاج في معاني القرآن (١/١٣٩).

وكذا جاء عن قتادة والحسن، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/١١٩).

وفيه قول آخر أن معنى ذلك: قولوا لا إله إلا الله، قال عكرمة، أخرجه الطبري في التفسير (٢/١٠٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/١١٨)، وأخرجه الطبراني في الدعاء (ص٤٥٢) أثر رقم (١٥٦٤).

الثاني: أنهم أمروا بالاستغفار، جاء ذلك عن ابن عباس، أخرجه الطبري في التفسير (٢/١٠٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/١١٨).

الثالث: قُولُوا هَذَا الأَمْرُ حَقٌّ، كَمَا قِيلَ لكم، جاء هذا عن ابن عباس، أخرجه الطبري في التفسير (٢/١٠٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/١١٨).

الرابع: أَنْ أَقِرُّوا بِالذَّنْبِ، جاء هذا عن ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١/١١٨).

قُلت : وقد جمع ابن الجوزي الأقوال في معنى واحد فقال: "فيكون المعنى: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم، وهو قول «لا إله إلا الله"، زاد المسير (١/٦٩).

وقال الرازي أيضا في ذلك: " فَالْحَاصِلُ أَنَّهُ أَمَرَ الْقَوْمَ بِأَنْ يَدْخُلُوا الْبَابَ عَلَى وَجْهِ الْخُضُوعِ وَأَنْ يَذْكُرُوا بِلِسَانِهِمُ الْتِمَاسَ حَطِّ الذُّنُوبِ حَتَّى يَكُونُوا جَامِعِينَ بَيْنَ نَدَمِ الْقَلْبِ وَخُضُوعِ الْجَوَارِحِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِاللِّسَانِ، وَهَذَا الْوَجْهُ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَقْرَبُهَا إِلَى التَّحْقِيقِ"، تفسير الرازي (٣/٥٢٣)، وانظر أيضا: النكت والعيون؛ للمَاوَرْدي (١/١٢٦)، وتفسير الكشف والبيان؛ للثعلبي (١/٢٠٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (١/١٤٣)، والوجيز؛ للواحدي (١/١٠٧)، وتفسير السمعاني (١/٨٣)، وتفسير الراغب الأصفهاني (١/٣٤)، غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/١٤٢).

وادخلوا باب أريحا[1] خاضعين لله تعالى خاشعين يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم باستغفاركم وخضوعكم ونزيد الذين لا ذنب لهم في الدنيا فضلاً وفي الآخرة ثواباً .

وتوقف القرطبي عند اللفظ، فذهب إلى أن الأمر تعبدي فقال: " يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونُوا تَعَبَّدُوا بِهَذَا اللَّفْظِ بِعَيْنِهِ وَهُوَ الظَّاهِرُ مِنَ الْحَدِيثِ رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطاياكُمْ [فَبَدَّلُوا] فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهِهِمْ وَقَالُوا حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ"، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١/٤١١).

والذي يظهر أن الأقرب هو ما تقدم من الجمع بين الأقوال، فإن إعمال الجميع مقدم على إهمال البعض، فليتأمل.

(١) جاء عن ابن عباس أنه أحد أبواب بيت المقدس، وهو يدعى باب حطة، أخرجه الطبري في التفسير (٢/١٠٤).

وقال مجاهد: بَابُ الْحِطَّةِ مِنْ بَابِ إِيلِيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ وَالسُّدِّيِّ نَحْوُ قَوْلِ مُجَاهِدٍ، أخرج ذلك ابن أبي حاتم في التفسير (١/١١٧)، وأخرجه الطبري في التفسير (٢/١٠٣، ١٠٤).

وهذا هو الظاهر الذي لم يذكر الطبري وابن أبي حاتم غيره، على أن الرازي قال: اختلفوا في الباب على وجهين : أحدهما : وهو قول ابن عباس والضحاك ومجاهد وقتادة إنه باب يدعى باب الحطة من بيت المقدس، وثانيهما : حكى الأصم عن بعضهم أنه عني بالباب جهة من جهات القرية ومدخلاً إليها، انظر : مفاتيح الغيب (٣/٨٣).

قال جامعه: والقول الأول ذكره ابن جرير مسندا على ما تقدم بأسانيد حسنة، وما حكاه الأصم عن بعضهم فقول مرسل لا يدرى قائله، على أنه يمكن أن يدخل في القول الأول بناء على تفسير القرية بما تقدم وأنها بيت المقدس.

ولذا قال الخازن: فمن قال : إن القرية أريحاء قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب، ومن قال إن القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة، انظر : لباب التأويل (١/٦٤).

قولـه عـز وجـل : ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ / ١= ب

معناه: غيَّر الذين ظلموا أنفسهم القول الذي أُمروا به فقالوا (أطه سمقانا) [١] يعنون حنطة حمراء؛ ويقال قالوا: حنطة في شعيرة، فأرسلنا عليهم رجزاً أي عذاباً من السماء نزلت عليهم نار فأحرقتهم بتبديلهم ما أمروا به[٢]

---

(١) أخرج ابن جرير عن ابن مسعود أنه قال: إنهم قالوا:" هطى سمقا يا ازبة هزبا"، وهو بالعربية: حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء، تفسير الطبري (١١٤/٢)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢١١/٩) حديث رقم (٩٠٢٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٩/١).

هذا قالوه بلغتهم النبطية، وبعد الرجوع إلى كتب التفسير وجدت اختلافا كثيراً في نطق وهجاء هذه اللفظة، فمنهم من قال : قالوا : هطى سمقاثا أزبه مزبا يعني كذالك حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء، انظر : تفسير ابن أبي حاتم (١٥٩٦/٥).

ومنهم من قال : قالوا : هطا شمهاثاً، ومنهم من قال : قالوا : حطى شمعاثاً، انظر : تفسير البحر المحيط (٣٨٦/١).

ومنهم من قال : قالوا : هُطِّي سمعاتا أزبة مزبا يعني حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء، انظر : تفسير ابن كثير (٢٧٧/١).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم، فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة، (١٥٦/٤) حديث رقم (٣٤٠٣) كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ حَدِيثِ الخَضِرِ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، وفي لفظ آخر للبخاري:" وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ" ، (١٩/٦) حديث رقم (٤٤٧٩) كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا البَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ (ص:١٩) وَسَنَزِيدُ المحْسِنِينَ} (البقرة: ٥٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٣١٢/٤) حديث رقم (٣٠١٥) أول كتاب التفسير.

قوله عز وجل: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾.

معناه: سل يا محمد يهود المدينة عن القرية التي كانت بقرب البحر وهي مدينة أيلة[1] على ساحل البحر بين المدينة والشام[2]، وهذا سؤال توبيخ لهم لا سؤال يعرف من قبلهم، وفي السؤال فائدة أخرى أن يهود المدينة جروا على عادة أسلافهم في التمرد والمعصية

---

(١) أَيْلَة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود...، وقال أبو المنذر: سميّت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم، عليه السلام، وقال أبو عبيدة: أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعدّ في بلاد الشام، انظر: معجم البلدان (١/٢٩٢)، والبلدان؛ لليعقوبي (١/١٧٨).

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: هي إيلة، التفسير (٥/١٥٩٧)، وبه قال مقاتل في تفسيره (٢/٧٠)، وانظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٤٢)، وممن قال بهذا عبد الله بن كثير وعكرمة والسدي والثوري، انظر: تفسير المحرر الوجيز؛ لابن عطية (٢/٤٦٧)، وتفسير البحر المحيط؛ لأبي حيان (٥/٢٠٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/٤١٩).

وقال زيد بن أَسْلَم: هِيَ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا مِقْنَا بَيْنَ مَدْيَنَ وَعَيْنُونِي، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٥٩٨)، وممن قال بهذا قتادة، انظر: تفسير ابن عطية (٢/٤٦٧).

وحكى الخازن عن ابن عباس هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب، تفسير الخازن (٢/٢٦٢)، ولم أره لغيره.

وقال الزهري: هي طبرية بالشام، أخرجه ابن وهب في جامعه (ص١٥) أثر رقم (٢٧)، وانظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٤٢)، وتفسير ابن عطية (٢/٤٦٧)، واستبعد هذا القول أبو حيان فقال: وَهُوَ بَعِيدٌ لِقَوْلِهِ حاضِرَةَ الْبَحْرِ، تفسير البحر المحيط (٥/٢٠٢).

وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال: هي قرية يقال لها ايلديس مدين والطور، تفسير الثعلبي (٤/٢٩٥).

وذكر ابن الجوزي والْمَاوَرْدِي فيها خمسة أقوال: أيلة، ومدين، وساحل مدين، وطبرية، قرية يقال لها مقنا، انظر: زاد المسير (٢/١٦٣)، وانظر: تفسير البيضاوي (٣/٣٩)، وتفسير النكت والعيون ؛ للماوردي (٢/٢٧١)، وتفسير البيضاوي

فكأن الله تعالى أمر النبي – ﷺ- أن يسألهم ما فعل الله تعالى بأهل تلك القرية أليس قد جعلهم الله قردة لمخالفتهم لأمر الله تعالى فما يُؤمِنُكم في تكذيب محمد –ﷺ- من عذاب الله تعالى.

وقوله تعالى : ﴿ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ ﴾ إذ تأتيهم أي حين ما كانوا يتجاوزون الحد بأخذهم السمك في يوم السبت وقد أمروا ألا يصطادوا يومئذ وأن يتفرغوا للعبادة والطاعة.

(٣٩/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٠٥/٧)، التسهيل لعلوم التنزيل؛ لابن جزي (٣١٠/١)، وتفسير ابن كثير (٤٩٣/٣).

يقول ابن جرير الطبري : "واختلف أهل التأويل فيها" يقصد القرية، ثم ذكر أربعة أقوال لها مسندناً إياها إلى قائليها الأول أنها : أيلة، والثاني : أنها ساحل مدين، والثالث : أنها مَقْنا، والرابع : أنها مدين، ثم قال : قال أبو جعفر: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: هي قرية حاضرة البحر وجائز أن تكون أيلة، وجائز أن تكون مدين، وجائز أن تكون مقنا، لأن كل ذلك حاضرة البحر، ولا خبر عن رسول الله ﷺ يقطع العذر بأيِّ ذلك من أيٍّ، والاختلاف فيه على ما وصفت ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه إلا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك في ذلك والله أعلم "انظر : تفسير الطبري (١٧٩/١٣-١٨٢).

وساق الرازي الأقوال وقال: " الأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْقَرْيَةَ أَيْلَةُ"، تفسير الرازي (٣٩٠/١٥)، وكذا قطع به ابن الجوزي في تذكرة الأريب في تفسير الغريب (ص١٢٠).

وقوله تعالى : ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ﴾ **قال ابن عباس** -رضي الله عنهما- : ظاهرة على وجه الماء [(١)].

وقال مقاتل -رحمه الله-: كانت تسرع إليهم يوم السبت من غمر الماء إلى الحُد ومن الأسفل إلى الأعلى مثل الكباش البيض أمنت من أن تصاد[(٢)].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٣/١٣).

وفي رواية عن ابن عباس بلفظ: "شرعًا، يقول: من كلّ مكان"، تفسير الطبري (١٨٣/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٩٨/٥).

وأخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس: " إِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ شَرَعَتْ لَهُمُ الْحِيتَانُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا فِي الْبَحْرِ"، التفسير (١٥٩٨/٥).

وجعلها الْمَاوَرْدِي ثلاثة أقوال فقال: " فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أن معنى {شُرَّعاً} أي طافية على الماء ظاهرة ، قاله ابن عباس ، ومنه شوارع البلد لظهورها. والثاني: أنها تأتيهم من كل مكان ، قاله عطية العوفي. والثالث: أنها شرّع على أبوابهم كأنها الكباش البيض رافعة رؤوسها حكاه بعض المتأخرين فتعدَّوا فأخذوها في السبت ، قاله الحسن"، تفسير النكت والعيون ؛ للماوردي (٢٧٢/٢).

وينظر في ذلك: تفسير مقاتل (٧٠/٢)، وتفسير الكشف والبيان؛ للثعلبي (٢٩٥/٤)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٢٠/٢)، والوجيز؛ للواحدي (٤١٨/١)، وتفسير السمعاني (٢٢٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل؛للبغوي (٢٤٢/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب؛ للرازي (٣٩١/١٥)، وتفسير ابن أبي زَمَنِين (١٤٨/٢)، وتفسير ابن جزي (٣١٠/١)، وتفسير ابن كثير (٤٩٣/٣).

(٢) هذا القول لم أجده عن مقاتل رحمه الله؛ وإنما ذكروه عن الحسن ﷺ؛ ولم أره مسنداً عنه بهذا اللفظ ولكن بلفظ"تَجِيءُ يَوْمَ السَّبْتِ حِيتَانُهُمْ شُرَّعًا عَلَى مَتْنِ الْمَاءِ كَأَنَّهَا الْمَخَاضُ عِظَمًا وَسِمْنًا"، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٥٩٩/٥).

وانظر في ذلك: تفسير الإمام الشافعي (٨٥٨/٢)، وتفسير النكت والعيون ؛ للماوردي (٢٧٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٠٥/٧)، والكشاف (١٧١/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٠٩/١)، الخازن (٢٦٢/٢)، وتفسير النيسابوري (٣٣٧/٣)، وتفسير السمعاني (٢٢٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٤٢/٢)، والسراج المنير؛ للخطيب الشربيني (٥٢٩/١)، وفتح القدير؛ للشوكاني (٢٩٢/٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ﴾ معناه: يوم لا يكون يوم السبت كانت الحيتان تغوص في الماء ولا تأتيهم شرّعا فجعل طائفةٌ من أهل هذه القرية يلقون الشبكة في الماء يوم السبت حتى كان يقع فيها السمك ثم كانوا لا يخرجون الشبكة من الماء إلا يوم الأحد؛ وقالوا: إنما نصطاد في يوم الأحد(١).

وأما قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ فمعناه: كذلك نشدد عليهم في التكليف والتعبد بعصيانهم وفسقهم فإن الإمساك في حال الوجود والقدرة أشد منها في حال القلة، وعن هذا قيل إن من العصمة ألا تجد (٢).

ووقف بعض القراء على قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ على معنى لا تأتيهم في غير يوم السبت؛ ثم ابتدأ فقال: نبلوهم بما كانوا يفسقون(٣).

---

(١) انظر هذا المعنى في: تفسير مجاهد (٣٤٥/١)، وتفسير مقاتل (٧٠/٢)، وتفسير الطبري (١٨٧/١٣)، وتفسير الثعلبي (٢١٢/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (١٢٦/١).

(٢) هذا المثل ذكره الشافعي– رحمه الله– عن أهل التصوف ففي قصص الأنبياء يقول ابن كثير : "ومن هاهنا استنبط بعض الصوفية ما حكاه عنهم الشافعي : أن من العصمة ألا تجد" انظر : (٣٢٦/١).

ويقول الجراوي : وقال محمود بن الوراق: يقصد محمد البقال:

لا تسعرن قلبك حبَّ الغنى ... إنَّ من العصمة ألاَّ تجدْ

كم واجد أطلق وجدانه ... عنانه في بعض ما لم يردْ انظر : الحماسة المغربية (١٢٥١/٢).

على أن منصور الآبي عزاه البيع للمعتمر بن سليمان فقال: "قَالَ الْمُعْتَمِر بن سُلَيْمَان: أفضل الْعِصْمَة أَلا تَجِد"، نثر الدر في المحاضرات (١٢٦/٤)، وانظر: التمثيل والمحاضرة؛ للثعالبي (ص٣٩٤)، والشكوى والعتاب؛ للثعالبي (١٤٠/١)، واللطائف والظرائف؛ للثعالبي (٩١/١)، ومحاضرات الأدباء؛ للراغب الأصفهاني (٥٩٩/١)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار؛ للزمخشري (٤١١/٣).

(٣) حكاه الزجاج وقال: "ويكون نَبلوهم مستأْنفة، وذلك القول الأول قول الناس وهو الجَيِّد"، معاني القرآن؛ للزجاج (٣٨٥/٢)، وكذا جاء عن ابن الأنباري؛ انظر: الدر المصون؛ للسمين الحلبي (٤٩٣/٥).

فإن قيل كيف عرّف الله تعالى الحيتان الفصل بين يوم السبت وغير يوم السبت قيل لا يمنع أن الله تعالى عرفها ذلك وقوى دواعيها إلى الشروع في يوم السبت معجزةً لنبيّ ذلك الوقت ابتلاء لأولئك القوم، وقد بينا أن الابتلاء من الله تعالى إظهار ما علمه في الأزل .

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ .

في الآية دلالة أنه كان في أهل هذه القرية فرقةً يعظون المذنبين إلا أنه حذف ذكر الواعظين؛ لأن في الكلام دلالة عليه، ومعنى الآية: وإذ قالت عُصبةٌ من أهل تلك القرية للواعظين لم تعظون قوماً الله مهلكهم في الدنيا ومعذبهم عذاباً شديداً في الآخرة، ولم يقولوا هذا كراهةً لوعظ الواعظين ولا رضاً بمعصية الآخرين؛ ولكن قالوا ذلك ليأسهم من قبول الوعظ فإن الأمر بالمعروف إنما يجب عند عدم الإياس من القبول وإن كان يحسُنُ ذلك مع عدم القبول.

وحكى الواحدي قولين فقال: "{وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ} أي: يوم لا يفعلون سبتهم لا تأتيهم الحيتان، وانقطع الكلام، ثم قال: كذلك نبلوهم أي: مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم، ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: كذلك، والمعنى: لا تأتيهم الحيتان مثل ذلك الإتيان الذي يأتي يوم السبت، ثم استأنف فقال: {نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}"، التفسير الوسيط (٢/٤٢٠).

قال أبو حيان : "وقيل كذلك متعلق بما قبله أي " ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك " أي لا تأتيهم إتياناً مثل ذلك الإتيان وهو أن تأتي شرّعاً ظاهرة كثيرة بل يأتي ما أتى منها وهو قليل فعلى القول الأول في كذلك ينتفي إتيان الحوت مطلقاً، كما روي في القصص أنه كان يغيب بجملته، وعلى القول الثاني كان يغيب أكثره ولا يبقى منه إلاّ القليل الذي يُتعب بصيده قاله قتادة، انظر : البحر المحيط (٥/٢٠٤).

وقال الألوسي: "وجملة نبلوهم استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالإتيان تارة وعدمه أخرى"، روح المعاني (٥/٨٥)، والتحرير والتنوير (٩/١٥٠)، والمجتبى من مشكل إعراب القرآن؛ للخراط (١/٣٤٩).

وانظر أيضا: إعراب القرآن ؛ للنحاس (٢/٧٧)، وروح البيان؛ لأبي الفداء الاستنابولي (٣/٢٦٤)، وإعراب القرآن وبيانه؛ لمحي الدين درويش (٣/٤٨٢).

وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ ﴾ معناه: قالت الفرقة الواعظةُ موعظتنا إياهم معذرةً إلى الله تعالى؛ أي: نبلي بذلك عذرنا عند الله تعالى ومن قرأ معذرةً بالنصب[1] فعلى معنى تعذر معذرةً.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ معناه ورجاء أن يتقون وكأن الواعظين لم يكونوا يأسو من قبولهم الموعظة.

قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥ ﴾.

معناه: فلما تركوا ما وعظوا به – ترك المنسي–[2] ويقال فلما تعرضوا لنسيان ما وعظوا به بفعل ما نهوا عنه،

---

(١) وهي قراءة حفص عن عاصم، انظر : التيسير؛ لأبي عمرو الداني (١/١١٤)، حجة القراءات (١/٣٠٠)، معاني القرآن؛ للأزهري (١/٤٢٧)، العنوان في القراءات السبع؛ للسرقسطي (١/٩٨)، الإقناع في القراءات السبع؛ لابن الباذش (١/٣٢٥).

قال أبو بكر بن مجاهد: "وَاخْتلفُوا فى الرّفْع وَالنّصب من قَوْله {معذرة إِلَى ربكُم} فَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر وَحَمْزَة والكسائى {معذرة} بِالرَّفْع، وَاخْتلف عَن عَاصِم فروى أَبُو بكر فى رِوَايَة يحيى بن آدم عَنهُ وَغَيره {معذرة} رفعا مثل حَمْزَة، وروى حُسَيْن الجعفى عَن أَبى بكر وَحَفْص عَن عَاصِم {معذرة} نصبا"، السبعة في القراءات (١/٢٩٦).

قال الفراء: "فيها وجهان: إن أردت: ذلك الَّذِي قُلْنا معذرة إلى ربكم رفعت، وهو الوجه. وإن أردت: قُلْنا ما قُلْنا معذرة إلى اللَّه فهذا وجهُ نصب"، معاني القرآن (١/٣٩).

قال ابن خالويه: "وَالْحجّة لمن نصب أَن الْكَلَام جَوَاب كَأَنَّهُ قيل لَهُم لم تعظون قوما هَذِه سبيلهم قَالُوا نعظهم اعتذارا ومعذرة"، الحجة في القراءات السبع (١/١٦٦).

وقال أبو منصور: مَنْ قَرَأَ (مَعْذِرَةً) نصبًا فعَلى المصدر، معاني القرآن؛ للأزهري (١/٤٢٧).

(٢) عن ابن عباس قال: " يَعْنِي: تَرَكُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ"، أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (٤/١٢٩٠).

قال الفراء: "يجوز أن يكون في معنى تركوا، ويجوز أن يكون تركهم بمنزلة من نَسِيَ"، معاني القرآن (٢/٣٨٦).

ويجوز أنهم نسو الموعظة دون التحريم[١].

وقوله تعالى: ﴿ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ ﴾ أي: خلّصنا الذين ينهون عن السوء وهو حبس السمك في الحظيرة يوم السبت ليأخذوه يوم الأحد.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ أي: شديد[٢]، يقال: بئس

انظر : مفاتيح الغيب (٣٣/١٥)، والمحرر الوجيز، (٤٦٩/٢) ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٠٨/٧)، وتفسير النكت والعيون ؛ للماوردي (٢٧٢/٢)، وتفسير السمرقندي (٤٤٨/١)، مفاتيح الغيب (٣٣/١٥)، وتفسير البيضاوي (٦٨/١)، وفتح القدير للشوكاني (٣٦٧/٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢٧١/٢)، وتفسير السمعاني (٢٢٦/٢)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (٢٩/٢).

وهناك قول آخر لم يذكره المصنف، وهو إنكار وتكذيب ما جاءت به الرسل، انظر: تفسير الثعلبي (١٤٧/٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٤٩/٢).

(١) وبهذا قال ابن جريج، فإنه قال: "" فَلَمَّا نَسُوا مَوْعِظَةَ الْمُؤْمِنِينَ آتَاهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: {تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ}"، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٥/٢).

وفي المحرر الوجيز يقول "الضمير في"نَسُواْ" للمنهيين أي تركوا ما ذكرهم به الصالحون وجعل الترك نسياناً مبالغة إذ أقوى أحوال الترك أن ينسى المتروك، وما موصولة بمعنى الذي، انظر : (٤٦٩/٢).

(٢) قاله مجاهد، تفسير مجاهد (٣٤٥/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٢/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٠٢/٥).

وجاء مثله عن ابن زيد، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٢/١٣).

وجاء عن ابن عباس قال: أليم وجيع، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٤/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٢/١٣)، خرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٠٢/٥).

وجاء عن قتادة قال: وجيع، أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٤/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٢/١٣).

قال الْمَاوَرْدِي: " فيه ثلاثة أوجه: أحدها: شديد ، قاله مجاهد. والثاني: رديء ، قاله الأخفش. الثالث: أنه العذاب المقترن بالفقر وهو البؤس"، تفسير النكت والعيون ؛ للماوردي (٢٧٢/٢).

يبأس بُئساً؛ إذا اشتد، وبؤس يبؤس بؤساً إذا افتقر[١].

وقوله تعالى : ﴿ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ معناه: بفسقهم.

وليس في هذه ذكر حال الفرقةُ الثالثةُ، وقد روي عن **ابن عباس** -رضي الله عنهما- أنه قال: "كان القوم ثلاثُ فرق وكانت الفرقة الوسطى تعمل بالسوء واليمنى تنهى تقول الله الله نحذركم بأس الله وكانت اليسرى تكف ألسنتها وتمسك أيديها فلما عملت الوسطى بذلك زمناً وكثرت أموالهم ولم ينزل بهم عقوبة استبشروا وقالوا ما نرى السبت إلا قد أُحل لنا وذهبت حرمته وكانوا نحواً من سبعين ألفاً وكانت الفرقة الناهية وهم/ نحو من اثنا عشر ألفاً تقول لهم لا تغتروا ولا تأمنوا من عذاب الله فلم يتعظوا وأبوا أن يرجعوا واستحلوا فأصبحوا وقد مسخهم الله قردةً خاسئين فمكثوا كذلك ثلاثة أيام عبرةً للناظرين ثم ماتوا، قال **ابن عباس** -رضي الله عنهما- أنجا الله تعالى الذين ينهون وأخذ الظالمين فليت شعري ما صنع بالذين لم ينهوا، **قال عكرمةُ**[٢]: بل أهلكهم الله تعالى؛ لأنه أنجى الذين ينهون وأهلك الباقين بظلمهم بالاستحلال وترك الأمر بالمعروف، فقال ابن عباس نزل والله بالمداهن ما نزل بالمستحل[٣].

٢= أ

ولا تنافي بين ما تقدم فالشديد والوجيع بمعنى، ولذا ذكر ذلك الطبري وقال: " أهل التأويل أجمعوا على أن معناه: شديد"، التفسير (٢٠٢/١٣)، وانظر: صحيح البخاري (١٥٩/٤)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٧٤/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣٨٦/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٤٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٢٩٧/٤)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٢٠/٢)، وتفسير الكشاف؛ للزمخشري (٧٠٣/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٦٩/٢).

(١) انظر: تفسير الكشاف؛ للزمخشري (٧٠٣/٢)، و إيجاز البيان عن معاني القرآن؛ لنجم الدين النيسابوري (٣٤٤/١)، وزاد المسير (١٦٤/٢)، ومفاتيح الغيب للرازي (٣٩٣/١٥)، ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٤٩/١٢)، والدر المصون؛ للسمين الحلبي (٢٥١/٢).

(٢) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك ع.
ينظر – الجرح والتعديل (٧/٧)، وتهذيب الكمال (٢٦٤/٢٠)، والتقريب (٤٧٠٧).

(٣) جاءت الرواية بسياقات وألفاظ متقاربة وبعضها يزيد وبعضها ينقص، فمن ذلك:

وعن الحسن -رضي الله عنه- أنه لما ذُكر له ما روي عن **ابن عباس** في هذه القصة أنكره وقال نجا فرقتان وهلكت فرقه؛ قال: لأنه ليس شيء أبلغ في الأمر بالمعروف والوعظ من ذكر الوعيد وقد ذكرت الفرقة الثالثة الوعيد فقالت لم تعظون قوماً الله مهلكهم ومعذبهم عذاباً شديداً، وقول الحسن أقرب إلى ظاهر الآية والله أعلم وبالله التوفيق[1].

ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٦/٢)، وأخرجه الشافعي في التفسير (٨٥٧/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم مختصرا في تفسيره (١٦٠١/٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٢/٢) أثر رقم (٣٢٥٤) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٣٣٠/٣)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى من طريق الشافعي به (١٥٨/١٠) أثر رقم (٢٠١٩٥)، وأخرجه أيضا في معرفة السنن والآثار (٤٧٣/١٤) أثر رقم (٢٠٨١٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٨٨/١٣).

(١) قال الطبري:" واختلف أهل العلم في هذه الفرقة التي قُلت: "لم تعظون قوما الله مهلكهم"، هل كانت من الناجية، أم من الهالكة! فقال بعضهم: كانت من الناجية، لأنها كانت هي الناهيةَ الفرقةَ الهالكةَ عن الاعتداء في السبت... وقال آخرون: بل الفرقة التي قالت: "لم تعظون قومًا الله مهلكهم"، كانت من الفرقة الهالكة" تفسير الطبري (١٨٦/١٣-١٩٨)، وذكر الأقوال مسندة ولم يعلق أو يرجح.

أما ابن كثير فذكر الروايات ومنها: " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانُوا أَثْلَاثًا: ثُلُثٌ نَهَوْا، وَثُلُثٌ قَالُوا: { لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ} وَثُلُثٌ أَصْحَابُ الْخَطِيئَةِ، فَمَا نَجَا إِلَّا الَّذِينَ نَهَوْا وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ. وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَكِنْ رُجُوعَهُ إِلَى قَوْلِ عِكْرِمَةَ فِي نَجَاةِ السَّاكِتِينَ، أَوْلَى مِنَ الْقَوْلِ بِهَذَا؛ لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ حَالُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، تفسير ابن كثير (٤٩٦/٣).

وأما الزمخشري فصرح بنجاة الفرقة التي قالت" **لِمَ تَعِظُونَ** "وعلل ذلك فقال: " وإنما قالوا ذلك، لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ أى موعظتنا إبلاء عذر إلى الله، ولئلا نسب في النهى عن المنكر إلى بعض التفريط وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء " -رحمه الله تعالى- انظر : الكشاف (١٧١/٢).

وأما الْمَاوَرْدِي فذهب إلى أنهم هلكوا مع الهالكين، فقال: "{وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ} وهم الذين تركوا المعروف وفعلوا المنكر"، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٧٢/٢).

قُلت : ولعل ما رجحه عكرمة والحسن البصري، ومن بعدهما الزمخشري وابن كثير رحمهما الله هو الأقرب لنص كلام ابن عباس، فقد جاء في بعضه الروايات: أن ابن عباس قال: لا أدري أنجا القوم أو هلكوا؟ قال عكرمة: فما زلت أبصِّره حتى عرف أنهم نجوا، وكساني حُلَّة"، وفي بعضها "وكساني حلتين"، انظر الروايات المتقدمة قريبا عن ابن عباس.

قولــه عــز وجــل : ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ ﴾.ظاهر الآية مع ما قبلها يقتضي أن العذاب البئيس غير المسخ المتأخر ذكره فلما عتوا بعد ذلك العذاب المعجل أي تمردوا في الفساد واجترؤوا على المعصية مع العلم بقبحها صيرناهم قردةً(١).

والعاتي هو: الشديد الدخول في الفساد المتمرد الذي لا يقبل الموعظة (٢).

وأفعال الله تعالى تضاف إليه بلفظ الأمر على معنى أن ذلك أدل على سرعة الكون من غير استبطاء كما قالوا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٣) أي: نريده فيحدث؛ ويحتمل أن القوم أُمروا أن يصيروا قردةً بقولٍ سُمِع؛ وكأن ذلك أبلغ في الآية النازلة إليهم وأقرب إلى التقرير في نفس المخاطبين.

وقوله تعالى: ﴿ خَٰسِـِٔينَ ﴾ أي مطرودين مبعدين عن كل خير (٤)

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب للرازي (١٥/٣٩٣)، وأنوار التنزيل؛ للبيضاوي (٣/٤٠)، تفسير الألوسي (٥/٨٧).

وذهب النسفي إلى أن العذاب البئيس هنا هو نفس المسخ، انظر: تفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦١٤)، تفسير الألوسي (٥/٨٧).

(٢) انظر: غريب القرآن؛ للسجستاني (١/٣٣٢)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٥/١٧)، ، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٢/١٣١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٣/١٨١)، ولسان العرب (١٥/٢٧) مادة (عتا)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٨٦).

(٣) سورة النحل؛ (آية:٤٠).

(٤) **قال ابن عباس**: ذليلاً، أخرجه الطبري (٢/١٧٥).

وقال مقاتل ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس وأبي مالك: صاغرين، تفسير مقاتل (١/١١٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢/١٧٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٣٣).

وقال الطبري والزجاج: " أي: مبعدين، تفسير الطبري (١٣/٢٠٣)، ومعاني القرآن (١/١٤٩)، والمعنى متقارب ولله الحمد والمنة.

من قولهم خسئت من كلب إذا قلت له اخسأ على الطرد له[١].

قال عبد الله بن عباس: يا لها من أكلة ما أوخمها؛ أن مسخوا قردةً في الدنيا؛ وفي الآخرة النار[٢].

وعن الضحاك [٣] رحمه الله تعالى أنه قال: ألقى الله تعالى في فكر الناهين حتى باعوا الدور والمساكن وخرجوا من القرية؛ فضربوا الخيام خارج منها؛ فأقبل العذاب وهم ينظرون، فبدأ المسخ من الرأس حتى صارت لهم أذناب كأذناب القردة، وكان الناهون لا يرون أحد يخرج من القرية؛ فقالوا: لعل القوم قد خُسفوا أو رموا بالحجارةِ من السماء، وكانوا ينادون من فيها فلا يجيبهم أحد؛ فحملوا رجلاً على سلم فأشرف عليهم فإذا هم قردة؛ لها أذناب فصاح أن القوم قد صاروا قردة، فكسروا الباب ودخلوا منازلهم؛ فإذا هم يبكون ويضربون الأذناب يعرف الرجل من المرأة وقالوا الم ننهكم عن معصية الله تعالى فأشاروا برؤوسهم بلى ودموعهم تسيل على خدودهم[٤].

---

(١) انظر : معاني القرآن؛ للأخفش (١/١٠٩)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١/١٤٩)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١/٥٢)، وتفسير الألوسي (١/٢٨٣)، وتفسير الطبري (٢/١٧٤)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٢/٣١)، ولسان العرب (١/٦٥) مادة (خسأ)، والصحاح؛ للجوهري (١/٤٧) مادة (خسأ)، ومختار الصحاح (١/٩٠) مادة (خ س أ).

٢) لم أجد الأثر في أحد من الكتب .

(٣) الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، صدوق كثير الإرسال، مات بعد المائة، انظر: الجرح والتعديل (٤/٤٥٨)، وتهذيب الكمال (١٣/٢٩١)، سير أعلام النبلاء (٥/٥٩٨)، وتهذيب التهذيب (٤/٤٥٣)، والتقريب (٢٩٧٨).

(٤) أثر الضحاك لم أقف عليه، لكن جاء عن ابن عباس قريب منه، وهو ما أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/٩٦)، وأخرجه الشافعي في التفسير (٢/٨٥٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم مختصرا في تفسيره (٥/١٦٠١)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٣٥٢) أثر رقم (٣٢٥٤) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (٣/٣٣٠)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى من طريق الشافعي به (١٠/١٥٨) أثر رقم (٢٠١٩٥)، وأخرجه أيضا في معرفة السنن والآثار (١٤/٤٧٣) أثر رقم (٢٠٨١٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/١٨٨).

وعن **أنس بن مالك**[١] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه سئل هل في أمتك مسخ قال نعم قيل يا رسول الله ومتى ذلك قال " إذا لبسوا الحرير واستباحوا الزنا وشربوا الخمور وطففوا المكيال والميزان واتخذوا القيان والمعازف وضربوا بالدفوف واستحلوا الصيد في الحرم"[٢].

قوله عز وجل : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٧)** ﴾.

معناه: وإذا أعلم ربك[٣]، وقد يأتي تفعل بمعنى أفعل يقال أوعدني وتوعدني ومعناهما

---

(١) أنس بن مالك بن النضر ، الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ وخرج معه إلى بدر يخدمه، ولذلك لم يذكر من البدريين، وأحد المكثرين من الرواية عنه، دعا له النبي ﷺ وتوفي سنة ثلاث تسعين، رضي الله عنه. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٣١/١)، الاستيعاب (١٠٨/١)، والإصابة (١٢٦/١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٩٥/٣).

(٢) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، مختصرا (٣٦/٧) حديث رقم (٣٩٤٥)، وفي معجمه (٢٢٥/١) حديث رقم (٢٧٣).

وقد ورد بألفاظ عده، وكذا عن عدد من الصحابة، فجاء من حديث **ابن عمر**، أخرجه الترمذي في السنن (٤٥٦/٤) حديث رقم (٢١٥٣) أبواب القدر، وأخرجه البزار في مسنده (٢٣١/١٢) حديث رقم (٥٩٥٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٩٢/٤) حديث رقم (٨٣٧٦) وصححه ووافقه الذهبي، **وقال ابن حجر** : والمسخ قد ورد في روايات كثيرة وفي أسانيدها مقال غالبا لكن يدل مجموعها على أن لذلك أصلا، انظر: فيض القدير (٥٩٦/٤-٥٩٧).

وحسنه الألباني في: السلسلة الصحيحة (٣٩٣/٤)، وفي صحيح الجامع (٤٢٥٧).

(٣) تأذن ربك: قال ربك، قاله مجاهد ومقاتل بن سليمان وسفيان الثوري والحسن، تفسير مجاهد (٣٤٥/١)، وتفسير مقاتل (٧١/٢)، وأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٠٤/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٠٣/٥).

قال ابن جرير: أعلم ربك، تفسير الطبري (٢٠٤/١٣)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٥٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٢٩٩/٤)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٢١/٢)، وتفسير السمعاني (٢٢٧/٢).

وحكى الزجاج فيها قولان، فقال: "**تَأَذَّنَ: تَأَلَّى ربك ليبعثن عَلَيْهِم، وقيل: إن تَأَذَّنَ أعلم، والعرب تقول: تعلم أن** هذا كذا، في معنى أعلم"، معاني القرآن للزجاج (٣٨٧/٢)، وانظر: الوجيز؛ للواحدي (٤١٩/١).

وأضاف الْمَاوَرْدِي قولاً ثالثاً فقال: "معناه نادى وأقسم"، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٧٣/٢).

واحد[١]،

وقيل معنى تأذن: تألى[٢]، أي أقسم ربك القسم الذي لا يسمع بالأذن[٣].

وقوله تعالى: ﴿ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ أي: ليبعثن على من بقي منهم من الذين لا يؤمنون من يعذبهم بالجزية والقتل فبعث الله تعالى محمد – ﷺ– وأمته فوضعوا عليهم الجزية

وأضاف البغوي معنى رابعاً عن عطاء فقال: حكم ربك، تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٤٣/٢).

وأضاف ابن الجوزي معنى خامسا عن قطرب: وعد، تفسير ابن الجوزي (١٦٤/٢).

وقال الواحديُّ " وأكثرُ أهل اللغة على أنَّ التأذُّن بمعنى الإيذان وهو الإعلامُ " انظر : الدر المصون (٥٠٠/٥).

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠٤/١٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٤٣/٢).

(٢) قاله الزجاج وأبو القاسم النيسابوري، انظر: معاني القرآن للزجاج (٣٨٧/٢)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (٣٤٥/١)، وانظر: زاد المسير؛ لابن الجوزي (١٦٤/٢)، تفسير الكشاف (٥٠٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٢٧/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٧١/٢)، وفتح القدير (٣٧٠/٢).

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٨٧/٢)، والكشاف (١٦٣/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٣٩٤/١٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦١٤/١).

على أن أبا القاسم النيسابوري حكى قول الزجاج ثم قال: "وأقسم قسما سمعته الآذان"، إيجاز البيان عن معاني القرآن (٣٤٥/١) فلعل في إحدى العبارتين خللاً، والله أعلم.

ويقول ابن كثير: "وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة، ولهذا تُلُقِّيَت باللام في قوله "لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ"، تفسير ابن كثير (٤٩٧/٣).

ولعل مراد المؤلف بقوله " القسم الذي لا يُسمع بالأذن " العزم على الأمر لأنّ العازم على الأمر يحدّث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجرى مجرى فعل القسم، الكشاف؛ للزمخشري (١٧٣/٢).

إلى يوم القيامة [١] وفي هذا دليل أن اليهود لا ترتفع لهم راية عز إلى يوم القيامة [٢].

وأما الخبر المروي في أن أتباع الدجال هم اليهود[٣]، فمعناه أنهم كانوا قبل خروجه يهوداً ثم دانوا بإلهيته فذكروا بالاسم الأول بعد خروجهم عن دين اليهودية؛ لأنه يدعي الإلهية فيتبعونه على ذلك[٤].

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ﴾ يجوز أن يكون المراد به أنه سريع العقاب لمن شاء أن يعاقبه في الدنيا، قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يعني لمن تاب عن الكفر والمعاصي واستحق الغفران .

---

(١) فسر بمعان ثلاث: الأول: كما ها هنا أنه محمد ﷺ، قاله البغوي في تفسيره معالم التنزيل (٢/٢٤٣).

الثاني: أنهم المسلمون، قاله مقاتل، انظر: تفسير مقاتل (٢/٧١).

والثالث: بالعرب، قاله ابن عباس وقتادة، انظر: المصنف؛ لعبد الرزاق (٢/٩٤)، وتفسير الطبري (١٣/٢٠٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/١٦٠٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٨٧)، المحرر الوجيز (٢/٤٧١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/١٥٠)، وتفسير الثعلبي (٦/٨٣)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢/٢٧٣)، وتفسير السمعاني (٢/٢٢٧).

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (١٥/٣٥)، والتسهيل لعلوم التنزيل؛ لابن جزي (١/٣١١).

(٣) وهو ما أخرجه مسلم عن أنس بن مالك أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ"، صحيح مسلم (٤/٢٢٦٦) حديث رقم (٢٩٤٤) كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابٌ فِي بَقِيَّةٍ مِنْ أَحَادِيثِ الدَّجَّالِ.

وجاء عن يحي بن أبي كثير يرويه قال: "عَامَّةُ مَنْ يَتَّبِعُ الدَّجَّالَ يَهُودُ أَصْبَهَانَ"، أخرجه معمر بن راشد في جامعه (١١/٣٩٣) حديث رقم (٢٠٨٢٦)، وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (٢/٥٤٦) حديث رقم (١٥٣١).

(٤) قال الرازي:"وَالْخَبَرُ الْمَرْوِيُّ فِي أَنَّ أتباع الرجال هُمُ الْيَهُودُ إِنْ صَحَّ، فَمَعْنَاهُ أَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ خُرُوجِهِ يَهُودًا ثُمَّ دَانُوا بِإِلَهِيَّتِهِ، فَذُكِرُوا بِالِاسْمِ الْأَوَّلِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ فِي وَقْتِ اتِّبَاعِهِمُ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجُوا عَنِ الذِّلَّةِ وَالْقَهْرِ، وَذَلِكَ خِلَافُ هَذِهِ الْآيَةِ"، مفاتيح الغيب (١٥/٣٩٤).

قوله عز وجل : ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ .

ومعناه: وفرقنا اليهود في البلاد تفريقاً شديداً شتتنا أمرهم فليس لهم مكان يجتمعون فيه ولا يمكنهم القيام في موضع إلا على ذل إما بالقتل أو بالجزية.

وقوله تعالى: ﴿ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ أراد به مؤمني أهل الكتاب.

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ ﴾ أراد به الكفار منهم كأنه قال ومنهم سوى الصالحين وسوى الصلاح لا يكون إلا بما يجري مجرى الفساد؛/ فأن قيل: هلا قلتم إن المراد ٢=ب بالآية منهم المطيعون ومنهم من هو دونهم وهم الذين يكون صلاحهم دون صلاح المطيعين؟ قيل: إنه ذكر في الآية ما يدل على أن المراد بقوله تعالى ومنهم دون ذلك من ثبت على اليهودية وخرج من كونه صالحاً[1] وهو قوله تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ أي اختبرناهم بالخصب والجدوبة [2] لكي يرجعوا من الكفر إلى الإيمان، وهذا على ما تقدم من أن النعم تقتضي الرغبة إلى الله تعالى في ارتباطها والشدة تقتضي الرغبة إليه في كشفها .

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب للرازي (١٥/٣٩٤).

(٢) جاء عن ابن عباس: الخصب، والرخاء والعافية، (والسيئات) البلاء والعقوبة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٠٦).

قال الْمَاوَرْدِي: "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: بالثواب والعقاب. والثاني: بالنعم والنقم. والثالث: بالخصب والجدب"، تفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٢/٢٧٤).

وانظر: تفسير مقاتل (٢/٧١)، وتفسير الطبري (٢/٤٩) و (١٣/٢٠٨)، وبحر العلوم؛ للسمرقندي (١/٥٦٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٤٣)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/٤٢٢)، وتفسير الراغب الأصفهاني (ص:١٣٣٦)، مفاتيح الغيب (١٥/٣٦)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/١٧٣).

قولـه عـز وجـل : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾.

معناه: فخَلَف من بعد هؤلاء الذين قطعناهم في الأرض ذرية سوء وهم الذين أدركوا النبي محمد ﷺ [(١)].

يقال في الذم خَلْف بجزم اللام وفي المدح خَلَف وخلّفت اللبن ما يبقى في السقاء متغير وقد تستعمل كلاهما فمن خلف غيره في الشر أو في الخير إلا أن أكثر الاستعمال في الخير خلَف[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٧١/٢)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٤١/١)، وتفسير الطبري (٢٠٩/١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٠٦/٥)، وتفسير السمرقندي (٥٦٢/١)، وتفسير الثعلبي (٢٢١/٦)، والوجيز؛ للواحدي (٦٨٥/١)،وتفسير السمعاني (٣٠١/٣)، والكشاف (١٧٣/٢)، تفسير أبو السعود (٢٨٨/٣).

(٢) **قال ابن الأنْبَاري**: " أكثر ما تستعمل العرب الخَلْفَ، باسكان اللام، في الرديء المذموم، وتفتح اللام في الفاضل الممدوح"، زاد المسير؛ لابن الجوزي (١٦٥/٢).

وقال ابن جرير: "خَلَف صِدْقٍ"، "وخَلْفُ سَوْءٍ"، وأكثر ما جاء في المدح بفتح "اللام"، وفي الذم بتسكينها، وقد تحرَّك في الذم، وتسكّن في المدح، ومن ذلك في تسكينها في المدح قول حسان: لَنَا القَدَمُ الأُولَى إلَيْكَ، وَخَلْفُنَا لأَوَّلِنَا فِي طَاعَةِ اللهِ تَابِعُ... وقيل: إن الخلف الذي ذكر الله في هذه الآية أنهم خَلَفوا من قبلهم، هم النصارى"، تفسير الطبري (٢٠٩/١٣).

وقال الرازي: "مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ مَنْ قَالَ الْخَلْفُ وَالْخَلَفُ قَدْ يُذْكَرُ فِي الصَّالِحِ وَفِي الرَّدِيءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ الْخَلْفُ مَخْصُوصٌ بِالذَّمِّ قَالَ لَبِيدٌ: وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْخَلْفُ الْمُسْتَعْمَلُ فِي الذَّمِّ مَأْخُوذٌ مِنَ الْخُلْفِ، وَهُوَ الْفَسَادُ، يُقَالُ لِلرَّدِيءِ مِنَ الْقَوْلِ خُلْفٌ، وَمِنْهُ الْمَثَلُ الْمَشْهُورُ سَكَتَ أَلْفًا وَنَطَقَ خَلْفًا، وَخَلَفَ الشَّيْءُ يَخْلُفُ خُلُوفًا وَخَلَفًا إِذَا فَسَدَ، وَكَذَلِكَ الْفَمُ إِذَا تَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُ"، تفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٣٩٥/١٥).

وقوله تعالى : ﴿ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي التوراة [١]، والميراث ما صار للباقي من جهة البادي كأنه قال فخلف من بعد الهالكين منهم خلف ورثوا كتابهم.

وقوله تعالى : ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ ﴾ قال: بعضهم أرد به أخذ الرشوة في الحكم لتغيير الحق إلى الباطل، وقال بعضهم: كانوا يحكمون بالحق؛ ولكن كانوا لا يحكمون إلا بالرشوة [٢]، وإنما سمي متاع الدنيا عرضاً لقلة بقاءه كأنه يعرض فيزول كما قال تعالى " ﴿ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾ "[٣] أرادوا بذلك السحاب[٤].

وعند الأخفش إذا قلت "خَلَفُ سَوءٍ" و"خَلَفُ صِدْقٍ" فهما سواء، و"الخَلْفُ" إنما يريد به الذي بعد ما مضى خَلَفاً كانَ مِنْهُ أَوْ لَمْ يكن خَلَفاً إنّما يكون، يعني به القرن الذي يكون بعد القرن و"الخَلَفُ" الذي هو بدل مما كان قبله قد قام مقامه وأغنى غناه. تقول: "أَصَبْتُ مِنْكَ خَلَفا"، معاني القرآن (١/٣٤١).

(١) قاله أكثر المفسرين؛ انظر : تفسير مقاتل (٢/٧١)، وبحر العلوم؛ للسمرقندي (١/٥٦٢)، وتفسير معالم التنزيل؛للبغوي (٢/٢٤٤)، والكشاف؛ للزمخشري (٢/١٧٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (٧/٣١١)، وتفسير البيضاوي (٣/٤٠)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦١٥)، وتفسير أبي السعود (٣/٢٨٨)، ومفاتيح الغيب؛ للرازي (١٥/٣٧)، وروح المعاني؛ للألوسي (٥/٩٠)، وتفسير ابن كثير (٣/٤٩٨).

وحكى أبو حيان قولا آخر، فقال: " وَقِيلَ: الْكِتَابُ هُنَا لِلْجِنْسِ أَيِ الْكُتُبُ الْإِلَهِيَّةُ "، البحر المحيط (٥/٢١٢).

وقال ابن الجَوزي: " في الكتاب ثلاثة أقوال: أحدها: أنه التوراة. والثاني: الإنجيل. والثالث: القرآن" ، زاد المسير (٢/١٦٥).

(٢) **قال المَاوَرْدِي**: "يعني الرشوة على الحكم في قول الجميع "، النكت والعيون (٢/٢٧٥).

انظر : تفسير مقاتل (٢/٧١)، وحكاه الطبري عن السدي، تفسير الطبري ١٣/٢١٣)، وحكاه الطبري أيضا عن ابن زيد (١٣/٢١٤)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٠٠)، والوجيز؛ للواحدي (١/٤١٩)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٤٤)، والدر المنثور (٣/٥٩٤).

(٣) سورة الأحقاف (آية:٢٤).

(٤) قال الزمخشري: " الواو للحال، أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم، غير تائبين. وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة، والمصر لا غفران له"، الكشاف (٢/١٧٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا ﴾ معناه وكانوا يقولون مع أخذ الرشوة أنه سيغفر لنا ذلك.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ﴾ فيه بيان أنهم كانوا يصرون على الذنب وأكل الحرام ويستغفرون مع ذلك فكيف يُغفر لهم[(١)].

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ معناه: ألم يُؤخذ عليهم ميثاقهم في التوراة ألا تقولوا على الله إلا الصدق، وكان في التوراة أن من ارتكب ذنباً عظيماً لم يُغفر له إلا بالتوبة؛ فكانوا يدرسون ما في التوراة ويذكرون ما أُخذ عليهم من المواثيق ويقولون مع إصرارهم على الذنوب سيغفر لنا[(٢)].

وقال الحسن رضي الله عنه في معنى هذه الآية: يأخذون الدنيا من كل وجه حُرم عليهم ويمنعون كل حق وينفقون في كل سرف ويتمنون مع هذه الأشياء على الله تعالى الأماني وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه كما أخذوه أولم يقرؤا في الكتاب خلاف ما هم عليه، وقيل: أراد

وانظر: تفسير مقاتل (٢٣/٤)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٤١/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٢١٣/٣)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٩/٤)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٣/٥).

(١) جاء معناه عن سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والسدي، أخرجه الطبري في تفسيره (٢١٢/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٠٨/٥). وانظر: تفسير مقاتل (٢٣/٤)، وبحر العلوم (٥٦٢/١)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٤١/١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٢١٣/٣)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٥١/٢)، وتفسير النكت والعيون؛ النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٧٥/٢)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٣٠٠/٤).

وقال المَاوَرْدِي: "فيه وجهان: أحدهما: أنهم أهل إصرار على الذنوب، قاله مجاهد وقتادة والسدي. والثاني: أنهم لا يشبعهم شيء ، فهم لا يأخذونه لحاجة ، قاله الحسن"، النكت والعيون (٢٧٥/٢).

وقال ابن عطية: " وقولهم: سَيُغْفَرُ مع علمهم بما في كتاب الله من الوعيد على المعاصي وإصرارهم عليهم وأنهم إذا أمكنتهم ثانية ارتكبوها فهؤلاء عجزة "، تفسير ابن عطية (٤٧٢/٢).

(٢) انظر : بحر العلوم (٥٦٢/١)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٥١/٢)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٣/٥).

بقوله : ﴿ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم ﴾ إظهار ما كانوا يقدمون عليه من كتاب محرف يوهمون أنه التوراة ويحكمون بخلاف التوراة(١).

ثم بين الله تعالى أن العرض اليسير الذي كانوا يأخذونه حقير بالإضافة إلى ما أعد الله تعالى للمتقين في الآخرة فقال عز من قائل : ﴿ وَٱلدَّارُ ٱلۡأَخِرَةُ خَيۡرٌ ﴾ أي هي خير للذين يتقون المعاصي مما يأخذ اليهود من عرض الدنيا أفلا يعقلون ما يدرسون كتابهم، ويقال أفلا يعقلون أن الإصرار على الذنب ليس من علامات المغفورين(٢).

قوله عز وجل : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠** ﴾ .

زيادة ترغيب للمتقين؛ معناه: والذين يُمسكون بالكتاب بأن يعملوا بما فيه فيحلوا حلاله ويحرموا حرامه ولا يتخذونه أكلة(٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ معناه وعملوا الصالحات؛ إلا أنه خص الصلاة بالذكر لتعظيم شأنها، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴾ معناه نعطيهم أجرهم لأنا لا نضيع أجر المصلحين في القول والعمل(٤).

---

(١) انظر : الكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/٣٠٠)، وتفسير النكت والعيون؛ للمَاوَرْدِي (٢/٢٧٥)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/٤٢٣).

(٢) انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان؛ للنيسابوري (٣/٣٤٠)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (١٥/٣٩٦)، وتفسير ابن كثير (٣/٤٩٩).

(٣) انظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٤٥).

(٤) وقال الزمخشري: "إقامة الصلاة، كيف أفردت؟ قلت: إظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين، وفارقة بين الكفر والإيمان"، الكشاف (٢/١٧٥).

وانظر : مدارك التنزيل؛ للنسفي (١/٦١٦)، مفاتيح الغيب؛ للرازي (١٥/٣٩٧)، ولباب التأويل في معاني التنزيل؛ للخازن (٢/٢٦٥).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ مِّنۡهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ أنهم هم الذين وراء نهر رمل عالج [(١)] من قوم موسى عليه السلام لما أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس رفعه جبريل عليه السلام إليهم فكلمهم وكلموه فقال لهم جبريل عليه السلام تعرفون من تكلمون قالوا لا قال فإن هذا محمد النبي ﷺ، قالوا: يا جبريل وقد بعثه الله تعالى ؟ قال: نعم؛ فآمنوا به وصدقوه وشهدوا أنه رسول الله ﷺ، وقالوا: يا رسول الله إن موسى بن عمران عليه السلام أوصانا أن من أدرك ذلك النبي ﷺ منكم من أحد فليقرأ مني عليه السلام ومنكم، فرد الرسول صلى الله عيه وسلم على موسى وعليهم السلام، وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة حرسها الله تعالى ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة، فعلمهم النبي ﷺ ورجع من ليلته تلك[(٢)]، وبالله التوفيق.

---

(١) قال الفَيْومِي: "وَرَمْلُ عَالِجٍ جِبَالٌ مُتَوَاصِلَةٌ يَتَّصِلُ أَعْلَاهَا بِالدَّهْنَاءِ وَالدَّهْنَاءُ بِقُرْبِ الْيَمَامَةِ وَأَسْفَلُهَا بِنَجْدٍ وَيَتَّسِعُ اتِّسَاعًا كَثِيرًا حَتَّى قَالَ الْبَكْرِيُّ رَمْلُ عَالِجٍ يُحِيطُ بِأَكْثَرِ أَرْضِ الْعَرَبِ"، المصباح المنير (٢/٤٢٥) مادة (علج).

ومعنى عالِج: هو ما تَراكم من الرَّمْل ودَخَل بعضُه في بعض، انظر : النهاية لابن الأثير، (٣/٢٨٧).

وقال الطيبي: موضع بالبادية فيه رمل كثير، انظر : تحفة الأحوذي (٨/٣٩٨).

وفي معجم البلدان وهو رملة بالبادية مسماة بهذا الاسم، (٤/٧٠).

(٢) وخبر ابن عباس أورده صاحب بحر العلوم بطوله عند تفسيره لقوله تعالى "ومن قوم موسى أمة .." انظر: (١/٥٥٧)، وأورده كذلك الخازن وسماها حكاية وضعفها من ثلاثة وجوه. انظر : تفسير الخازن (٢/٣٠٠).

قوله عز وجل : ﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾.

معناه: واذكر يا محمد إذ قلعنا/ الجبل من أصله وجعلناه كالظلة فوق رؤوس بني إسرائيل[١] إذ[٢] كل شيء اقتلعته فقد نتقتة[٣] ومنه نتقت المرأة إذا[٤] اقتلعت ما في رحمها من ولدها اقتلاعاً وامرأة منتاق(إذا كانت)[٥] تكثر الولد[٦]. ٣=أ

(١) أخرج ابن أبي حاتم نحوه عن ابن عباس، التفسير (١٦١٠/٥).

وانظر: تفسير مقاتل (٧٢/٢)، وتفسير الطبري (٢١٧/١٣) .

(٢) (إذ) لا توجد في أ.

(٣) انظر: غريب الحديث؛ لابن قتيبة (٢٥٩/١) و (١٥٠/٢)، والصحاح؛ للجوهري (١٥٥٨/٤) مادة (نتق)، ولسان العرب (٣٥١/١٠) مادة (نتق).

(٤) في أ زيادة (إذا أكثرت الولد أي هي اقتلعت ...).

(٥) مابين المعقوفتين لا يوجد في الأصل وإنما يوجد في أ .

(٦) قال الرازي: "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: زعزعناه ، قاله ابن قتيبة...والثاني: بمعنى جذبناه، والنتق: الجذب ومنه قيل للمرأة الولود ناتق، ..والثالث: معناه ورفعناه عليهم من أصله"، النكت والعيون (٢٧٦/٢).

وانظر: تفسير الطبري (٢٢٠/١٣)، وتفسير الكشف والبيان؛ للثعلبي (٣٠١/٤)، مفاتيح الغيب؛ للرازي (٣٩٧/١٥)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٢٣/٢).، وتفسير السمعاني (٢٢٩/٢)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (١٦٦/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (٤٣٦/١)، وتفسير مدارك التنزيل؛ للنسفي (٦١٦/١).

والسبب في رفع الجبل ما روي أنه لما شق على بني إسرائيل ما كان في التوراة من المواثيق وخافوا أن لا يمكنهم الوفاء به امتنعوا عن التزامه فرفع الله سبحانه الجبل فوقهم، فظنوا لارتفاعه أنه واقع بهم[١].

وقوله عز وجل : ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَـٰكُم بِقُوَّةٍ ﴾أي اعملوا به بجد ومواظبة في طاعة الله عز وجل[٢].

واذكروا ما فيه [٣] ما في الكتاب الذي أعطيناكم من عظة وزجر لكي تتقوا المعاصي، فإن قيل* أليس لما رفع الله عز وجل الجبل فوق رؤوسهم صاروا ملجئين إلى قبول التوراة فكيف كانوا يثابون على ذلك قيل إن القوم كانوا قد اعتادوا وقوف الغمام في التيه فوقهم لدفع مضرة الحر عنهم ولا يمتنع أن[٤] ارتفاع الجبل لم[٥] يبلغ منهم[٦] مبلغ حد الإلجاء لأن العاقل كما

---

(١) قال ابن جريج:"كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها..قال: لتؤمنن بالتوراة ولتقبلُنَّها، أو ليقعَنَّ عليكم"، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢١٩/١٣)، وأخرج أيضا نحوه عن أبي بكر بن عبد الله، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٠/٥)، وحكاه الماوَرْدي أيضا عن مجاهد، ثم قال: "واختلف في سبب رفع الجبل عليهم هل كان انتقاماً منهم أو إنعاماً عليهم؟ على قولين: أحدهما: أنه كان انتقاماً بالخوف الذي دخل عليهم. والثاني: كان إنعاماً لإقلاعهم به عن المعصية" النكت والعيون (٢٧٦/٢). وانظر أيضا: بحر العلوم (٥٦٣/١)، مفاتيح الغيب (٩٧/١٥).

(٢) قاله ابن عباس وقتادة، وقال السدي: بجد واجتهاد، وقال أبو العالية والربيع بن أنس: بطاعة، وقال مجاهد أيضا: بعمل بما فيه، انظر: تفسير عبد الرزاق (٢٧٣/١)، وتفسير مقاتل (١١٢/١)، وتفسير الطبري (١٦١/٢) و (١٠٩/١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٣٠/١)، مفاتيح الغيب (٣٨/١٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (١٤٨/١).

(٣) (ما فيه) لا توجد في أ.

(٤) (أن) لا توجد في أ.

(٥) في أ (فلم).

(٦) (منهم) لا توجد في أ.

يُجوّز ثبات السموات والأرض على ما هما عليه فكذلك[١] يُجوّز مثله في الجبل بإمساك الله عز وجل له فلم يخرجوا من كونهم[٢] مكلفين مع وقوف الجبل فوقهم .

(١) في أ (فكيف).

(٢) في أ (كذبهم).

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾.

في الآية قولان؛ أحدهما: أن الله عز وجل أخرج من صلب آدم عليه السلام كل من هو خارج إلى يوم القيامة في صورة الذر وجعل لهم العقول حتى سمعوا خطاب الله عز وجل وفهموا قوله [(١)] ألست بربكم قالوا بلى؛ فأخذ عليهم الميثاق ثم ردهم إلى صلب آدم عليه السلام؛ والناس محبوسون في أصلاب آبائهم حتى يخرج كل من أخرجه في ذلك الوقت، وكل من ثبت على الإسلام فهو على الفطرة الأولى، ومن كفر وجحد فإنما تغير عن الفطرة الأولى[(٢)]، وفي هذا حديث مشهور مروي **عن ابن عباس** رضي الله عنهما[(٣)].

---

(١) في (أ) زيادة (قوله عزوجل قال لهم ألست ....).

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٣/٢٢٢-٢٢٥)، وحكاه السمرقندي عن أبي بن كعب، وقواه، انظر: بحر العلوم (١/٥٦٤، ٥٦٥)، وتفسير الكشف والبيان، للثعلبي (٤/٣٠٣)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٢/٢٧٧)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (٢/١٦٧)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣١٨).

وذكر الرازي القولين وقال في هذا القول أنه: " مَذْهَبُ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلِ الْأَثَرِ... وَهَذَا الْقَوْلُ قَدْ ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ قُدَمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ كَسَعِيدِ بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرة، وَالْكَلْبِيِّ"،مفاتيح الغيب (١٥/٣٩٨).

وقال ابن جزي عن هذا القول: " روى هذا المعنى عن النبي صلّى الله تعالى عليه واله وسلّم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم"، تفسير ابن جزي (١/٣١٢).

وذكر ابن كثير هذا القول مع روايات كثيرة ثم قال: " وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَالْحَسَنِ، وَقَتَادَةَ، وَالسُّدِّيِّ، وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلَفِ، سِيَاقَاتٍ تُوَافِقُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، اكْتَفَيْنَا بِإِيرَادِهَا عَنِ التَّطْوِيلِ في تلك الآثار كلها... فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ، عَزَّ وَجَلَّ، اسْتَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَ أَهْلِ **الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ**"، تفسير ابن كثير (٣/٥٠٥).

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم، عليه السلام، بنعمان. يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلاً قال: **" أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ**

والقول الثاني: أن الله عز وجل أخرج الذرية قرناً بعد قرن وعصراً بعد عصر وأشهدهم على أنفسهم بما جعل في عقولهم من المنازعة التي تقتضي الإقرار بربوبيته حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى وحتى أبلغهم الأنبياء صلى الله عليهم عن الله عز وجل ألست بربكم قالوا بلى[(١)]، وتقدير الآية وإذ اخذ ربك من ظهور بني آدم عليه السلام ذريتهم، وهذا كما يقال أخذت من فلان من رأسه العمامة أي أخذت العمامة من رأس فلان.

وقوله عز وجل: ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ يجوز أن يكون هذا من قول الذين أُخذ عليهم الميثاق[(٢)]؛ ثم ابتدأ جل ذكره فقال أن تقولوا يوم القيامة :

ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ " إلى قوله: " ٱلْمُبْطِلُونَ " انظر : أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٧/٤) حديث رقم (٢٤٥٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٢/١٠) حديث رقم (١١١٢٧)، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٨٩/١) حديث رقم (٢٠٢)، وأخرجه الفريابي في القدر (٧٠/١) حديث رقم (٥٩)، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٩/١٠) حديث رقم (٣٨٨٩)، وتفسير الطبري (٢٢٢/١٣) رقم (١٥٣٣٨)، الحاكم في مستدركه (٨٠/١) رقم (٧٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي: "ورجاله رجال الصحيح"، مجمع الزوائد (٢٥/٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢٣).

(١) وهذا القول الثاني ذكره السمعاني ونسبه للمعتزلة فقال: " وَاعْلَم أَن الْمُعْتَزلَة تأولوا هَذِه الْآيَة، فَقَالُوا: أَرَادَ بِهِ الْأَخْذ من ظُهُور بني آدم على التَّرْتِيب الَّذِي مَضَت بِهِ السّنة من لدن آدم إِلَى فنَاء الْعَالم"، تفسير السمعاني (٢٣١/٢).

وسماهم الرازي "أَصْحَابِ النَّظَرِ وَأَرْبَابِ الْمَعْقُولَاتِ"، وانظر مدافعة المعتزلة والجواب على قولهم عند الرازي، مفاتيح الغيب (٣٩٨/١٥-٤٠٠).

وانظر كذلك: والنكت والعيون؛ للرازي (٢٧٧/٢)، تفسير ابن عطية (٤٧٥/٢)، أحكام القرآن للجصاص، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٧٩/٢)، تفسير العز بن عبد السلام (٥١١/١)، وتفسير ابن جزي (٣١٢/١).

(٢) وهو مروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ولفظه: "قال رسول الله ﷺ: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) قال: "أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس، فقال لهم (ألست بربكم قالوا بلى) قالت الملائكة: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين""، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٢/١٣)، وضعف الحديث الطبري فقال: "ولا علمه صحيحاً" (٢٥٠/١٣)، وكذا ضعف ابن كثير المرفوع، وذكره موقوفا وقال: "وهذا أصح"، تفسير ابن كثير (٥٠٣/٣).

أي كيلا (تقولوا) [١] يومئذ إنا كنا عن هذا غافلين؛ ويقال معناه كراهية أن (تقولوا)[٢]، ويجوز أن يكون تمام الكلام الأول عند قوله تعالى بلى، ثم يقول الله تعالى شهدنا (أي شهدنا)[٣] عليكم وأخذنا الميثاق كيلا يقولوا[٤].

قوله عز وجل: ﴿ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾.

معناه: أو لئلا تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاتبعناهم لأنا قد جعلنا في عقولكم ما يمكنكم أن تعرفوا به صحة ما كان عليه آباؤكم (أو فساده)[٥]، وقوله عز وجل أفتهلكنا بما فعل آباؤنا المشركون ؟ يقال لهم: لا نهلككم بما فعل آباؤكم؛ وإنما نهلككم بما فعلتم أنتم[٦].

وبالقول الذي ذكره المصنف قال به مقاتل والكلبي، انظر: تفسير مقاتل (٤١٣/٣)، والسمرقندي في بحر العلم (٥٦٦/١)، والواحدي في التفسير الوسيط (٤٢٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٤٧/٢).

وقال النسفي: "ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشرى وذهب جمهور المفسرين أن أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق انهه ربهم بقوله ألست بربكم فأجابوه بلى"، تفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦١٧/١).

(١) مابين المعكوفتين من أ وفي الأصل (يقولوا).

(٢) مابين المعكوفتين من أ وفي الأصل (يقولوا).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا يوجد في الأصل.

(٤) وبه قال السدي، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٩/١٣)، وبحر العلوم للسمرقندي (٥٦٦/١)، وتفسير السمعاني (٢٣٠/٢).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا يوجد في الأصل.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٧٣/٢)، وتفسير الطبري (٢٥١/١٣)، وبحر العلوم (٥٦٦/١)، وتفسير الكشف والبيان؛ للثعلبي (٣٠٤/٤)، والتفسير الوسيط (٤٢٦/٢)، والوجيز؛ للواحدي (٤٢١/١)، وتفسير السمعاني (٢٣٢/٢)، وتفسير معالم

قوله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ ﴾.

معناه: هكذا نبين الآيات كما بينا في أمر الميثاق ونفصل الآيات ذكر آية بعد آية ببيان الطاعة والمعصية والوعد والوعيد.

وأما قوله عز وجل: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ معناه: ولكي يرجعون من الكفر إلى الإيمان[(١)] والواو في هذا عطف على مضمر محذوف كأنه قال لتعلموها[(٢)] مفصلة، ولعلهم يرجعون[(٣)].

فإن قيل: على التأويل (الأول)[(٤)] كيف يكون الميثاق الذي أخذ على بني آدم عليه السلام حين أخرجهم الله من صلبه حجة على الكفار وهم لا يذكرون ذلك ولا يحفظونه، قيل: لما أرسل الله عز وجل الرسل وأخبروهم بذلك الميثاق صار قول الرسل عليهم حجه وان لم يذكروا؛ ألا ترى أن من ترك من صلاته ركعة أو طلق امرأته ثلاثاً فنسي ذلك فذكرت له الثقات كان

التزيل؛ للبغوي (٢/٢٤٨)، والكشاف؛ للزمخشري (٢/١٧٧)، وتفسير ابن عطية (٢/٤٧٦)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (٢/١٦٨)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن؛ للقرطبي (٧/٣١٩).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/٢٥٢)، وبحر العلوم؛ للسمرقندي (١/٥٦٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/٤٢٦)، والوجيز؛ للواحدي (١/٤٢١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٤٨)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/١٧٧)، وتفسير البيضاوي (٣/٤٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦١٧)، وتفسير الخازن (٢/٢٦٩)، والبحر المحيط (٥/٢٢٠)، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس (ص:١٤١)، وروح المعاني؛ للألوسي (٥/١٠٢).

(٢) في أ (ليعلموها).

(٣) "(ولعلهم) الواو عاطفة على محذوف تقديره: ليتدبروها، ولعل واسمها، وجملة يرجعون خبرها، وجملة الرجاء حالية"، إعراب القرآن وبيانه (٣/٤٩٤). **وقال السمرقندي**: "فالواو الأولى للعطف وهو قوله وَكَذلِكَ والواو الثانية زيادة للوصل وهي قوله: وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ومعناه: وكذلك نفصل الآيات لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ أي لكي يرجعوا"، بحر العلوم (١/٥٦٦)، وانظر كذلك: تفسير أبي السعود (٣/٢٩١)، والتحرير والتنوير (٩/١٧٠).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا يوجد في الأصل.

قولهم حجة عليه [١]، والذي يدل على صحة ذلك والله أعلم قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾"[٢] فأخبر[٣] جل ذكره أن هذه الأمة تشهد للأنبياء صلوات الله عليهم بتبليغهم الرسالة إلى قومهم ومن المعلوم أنا لم نكن شهوداً يوم التبليغ[٤].

قوله عز وجل : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾.

في الآية قولان:

أحدهما: ما روي عن **عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود**[٥] رضي الله عنهما أن الآية نزلت في بلعم بن باعورا كان عابدا من عباد بني إسرائيل وكان في المدينة التي قصدها موسى عليه السلام/ وكان أهل تلك المدينة كفارا وكان عنده أسم الله الأعظم وكان إذا دعا الله عز وجل به أجابه فسأله ملكهم أن يدعوا الله عز وجل بالاسم الأعظم على موسى عليه السلام ليدفعهم عن تلك المدينة فقال ديني ودينه واحد وهذا شيء لا يكون فأجبره الملك وهدده بالقتل فدعا

٣=ب

(١) انظر : تفسير بحر العلوم (٥٨٠/١).

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣.

(٣) في أ (وأخبر).

(٤) انظر: الواحدي؛ التفسير الوسيط (٤٢٦/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٧٦/٢)، وزاد المسير (١٦٨/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٣٩٨/١٥)، وتفسير البيضاوي (٤٢/٣)، وتفسير الخازن (٢٦٩/٢)، والبحر المحيط (٢٢٠/٥).

(٥) عبد الله بن مسعود الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين إلى لإسلام وأول من جهر بالقرآن بمكة، هاجر الهجرتين وكان خادم رسول الله ﷺ وصاحب سره، ورفيقه في غزواته، توفي سنة اثنتين وثلاثين، رض الله عنه. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٧٦٥/٤)، والاستيعاب (٩٨٧/٣)، والإصابة (١٩٨/٤).

الله عز وجل بذلك الاسم فسلبه الله عز وجل منه[١] عقوبة له وأضلهم في التيه[٢].

إلا إن في الحديث ما يمنع صحته[٣]؛ لأنه لا يجوز أن يُستجاب دعاء إنسان على نبي من الأنبياء صلوات الله عليهم؛ لا سيما إذا قصد إلى الدعاء على موسى عليه السلام صار كافرا والكافر لا يجوز أن يستجاب دعاؤه وخصوصا على الأنبياء عليهم السلام[٤].

---

(١) (منه) لا توجد في أ.

(٢) أُخْتُلِف في ذلك على ثلاثة أقوال : الأول : أنه بلعام بن باعورا، الثاني: أنه أمية بن أبي الصلت، الثالث: صيفي بن راهب.

أما القول الأول فجاء الأثر فيه مسندا، وبعضهم يزيد على بعض، فأخرجه مجاهد في تفسيره عن ابن عباس (٣٤٦/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٣/١٣).

وأخرجه عبد الرزاق عن ابن مسعود، المصنف (٩٨/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٣/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٦/٥).

وممن قال به: مجاهد وعكرمة، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٣/١٣).

وأما القول الثاني: فقال به عبد الله بن عمرو، والكلبي، وقتادة، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٨/٢)، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٥/١٣، ٢٥٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٦/٥)، وقال الهيثمي رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، انظر : مجمع الزوائد (٢٥/٧) رقم (١١٠٢٢)

وأما القول الثالث: فقال به عبد الله بن عباس، ورجل في مجلس عبد الله بن عمرو، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٦/٥).

وانظر فيما تقدم: بحر العلوم (٥٦٧/١)، ومفاتيح الغيب (٤٥/١٥)، تفسير القرآن العزيز؛ لابن أبي زمنين (١٥٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٠٦/٤)،وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٧٩/٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٢٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٣٢/٢)، و غرائب التفسير وعجائب التأويل؛ للكرماني (٤٢٧/١)، وتفسير الدر المنثور (٦٠٨/٣).

(٣) أما أثر ابن مسعود فقد قال الهيثمي: "رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ."، مجمع الزوائد (٢٥/٧).

(٤) **وذكر المَاوَرْدِي** بعض ذلك فقال: "وهو غير صحيح لأن الله لا يصطفي لنبوته إلا من يعلم أنه لا يخرج عن طاعته إلى معصيته"، النكت والعيون (٢٧٩/٢).

والقول الثاني: ما روي عن **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما[١] أن الآية نزلت في أمية بن أبي الصلت وهو رجل كان في وقت النبي ﷺ وكان قد أتاه الله عز وجل العلم والحكمة وله أشعار في الموت والبعث وكان قد علم أن الله تعالى يبعث نبيا في وقته وكان يرجوا أن يكون هو ذلك النبي فلما بعث الله عز وجل محمد ﷺ ورأى من أمره (ما رأى)[٢] عزم ألا يؤمن به حسدا له[٣].

وقال القاضي أبو محمد: وهذا قول مردود لا يصح عن مجاهد، ومن أعطي النبوءة فقد أعطي العصمة ولا بد، ثبت هذا بالشرع"، تفسير ابن عطية (٤٤٧/٢).

وذكر بعض ذلك ابن الجوزي وقال: "وفيه بُعد، لأن الله تعالى لا يصطفي لرسالته إلا معصوماً عن مثل هذه الحال"، زاد المسير (١٦٩/٢).

ورد ذلك أيضا الرازي، انظر : مفاتيح الغيب (٤٠٤/١٥) ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٢٠/٧) ، وتفسير الخازن (٢٧١/٢).

(١) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم ابن سعيد بالتصغير ابن سعد ابن سهم السهمي أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف على الراجح . انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (١٧٢٠/٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٩٥٦/٣)، والإصابة (١٦٥/٤).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا يوجد في الأصل.

(٣) الأثر أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٨/٢)، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٥/١٣، ٢٥٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦١٦/٥).

والقول كما قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمرَ نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان الله آتاه حُجَجه وأدلته وهي "الآيات"، وجائز أن يكونَ الذي كان الله آتاه ذلك "بلعم" ،وجائز أن يكون أمية، وكذلك "الآيات" إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها؛ فجائز أن يكون الذي كان أوتيها "بلعم"، وجائز أن يكون "أمية"، لأن "أمية" كان، فيما يقال، قد قرأ من كتب أهل الكتاب. وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله عليه الصلاة والسلام أن يتلوَ على قومه نبأه، أو بمعنى اسم الله الأعظم، أو بمعنى النبوّة، فغير جائز أن يكون معنيًّا به "أمية"؛ لأن "أمية" لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئًا من ذلك، ولا خبرَ بأيِّ ذلك المراد، وأيّ الرجلين المعنيّ ، يوجب

ومعنى الآية: واقرأ يا محمد خبر الذي آتيناه علم آياتنا وفهم معانيها فصار عالما بها والنبأ الخبر عن أمر عظيم، ومنه قولهم: لهذا النبأ شأن.

وقوله عز وجل: ﴿ فَٱنسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أي خرج من العلم بها إلى الجهل [١] ومن الهدى بالضلال كما يقال انسلخت الحية من جلدها[٢].

وقوله عز وجل: ﴿ فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ معناه: أتبعه بالتزيين لذلك الضلال، ويقال: معنى أتبعه أدركه[٣]؛ يقال اتبعت القوم إذا لحقتهم، وتبعتهم إذا سرت في أثرهم، ويقال: اتبعه الشيطان اتبعه كفار الإنس يعني وغواتهم فكانوا معه في الكفر[٤].

الحجة، ولا في العقل دلالة على أيِّ ذلك المعنيُّ به من أيٍّ، فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونُقِرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله". تفسير الطبري (١٣/٢٥٩).

(١) في أ (أي خرج من العلم بها بالجهل).

(٢) **قال المَاوَرْدِي**: "وجهان: أحدهما: فانسلخ من العلم بها لأنه سيسلب ما أوتي منها بالمعصية. والثاني: أنه انسلخ منها أي من الطاعة بالمعصية مع بقاء علمه بالآيات"، النكت والعيون (٢/٢٨٠). =

= وانظر: تفسير مقاتل (٢/٧٥)، وتفسير الطبري (١٣/٢٦٠)، وبحر العلوم (١/٥٦٦)، والتفسير الوسيط (٢/٤٢٧)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥١)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/١٧٨)، وزاد المسير (٢/١٧٠)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (١٥/٤٠٤).

(٣) انظر: الصحاح؛ للجوهري (٣/١١٨٩) مادة (تبع)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (١/١٥٣) مادة (تبع)، وتهذيب اللغة؛ للأزهري (٢/١٦٧)، والفائق في غريب الحديث (١/١٤٧)، والنهاية في غريب الحديث ؛ لابن الأثير (١/١٧٩).

(٤) **قال المَاوَرْدِي**: "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن الشيطان صيره لنفسه تابعاً بإجابته له حين أغواه، والثاني: أن الشيطان متبع من الإنس على ضلالته من الكفر، والثالث : أن الشيطان لحقه فأغواه "، النكت والعيون (٢/٢٨٠).

قال ابن الجوزي: "قال اليزيدي: أتْبَعه واتَّبعه:لغتان. وكأن «أتبعه» خفيفة بمعنى: قفاه، و «اتّبعه» مشددة: حذا حذوه"، زاد المسير (٢/١٧٠).

وانظر: تفسير الطبري (١٣/٢٦١)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٠٨)، والتفسير الوسيط (٢/٤٢٧)، وتفسير السمعاني (٢/٢٣٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥١)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/١٧٨)، إيجاز البيان عن

وقوله عز وجل : ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ معناه: فكان في علم الله عز وجل أن يكون في ذلك الوقت من الغاوين، ويقال (معناه)[١] فصار من الضالين والغي يذكر بمعنى الهلاك، يقال: غوى الفصيل إذا ترك اللبن حتى هلك[٢]، ويذكر بمعنى الخيبة كما قال الشاعر[٣]:

ومن يلقي خيرا يحمد الناس أمره . . . ومن يغو لا يعدم على الغيّ لا حيا[٤]

معاني القرآن (٣٤٨/١)، وزاد المسير (١٧٠/٢)، وغريب القرآن ؛ لابن قتيبة (١٧٤/١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (١٠٥/٣)، وتفسير الألوسي (١٠٤/٥).

(١) مابين المعكوفتين من أ وفي الأصل (مع من).

(٢) **قال الجوهري**: " الغَيُّ: الضلال والخيبة أيضاً. وقد غَوي بالفتح يَغْوي غَيًّا وغَوايَةً، فهو غاوٍ وغوٍ. وأغْواهُ غيره فهو غَوِيٌّ على فَعيلٍ"، الصحاح (٢٤٥٠/٦) مادة (غوى).

وقال ابن فارس: " الْغَيْنُ وَالْوَاوُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ بَعْدَهُمَا أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الرُّشْدِ وَإِظْلَامِ الْأَمْرِ، وَالْآخَرُ عَلَى فَسَادٍ فِي شَيْءٍ."، مقاييس اللغة (٣٩٩/٤) مادة (غوي).

وانظر أيضا: النهاية في غريب الحديث والأثر؛ لابن الأثير (٣٩٧/٣)، ولسان العرب (١٤٠/١٥) مادة (غوى)، والقاموس المحيط (١٣١٩/١).

(٣) المرقش الأصغر وهو "عمرو بن حرملة"، وقيل: "ربيعة بن سفيان"، وقيل "عمرو بن سفيان" وهو من بني سعد بن مالك بن ضبيعة، أحد عشاق العرب المشهورين وشاعر جاهلي، من أهل نجد، كان أجمل الناس وجها ومن أحسنهم= =شعرا، وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد، أشهر شعره حائيته، وهي إحدى المجمهرات . انظر : الأعلام للزركلي (١٦/٣)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٢٢٨/١٨)

(٤) انظر بيت الشعر في: المفضليات؛ للضبي (٢٤٧/١)، والشعر الشعراء لابن قتيبة (٢١٠/١)، الأمثال المولدة (٤٢٠/١)، وجمهرة الأمثال؛ للعسكري (١٧٧/١)، ومجمع الأمثال؛ للنيسابوري (١٤٨/١)، والحماسة البصرية؛ لأبي الحسن البصري (٣٣/٢).

أي ومن يخب، وأما من ذهب إلى أن المراد بالآيات المذكورة في هذه الآية النبوة فهو قول ظاهر الفساد؛ لأنه عز وجل لا يجوز أن يبعث من يعلم أنه يكفر ويرتد عن دينه؛ لأنه قد أخبر أنه قد عصم أنبياءه ورسله صلوات الله عليهم أجمعين[(١)].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ .

معناه: ولو شئنا لرفعناه بالآيات قبل أن يكفر بها بأن نُمته على الهدى أو نعصمه عن الكفر ونحول بينه وبين المعصية حتى يكون له الثواب على الإيمان وإن[(٢)] الثواب إجلال وتعظيم في لذة، ويقال: معناه لرفعناه بها إلى السماء[(٣)].

---

(١) وبهذا القول قال مجاهد ويسار، أخرج ذلك الطبري في تفسيره (١٣/٢٥٩).

قال المَاوَرْدِي: "والثالث: أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه ، قاله مجاهد ، وهو غير صحيح"، النكت والعيون (٢/٢٧٩).

وحكاه الكرماني عن مجاهد وقال الكرماني: "وهو غريب"، غرائب التفسير وعجائب التأويل (١/٤٢٧).

وقال ابن عطية: "وهذا قول مردود لا يصح عن مجاهد"، تفسير ابن عطية (٢/٤٧٦).

وانظر: مفاتيح الغيب (١٥/٤٠٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٢٠)، وتفسير الخازن (٢/٢٧١).

(٢) في أ (فإن الثواب).

(٣) **قال الطبري**: والرفع يَعمُّ معاني كثيرة، منها الرفع في المنزلة عنده، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها. ومنها الرفع في الذكر الجميلِ والثّناء الرفيع. وجائزٌ أن يكون الله عنى كلَّ ذلك: أنه لو شاء لرفعه، فأعطاه كل ذلك، بتوفيقه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه. وإذ كان ذلك جائزًا، فالصواب من القول فيه أن لا يخصَّ منه شيء، إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبرٍ ولا عقلٍ"، تفسير الطبري (١٣/٢٦٩).

وقال المَاوَرْدِي: "فيه وجهان: أحدهما: يعني لأمتناه فلم يكفر. والثاني: لحلنا بينه وبين الكفر فيصير إلى المنزلة المرفوعة معصوماً"، النكت والعيون (٢/٢٨٠). =

ولكنـه أخلـد إلى الأرض أي : سـكن إلى الـدنيا[١] ومـال إلى (مسـافل)[٢] الأمـور وتـرك معاليها، وأصل الإخلاد البقاء والإقامة واللزوم على الدوام[٣] كأنه لزم الميل إلى الأرض لتعجيل الراحة واللذة، يقال فلان مُخلد: أي بطيء الشيب[٤].

= وانظـر: معـاني القـرآن؛ للزجـاج (٣٩١/٢)، وتفسـير الجـامع لأحكـام القـرآن ؛ للقـرطبي (٣٢١/٧)، وبحـر العلـوم (٥٦٧/١)، وتفسـير الثعلـبي (٣٠٨/٤)، والتفسـير الوسـيط (٤٢٧/٢)، وتفسـير السـمعاني (٢٣٣/٢)، وتفسـير معـالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥١/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٧٨/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٧٨/٢)، تفسير مفـاتيح الغيب ؛ للرازي (٤٠٤/١٥).

(١) **قـال المَـاوَرْدِي**: "أي ركـن إليهـا. وفي ركونـه إليهـا وجهـان: أحـدهما: أنـه ركـن إلى أهلهـا في استنزالهم لـه ومخـادعتهم إياه. والثاني: أنه ركن إلى شهوات الأرض فشغلته عن طاعة الله"، النكت والعيون (٢٨٠/٢).

وقال ابن عطية: " يحتمل أن يرد إلى شهواتنا ولذاتها وما فيها من الملاذ، قاله السدي وغيره، ويحتمل أن يريد بها العبارة عن الأسفل والأخس"، تفسير ابن عطية (٤٧٨/٢).

وانظر : معاني القرآن للفراء (٧٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٢٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٣٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥١/٢)، وزاد المسير (١٧٠/٢)، تفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٤٠٥/١٥).

(٢) مابين المعكوفتين من أ وفي الأصل (مساهل).

(٣) انظـر: غريـب القـرآن؛ لابـن قتيبـة (١٧٤/١)، وغريـب القـرآن؛ للسجسـتاني (٦٠/١)، وتهـذيب اللغـة (١٢٤/٧) مـادة (خلد)، والصحاح؛ للجوهري (٤٦٩/٢) مادة (خلد)، والنهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير (٦١/٢).

(٤) في أ (بطيء السير).

وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ أي انقاد لهواه فلم نرفعه بالآيات، وقوله عز وجل : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ﴾ وهي الحال التي يلهث فيها ويكون ملازماً لذلك، واللهث هو شدة النفس(١) عند الإعياء(٢)

وهو في (الكل)(٣) طبع؛ فإن كل شيء يلهث من إعياء وعطش ما خلا الكلب فإنه يلهث في الأحوال كلها فإنك إن طردته وزجرته يلهث، وإن تركته(٤) يلهث(٥) فكذلك الكافر إن وعظته أو زجرته لم يتعظ وإن تركته لم يعقل(٦)، ويقال: أراد بهذا أن الكلب في حال لهثه لا لا يقدر على منفعة ومضرة لنفسه ، فكذلك من كانت هذه صفته يذل ويخضع ويمنع كل أحد إذا طمع أن ينال منه أدنى شيء وهولا يبالي بما (٧) يصيبه من الذل و الهوان(١)، فكان الكافر في الدين الذي هو الغرض مشبه بالكلب في دار الدنيا.

---

(١) في أ (شدة التنفس).

(٢) اللَّهَثُ واللُّهاثُ: حَرُّ الْعَطَشِ فِي الْجَوْفِ. الْجَوْهَرِيُّ: اللَّهَثان، بِالتَّحْرِيكِ: الْعَطَشُ، وَبِالتَّسْكِينِ: الْعَطْشَانُ؛ والمرأَة لَهْثى. وَقَدْ لَهِث لَهَاثاً مِثْلُ سَمِعَ سَمَاعًا. ولَهَث الْكَلْبُ، بِالْفَتْحِ، ولَهِثَ يَلْهَث فِيهِمَا لَهْثاً: دَلَع لِسَانَهُ مِنْ شِدَّةِ الْعَطَشِ وَالْحَرِّ، انظر : لسان العرب (١٨٤/٢) مادة (لهث)، والنهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير (٢٨١/٤)،وغريب القرآن؛ للسجستاني (٥٠٨/١)، ومفردات القرآن؛ للراغب (٧٤٨/١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ وفي الأصل (الكلب).

(٤) في أ (وإن طردته) .

(٥) انظر : تفسير الطبري (٢٧١/١٣)، وغريب القرآن لابن قتيبة (١٧٤/١)، ومفردات القرآن؛ للراغب (٧٦٠/١)، مفاتيح الغيب للرازي (٤٧/١٥)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٥٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٠٩/٤).

(٦) انظر : تفسير مقاتل (٤٢٥/١)، تفسير الطبري (٢٧٣/١٣)، بحر العلوم (٥٦٧/١)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٥٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٠٩/٤)، والتفسير الوسيط (٤٢٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٢/٢)، تفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٧٨/٢).

(٧) في الأصل (بما لم يصبه) وفي (أ) ما أُثبت.

وقال بعضهم: معنى اللهث هو إخراج اللسان من الفم[٢]، فكما أن الكلب يؤذي الناس في الأحوال كلها حملوا عليه أو تركوه، كذلك هذا الذي صار كافراً وقصد إيذاء المسلمين وأذاهم سواءً زجروه أو تركوه[٣]، وإخراج اللسان من الفم عبارة عن الإيذاء كما يقال: فلان أخرج لسانه من الفم مثل الكلب.

وقوله عز وجل : ﴿ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ معناه: ذلك صفة القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص عليهم أخبار الماضين ليعتبروا بهم فلا يسلكون مسالكهم، وقوله عز وجل : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ معناه: رجاء أن يتفكروا[٤].

قوله عز وجل : ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾.

معناه: ساء مثلاً القوم أي بأس الوصف وصف قومٍ كذبوا بحجتنا وهذا السوء إنما يرجع إلى فعلهم لا إلى نفس المثل؛ كأنه قال ساء فعلهم الذي جلب إليهم/ هذا الوصف القبيح[٥]، ٤ = أ

(١) انظر معاني القرآن للزجاج (٣٩١/٢)، معاني القرآن للنحاس (١٠٦/٣)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٠/٢).

(٢) انظر : الصحاح للجوهري (٢٩٢/١-٢٩٣) مادة (لهث)، وتهذيب اللغة (١٤٥/٦)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (٧٩٦/١) مادة (لهث)، ولسان العرب (١٨٤/٢) مادة (لهث)، وتاج العروس (٣٥١/٥) مادة (لهث).

(٣) بهذا المعنى قاله الكلبي، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٠/٢)، وانظر: تفسير الطبري (٢٧١/١٣)، ومعاني القآن؛ للنحاس (٨١/٢)، وبحر العلوم (٥٦٧/١)، وتفسير الثعلبي (٣٠٩/٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٧٤/١٣)، وبحر العلوم (٥٦٨/١)، والتفسير الوسيط (٤٢٨/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٧٩/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٧٨/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٤٠٦/١٥).

(٥) قال ابن جرير – رحمه الله– وقيل: ساء مثلا من السوء، بمعنى: بئس مثلا مَثَل القوم، وأقيم القوم مقام المثل وحذف المثل، إذ كان الكلام مفهومًا معناه، كما قال جل ثناؤه:(وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)، (سورة البقرة: ١٧٧) فإن معناه: ولكن البرَّ، برُّ من آمن بالله . انظر : الطبري (٢٧٥/١٣).

وقال الكرماني: " فاعل ساء مضمر في ساء، وفسره مثلًا، وفي المخصوص بالذم قولان:أحدهما: القوم الذين، تقدير مثل القوم الذين.والثاني، محذوف دل عليه ما قبله من ذكر الكلب واللهث، فيحسن الوقف على "مَثَلًا"، ويرفع "الْقَوْمُ" بالابتداء"، غرائب التفسير (٤٢٨/١).

وأما المثل فهو من الله عز وجل حِكمةٌ وصواب [١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ أي أنهم إنما نقصوا (بسوء)[٢] بأفعالهم أنفسهم والله عز وجل لا تضره معصية العاصين ولا تنفعه طاعة المطيعين.

وقوله عز وجل : ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ ﴾ .

معناه: من يوفقه الله عز وجل لدينه فهو المهتدي من الضلالة ومن يخذله [٣] فأولئك هم الخاسرون المغبونون بعقوبة الآخرة [٤]،

"فجعل مثل القوم مجازا. والتقدير: ساء مثلا مثل القوم والْقَوْمُ مرفوعون بالابتداء أو على إضمار مبتدأ. وقرأ عاصم الجحدري والأعمش (ساء مثل القوم) رفع مثلا بساء"، معاني القرآن؛ للأخفش (٣٤٢/١)، وانظر في ذلك: إعراب القرآن؛ للنحاس (٨١/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٥٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٢/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٧٩/٢)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب؛ لابن الجوزي (١٢١/١)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٤٠٦/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٢٤/٧).

(١) **قال الرازي:**" ظاهر قوله سَاء مَثَلاً يقتضي كون ذلك المثل موصوفاً بالسوء وذلك غير جائز لأن هذا المثل ذكره الله تعالى فكيف يكون موصوفاً بالسوء وأيضاً فهو يفيد الزجر عن الكفر والدعوة إلى الإيمان فكيف يكون موصوفاً بالسوء فوجب أن يكون الموصوف بالسوء ما أفاده المثل من تكذيبهم بآيات الله تعالى وإعراضهم عنها حتى صاروا في التمثيل بذلك بمنزلة الكلب اللاهث". انظر : مفاتيح الغيب (٤٨/١٥).

وانظر في ذلك: بحر العلوم (٥٦٨/١)، التفسير الوسيط (٤٢٨/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٤٠٦/١٥)، وتفسير الراغب (٢٢٠/١).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا يوجد في الأصل.

(٣) في أ (ومن يخذله عن دينه ..).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٧٦/١٣)، وتفسير بحر العلوم (٥٦٨/١)، وروح المعاني؛ للألوسي (١١٠/٥)، والتفسير الوسيط (٤٢٨/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٧٩/٢)، وتفسير النيسابوري (٣٤٨/٣).

وقيل معناه من يحكم الله تعالى بهداه فهو المهتدي ومن يحكم بضلالته فأولئك هم الخاسرون[١].

قوله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ .

قال عبد الله بن عباس: معنى الآية ولقد خلقنا لجهنم أهلاً لهم قلوب لا يعقلون بها الخير، ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى، ولهم آذان لا يسمعون بها الحق[٢]، ثم شبههم بالأنعام

---

(١) وفي هذه الآية رد على القدرية كما قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٣٢٤/٧).

وأقول رد على القدرية والمعتزلة ومن وافقهم القائلين بأن الله لم يخلق أفعال العباد وأن العبد مجبور على فعله، ولهذا فسر المعتزلة هذه الآية بهذا التفسير وأقصد قول المؤلف "وقيل معناه من يحكم الله تعالى بهداه فهو المهتدي ومن يحكم بضلالته فأولئك هم الخاسرون" وبهذا يظهر فساد هذا التفسير، والله أعلم .

وقال الرازي: " اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا وَصَفَ الضَّالِّينَ بِالْوَصْفِ الْمَذْكُورِ وَعَرَّفَ حَالَهُمْ بِالْمَثَلِ الْمَذْكُورِ بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّه، وَأَنَّ الضلال مِنَ اللَّه تَعَالَى، وَعِنْدَ هَذِهِ اضْطَرَبَتِ الْمُعْتَزِلَةُ، وَذَكَرُوا فِي التَّأْوِيلِ وُجُوهًا كَثِيرَةً...ثم ذكرها وأجاب عنها"، النكت والعيون (٤٠٧/١٥).

وقال ابن كثير: " وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} . . . وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بقدَره، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} (الْكَهْفِ: ١٧). وَقَالَ: {مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} (الْأَعْرَافِ: ١٨٦). إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ، لَا كَمَا تَقُولُهُ الْفِرْقَةُ الْقَدَرِيَّةُ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ، مِنْ أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ وَيَفْعَلُونَهُ (١) ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتْرُكُونَ ما يكون فيه صريحا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ"، تفسير ابن كثير (١٤٣/١).

وانظر في ذلك: تفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦١٩/١)،

(٢) هذا القول لم أجده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – وإنما أخرجه ابن جرير عن مجاهد، انظر: تفسير الطبري (٢٨٠/١٣)، وهكذا عزاه ابن عطية لمجاهد فقط، التفسير (٤٨٠/٢)، وحكاه الواحدي عن الكلبي، التفسير الوسيط

التي لا تكون لها آلات التمييز ولا إدراك الحواس، قال: أولئك كالأنعام يعني في المأكل والمشرب والذهن لا في الصور ثم أعذر الأنعام فقال بل هم أضل؛ لأن الأنعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل[(١)].

وقوله عز وجل: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾ أي يغفلون عما ينفعهم وعما يحل بهم في الآخرة، وقيل أن اللام في قوله عز وجل ﴿ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ لام العاقبة يعني أن عاقبتهم المصير إلى جهنم[(٢)] وهذا كما قال جل ذكره " ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ

(٢/٤٣٠). وانظر هذا المعنى : معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٣٩١)، وبحر العلوم (١/٥٦٨)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٠)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢/٢٨١)، وتفسير السمعاني (٢/٢٣٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٢٤).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/٢٨٠)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٠)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٣٩٢)، وبحر العلوم (١/٥٦٩)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٠)، والتفسير الوسيط (٢/٤٣٠)، وتفسير السمعاني (٢/٢٧٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (١/٢٥٣)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (٢/١٧٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٢٤)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٢٠).

(٢) انظر : التبيان للطوسي (٥/٣٦)، وزاد المسير لابن الجوزي (٢/١٧١) وإنما لجئنا إلى هذا التفسير لتقرير مذهبه في خلق أفعال العباد.

قال السمين الحلبي: "يجوز في هذه اللام وجهان، أحدهما: أنها لامُ الصيرورة والعاقبة، وإنما احتاج هذا القائلُ إلى كونها لامَ العاقبة... والثاني: أنها للعلةِ وذلك أنهم لما كان مآلُهم إليها جعل ذلك سبباً على طريق المجاز... وقد ردَّ ابن عطية على مَنْ جعلها لامَ العاقبة"، الدر المصون (٥/٥٢١).

وقد رد هذا ابن عطية بقوله: "وهذا ليس بصحيح ولام العاقبة إنما يتصور إذا كان فعل الفاعل لم يقصد به ما يصير الأمر إليه... **وأما** هنا فالفعل قصد به ما يصير الأمر إليه من سكناهم جهنم،"، المحرر الوجيز (٢/٤٧٩)، مفاتيح الغيب (٩/٤٤٠)، وتفسير البيضاوي (٢/٥٠)، والسراج المنير؛ للخطيب الشربيني (١/٥٣٨)، وتفسير أبي السعود (٢/١١٨)، حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (٤/٢٣٧)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٤/٢١١).

﴿ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (١) أي كان عاقبتهم أن صار لهم عدواً وحزنا وإلا فهم[٢] التقطوه ليكون لهم قرة عين كما قال جل ذكره ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾[٣] ويقال: لِدوا للموت وابنوا للخراب[٤].

وقال الشاعر:

وأم المنايا ولا تجزعن . . . فللموت ما تلد الوالدة[٥]

وقال آخر:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها . . . ودورنا لخراب الدهر نبنيها[٦]

---

(١) سورة القصص أيه (٨).

(٢) في أ (ولأنهم..).

(٣) سورة القصص آية (٩).

(٤) البيت من الوافر، وهو منسوب لأبي العتاهية. انظر: جمهرة أشعار العرب (٣١/١)، الحيوان (٢٣/٣)، وشرح ديوان المتنبي للعكبري (٢٢٤/٢)، مجاني الأدب في حدائق العرب (٣١/٤) الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث و الآثار (١٨/١).

(٥) البيت من المتقارب، ولم أجده بهذه الصيغة وإنما الشطر الأول منه ورد بصيغة أخرى : أأم سماك فلا تجزعي . . . فللموت ما تلد الوالدة، وهو لسماك بن عمرو الساعدي ثم العاملي القضاعي، وجاء أيضا بلفظ: فإن يكن الموت أفناهم ... فللموت ما تلد الوالدة. انظر : تاريخ دمشق (٤٧٩/٥٦)، المنازل والديار (١٠٧/١)، وأمثال العرب؛للمفضل الضبي (٩٧/١)، والفاخر؛ للمفضل بن سلمة (٤٥/١)ومجمع الأمثال (١٢٧/١)وحياة الحيوان الكبرى؛ للدميري (٢٤/٢).

(٦) البيت من البسيط، وقد نسب لعلي بن أبي طالب، وكذا نسب لسابق البربري سابق بن عبد الله البربري، أبو سعيد: شاعر، من الزهاد، له كلام في الحكمة والرقائق، وهو من مولي بني أمية، والبربري لقب له، ولم يكن من البربر، سكن الرقة، وكان يفد على عمر بن عبد العزيز، فيستنشده عمر، فينشده من مواعظه. انظر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٧/٢٠) و (١٣٦/٥٣)، والأعلام للزركلي (٦٩/٣).

والبيت في: الأمثال المولدة (٤٨٨/١)، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال؛ للبكري (٣٢٣/١)، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (٢٣٩/١)، والقوافي؛ للتنوخي (٩٩/١).

قالوا: والدليل على أن هذه اللام لام العاقبة أن الله عز وجل خلق الخلق للعبادة كما قال جل ذكره ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [1] فأما التشبيه بالأنعام فيجوز أن يكون على معنى أنهم لم ينتفعوا علموا وأبصروا وسمعوا كما يقال لمن تشبه بالحمار في البلادة حمار ولمن يشبه الأسد في الجرأة أسد ويجوز أن يكون معنى التشبيه[2] في جهلهم بمنافعهم كالأنعام التي تجهل منافعها بل هم أضل من الأنعام فإن الأنعام لا تجلب إلى نفسها مضرة الآخرة وهم يجلبون، والأنعام لم تعط التمييز وهؤلاء أعطوا فمنعوا[3].

قوله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾.

رُوي في سبب نزول هذه الآية أن رجلاً دعا[4] الله تعالى في صلاته ودعا الرحمن فقال أبو جهل أليس يزعم محمد ﷺ وأصحابه أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يعبد ربين اثنين فأنزل الله عز وجل هذه الآية[5]، ومعناها[6]: ولله الصفات العلى وهو الرحمن الرحيم والعزيز الجبار والمؤمن والمهيمن وأشباه ذلك من الصفات التي تحسن معانيها.

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦.

(٢) في أ زيادة (أنه).

(٣) وتقدم الجواب عن ذلك والرد على هذا القول.

(٤) في أ زيادة (إلى) وقد كتبت في الأصل ثم مُحيت.

(٥) لم أجده مسندا في شيء من الكتب، وإنما ذكره المفسرون هكذا مرسلا.

انظر: مقاتل في تفسيره (٧٦/٢، ٧٧، ٤٧٢، ٥٥٥)، وبحر العلوم للسمرقندي (٥٦٩/١)، تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي ا(٣٠٦/٣)، تفسير الكشف والبيان (٣١٠/٤)، وتفسير الثعلبي (٣١١/٤)، وزاد المسير (٥٦٤/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٢٥/٧)، وفتح القدير؛ للشوكاني (٣٠٥/٢).

(٦) (ومعناها) لا توجد في أ.

وقوله عز وجل : ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾ أي: بالأسماء التي وصف بها نفسه ولا ينبغي أن يقول الرجل في الدعاء يا سخي يا رفيق يا جَلدُ؛ ولكن ليقل: يا جواد يا رحيم يا قوي[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ ﴾ فيه قراءتان يُلحدون بضم الياء من الإلحاد، ويَلحدون بنصب الياء والحاء[٢]، واللَحد والإلحاد بمعنى واحد وهو الميل عن القصد [٣]؛ فإن الكفار كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن وكانوا يجادلون المؤمنين في ذلك،

---

(١) وذلك لأن أسماء الله عز وجل توقيفية ومن الإلحاد فيها أن ننسب إلى الله اسماً لم يسمي به نفس ولا نبيه ﷺ، ولذا قال الزجاج: "لا ينبغي أن يدعوه أحد بما لم يصف نفسه به، أو لم يسم به نَفْسَه. فيقول في الدعاءِ. يا الله يَا رَحْمَنُ يَا جَوَادُ، ولا ينبغي أن يقول:" يا سبحان " لأنه لم يصف نفسه بهذه اللفظة. وتقول يا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، وتقول يا قوي، ولا تقول يا جَلْدُ"، معاني القرآن للزجاج (٢/٣٩٢)، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٥/٤١٤، ٤١٥)، وتفسير السمعاني (٢/٢٣٥)، وتفسير ابن عطية (٢/٤٨٠)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٢٠).

(٢) "قرأ حمزة وذروا الذين يَلحَدون بفتح الياء والحاء، وقرأ الباقون يُلحِدون بضم الياء وكسر الحاء، قال الكسائي : هما لغتان يقال لحد وألحد" انظر : حجة القراءات لابن زنجلة (١/٣٠٣).

وقال أبو بكر بن مجاهد: "وَاخْتلفُوا فى ضم الْيَاء وَفتحهَا من قَوْله {يلحدون} (١٨٠) فَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَابْن عَامر وَعَاصِم وَأَبُو عَمْرو {يلحدون} بِضَم الْيَاء وَكَذَلِكَ فى النَّحْل (١٠٣) والسجدة (٤٠) وَقَرَأَ حَمْزَة الثَّلَاثَة الأحرف بِفَتْح الْيَاء والحاء، وَقَرَأَ الكسائى فى النَّحْل {الَّذين يلحدون} بِفَتْح الْيَاء والحاء، وَقَرَأَ فى الْأَعْرَاف {يلحدون} مثل أَبى عَمْرو وَكَذَلِكَ فى السَّجْدَة، السبعة في القراءات (١/٢٩٨).

وانظر: الحجة في القراءات السبع؛ لابن خالويه (١/١٦٧)، والتيسير في القراءات السبع (١/١١٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/٧٧)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (١/٢٥١)، لسان العرب (٣/٣٨٨) مادة (لحد)، وتهذيب اللغة (٤/٢٤٣)، والصحاح؛ للجوهري (٢/٥٣٤) مادة (لحد)، وتاج العروس (٩/١٣٥) مادة (لحد)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (١/٢٤٨).

ويقال معنى يلحدون: يضاهون في أسماء الله عز وجل مثل قولهم اللات من الله عز وجل، والعزى من العزيز، وهبل من العظيم[١].

وقوله: ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ وعيد لهم على الكفر والتكذيب .

قوله عز وجل : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس: وذلك أنه لما ذكر الله عز وجل "﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾" قال أناس من أصحاب النبي ﷺ ذكر الله عز وجل هؤلاء (الرهط)[٢] بالخير الجسيم وإن آمنوا بك وصدقوك جعل لهم أجرين ولنا أجراً واحداً ونحن صدقناك بالرسل والكتب فأنزل الله عز وجل ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [٣] يعني أمة محمد ﷺ[٤].

ولا يخلوا الزمان من فرقة منهم علماء أتقياء يدعون الناس إلى الحق، وفي الآية ما يدل على هذا؛ لأن الله عز وجل أمر بالتعلم من العلماء حيث قال: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها فاقتضى مجموع الآيتين أنه [٥] لا يخلو الزمان من جماعة يكونون متمسكين بالحق ويعلمون

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٢٨٢/١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٢٣/٥)، وبحر العلوم (٥٧٠/١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٥٥/٢)، وتفسير الثعلبي (٣١١/٤)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣١/٢)، وتفسير السمعاني (٢٣٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٤/٢).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا يوجد في الأصل.

(٣) انظر : بحر العلوم (٥٧١/١) ولم يسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر : جاء ذلك عن ابن جريج مرسلا، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٦/١٣)، وجاء عن قتادة، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠١/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٣/٥)، وانظر: تفسير مقاتل (٧٧/٢)، وتفسير الطبري (٢٨٦/١٣)، تفسير ابن عطية (٤٨٢/٢)، وبحر العلوم (٥٧١/١)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٣/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣١/٢)، والوجيز للواحدي (٤٢٣/١)، وتفسير السمعاني (٢٣٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٤/٢).

(٥) في أ زيادة (لا يجوز).

الناس علم الدين، وليس في الآية التي نزلت في قوم موسى عليه السلام/ ما يقتضي إحالة سائر الناس عليهم، ولا يجوز أن يكون المراد بهذه الآية زمان النبي ﷺ خاصة؛ لأن ذلك كان معلوما من حال النبي ﷺ؛ لظهور المعجزات عليه، ولا يجوز أن يكون المراد به وقتاً بعده؛ لأن ذلك الوقت مجهول فكان لا يفيد الآية شيئاً، فعلم أن المراد بالآية جميع الأوقات؛ فإن إجماع هذه الأمة حجة على من بعدهم[١]. ٤=ب

قوله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

معناه: والذين كذبوا بدلائلنا وحججنا سنحطهم إلى العذاب درجة درجة [٢] إلى أن يبلغوا إلى العذاب.

---

(١) وكأن المؤلف هنا يرد على الطوسي في تفسيره لهذه الآية، وموافقا في تفسيرها للجبائي، حيث **قال الرازي**: "قالَ الْجُبَّائِيُّ: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَخْلُو زَمَانٌ الْبَتَّةَ عَمَّنْ يَقُومُ بِالْحَقِّ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَهْدِي إِلَيْهِ وَأَنَّهُمْ لَا يَجْتَمِعُونَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ عَلَى الْبَاطِلِ، لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ زَمَانَ وُجُودِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وهو الزَّمَانُ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ. أَوِ الْمُرَادُ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ زَمَانٌ مِنَ الْأَزْمِنَةِ حَصَلَ فِيهِ قَوْمٌ بِالصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ، أَوِ الْمُرَادُ مَا ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَخْلُو زَمَانٌ مِنَ الْأَزْمِنَةِ عَنْ قَوْمٍ مَوْصُوفِينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ. لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ ظَاهِرًا لِكُلِّ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ عَلَى الْحَقِّ، فَحَمْلُ الْآيَةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى يُخْرِجُهُ عَنِ الْفَائِدَةِ، وَالثَّانِي بَاطِلٌ أَيْضًا، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ زَمَانٌ مَا فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ حَصَلَ فِيهِ جَمْعٌ مِنَ الْمُحِقِّينَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِسْمُ الثَّالِثُ. وَهُوَ أَدَلُّ عَلَى أَنَّهُ مَا خَلَا زَمَانٌ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْمُحِقِّينَ وَأَنَّ إِجْمَاعَهُمْ حُجَّةٌ، وَعَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إِجْمَاعَ سَائِرِ الْأُمَمِ حجة". انظر : مفاتيح الغيب (١٥/٤١٧).

وقال النحاس: "فدلّ الله جلّ وعزّ بهذه الآية أنه لا تخلو الدنيا في وقت من الأوقات من داع يدعو إلى الحق"، إعراب القرآن (٢/٨٢).

وقال ابن عطية معلقا على كلام النحاس: "سواء بعد صوته أو كان خاملا، وروي عن كثير من المفسرين أنها في أمة محمد ﷺ، وروي في ذلك حديث رسول الله ﷺ قال: هذه الآية لكم، وقد تقدم مثلها لقوم موسى"، تفسير ابن عطية (٢/٤٨٢).

(٢) في أ (فدرجة).

قال القَتْبي[١] (**ابن قُتَيْبة**)[٢]: تقول العرب استدرج فلاناً حتى تعرف ما صنع أي لا تجاهره ولا تعافسه؛ ولكن كلمه درجة فدرجة حتى تعرف حقيقة ما فعل[٣]، ويقال الاستدراج من الدرج وهو الطي كأنه قال سندنيهم من بأسنا قليلا قليلا من حيث لا يعلمون[٤]، وذكر بعض المفسرين في معنى الآية: أنهم كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة فأنسيناهم شكر النعمة والاستغفار من الخطيئة فإذا سكنوا إلى النعمة وحُجِبوا[٥] عن شكر النعم أُخذوا[٦].

قوله عز وجل : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ ﴾.

معناه: أمهلهم وأطيل لهم المدة ؛ فإنهم لا يفوتوني ولا يفوتني عذابهم ولا يعجزونني عن تعذيبهم[٧].

---

(١) القَتْبي: قال ابن القيسراني: "مَنْسُوب إِلَى جده وَهُوَ عبد الله بن مُسلم بن قُتَيْبَة نسب إِلَى جده قُتَيْبَة بَعضهم يَقُول القَتْبي وَبَعْضهمْ يَقُول القتيبي وَهُوَ عجمي الأَصْل"، المؤتلف والمختلف (١/١١٣).

(٢) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ قُتَيْبَةَ الدَّيْنَوَرِيُّ، أبو محمد، سكن بغداد، عَالِمٌ، جَامِعٌ، مَشْهُورٌ بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَلَهُ فِي الْحَدِيثِ مَحَلٌّ، وَفِي التَّارِيخِ مَشْهُورٌ، مات في رجب سنة ٢٧٦هـ. انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث (٢/٦٢٦)، وتاريخ بغداد (١١/٤١١)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء (١/١٥٩)، إنباه الرواة ؛ للقفطي (٢/١٤٣).

(٣) انظر: غريب القرآن؛ لابن قتيبة (١/٤٨١)، ونسبه إليه السمرقندي؛ بحر العلوم (١/٥٧١).

(٤) انظر هذا المعني: تفسير الشافعي (٢/٨٦٢)، و بحر العلوم (١/٥٧١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٥/٢٤)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٢)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢/٢٨٣).

(٥) في أ (وجنحوا).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١٣/٢٨٧) و (٢٣/٥٦١)، وحكاه الثعلبي عن ابن عباس والضحاك، التفسير (٣/٧٨) و (٤/٣١٢)، وزاد المسير (٣/٢٩٥)، والتفسير الوسيط (٢/٤٣١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥٥)، وحكاه السمرقندي عن السدي؛ بحر العلوم (١/٥٧١)، وحكاه السيوطي عن يحي بن وثاب؛ الدر المنثور (٣/٦١٨).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٣/٥٦٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٢٩)، تفسير الخازن (٢/٣٢٠).

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴾ أي صنعي شديد محكم، والكيد: هو الأضرار بالإنسان من حيث لا يشعر به[١]، والإملاء مأخوذ من (الملاوة)[٢] وهو الحين ويقال تمليت مع فلانا حينا؛ أي: عشت معه زماناً[٣].

وقوله عز وجل :﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾.

قال الحسن ؛ وقتادة[٤] رضي الله عنهما: وذلك أن النبي ﷺ صعد إلى الصفا ذات ليلة يدعو قريشاً إلى عبادة الله عز وجل بأسمائهم قبيلة قبيلة وفخذا فخذا يا بني فلان يحذرهم بأس الله عز وجل وعقابه فقال المشركون إن صاحبهم قد جُن بات ليلهُ يصوت إلى الصباح فأنزل الله عز وجل هذه الآية[٥].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٧٩/١٠) مادة (كود)، ومجمل اللغة (٧٧٤/١) مادة (كيد)، ومقاييس اللغة (١٤٩/٥)،ولسان العرب (٣٨٣/٣) مادة (كيد)، تاج العروس (١٢٢/٩) مادة (كيد)، والمعجم الوسط (٨٠٧/٢)

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (الملأ).

(٣) أَمْلَى لَهُ: طَوَّلَ لَهُ وَمَدَّ لَهُ وَالْمُلَاوَةُ: الدَّهْرُ عِشْتُ مُلَاوَةً مِنَ الدَّهْرِ، المِلاوة والملاوة : الحِين، وقال الأزهري: " مَلوة من الدَّهْر، ومُلوة، ومِلوة، ومَلاوة؛ وهُذيل تَقول: مَلاَوة؛ وبعضُ الْعَرَب يَقُول: مُلاَوة، كُله من الطُّول" انظر: معجم= =مقاييس اللغة انظر : (٣٤٦/٥)، غريب الحديث؛ للحربي (٣٣٦/١)، وتهذيب اللغة (٢٩١/١٥)، والصحاح (٢٤٩٦/٦)، ولسان العرب (٢٩١/١٥)مادة (ملا)، وتاج العروس (٥٥٣/٣٩) مادة (ملو).

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري ثقة ثبت يقال ولد أكمه وهو رأس الطبقة الرابعة مات سنة بضع عشرة ع. انظر: الجرح والتعديل (١٣٣/٧)، وتهذيب الكمال (٤٩٨/٢٣)، والتقريب (٥٥٥٣).

(٥) جاء عن قتادة مرسلا، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٩/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٤/٥).

وانظر : تفسير مقاتل (٤٢٧/١)، وبحر العلوم (٥٧١/١)، وتفسير الثعلبي (٣١٢/٤)، وزاد المسير(٢٩٦/٣)، ومفاتيح الغيب (٦٢/١٥)، والتفسير الوسيط (٤٣٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٣٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٥/٢)، والمحرر الوجيز؛ لابن عطية (٤٨٣/٢)، وتفسير الخازن (٢٧٧/٢)، وروح المعاني (١١٩/٥).

ومعنى الآية: أولم يتفكروا بقلوبهم ليعلموا ويستيقنوا ما بمحمد ﷺ من جنون وما هو إلا مُعلِّم بموضع المخافة ليتقى وبموضع [١] الأمن ليُبتغى[٢].

وقوله عز وجل: ﴿ مُّبِينٌ ﴾ أي بيّن أمره، فهلا يُجالسه الكفار فيطلبوا حقيقة أمره ويتفكروا في دلائله ومعجزاته، ثم وعظهم الله عز وجل ليستدلوا على توحيده، فقال عز من قائل : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾.

معناه: أولم ينظروا في السموات والأرض طالبين لما يدلهم على وحدانية الله عز وجل وعلى صدق الرسول فيما دعاهم إليه، والملكوت الملك العظيم، والمراد بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ ما خلقه الله عز وجل بعد السموات والأرض؛ فإن ذلك يدل على توحيد الله عز وجل مثل ما تدل السموات والأرض.

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ ﴾معناه: أولم ينظروا في أن عسى أن يكون قد دنى هلاكهم بعد قيام الحجة عليهم.، وقوله عز وجل : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾

(١) (وبموضع) لا توجد في أ.

(٢) وفي نظم الدرر للبقاعي : وأصل الإنذار الإعلام بموضع المخافة ليتقى، انظر : نظم الدرر (١٢٨/٤).

وانظر في معنى ما ذكر: تفسير ابن فورك (٣١١/١) و (٤٩/٣)، ومفاتيح الغيب؛ للرازي (٥٣٩/١٢)، وتفسير النيسابوري (٨٤/٣)، ولسان العرب (٢٠١/٥) مادة (نذر)، والصحاح (٨٢٥/٢) مادة (نذر).

معناه إن لم يؤمنوا بهذا القرآن مع وضوح دلائله فبأي حديث بعده يؤمنون[١] وليس بعده كتاب منزل ولا نبي مرسل[٢] .

قوله عز وجل : ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ .

معناه من يخذله الله عن دينه فلا هادي له إليه، ويقال من يحكم الله بضلاله على جهة الذم لا أحد يقدر على أن يحكم له بالهدى[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ معناه: ويدعهم في مجاوزتهم الحد في كفرهم يتحيرون ولا[٤] يرجعون إلى الحق، ومن قرأ يذرْهم بالجزم فعلى جواب الشرط عطفٌ على موضع الفاء المعنى من يضلل الله يذره في طغيانه عامهاً[٥] ومن قرأ نذرُهم بالنون وضم الراء فهو على سبيل الاستئناف أيضاً كالأول[٦]، والعَمَهُ في القلب معنىً يمنع من إدراك الحق ، كما أن العمى في العين معنىً يمنع من الإدراك بالعين[٧].

---

(١) (معناه إن لم يؤمنوا بهذا القرآن مع وضوح دلائله فبأي حديث بعده يؤمنون...) لا توجد في أ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٩٠/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٢)، بحر العلوم (٥٨٤/١)، والتفسير الوسيط (٤٣٢/٢).، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٥/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٤٢١/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٣٤/٧)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٢١/١)، وتفسير الخازن (٢٧٨/٢).

(٣) قد سبق الكلام عن هذا التفسير.

(٤) في أ (فلا).

(٥) في أ (عليها) والصواب ما في الأصل.

(٦) "قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَابْن عَامر {ونذرهم} بالنُّون وَالرَّفْع وَقَرَأَ أَبُو عَمْرو {ويذرهم} بِالْيَاءِ وَالرَّفْع وَكَذَلِكَ قَرَأَ عَاصِم فى رِوَايَة أَبى بكر وَحَفْص {ويذرهم} بِالْيَاءِ مَعَ الرّفْع، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائى {ويذرهم} بِالْيَاءِ مَعَ الْجَزْم"، السبعة في القراءات (٢٩٩/١)، وانظر: حجة القراءات (٣٠٣/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٥/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٣١/١).

(٧) انظر: تفسير العز بن عبد السلام (٥١٦/١).

قوله عز وجل : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ **قال عبد الله بن عباس**: إن قوماً من اليهود أتوا النبي ﷺ فسألوه عن الساعة وعن مسائل أُخر ليمتحنوه بها؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآية أي يسألونك عن قيام الساعة[(١)].

وقال الحسن وقتادة رضي الله عنهما: سألت عنها قريش متى القيامة التي تخوفنا بها[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ كلام مختصر معناه: أي أوان قيامها ومتى ثباتها[(٣)]،

---

(١) الحديث أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٢/١٣)، وأخرجه ابن هشام في السيرة (١٥٥/٢).

وانظر: زاد المسير (٢٩٧/٣)، والنكت والعيون (٢٨٤/٢)، وتفسير الخازن (٢٨٧/٢)، وتفسير ابن كثير (٥١٨/٣)، والدر المنثور (٦١٩/٣).

(٢) أخرجه الطبري عن قتادة، التفسير (٢٩٢/١٣).

قال الطبري: " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قومًا سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة، فأنزل الله هذه الآية وجائز أن يكون كانوا من قريش وجائز أن يكونوا كانوا (١) من اليهود؛ ولا خبر بذلك عندنا يجوِّز قَطْعَ القول على أيّ ذلك كان"، تفسير الطبري (٢٩٣/١٣).

وذكر ابن كثير القولين وقال:" الأول أشبه" (يقصد هذا القول) ، تفسير ابن كثير (٥١٨/٣).

وانظر: تفسير مقاتل (٤٢٧/١)، وزاد المسير (٢٩٧/٣)، مفاتيح الغيب (٦٥/١٥)، والنكت والعيون (٢٨٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣٤/٢)، وتفسير الخازن (٢٨٧/٢)، والدر المنثور (٦١٩/٣).

(٣) جاء ذلك عن قتادة والسدي، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٣/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٦/٥).

قال المَاوَرْدِي: " فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: قيامها ، قالها السدي. والثاني: منتهاها ، قاله ابن عباس. والثالث: ظهورها ، قاله الأخفش"، النكت والعيون (٢٨٤/٢).

يقال رسى الشيء يرسوا إذا ثبت وأرسيته إذا أثبته[١] ومثله الجبال الراسيات أي الثابتات، وقيل: إن المرسى مستقر الشيء الثقيل[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ معناه: علم قيامها عند الله سبحانه وتعالى مالي بها من علم، لا يجليها لا يظهرها لحينها ولا يكشف عن وقتها إلا الله عز وجل، ووجه الامتناع عن/ الإجابة عن بيان وقتها أن العباد إذا لم يعرفوا وقت قيامها كانوا على حذر من ذلك فيكون ذلك أدعى للطاعة (وأزجر)[٣] عن المعصية[٤]. ٥= أ

وقوله عز وجل : ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ **قال الحسن** رضي الله عنه: ثقل وضعها (على)[٥] أهل السموات والأرض من انتشار النجوم وتكوير الشمس وتسيير الجبال[٦].

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢٨١/٥) ، بحر العلوم (٥٧٢/١)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٥٦/٢)، وتفسير ابن فورك (١٤٥/٣)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٣٧/٢)، وغريب القرآن؛ للسجستاني (٦٠/١).

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس (١١٠/٣)، وإعراب القرب؛ للنحاس (٨٣/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٣/٢)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٧٥/١)،

(٢) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٢١١/٤)، ولسان العرب (٣٢١/١٤) مادة (رسا).

(٣) مابين المعكوفتين من أ وفي الأصل (والتنزه).

(٤) انظر : مفاتيح الغيب (٤٢٣/١٥)، وتفسير اللباب (٤١١/٩)، وتفسير الخازن (٢٧٨/٢)، والبحر المحيط (٢٣٧/٥)، وتفسير ابن كثير (٥٢١/٣).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا يوجد في الأصل.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٧/٥).

وانظر: تفسير الطبري (٢٩٦/١٣)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٥/٢)، مفاتيح الغيب (٦٦/١٥)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٢١١/٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٣/٢)، وبحر العلوم (٥٧٣/١)، وتفسير الثعلبي (٣١٣/٤)، الوجيز؛ للواحدي (٤٢٤/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٦/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٨٤/٢)، و زاد المسير (١٧٥/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٢٤/١٥)، وتفسير ابن جزي (٣١٥/١).

وقال قتادة رضي الله عنه: ثقلت على السموات والأرض فلا تطيقها لعظمها[١].

وقال السدي[٢] رضي الله عنه ثقل علمها على أهل السموات والأرض فلم يطيقوه إدراكاً له وكل شيء خفي فقد ثقل[٣].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٦/١٣).

وانظر: ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٣/٢)، مفاتيح الغيب (٦٦/١٥)، تفسير اللباب (٤١١/٩)، وبحر العلوم (٥٧٣/١)، وتفسير ابن عطية (٤٨٤/٢)، و زاد المسير (١٧٥/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٣٥/٧)، وتفسير ابن جزي (٣١٥/١)، وتفسير ابن كثير (٥١٩/٣).

(٢) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال أبو محمد الكوفي صدوق يهم ورمي بالتشيع من الرابعة مات سنة سبع وعشرين، انظر : تقريب التهذيب (١٤١/١)، وانظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٦٤/٥)

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٥/١٣)، و أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٢٧/٥).

قال ابن الجوزي: " فيه أربعة أقوال: أحدها: ثَقُل وقوعها على أهل السماوات والأرض، قاله ابن عباس، ووجهه أن الكلَّ يخافونها، محسنهم ومسيئهم. والثاني: عظُم شأنها في السماوات والأرض، قاله عكرمة، ومجاهد، وابن جريج. والثالث: خفي أمرها، فلم يُعلم متى كونها، قاله السدي. والرابع: أن «في» بمعنى «على» فالمعنى: ثقلت على السماوات والأرض، قاله قتادة."، زاد المسير (١٧٥/٢).

قال الطبري: " وأولى ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها؛ لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحدًا"، التفسير (٢٩٦/١٣)، واختاره ابن كثير ، التفسير (٥١٩/٣).

وانظر: وأحكام القرآن؛ للجصاص (٢١١/٤)، وبحر العلوم (٥٧٣/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٦/٢)، وتفسير ابن عطية (٤٨٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٢٤/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٣٥/٧)، وتفسير ابن جزي (٣١٥/١).

وقوله عز وجل : ﴿ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ أي إلا فجأة، لا تعلمون وقتها؛ فإن مجيئها على هذه الصفة يكون أهول وأشق عليهم(١).

وقوله عز وجل : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ﴾ **قال الضحاك ؛ ومجاهد**(٢) رحمهما الله معناه: كأنك عالم بها(٣).

وقال ابن عباس والحسن رضي الله عنهما: هذا على التقديم والتأخير معناه يسألونك عنها كأنك حفي بهم أي بارٌ لطيفٌ بهم من قوله عز وجل (٤)

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/٧٨)، وتفسير الطبري (١٣/٢٩٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٣٩٣)، وبحر العلوم (١/٥٧٣)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٣)، والنكت والعيون (٢/٢٨٥)، والتفسير الوسيط (٢/٤٣٤)، وتفسير السمعاني (٢/٢٣٧)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥٦).

(٢) مجاهد بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ثقة إمام في التفسير وفي العلم من الثالثة مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون ع. انظر: الجرح والتعديل (٨/٣١٩)، وتهذيب التهذيب (١٠/٤٢)، التقريب (٦٤٨١)، وطبقات المفسرن؛ للأدنوي (١/١١).

(٣) تفسير مجاهد (١/٣٤٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٢٩٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٢٨).

وقال به كذلك: ابن زيد ومعمر. =

=وانظر: تفسير مقاتل (٢/٧٨)، وبحر العلوم (١/٥٧٣)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٣)، وزاد المسير(٣/٢٩٨)، النكت والعيون (٢/٢٨٥)، والتفسير الوسيط (٢/٤٣٤)، وتفسير السمعاني (٢/٢٣٨)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٢٩٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٢٨).

وكذا قال به قتادة وعكرمة وأبو مالك والسدي، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/١٠٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٢٩٨).

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٣٩٤)، وبحر العلوم (١/٥٧٣)، والنكت والعيون (٢/٢٨٥)، وغرائب التفسير (١/٤٣٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥٦)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/١٨٥)، والمحرر الوجيز (٢/٤٨٤)، وإيجاز البيان (١/٣٥٠)، وزاد المسير (٢/١٧٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٣٦)،

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾"[١].

وقيل: إن لفظ اللطيف يستعمل في غوامض الأمور؛ كأنه قال: يسألونك عن ذلك كأنك لطيف بعلمها[٢]؛ وكأنك بفضل منزلتك عند الله عز وجل فقد خصك الله بهذا العلم ولم يكتمه عنك؛ وقد وُصِف جل ذكره اللطيف الخبير على هذا المعنى، وأصل الإحفاء في اللغة من الإلحاح في الأمر يقال أحفى في السؤال إذا ألح فيه ومنه إحفاء الشارب وهو الاستقصاء في أخذه ومنه الحفآء ممدود وهو أن يمشي الرجل بغير نعل[٣]، ويقال أحفى الدابة[٤] إذا كثّر المشي حتى يؤلمه[٥]

وتفسير البيضاوي (٤٤/٣)، وتفسير ابن جزي (٣١٥/١)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٣٩٩/١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٨٣/٢)، وأحكام القرآ؛ للجصاص (٢١١/٤)، وروح المعاني (١٢٤/٥).

وقال السمين الحلبي: "وقال أبو البقاء: «في الكلام تقديمٌ وتأخير، ولا حاجةَ إلى ذلك لأن هذه كلَّها متعلقاتٌ للفعل فإنَّ قولَه: /» كأنك حفيٌّ «حال كما تقدم. والثاني أنَّ» عن «بمعنى الباء كما أن الباء بمعنى عن كقوله: {فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً} (الفرقان: ٥٩) {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السمآء بالغمام} (الفرقان: ٢٥) لأن حَفِي لا يتعدَّى ب» عن «بل بالباءِ كقوله: {كَانَ بِي حَفِيّاً}"، الدر المصون (٥٣١/٥).

(١) سورة مريم آية ٤٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠٠/١٣).

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٩٤/٢)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٧٥/١)،، وغريب القرآن؛ للسجستاني (١٨٩/١)، والدلائل في غريب الحديث ؛ للسرقسطي (٩٦/١)، تهذيب اللغة(١٦٦/٥) مادة (حفا)، والصحاح (٢٣١٦/٦) مادة (حفا)، ومجمل اللغة (٢٤٣/١) مادة (حفو)، ولسان العرب (١٨٦/١٤) مادة (حفا)، والقاموس المحيط (١٢٧٥/١)، وتاج العروس (٤٤٩/٣٧).

(٤) في أ زيادة (يحفي حفاءً إذا كثّر ...).

(٥) انظر : المراجع السابقة.

ومن[١] هذا قيل: معنى قوله كأنك حفي عنها كأنك أكثرت المسألة عنها[٢]، أي هم لا يعلمون أنك لا تسأل عنها لأنك تعلم أن علمها عند الله عز وجل.

ويقال معنى حفى: فرح بمسألتهم من قولهم تحفيت بالمسألة إذا (سألت)[٣] سؤالاً أظهرت فيه البر والمحبة [٤].

وقيل معناه: كأنك حاكم بها، يقال تحافينا إلى فلان أي تحاكمنا إليه، والحافي هو الحاكم[٥].

وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يجوز أن تكون الفائدة في إعادة قوله ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا ﴾ رد المعلومات كلها في هذا الباب إلى الله عز وجل فيكون التكرار على وجه التأكيد[٦] ، ويقال أراد بالأول علم وقتها وبالثاني علم كنهها[٧]، وقيل: إنما أعيد علمها

---

(١) في أ (وعن هذا).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٣٩٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٢٤/١٥)، والتفسير الوسيط (٤٣٤/٢)، والتحرير والتنوير (٢٠٤/٩).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (وإذا سُئل).

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٩٣/٢-٣٩٤)، غريب القرآن للسجستاني (١٨٩/١)، تهذيب اللغة (١٦٦/٥) مادة (حفا)، لسان العرب (١٨٦/١٤) مادة (حفا)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٨٥/٢)، وزاد المسير (١٧٥/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٣٦/٧).

(٥) انظر : لسان العرب (١٨٨/١٤) مادة (حفا)، وتهذيب اللغة (١٦٧/٥) مادة (حفا).

(٦) انظر : المحرر الوجيز (٥٥٦/٢)، وتفسير أبي السعود (٣٠١/٣)، وتفسير الجلالين (٢٢٢/١)، والبحر المحيط (٢٣٩/٥)، (٢٣٩/٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٢٣/١)، ومفاتيح الغيب (٤٢٤/١٥).

(٧) **قال الخازن**: "ليس فيه تكرار لأن السؤال الأول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوالها من ثقلها ثقلها وشدائدها فلم يلزم التكرار"، تفسير الخازن (٢٧٩/٢).

وقال النحاس: "ليس هذا تكريرا ولكن أحد العلمين لوقوعها، والآخر لكنها"، إعراب القرآن؛ للنحاس (٨٣/٢).

وانظر: مفاتيح الغيب (٤٢٤/١٥).

عند الله؛ لأنها موصولة بقوله تعالى "﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ " أي لا يعلمون أنها كائنة[١] وأن علمها عند الله تعالى، وفي الآية دلالة على بطلان قول من يدعي العلم ببقاء مدة الدنيا ويستدل بما روي أن الدنيا سبعة آلاف سنة[٢]، وأن الباقي منها من وقت مبعث النبي ﷺ خمسمائة؛ لأنه لو كان كذلك لكان وقت قيام الساعة معلوماً، وقد أخبر الله عز وجل أن علمها عند الله تعالى، وأنها لا تأتي إلا بغتة؛ لم يتقدم لهم علم فيها قبل كونها؛ لأن ذلك معنى البغتة.

وأما ما روي عن النبي ﷺ أنه قال "بعثت أنا والساعة كهاتين - وأشار إلى السبابة والوسطى-"[٣] فمعناه تقريب الوقت لا تحديد الوقت كما قال عز وجل " ﴿ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾ "[٤] أي أن مبعث النبي ﷺ من أشراطها[٥].

---

(١) (أنها كائنة) لاتوجد في أ.

(٢) جاء عن ابن عباس، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٦/١١) حديث رقم (١١١٦٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٦٥٤/٢) حديث رقم (٤١٧١)، وأخرجه الضياء في المختارة (٣٥٤/١٠) حديث رقم (٣٨٠).

وجاء عن عبدة بن أبي لبابة، أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (١٤٢٩/٤).

وجاء عن أنس، أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٣/٢٣)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٣/٣) وقال: موضوع، وقال السخاوي: لا يصح، انظر: كشف الخفاء (٣٨٠/٢).

قال الألباني: موضوع، السلسلة الضعيفة، ضمن (٣٦١١).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٦/٦) حديث رقم (٤٩٣٦) كتاب تفسير القرآن، بَابُ {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ: ١٨] : زُمَرًا، وأخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٢/٢) حديث رقم (٨٦٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ.

(٤) سورة محمد آية ١٨.

(٥) وهو قول الحسن، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٢٩٨/١٠).

قولـه عـز وجـل : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك الله بالبيع الرخيص قبل أن يغلوا فتشتريه بالربح[١] فتربح عليه، وبالأرض التي تريد أن تجدب فترتحل عنها إلى ما هو أخصب، فأنزل الله عز وجل هذه الآية[٢].

ومعناها والله أعلم: قل يا محمد ﷺ لا أقدر على نفع أجره إلى نفسي، ولا على ضر أدفعه عن نفسي إلا ما شاء الله عز وجل أن يملكني بالتمكين من ذلك من غير مَهْنٍ[٣]،

وانظر: تفسير مقاتل (٤/٤٨)، أحكام القرآن للجصاص(٤/٢١٢)، بحر العلوم (٣/٣٠١)، وتفسير ابن أبي زمنين (٤/٢٤١)، وتفسير الثعلبي (٩/٣٣)، والنكت والعيون (٥/٢٩٩)، والوجيز؛ للواحدي (١/١٠٠٣)، وتفسير السمعاني (٥/١٧٦)، وغرائب التفسير؛ للكرماني (٢/١١٠٦)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٤/٢١٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦/٢٤٠).

(١) (بالربح) لا توجد في أ

(٢) جاء ذلك ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم (٥/١٦٢٩).

وجاء عن الكلبي، أسباب النزول؛ للواحدي (١/٢٢٨)، تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥٦-٢٥٧)

قال المَاوَرْدِي: "فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: لاستكثرت من العمل الصالح ، قاله الحسن ، وابن جريج. والثاني: لأعددت من السنة المخصبة للسنة المجدبة ، قاله الفراء. والثالث: وهو شاذ: لاشتريت في الرخص وبعْت في الغلاء"، النكت والعيون (٢/٢٨٥)، وانظر: تفسير الطبري (١٣/٣٠٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٣٩٤)، وبحر العلوم (١/٥٧٣)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٤)، وتفسير السمعاني (٢/٢٣٨)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٥٧)، وتذكرة الأريب؛ لابن الجوزي (١/١٢٣)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (١٥/٤٢٥).

(٣) انظر : تفسير الطبري (١٣/٣٠٢)، بحر العلوم للسمرقندي (١/٥٧٣)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٤)، والنكت والعيون (٢/٢٨٥)، والمحرر الوجيز (٢/٤٨٥)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٢٦).

والملك هو التمكين من الشيء من غير حائل بينه وبينه إلا أن الحائل تارة يكون هو المنع[١] وتارة يكون هو التقى[٢]؛ إذ الحكمة تكون حائلة بين الإنسان وبين ما يزجره عنه.

وقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لو كنت أعلم الغيب أي جدوبة الأرض وقحط المطر لاتخذت[٣] من السنة المخصبة للسنة[٤] المجدبة[٥] وما مسني الفقر[٦].

---

(١) (تارة يكون هو المنع) لا توجد في أ.

(٢) في أ (النفي).

(٣) في أ (لادخرت).

(٤) (للسنة) لا توجد في أ.

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء (٣٩٤/٢)، تفسير الطبري (٣٠٢/١٣)، بحر العلوم للسمرقندي (٥٧٣/١)، وتفسير الثعلبي (٣١٤/٤)، والتفسير الوسيط (٤٣٤/٢)، والوجيز؛ للواحدي (٤٢٥/١)، وتفسير السمعاني (٢٣٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٧/٢)، والمحرر الوجيز (٤٨٥/٢)، وتذكرة الأريب (١٢٣/١)، وزاد المسير (١٧٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٢٦/١٥)، وتفسير العز ابن عبد السلام (٥١٧/١).

(٦) انظر : بحر العلوم (٥٧٣/١)، والتفسير الوسيط (٤٣٤/٢)، والوجيز؛ للواحدي (٤٢٥/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٧/٢)، وتفسير العز ابن عبد السلام (٥١٧/١).

الثاني: لو كنت أعلم الغيب أي متى أموت لبادرت بالأعمال الصالحة قبل اقتراب الأجل ولم اشتغل بغيرها ولاخترت الأفضل فالأفضل منها[١] وما بي جنون ولا آفة كما تقولون[٢] .

والثالث: لو كنت أعلم متى قيام الساعة لبادرت بالجواب عن سؤالكم عن الساعة فإن المبادرة إلى جواب السائل يكون استكثاراً من الخير وما مسني التكذيب منكم[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ ما أنا إلا مُعلم بموضع المخافة ليُتقى وبموضع الأمن ليُختار لقوم يؤمنون يقرون ويصدقون بالبعث بعد الموت[٤].

---

(١) جاء ذلك عن ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٢٩/٥).

وجاء عن الكلبي، أسباب النزول؛ للواحدي (٢٢٨/١)، تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٦/٢-٢٥٧).

وجاء عن مجاهد وابن جريج وابن زيد، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٢/١٣)، بحر العلوم (٥٨٥/١-٥٨٦).

وانظر: تفسير الثعلبي (٣١٤/٤)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٦/٢)، وزاد المسير (١٧٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٢٦/١٥)، وتفسير العز ابن عبد السلام (٥١٧/١).

(٢) جاء عن الحسن وابن جريج، انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٤/٢)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٦/٢)، زاد المسير (٣٠٠/٣)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٥٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٣٨/٢).

(٣) انظر : معاني القرآن للنحاس (١١٣/٣)، معاني القرآن للزجاج (٣٩٤/٢)، زاد المسير (٣٠٠/٣)، البحر المحيط (٤٣٤/٤).

قال ابن عطية بعد ذكره لمجمل الأقوال: " وألفاظ الآية تعم هذا وغيره"، المحرر الوجيز (٤٨٥/٢).

(٤) في أ زيادة (والله أعلم).

قولـه عـز وجـل : ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

اختلف الناس في هاتين الآيتين[١]:

---

(١) كما قال المؤلف –رحمه الله– اختلف المفسرون في هذه الآية وبعد البحث والنظر أقول : اختلافهم كان عند قوله تعالى ﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.

فجاء عن ابن عباس قتادة ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي: "كان شركًا في طاعةٍ، ولم يكن شركًا في عبادةٍ"، أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٢/١٣)، وانظر: تفسير ابن أبي زمنين (١٥٩/٢).

قال ابن جرير الطبري: "اختلف أهل التأويل في "الشركاء" التي جعلاها فيما أوتيا من المولود.فقال بعضهم: جعلا له شركاء في الاسم... وقال آخرون: بل المعنيّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد... وأولى القولين بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: (فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء) في الاسم لا في العبادة وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك"، تفسير الطبري (٣٠٨/١٣-٣١٥). وهذا الذي رجحه ابن جرير الطبري قال به جمع كثر ممن تقدم، ولذا:

قال ابن الجوزي: "والمراد بالشريك : إبليس ، لأنهما أطاعاه في الاسم فكان الشرك في الطاعة لا في العبادة، ولم يقصدا أن الحارثَ ربُّهما، لكن قصدا أنه سبب نجاة ولدهما ". زاد المسير (٣٠١/٣-٣٠٣).

وقال المفسرون: كان شركا في التسمية والصفة، لا في العبادة والربوبية، انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٣٨/٧)، وتفسير الثعلبي (٣١٦/٤)، وتفسير مقاتل (٨٠/٢)، مفاتيح الغيب (٤٢٧/١٥)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٨٦/٢)، والكشاف (١٨٨/٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٣٥/٢)، وتفسير السمعاني (٢٣٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٨/٢)، والمحرر الوجيز (٤٨٧/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥١٧/١)، وتفسير ابن جزي (٣١٦/١)، وتفسير الخازن (٢٨١/٢).

على أن ابن كثير كان له رأيا مغايراً لذلك، وذهب إلى أن الشرك في الذرية، فقال :" وَقَدْ تَلَقَّى هَذَا الْأَثَرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، كَمُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ. وَمِنَ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ: قَتَادَةُ، وَالسُّدِّيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ

ذُكر في بعض التفاسير المتقدمة/ في معناهما أن الله عز وجل خلقكم من نفس آدم عليه السلام وحده[١]، وخلق حواء من ضِلع من أضلاعه القُصيّر ليطمئن إليها فلما تغشاها أي أصابها كما يصيب الزوج زوجته حملت ماءه وماؤه كان حملا خفيفاً فاستمرت بذلك الماء أي قامت وقعدت كما كانت تفعل من قبل وهي لا تدري أنها حبلى أم لا، فلما ثقل الولد في بطنها وشق عليها القيام أتاها إبليس في صورة رجل وقال يا حواء ما هذا في بطنك؟ قالت: ما أدري قال : إني أخاف أن يكون بهيمة وذلك أول ما حملت، فقالت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزالا في همّ من ذلك ، ثم عاد إبليس إليها فقال يا حواء إني بمنزلة من الله فإن دعوت الله عز وجل فولدت إنساناً، تسمينه بي؟ فقالت: نعم قال : فإني أدعو الله عز وجل لك، وكانت هي وآدم عليهما السلام يدعوان الله عز وجل لئن آتيتنا ولداً حسن الخلق صحيح الجوارح مثلنا لنكونن من الشاكرين لك في هذه النعمة فلما آتاهما صالحاً أي سوياً صحيحاً أتاها إبليس فقال عدتني قالت: ما اسمك؟ قال : الحارث، ولو سمى لها نفسه فقال عزازيل عرفته ولكن تسمى بغير اسمه فسمته عبد الحارث ورضي به آدم عليه السلام ثم مات[٢].

٥= ب

وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْخَلَفِ، وَمِنَ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ جَمَاعَاتٌ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَةً، وَكَأَنَّهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ -أَصْلُهُ مَأْخُوذٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" (ثم ذكر مذهبه في ذلك فقال): "كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَوْلَادًا، فَهَوَّدُوا ونَصَّروا وَهَذِهِ أَسَانِيدُ صَحِيحَةٌ عَنِ الْحَسَنِ، رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ فَسَّرَ الْآيَةَ بِذَلِكَ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ التَّفَاسِيرِ وَأَوْلَى مَا حُمِلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ،" ، تفسير ابن كثير (٥٢٧/٣).

والذي يظهر أن ما ذهب إليه ابن كثير هو الأقرب، لتبرئة ساحة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إذا احتمل ذلك النص، ولذا نقل القرطبي فقال: وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَضْلِ: وَهَذَا أَعْجَبُ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ، لِمَا فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمُضَافِ مِنَ الْعَظَائِمِ بِنَبِيِّ اللَّهِ آدَمَ والله تعالى أعلم، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٣٩/٧).

(١) في أ (وحدها).

(٢) وهذه القصة جاءت بألفاظ مختلفة، وطرق مختلفة، وبعضه مرفوع.

فأخرجه الترمذي مختصرا عن سمُرة بن جندب في السنن (٢٦٧/٥) رقم (٣٠٧٧) أبواب التفسير، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الأَعْرَافِ، وقال حسن، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٠٥/٣٣) رقم (٢٠١١٧)، وأخرجه البزار في مسنده (٤٢٨/١٠) رقم (٤٥٨٠)، وأخرجه الروياني في مسنده (٥٢/٢) رقم (٨١٦).، وأخرجه الطبراني في مسند الشاميين (٨٣/٤) رقم

وهذا لا يصح؛ لأن حواء وإن لم تكن نبيا فقد كانت زوجة آدمعليه السلام وفي الآية أن الله عز وجل قال جعلا له شركاء ومثل هذه القبائح لا يجوز إضافتها إلى الأنبياء عليهم السلام الإشراك في التسمية دون العبادة كما يضاف العبد إلى مالكه؛ لأنه قال عز من قائل في آخر الآية ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ولأن الواحد منا من أهل الدين لو أتاه من يبعثه على أن يسمي ولده بعبد شمس أو عبد العزى أو نحو هذه الأسامي لم يقبل منه وإن تمكن من النكير عليه بالتقريع والتأديب فعل، فكيف[1] يجوز مثل ذلك على آدمعليه السلام وقد رفع الله قدره بالنبوة[2].

وذُكر عن **الحسن** رضي الله عنه في تفسيره: أن الله عز وجل خلق حواء من ضلع آدم[3]عليه السلام وجعلها سكناً له وكذلك حال الخلق مع أزواجهم؛ كأنه قال وجعل من كل نفس زوجها كما

(٢٧٩٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٩٤) رقم (٤٠٠٣) وقال صحيح، ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن بشران في أماليه (١/٣٣٤) رقم (٧٧٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٣٠٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٣١).

ومن الموقوف ما جاء عن ابن عباس، أخرجه سعيد بن منصور في التفسير (٥/١٧٣) رقم (٩٧٣)، والقاسم بن سلام في الإيمان (١/٤٤)، وتفسير الطبري (١٣/٣١٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٣٣).

والمرفوع أعله ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤/٣٠٥)، وأعله ابن كثير قال: "معلول من ثلاثة أوجه" فذكرها، التفسير (٣/٥٢٦)، وضعفه الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي، التفسير (٧/٣٣٨)، وقال ابن جزي: " وهذا يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة". تفسير ابن جزي (١/٣١٦)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٣٤٢).

(١) في أ (وكيف).

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (١٥/٤٢٧).

(٣) جاء ذلك عن عبد الله بن عمرو، أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢/٥٤٧)، وجاء عن ابن عباس ومجاهد والحسن، انظر: النكت والعيون (١/٤٤٦).

وضعف التخصيص بآدم وحواء الرازي وجعله عاما في جميع الذكور والإناث، انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٥/٢٥٢)، وروح المعاني (٥/١٣٢)، ومفاتيح الغيب (٢٠/٢٤٤).

قال جل ذكره في آية أخرى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾[١] .

قال الحسن: انقضت قصة آدمعليه السلام عند قوله ليسكن إليها ثم أخبر الله عز وجل عن بعض خلقه أنه تغشى زوجته فحملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلها ما في بطنها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنشكرنك، فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء بعملهما الذي عملاه بأن هوداه أو نصراه أو مجساه أو علماه شيئاً من الأديان الخبيثة التي يدعو إليها إبليس، قال ولهذا عظم الله سبحانه نفسه في آخر الآية يقول الله عز وجل﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ولو كان المراد في الآية آدمعليه السلام وحواء لقال الله تعالى عما يشركان[٢].

وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ نسلا[٣] صالحا معافى في بدنه وهم الأولاد الذين يولدون لهما؛ لأن حواء كانت تلد في كل بطن واحد ذكر وأنثى ويقال ولدت في خمسمائة بطن ألف ولد[٤].

وقوله عز وجل:﴿ جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ ﴾أي هذا النسل الصالح الذين هم ذكر وأنثى جعلا له شركاء فيما آتاهما من نعمه فأضافا بعض النعم إلى الأصنام وما شابهها وإنما ذكر النسل على سبيل التشبيه لكونهم صنفين ذكر وأنثى، وأما من قرأ[٥] جعلا له شِركا بكسر

---

(١) سورة الروم آية ٢١.

(٢) قال الإمام ابن كثير رحمه الله بعد أن أورد أقوال العلماء في تفسير هذه الآية " وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري، رحمه الله، في هذا –والله أعلم– وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته؛ ولهذا قال الله " فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ " انظر: تفسير ابن كثير (٥٢٨/٣).

(٣) (نسلاً) لا توجد في أ.

(٤) انظر: روح المعاني (٢٩٥/٣).

(٥) اَخْتلفُوا فِي ضم الشين وَالْمدّ وَكسرهَا وَالْقصر من قَوْله {جعلا لَهُ شُرَكَاء}، فَقَرَأَ ابْن كثير وَابْن عَامر وَأَبُو عَمْرو وَحَمْزَة والكسائى {شُرَكَاء} جمع شريك بِضَم الشين وَالْمدّ وَكَذَلِكَ روى حَفْص عَن عَاصِم وَقَرَأَ نَافِع وَعَاصِم فِي رِوَايَة أَبى بكر

الشين والشرك مصدر شركت الرجل أشركه شركا وكان من حق الكلام أن يكون على هذه القراءة جعلا لغيره شركا لأنهما لا يذكران أن الأصل لله عز وجل، فالشرك إنما يجعل لغيره ويجوز أن يكون المعنى جعلا له ذا شرك فحذف ذا كما في قوله عز وجل " ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ "(١)

معناه أهل القرية(٢).

قوله عز وجل : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾.

معناه: أيشركون مع الله عز وجل في العبادة مالا يقدر على خلق شيء يستحق به العبادة؛ لأن الخلق هو الذي يدل على الله عز وجل، والله سبحانه إنما استحق العبادة على الخلق لخلقه أصول النعم التي لا يقدر عليها أحد سواه مثل الحياة والسمع والبصر والعقل فإن لم تقدر الأصنام على خلق شيء لم يحسن عبادتها، وقوله عز وجل : ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ معناه أن الأصنام مخلوقة منحوتة، ويقال أراد به الأصنام والعابدين جميعا(٣).

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴾ أي لا يستطيعون الأصنام دفع ضرر عنهم ولا جلب نفع إليهم ولا أن تنصر أنفسها بأن تدفع عن أنفسها من أرادها بسوء، فإن

(شركا) مَكْسُورَة الشين على الْمصدر لَا على الْجمع. انظر: السبعة في القراءات (١/٢٩٩)، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة (١/٢٩٤)، حجة القراءات لابن زنجلة (١/٣٠٤)، والحجة في القراءات السبع (١/١٦٨)، ومعاني القراءات للأزهري (١/٤٣١).

قال انظر:ير: "وقرأه بعض المكيين وعامة قرأة الكوفيين وبعض البصريين: (جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ) ، بضم الشين، بمعنى جمع "شريك". وهذه القراءة أولى القراءتين بالصواب"، تفسير الطبري (١٣/٣١٦).

(١) سورة يوسف آية ٨٢.

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/٣٩٦)، بحر العلوم (١/٥٧٥).

(٣) انظر : تفسير الطبري (١٣/٣١٨)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٣٠).

قيل: كيف قال ولا أنفسهم ينصرون على لفظ ما يعقل والأصنام موات ؟ قيل: إن الكفار كانوا يصورونها على صورة من يعقل ويجرونها مجرى من يعقل فأجرى (عليها)[1] لفظ ما قدّروا ما هم عليه[2].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ ﴾.

معناه: وإن تدعوا الأصنام إلى الهدى لم تقبل الهدى؛ فإنها لا تهدي غيرها ولا تهتدي بأنفسها ولا ترد جوابا وإن دعت إلى الهدى[3].

وقوله عز وجل :﴿ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ معناه سواء دعوتموهم أم صمتم عنهم لا يتبعوكم؛ إلا أنه إنما قال أم/ أنتم صامتون ليبين أمرهم في الماضي والحال جميعا[4]. ٦= أ

وقال الحسن ﷺ: أراد بهذه الآية قوما من المشركين أنك تدعوهم يا محمد إلى الهدى لا يتبعوكم[5].

---

(١) انظر:المعكوفتين من أ والذي في الأصل (عليهم)

(٢) انظر : تفسير الطبري (٣١٩/١٣)، زاد المسير (٣٠٤/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٤١/٧)، وغرائب القرآن ؛ للنيسابوري (٣٦٢/٣)، مفاتيح الغيب (٤٣٠/١٥).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٣٢٠/١٣)، البحر المحيط (٢٤٨/٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٢٠/١٣-٣٢١)، التبيان للطوسي (٥٧/٥)، ومفاتيح الغيب (٤٣١/١٥).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٨٠/٢)، والتبيان للطوسي (٥٧/٥)، وزاد المسير (١٧٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٤٦/٣)، والبحر المحيط (٢٤٨/٥)..

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ ﴾.

معناه: إن الذين تدعون من دون الله آلهة[١] وأراد به الأصنام، عباد أمثالكم أي: مملوكة مخلوقة أمثالكم أشباهكم، وسمى الأصنام عباد؛ لأنهم صوروها على صور الإنسان[٢]؛ ولأن العبد في اللغة المسخر المذلل كما يقال طريق معبد أي مذلل[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ فَٱدۡعُوهُمۡ ﴾ هذا الدعاء ليس هو الدعاء الأول؛ ولكن أراد به فادعوهم في مهماتكم عند الحاجة إلى كشف الأسوأ عنكم [٤].

وقوله عز وجل :﴿ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ ﴾ صيغته صيغة الأمر ومعناه التعجيز أي إن كنتم صادقين في أنها آلهة (فهلا)[٥] يجيبوكم عند جلب منفعة أو دفع مضرة[٦].

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٣٢١/١٣).

(٢) انظر: تفسير الثعلبي (٢٠٠/٦)، والتفسير الوسيط (٤٣٦/٢)، تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٩/٢)، وزاد المسير (١٧٩/٢)، والتبيان للطوسي (٥٨/٥)، ومفاتيح الغيب (٤٣١/١٥)، وتفسير البيضاوي (٤٦/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي(٣٤٢/٧)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٢٥/١)، وتفسير الخازن (٢٨٢/٢)، والبحر المحيط (٢٤٩/٥)، وتفسير أبي السعود (٣٠٦/٣).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣٨/٢)، ومجمل اللغة (٦٤٢/١) مادة (عبد)، والصحاح (٥٠٣/٢) مادة (عبد)، ولسان العرب (٢٧٣/٣) مادة (عبد)، الزاهر في معاني كلمات الناس (١٢٢/٢).

(٤) انظر : مفاتيح الغيب (٤٣٢/١٥)، والمحرر الوجيز (٤٨٩/٢)، إيجاز البيان عن معاني القرآن؛ للنيسابوري (٣٥٢/١)، والبحر المحيط (٢٤٩/٥).

(٥) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (فلا).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (٤٣٢/١٥)، وتفسير السمعاني (٢٤١/٢)، والبحر المحيط (٢٥١/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٩/٢)، وتفسير ابن جزي (٣١٧/١).

قوله عز وجل : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ ﴾.

معناه: والله أعلم أن معبودي ينصرني ويدفع كيد الكائدين عني ومعبودكم لا يقدر على نصركم فإن قدرتم أنتم[١] على ضر فاجتمعوا أنتم مع الأصنام على كيدي ولا تؤجلونِ، وهذا لأنهم كانوا يخوفون النبي ﷺ بآلهتهم[٢].

وقد تعلق من ذهب إلى تشبيه الله عز وجل بخلقه في هذه الآية وقال إن الله عز وجل ذم الأصنام بأن ليس لها أرجل تمشي بها ولا أيدي تبطش بها ولا أعين تبصر بها ولا آذان تسمع بها فدل على[٣] أن لله عز وجل هذه الأعضاء وإلا كان مشاركا لها في وجه الذم، وليس الأمر على ما ذهب إليه ولكن المراد بالآية تقريع الكفار على عبادة أجسام هذه صفتها لا يقدر على المشي والبطش والإبصار والسماع[٤] مع أن لها الآن هذه الأشياء وكل من يعبدها لابد من أن يكون ألوم ممن يعبد من له جارحة قد يمكن أن ينفع بها أو يضر[٥].

---

(١) في أ زيادة (لي).

(٢) انظر : تفسير الطبري (٣٢٢/١٣)، بحر العلوم؛ للسمرقندي (٥٨٧/١-٥٨٨)، وزاد المسير (١٨٠/٢).

(٣) (على) لا توجد في أ.

(٤) في أ (الاستماع).

(٥) وقد تابعه على ذلك النيسابوري في غرائب القرآن (٣٦٢/٢).

وقد جانب المصنف الصواب دفاعا عن مذهبه، فقد قصد بالمشبهة أهل السنة والجماعة، حيث أثبتوا لله كل ما ذكر على سبيل التنزيه، وأنه تعالى ليس كمثله شيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَلِلنَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلَانِ:أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ وَصَفَهُمْ بِهَذِهِ النَّقَائِصِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الْعَابِدَ أَكْمَلُ مِنْ الْمَعْبُودِ.الثَّانِي: أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْبُودَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِنَقِيضِ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَإِنْ قِيلَ بِالْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَمْكَنَ أَنْ يُقَالَ بِمِثْلِهِ فِي آيَةِ الْعِجْلِ. فَلَا يَكُونُ فِيهِ تَعَرُّضٌ لِصِفَاتِ الْإِلَهِ؛ وَإِنْ قِيلَ بِالثَّانِي: وَجَبَ أَنْ يَتَّصِفَ الرَّبُّ تَعَالَى بِمَا نَفَاهُ عَنْ الْأَصْنَامِ"، مجموع الفتاوى (٢٢٤/٥).

وقيل عرف الله عز وجل الكفار بهذه الآية أنهم مفضلون على الأصنام؛ لأن لهم جوارح يتصرفون بها وليس للأصنام ذلك فكيف يعبدون من هم أفضل منهم فالعجب من أنفتهم عن اتباع النبي ﷺ مع ما قد أيده الله عز وجل من الآيات المعجزات والدلائل الظاهرة؛ لأنه بشر مثلهم ولم يأنفوا من عباده حجراً لا قدرة له ولا تصرف وهم أفضل منه في القدرة على النفع والضر والحياة والعلم[1].

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾ .

معناه: أن الذي يحفظني ويكلؤني ويتولى أمري الذي أنعم عليّ بإنزال القرآن عليّ[2] وهو يتولى الصالحين، أي: الصالحون أولياؤه وهو وليهم ينفعهم[3] ويتولى حفظهم ولا يكلهم

قال الإمام ابن القيم: "نبهك بهذا الدليل العقلي القاطع أن الذي جعلك تبصر وتتكلم وتعلم أولى أن يكون بصيرا متكلما عالما فأي دليل عقلي قطعي أقوى من هذا وأبين وأقرب إلى المعقول وقال تعالى في آلهة المشركين المعطلين: {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلا على عدم إلهية من عدمت فيه هذه الصفات فالبطش والمشي من أنواع الأفعال والسمع والبصر من أنواع الصفات"، الصواعق المرسلة (٩١٥/٣)، وانظر: إعلام الموقعين (١١٦/١).

وفي هذه الآيات يتضح إنكار الله على المشركين الذين عبدوا معه الأنداد والأوثان التي هي مخلوقة مربوبة لا تملك من الأمر شيئًا ولا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع ولا تنتصر لعابديها لأنها جماد، وعابدوها أكمل منها بسمعهم وبصرهم وبطشهم ...فهي لا تسمع الدعاء وسواء لديها من دعاها وغيره من عبادها؛ لأنها مخلوقات مثلهم، بل هي لا تفعل ما يفعله عبادها من الحركة والبطش والسمع والبصر، فهي في غاية المهانة والحقارة، انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لملكاوي (٢٩٥/١).

(١) انظر: النكت والعيون (٢٨٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٩/٢).

(٢) (عليّ) لا توجد في أ.

(٣) في أ (يمنعهم).

(إلى)[١] غيره ولا يضرهم بعداوة من عاداهم[٢]، وقد اجتمعت أصحاب الطبائع مع عبدة الأوثان في خطاب هذه الآيات؛ لأن الطبائع ليست بقادرة ولا عالمة ولا حياة فيها ومن أجل ذلك استحال أن تفعل ما تستحق به العبادة.

قوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ .

قد تقدم تفسيره وفيه بيان عجز الأصنام وضعف حالها فكيف يصح أن تكون آلهة .

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ .

معناه: كما أنها لا تهدي غيرها فلا تسمع الهدى حتى تهتدي بأنفسها.

وقوله عز وجل : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ معناها: فاتحة أعينهم نحوكم وذلك أنهم كانوا يصورون فيجعلون لها أعين وآذان وأرجل فإذا نظر الناظر إليها خُيّل إليه أنها تنظر إليه وهي لا تبصر[٣] وكانوا يلطخون أفواه الأصنام بالحلوى والعسل وكانت الذباب يجتمعون عليها ولا تقدر على رفع الذباب عن أنفسها[٤].

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٢٣/١٣)، وبحر العلوم (٥٧٦/١)، والتبيان للطوسي (٦٠/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٥٩/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٨٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٣٥/٢١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٢٣/١٣)، والتبيان للطوسي (٦٠/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٠/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٢/٢).

(٤) انظر : تفسير روح البيان (٢٩٥/٣) عن الحدادي .

وقال مقاتل ﷺ معنى قوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾ أي تدعو يا محمد أنت والمؤمنين كفار مكة إلى الهدى[١] لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون الهدى[٢].

قوله عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، **والسدي** رحمه الله معناه: خذ الفضل من أموالهم كما قال جل ذكره ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ ﴾ [٣] وهذا إنما كان قبل فرض الزكاة ثم صار منسوخا بالزكاة[٤].

قال الحسن ومجاهد معناه: خذ العفو من أخلاق الناس في القضاء والاقتضاء وقبول عذرهم وحسن المعاملة[٥] معهم وما يسهل عليهم[٦].

---

(١) (أي تدعو يا محمد أنت والمؤمنين كفار مكة إلى الهدى) لا توجد في أ.

(٢) انظر : تفسير مقاتل (٨١/٢).

(٣)سورة الكهف آية ٥٧.

(٤) عن ابن عباس، والسدي، والضحاك، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٨/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٧/٥).

وانظر: بحر العلوم (٥٨٨/١)، معاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٦/٢)، والمحرر الوجيز (٤٩٠/٢)، وزاد المسير (١٨٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٣٥/١٥)، وتفسير البيضاوي (٤٦/٣)، وتفسير الخازن (٢٨٤/٢).

(٥) في أ (المقالة معهم) .

(٦) عن مجاهد، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٦/١٣-٣٢٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٧/٥).

وجاء عن عبد الله بن الزبير، أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٢٨/١)، والطبري في تفسيره (٣٢٧/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٧/٥).

وأصل العفو الترك[١] من قوله سبحانه "﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾"[٢] أي ترك له[٣]، والعفو عن الذنب ترك العقوبة عليه، ويسمى الفضل عفوا على معنى أنه يترك بطيبة نفس، ويقال معنى العفو المساهلة في الأمور يقال خذ ما أتاك عفواً أي سهلاً[٤].

وجاء في الخبر أن النبي – ﷺ– سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية فقال/ جبريل حتى أسأل فذهب ثم رجع فقال : "يا محمد إن الله عز وجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك"[٥] وهذا من جوامع الكلم.

٦= ب

وجاء عن عبد الله بن عمر، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٧/٥). وحكى المفسرون فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: العفو من أخلاق الناس وأعمالهم ، الثاني: خذ العفو من أموال المسلمين ، وهذا قبل فرض الزكاة ثم نسخ بها، والثالث: خذ العفو من المشركين ، وهذا قبل فرض الجهاد.

وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٣١٢/٤)، زاد المسير (٣٠٧/٣)، والنكت والعيون (٢٨٨/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٠/٢)، والمحرر الوجيز (٤٩٠/٢)، وزاد المسير (١٨٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٣٥/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٤٥/٧)، وتفسير البيضاوي (٤٦/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٢٦/١)، وتفسير الخازن (٢٨٤/٢).

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٤١/٣) مادة (عفا)، وتاج العروس (٦٩/٣٩) مادة (عفو)، ولسان العرب (٧٥/١٥) مادة (عفو)، ومختار الصحاح (٢١٣/١) مادة (عفا).

(٢) سورة البقرة آية١٧٨.

(٣) انظر: تفسير الشافعي (٢٥٦/١)، وأحكام القرآن للجصاص (٣١٢/٤)، وتفسير الثعلبي (٥٤/٢)، والتفسير الوسيط (٢٦٥/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٦٦/٣)، أحكام القرآن للجصاص (٣١٢/٤)، وبحر العلوم (١١٨/١)، وتفسير الثعلبي (٥٤/٢)، وتفسير السمعاني (١٧٣/١).

(٥) جاء عن عقبة بن عامر، أخرجه أحمد في مسنده (٦٥٤/٢٨) رقم (١٧٤٥٢)، وأخرجه ابن وهب في جامعه (٥٨٦/١) رقم (٤٨٦)، وأخرجه الروياني في مسنده (١٤٦/١) رقم (١٥٧)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٢٦٩/١٧) رقم (٧٣٩)، وأخرجه معالم التنزيل ؛ للبغوي في شرح السنة (٣١/١٣) رقم (٣٤٤٣).

وقوله عز وجل : ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ أي : بالمعروف الذي يعرف العقلاء صحته[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ أي: أعرض عنهم بعد إقامة الحجة عليهم ووقوع اليأس عن قبولهم فلا تقابلهم بالسفه ولا تجاوبهم[٢] استخفافا بهم وصيانة لقدرك فإن مجاوبة السفيه يكون ضَعة عن القدر[٣].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال " إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم "[٤].

وجاء عن أبي هريرة، أخرجه البزار في مسنده (٢١٩/١٥) رقم (٨٦٣٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٧٩/١) رقم (٩٠٩)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٥٦٣/٢) رقم (٣٩١٢) وصححه، وضعفه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٩٨/١٠) رقم (٢١٠٩٢).

وجاء عن علي ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٦٤/٥) رقم (٥٥٦٧)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٩٨/١٠) رقم (٢١٠٩١).

والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٩١)، وصحيح الترغيب والترهيب (٢٤٦٧).

(١) جاء عن عروة، والسدي، وقتادة، والثوري، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٠٣/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٣١/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٣٨/٥).

وانظر: تفسير مقاتل (٨١/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٦/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٦٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٤٦/٧).

(٢) في أ (ولا تجادلهم).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٣٣٢/١٣)، وحر العلوم (٥٧٦/١)، التبيان للطوسي (٦٤/٥)، والنكت والعيون (٢٨٨/٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٣٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٠/٢)، وزاد المسير (١٨١/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٧٣/٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢١٢/٥) رقم (٢٥٣٣٣)، وأخرجه البزار في مسنده (١٧٧/١٥) رقم (٨٥٤٤)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (٤٢٨/١١) رقم (٦٥٥٠)، وأخرجه إسحاق بن راهوية في مسنده (٤٦١/١) رقم (٥٣٦)، وأخرجه ابن عساكر في معجمه (٨٤٩/٢) رقم (١٠٦٦)، والحاكم في المستدرك (٢١٢/١) رقم (٤٢٨) وصححه، كلهم عن أبي هريرة، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٤٥٩/١٠)، وقال الألباني : حسن لغيره، صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٦١).

عنه ﷺ " سئل ما أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة قال الخلق الحسن "[١].

وفي حديث أبي جري[٢] أنه قال:"ركبت قعودي فانطلقت إلى مكة وطلبت النبي ﷺ فقيل في المسجد فأَنَخْتُ قعودي بباب المسجد ودخلت فإذا هو جالس وعليه بردة من صوف فيه طرائق حمر فقلت السلام عليك يا رسول الله قال وعليك السلام قلت إنا معشر أهل البادية فينا الحفاء[٣] فعلمني كلمات ينفعني الله بهن قال أدنوا ثلاثا فدنوت قال أعد علي فأعدت قال " اتق الله عز وجل ولا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط إليه ولو أن تفرغ من فضل دلوك في إناء المستقي ، وإن امرء سبك بما يعلم فيك فلا تسبه[٤] بما تعلم فيه فإن الله عز وجل جاعل لك أجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيئا مما خولك الله، **قال أبو جري**: فو الذي نفسي بيده ما سببت شيئا بعدها شاة ولا بعيرا" [٥].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥٨٧/٤٥) رقم (٢٧٤٩٦)، وأخرجه الترمذي في سننه (٣٦٢/٤) رقم (٢٠٠٢) أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُسْنِ الخُلُقِ، وقال: حسن صحيح، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٦٣/٢) رقم (٧٨٢)، وأخرجه الحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٥٥/١١) رقم (٤٤٢٦)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣٠/٢) رقم (٤٨١)، وأخرجه الآجري في الشريعة (١٣٣٢/٣) رقم (٩٠٠)، كلهم عن أم الدرداء، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٦).

(٢) جابر بن سليم أو سليم بن جابر هو أبو جري بجيم وراء غير منقوطة مصغر الهجيمي بجيم مصغر صحابي له أحاديث. انظر: الطبقات الكبرى؛ لابن سعد (٣١/٧)، معجم الصحابة؛ للبغوي (٤٦٩/١)، ومعرفة الصحابة؛ لأبي نعيم (٥٤٧/٢)، والإصابة (٥٤٢/١).

(٣) (فقلت السلام عليكم يا رسول الله قال وعليكم السلام قلت إنا معشر أهل البادية فينا الحفاء) لا توجد في (أ).

(٤) (بما يعلم فيك فلا تسبه) لا توجد في أ.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٧/٤٣) رقم (٢٠٦٣٥)، وأخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٥٣٣/٢) رقم (١٣٠٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (٢٩٣/٢) رقم (٧٩٢)، وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٩١/٢) رقم (١١٨١)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٩/٢) رقم (٥٢١)، وأخرجه الطبراني في الدعاء (٥٧٠/١) رقم (٢٠٥٩)، وقال العراقي إسناد جيد ، تخريج أحاديث الإحياء (٤٣٧/٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٨٧)

قوله عز وجل : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾.

معناه: إما يغرينك الشيطان بالوسوسة عند الغضب فالتجئ إلى الله عز وجل فاستغث به إنه سميع لدعائك عليم بك[١]، وقيل إن أصل النزغ هو (الإنزعاج)[٢] بالحركة إلى الشر يقال هذه نزغة من الشيطان للخصلة الدعية إلى ذلك فيكون معنى الآية (إن نالك من الشيطان أدنى)[٣] وسوسة بسبب يوجب الإنزعاج

فاستعذ بالله [٤]، ثم بين جل ذكره أن من اتقى وطلب إليه النجاة من نزغ الشيطان حرسه منه وقوى بصيرته .

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٣/٣٣٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٣٩٦)، وبحر العلوم (١/٥٧٧)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٩)، والتفسير الوسيط (٢/٤٣٨)، وتفسير السمعاني (٢/٢٤٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٦٢)، والمحرر الوجيز (٥/١٧)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٣/١٨)، وإعراب القرآن للنحاس (٢/٨٦)، وروح المعاني (١٢/٣٧٦).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (الإزعاج)

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (أن يأتينك من الشيطان أذى)

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/٣٩٦)، بحر العلوم للسمرقندي (١/٥٨٩)، التبيان للطوسي (٥/٦٣)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/١٦٢)، وتفسير الثعلبي (٤/٣١٩)، والمحرر الوجيز (٥/١٧)، وروح المعاني؛ للألوسي (١٢/٣٧٦).

قال المَاوَرْدِي: " فيه خمسة تأويلات: أحدها: أنه النزغ الغضب ، قاله ابن زيد. الثاني: أنه الوسوسة وحديث النفس ، قاله السدي. الثالث: أنه النجس ، قاله ابن عيسى. الرابع: أنه الفتنة ، قاله ابن زياد. الخامس: أنه الهمزات ، قاله ابن عباس"، النكت والعيون (٥/١٨٣).

وانظر: تهذيب اللغة (٨/٧٨) مادة (نزغ)، وتاج العروس (٢٢/٥٨٠) مادة (نزغ)، ولسان العرب (٨/٤٥٤) مادة (نزغ).

كمـا قـال عـز وجـل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١ ﴾ .

معناه: إن الذين اتقوا الشرك والمعاصي إذا مسهم وسوسة من الشيطان بإلقاء خواطر الشر إليهم فزعوا إلى تذكر ما أوضح الله عز وجل من الحجة فإذا هم مبصرون عواقب أمورهم يرجعون من الهوى إلى الهدى[(١)].

وهذه الآية مع ما قبلها تقتضي أنه لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام من الشيطان إلا النزغ الذي هو كالابتداء في الوسوسة ويجوز على المؤمنين المتقين ما يزيد على النزغ؛ لأن المس المذكور في هذه الآية لابد من أن يكون أبلغ من النزغ الذي هو ابتداء الوسوسة[(٢)].

ثم ذكر تعالى حال(غير)[(٣)] المتقين فقال عز وجل : ﴿ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ٢٠٢ ﴾

، وهذا متصل بقوله عز وجل﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ﴾ ، وقوله عز وجل :﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾ المعنى: وإخوان المشركين وهم الشياطين يدعونهم إلى المعاصي والجهل[(٤)]؛

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٣٣/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج(٣٩٦/٢)، وبحر العلوم (٥٧٧/١)، وتفسير الثعلبي (٣٢٠/٤)، والتفسير الوسيط (٤٣٨/٢)، وتفسير الراغب (٨٦٧/٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٢/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٩١/٢)، والمحرر الوجيز (٤٩٢/٢)، وزاد المسير (١٨١/٢).

(٢) انظر : مفاتيح الغيب للرازي (٤٣٧/١٥)، البحر المحيط لأبي حيان (٢٥٧/٥)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (١٩١/٢).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) وهذا المعنى جاء عن مجاهد، وقتادة، والسدي، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٠٣/٢)، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٩/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤١/٥).

ويقال: لكل كافر أخ من الشياطين يمده في الغي[(١)].

وقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ معناه: ثم لا يقصر إخوان المشركين عن الوسوسة؛ لأنهم إذا علموا قبولهم لقولهم حرصوا على زيادة إغوائهم وحرص الكفار على الطاعة لهم ولا يقصرون كما يقصر المتقون، ويقال: إن قوله وإخوانهم معناه وإخوان الشياطين وهم الضلال يمدون المشركين في الغي وهذا لأن الشيطان قد تقدم ذكره في الآية التي قبلها وأريد به الجنس والجمع فانصرفت هذه الكناية إليهم إذ لا يجوز انصرافها إلى المتقين[(٢)].

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣٩٧/٢)، بحر العلوم للسمرقندي (٥٧٧/١)، التبيان للطوسي (٦٥/٥)، وتفسير الثعلبي (٣٢٠/٤)، وتفسير السمعاني (٢٤٣/٢)، والمحرر الوجيز (٤٩٢/٢)، وزاد المسير (١٨٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٥١/٧).

(١) انظر : معالم التنزيل؛ للبغوي (٢٦٢/٢)، وتفسير الخازن (٢٨٥/٢)، والتفسير الوسيط؛ للواحدي (٤٣٩/٢).

(٢) **قال الرازي**: " اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْكِنَايَةَ فِي قَوْلِهِ: وَإِخْوانُهُمْ إِلَى مَاذَا تَعُودُ عَلَى قَوْلَيْنِ.الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ الْأَظْهَرُ أَنَّ الْمَعْنَى: وَإِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ يَمُدُّونَ الشَّيَاطِينَ فِي الْغَيِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ إِخْوَانٌ لِشَيَاطِينِ الْجِنِّ، فَشَيَاطِينُ الْإِنْسِ يُغْوُونَ النَّاسَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ إِمْدَادًا مِنْهُمْ لِشَيَاطِينِ الْجِنِّ عَلَى الْإِغْوَاءِ وَالْإِضْلَالِ.وَالْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ هُمُ النَّاسُ الَّذِينَ لَيْسُوا بِمُتَّقِينَ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ يَكُونُونَ مَدَدًا لَهُمْ فِيهِ"، مفاتيح الغيب (٤٣٨/١٥)

وانظر: تفسير الطبري (٣٣٧/١٣-٣٣٨) واختاره الطبري، وبحر العلوم (٥٧٧/١)، والبحر المحيط (٤٤٧/٤)، والمحرر الوجيز (٤٩٣/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٢٧/١)، والدر المصون؛ للسمين الحلبي (٥٤٨/٥)، وتفسير ابن كثير (٥٣٥/٣).

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣) ﴾ .

قال الحسن: كانوا إذا جاءتهم آية كذبوا بها وإذا أبطأت عنهم التمسوها.

ومعنى الآية وإذا لم تأتهم بالآية التي سألوكها تعنتا قالوا هلا طلبتها من الله عز وجل فأتيتنا بها[١].

ويقال معناه: هلا أتيت بها من تلقاء نفسك[٢]﴿ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ﴾ ۚ أي قل لهم ليست الآيات إليّ ولكن الله عز وجل يوحي بها عليّ ما يعلم من المصلحة وليس لي أن أسأله إنزالها إلا إذا أذن لي في سؤالها[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ معناه هذا القرآن دلالات وحجج من ربكم وهدى من الضلالة ونجاة من العذاب لقوم يصدقون أنه من الله سبحانه[٤] .

---

(١) جاء هذا المعنى عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٢/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٣/٥).

وانظر: والنكت والعيون (٢٩٠/٢)، وزاد المسير (١٨٣/٢).

(٢) جاء معناه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي، وابن زيد، ومقاتل، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤١/١٣) واختاره ابن جرير الطبري، وتفسير مقاتل (٨٢/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٣/٥).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٣٩٧/٢)، وبحر العلوم (٥٧٧/١)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٦٣/٢)، والنكت والعيون (٢٩٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٣٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٢/٢)، وتفسير الكشاف (١٩٢/٢)، والمحرر الوجيز (٤٩٣/٢)، وزاد المسير (١٨٣/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٢٠/١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٥٢/٧)، وأنوار التنزيل؛ للبيضاوي (٤٧/٣)، ومدارك التنزيل؛ للنسفي (٦٢٨/١)، ولباب التأويل؛ للخازن (٢٨٥/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٤٣/١٣)، ولباب التأويل؛ للخازن (٢٨٥/٢)، والبحر المحيط (٢٦١/٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٨٣/٢)، وتفسير الطبري (٣٤٣/١٣)، وبحر العلوم (٥٧٨/١)، والكشف والبيان (١٧٧/٤)، التبيان للطوسي (٦٦/٥)، والتفسير الوسيط (٤٣٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٣/٢)، والكشاف

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾

قال عبد الله بن عباس[(١)] وابن مسعود[(٢)] وأبو هريرة[(٣)(٤)] وسعيد بن جبير[(٥)(٦)] وسعيد بن المسيب[(٧)(٨)]

٧= أ

(١٩٢/٢)، وزاد المسير (١٨٣/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٥٣/٧)، والبحر المحيط (٢٦١/٥)، وتفسير ابن كثير (٣١٢/٣).

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٩/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٥/٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٥/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٥/٥).

(٣) عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أبو هريرة، مشهور بكنيته، أسلم في السنة السابعة للهجرة ، من أكثر الصحابة حفظا للحديث وروايه له، توفي سنة تسع وخمسين، ﷺ . انظر: الطبقات الكبرى (٢٤٢/٤)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١٨٤٦/٤)، والإصابة ٣١٦/٤ ، سير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٢٥/٢)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٣٨/٣)، والطبري في تفسيره (٣٤٨/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٥/٥).

(٥) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه من الثالثة وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج، دون المائة، سنة خمس وتسعين ولم يكمل الخمسين ع. انظر: الجرح والتعديل (٩/٤)، وتهذيب الكمال (٣٥٨/١٠)، والتقريب (٢٢٩١).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٨/١٣).

(٧) سعيد بن المسيب بن حزن ابن أبي وهب ابن عمرو ابن عائذ ابن عمران ابن مخزوم القرشي المخزومي أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار من كبار الثانية اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل وقال ابن المديني لا أعلم في التابعين أوسع علما منه مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين ع. انظر: الجرح والتعديل (٥٩/٤)، وتهذيب الكمال (٦٦/١١)، التقريب (٢٤٠٩).

(٨)أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٧/١٣).

والزهري[(١)(٢)] وجماعة/ من التابعين ﷺ: أن هذه الآية نزلت في الصلاة[(٣)].

وعن أبي العالية الرياحي[(٤)] قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قرأ أصحابه خلفه حتى نزلت وإذا قرئ القرآن فسكت القوم وقرأ النبي ﷺ.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في رواية أخرى أنه قال: كان المسلمون قبل نزول هذه الآية يتكلمون في الصلاة ويأمرون بحوائجهم ويجئ الرجل (إلى)[(٥)] الرجل فيقول كم صليتم فيقول كذا فأنزل الله عز وجل هذه الآية[(٦)].

وقال الحسن[(٧)] **وعطاء**[(٨)(٩)]

---

(١) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أبو بكر، الفقيه، الحافظ، متفق على جلالته، وإتقانه وثبته، مات سنة خمس وعشرين ومائة ، رحمه الله . انظر: الثقات؛ للعجلي (٤١٢/١)، والثقات لابن حبان (٣٤٩/٥)، تهذيب الكمال (٤١٩/٢٦)، والتقريب (٦٣٣٦).

(٢) أخرجه ابن وهب في جامعه (١٢٤/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٨/١٣)،

٣) وجاء أيضا عن ابن زيد، الحسن والنخعي، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، والشعبي، والسدي، أخرجه ابن وهب في جامعه جامعه (١٢٤/١)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٠٧/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٤٧/١٣، ٣٤٨، ٣٤٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥).

(٤) رفيع بالتصغير بن مهران أبو العالية الرياحي بكسر الراء والتحتانية ثقة كثير الإرسال من الثانية مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين وقيل بعد ذلك ع. انظر:الجرح والتعديل (٥١٠/٣)، وتهذيب الكمال (٢١٤/٩)، وتهذيب التهذيب (٢٨٤/٣)، التقريب (١٨٥٣).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٢/١١)، وأخرجه الضياء في المختارة (٨٨/١٢).

(٧) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥١/١٣).

(٨) عطاء بن أبي رباح بفتح الراء والموحدة واسم أبي رباح أسلم القرشي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير الإرسال من من الثالثة مات سنة أربع عشرة على المشهور وقيل إنه تغير بأخرة ولم يكثر ذلك منه ع. انظر: الجرح والتعديل (٣٣٠/٦)،وتهذيب الكمال (٦٩/٢٠)، التقريب (٤٥٩١).

(٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٥٠/٢)، الطبري في تفسيره (٣٤٦/١٣، ٣٥١).

ومجاهد[١]: نزلت هذه الآية في الصلاة والخطبة جميعاً[٢].

وقيل: إن الخطبة لا معنى لها في هذا الموضع؛ لأن غير القرآن من الخطبة يجب استماعه والإنصات له[٣].

وقال بعضهم: المراد بالآية وقت نزول القرآن أمرهم الله عز وجل بالاستماع والإنصات[٤].

قال الزجاج[٥]: يحتمل أن يكون معنى الاستماع العمل بما فيه؛ لأن معنى قول القائل سمع الله لمن حمده وسمع الله لمن دعاه تأويله الإجابة[٦].

والقول الأول والله أعلم هو **الأصح** والأقرب لظاهر الآية؛ لأنه ليس في الآية تخصيص زمان دون زمان ولا يجب على القوم الإنصات لقراءة كل من يقرأ في غير الصلاة فكان الأولى

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٣٥١).

(٢) وقال بذلك أيضا سعيد بن جبير، أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٣٥١).

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٤/٢١٥)، وابن العربي المالكي وضعفه بقوله " وقال مجاهد: نزلت في خطبة الجمعة وهو قول ضعيف لأن القرآن فيها قليل والإنصات واجب في جميعها " انظر : أحكام القرآن (٢/٣٦٦).

وضعفه أيضا ابن عطية حيث قال: "وأما قول من قال إنها في الخطبة فضعيف، لأن الآية مكية، والخطبة لم تكن إلا بعد هجرة النبي ﷺ من مكة"، المحرر الوجيز (٢/٤٩٤).

(٤) جاء ذلك عن ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٤٦).

(٥) إِبْرَاهِيم بن السَّرِيّ ، أَبُو إِسْحَاق الزَّجَّاج، كان من أهل الفضل والدين، حسن الاعتقاد، وله مؤلّفات حسان، ومن مصنفاته "مَعَانِي الْقُرْآن وَشرح إعرابه"، و"الِاشْتِقَاق"، وَكتاب "فعلت وأفعلت"، وكتاب " الأنواء "، تُوفي سنة ستَّ عشرَة وثلاثمائة. انظر: تاريخ العلماء النحويين؛ للتنوخي (١/٣٨)، إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/١٩٤).

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/٣٩٨)

أن يحمل على أن المأموم إذا سمع قراءة الإمام جهراً أن ينصت، وإلى هذا ذهب أكثر العلماء[١].

وقال الشافعي[٢] ﷺ: إذا جهر الإمام بالقراءة لم يقرأ من خلف الإمام إلا بأم القرآن[٣]، **وقال مالك**[٤] رحمه الله: يقرأ المأموم الفاتحة مع السورة إذا أسر الإمام ولا يقرأ إذا جهر[٥].

وفي الآية ما يدل على نهي المؤتم عن القراءة في ما لا يجهر الإمام؛ لأن الله عز وجل أوجب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن ولم يذكر حالة الجهر ولا حالة الإخفاء وإذا جهر الإمام فعلينا الاستماع والإنصات وإذا أخفى فعلينا الإنصات بظاهر الآية لعلمنا أن الإمام قارئ القرآن، وفي المسألة أخبار كثيرة اتفق الفقهاء أن أخبارنا مستعملة في النهي عن القراءة

---

(١) **قال الطبري**: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتمّ به يسمعه، وفي الخطبة. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله ﷺ، أنه قال: "إذا قرأ الإمام فأنصتوا"، وإجماع الجميع على أن على من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة، الاستماعَ والإنصاتَ لها،"، التفسير (٣٥٢/١٣).

(٢) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر رأس الطبقة التاسعة وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين، من كتبه: الأم، والرسالة، مات سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون سنة، خت ٤. انظر: الجرح والتعديل (٢٠١/٧)، وسير أعلام النبلاء (٥/١٠)، وطبقات الشافعية الكبرى؛ للسبكي (٧١/٢).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب؛ للنووي (٣٦٥/٣)، وبداية المجتهد؛ لابن رشد (١٦٤/١).

(٤) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي أبو عبد الله المدني الفقيه إمام دار الهجرة رأس المتقنين وكبير المتثبتين حتى قال البخاري أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر من السابعة مات سنة تسع وسبعين وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقال الواقدي بلغ تسعين سنة ع. انظر: الجرح والتعديل (٢٠٤/٨)، وتهذيب الكمال (٩١/٢٧)، وتهذيب التهذيب (٥/١٠).

(٥) الكافي في فقه أهل المدينة؛ لابن عبد البر (٢٠١/١)، وبداية المجتهد؛ لابن رشد (١٦٤/١).

في حال جهر الإمام وخبر من خالفنا مختلف فيه[(١)][(٢)].

قوله عز وجل : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ .

يجوز أن يكون الخطاب في أول هذه الآية للنبي ﷺ[(٣)] والمراد به جميع الخلق كقوله عز وجل "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾"[(٤)]، ويجوز أن يكون المعنى واذكر أيها المستمع للقرآن إذا تلي عليك ربك في نفسك[(٥)].

وفي هذا الذكر قولان، **أحدهما:** أن المراد به التفكر في النفس والتعرض لذكر نعم الله

---

(١) في أ زيادة (والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب).

(٢) **قال الواحدي:** "ولا تدل الآية على ترك القراءة خلف الإمام لأن هذا الإنصات المأمور به إنما هو نهي عن الكلام في الصلاة أو عن الجهر كما ذكرنا، وعلى هذا فحكم الظاهر ممتثل عند الشافعي لأن السنة عنده أن يسكت الإمام بعد= =فراغه من الفاتحة فيقرأ المأموم الفاتحة في حال سكتة الإمام على أن قراءة الفاتحة مخصوصة بالسنة لقوله ﷺ: «إذا كنتم خلفي فلا تقرءوا إلا بفاتحة الكتاب فإن لا صلاة إلا بها»"، التفسير الوسيط (٢/٤٤٠)، وبه قال السمعاني في تفسيره (٢/٢٤٤).

(٣) قال ابن عطية: " الآية، مخاطبة للنبي ﷺ تعم جميع أمته"، المحرر الوجيز (٢/٤٩٤).

انظر : بحر العلوم (١/٥٧٨)، والتبيان للطوسي (٥/٦٨)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢/٢٩١)، تفسير ابن عطية (٢/٥٦٦)

(٤) سورة الطلاق آية (١).

(٥) جاء ذلك عن مجاهد مرسلا، أخرجه ابن وهب في جامعه (١/٩).

وجاء عن عبيد بن عمير، وابن زيد، ومجاهد، وابن جريج، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٠٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٣٥٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٤٧).

وانظر : تفسير الطبري (١٣/٣٥٣)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢/٢٩١).

عز وجل مع العلم بأنه لا يقدر عليها أحد سواه وأنه متى شاء سلبها منه[1]، والمراد بقوله :﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ﴾ التكلم بذكر الله عز وجل على وجه الخفية بالتضرع إليه والمخافة منه ولأن أفضل الدعاء ما كان خفيا على إخلاص وخضوع لا يشوبه رياء ولا سمعة، وقوله : ﴿ فِي نَفْسِكَ ﴾ إشارة إلى الإخلاص، **والقول الثاني**: أن المراد بقوله : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ الذكر بالكلام الخفي[2] .

وبقوله :﴿ وَدُونَ ٱلْجَهْرِ ﴾ إظهار الكلام لا بالصوت العالي، يقول أظهره ولا ترفع صوتك[3].

---

(١) انظر : تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢/٢٩٠).

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٣/٣٥٣) واختاره ابن جرير ورده ابن كثير فقال : (زعم ابن جرير ، وقبله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن مراد بها أمر السامع للقرآن في حال استماعه للذكر على هذه الصفة، وهذا بعيد مناف للإنصات المأمور به، ثم إن المراد بذلك في الصلاة كما تقدم أو في الصلاة والخطبة، ومعلوم أن الإنصات إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سراً أو جهراً وهذا الذي قالاه لم يتابعا عليه؛ بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين) تفسير ابن كثير (٣/٥٣٩). =

= وانظر: تفسير الثعلبي (٤/٣٢٢)، وزاد المسير (٢/١٨٤)، وتفسير ابن جزي (١/٣١٩).

(٣) قال الماوَرْدِي: " وفي هذا الذكر ثلاثة أوجه: أحدها: أنه ذكر القراءة في الصلاة خلف الإمام سراً في نفسه قاله قتادة. والثاني: أنه ذكر بالقلب باستدامة الفكر حتى لا ينسى نعم الله الموجبة لطاعته، والثالث: ذكره باللسان إما رغبة إليه في دعائه أو تعظيماً له بالآية."، النكت والعيون (٢/٢٩١)، وانظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٥٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٢٨)، والبحر المحيط (٥/٢٦٢).

وأما قوله عز وجل : ﴿ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ﴾ فمعناه صلاة الغداة والمغرب والعشاء[١]، والأصيل في اللغة مابين العصر إلى الليل وجمعه أُصُل ثم آصال جمع الجمع ثم أصايل[٢]، وسمي أصيلاً من الأصل[٣] الذي ينتهي إليه النهار و ينشأ عنده الليل، وقيل: في تخصيص الغدو والآصال أن ما بينهما حال السعي بالمعاش لا أن تخصيصهما من حيث أنه لا يجوز أن يذكر الإنسان ربه في نفسه أو بالقول في سائر الحالات[٤].

وفي قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ زيادة تحضيض على ذكر الله عز وجل كي لا يغفل الإنسان عن ذلك في أوقات العبادات.

---

(١) انظر: تفسير يحي بن سلام (٤٥١/١)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٣٧/٣)، والنكت والعيون (٢٩١/٢)، والمحرر الوجيز (٤٩٤/٢)، وزاد المسير (١٨٤/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٢١/١)، وتفسير ابن جزي (٣١٩/١).

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٩٨/٢)، معاني القرآن للنحاس (١٢١/٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٨٨/٢)، غريب القرآن للسجستاني (٧٠/١)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٠٩/١-١١٠)، وتاج العروس (٤٤٩/٢٧)، والصحاح (١٦٢٣/٤) مادة (أصل).

(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة (١٠٩/١-١١٠)، وتاج العروس (٤٥٠/٢٧)، والقاموس الفقهي (٢١/١).

(٤) يقول الإمام الرازي :"خص الغدو والآصال بهذا الذكر : والحكمة فيه أن عند الغدوة انقلب الإنسان من النوم الذي هو كالموت إلى اليقظة التي هي كالحياة، والعالم انقلب من الظلمة التي هي طبيعة عدمية إلى النور الذي هو طبيعة وجودية، وأما عند الآصال فالأمر بالضد لأن الإنسان ينقلب فيه من الحياة إلى الموت، والعالم ينقلب فيه من النور الخالص إلى الظلمة الخالصة، وفي هذين الوقتين يحصل هذان النوعان من التغيير العجيب القوي القاهر ولا يقدر على مثل هذا التغيير إلا الإله الموصوف بالحكمة الباهرة والقدرة الغير المتناهية ، فلهذه الحكمة العجيبة خص الله تعالى هذين الوقتين بالأمر بالذكر، ومن الناس من قال : ذكر هذين الوقتين والمراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الإمكان"،: مفاتيح الغيب (٤٤٤/١٥)، وانظر: تفسير الخازن (١٢/٣)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير؛ للشربيني (١٥٣/٢).

قولـه عــز وجــل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ .

معناه: أن الملائكة المقربين الذين أكرمهم الله عز وجل لا يتعظمون عن طاعة الله عز وجل، أي إن استكبرتم أنتم عن عبادته فمن هو أفضل منكم وهم الملائكة لا يستكبرون عن عبادته وينزهونه عما لا يليق به وله يصلون فيخرون له سجدا في صلاتهم[(١)].

وأما قوله : ﴿ عِندَ رَبِّكَ ﴾ فهو على أحد معان ثلاثة:

إما أنهم في المكان الذي شرفه الله عز وجل، أو لأنهم في الموضع الذي لا يجري عليهم الحكم فيه من أحد إلا من الله عز وجل بخلاف البشر، أو لأنهم الرسل إلى البشر فإنهم رسل الأنبياء عليهم السلام يحملون الوحي إليهم وينزلون لقبض أرواحهم وينزلون ببركات الأرض فقيل عند ربك على أحد هذه المعاني كما يقال عند فلان الملك كذا و كذا من الجند يراد أنهم ينفذون أوامره لا أنهم حضور عنده[(٢)].

وعن معاذ بن جبل[(٣)] رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:"كان جبريل عليه السلام إذا أقبل بشيء من القرآن فيه/ سجود قرأ ثم يخر ساجدا ويأمرني بذلك ثم يقول " يا محمد واجب عليك وعلى ٧=ب

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٣٥٧/١٣)، بحر العلوم (٥٩٠/١)، ومعاني القرآن ؛ للزجاج (٣٩٨/٢)، والتفسير الوسيط (٢٣٣/٣)، والمحرر الوجيز (٤٩٥/٢)، والنكت والعيون (٤٤٦/١٥)، وتفسير الخازن (٢٨٨/٢)، وتفسير ابن كثير (٥٣٩/٣)، وتفسير القاسمي (٢٤٩/٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤٩٥/٢، والتبيان للطوسي (٦٩/٥-٧٠)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٥٦/٧)، والبحر المحيط (٢٦٤/٥).

(٣) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي أبو عبد الرحمن مشهور من أعيان الصحابة شهد بدرا وما بعدها وكان إليه المنتهى في العلم بالأحكام والقرآن مات بالشام سنة ثماني عشرة ع. انظر: معرفة الصحابة (٢٤٣١/٥)، والاستيعاب (١٤٠٢/٣)، والإصابة (١٠٧/٦).

أمتك"[١].

وعن أبي بن كعب[٢] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :"من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين النار ستراً يوم القيامة وكان آدم عليه السلام له شفيعا"[٣]. وبالله التوفيق./ ٨= أ

نجز الجزء الأول من تفسير القرآن العظيم لمولانا عبد الصمد الحنفي وبدأ الثلث الأول يتلوه الثلث الثاني سورة الأنفال

---

(١) لم أجده.

(٢) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر سيد القراء ويكنى أبا الطفيل أيضا من فضلاء الصحابة اختلف في سنة موته اختلافا كثيرا قيل سنة تسع عشرة وقيل سنة اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك ع. انظر: معرفة الصحابة؛ لأبي نعيم (٢١٤/١)، والاستيعاب (٦٥/١)، والإصابة (١٨٠/١).

(٣) أخرجه المستغفري في فضائل القرآن (٧٧٧/٢) رقم (١١٧٤)، إلا أنه قال: وكان النبي شفيعا، بدل (آدم)، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٠/١)، رواه الثعلبي في تفسيره (٢١٤/٤)، وأخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٣٤٧/٢)، وهو حديث موضوع كما ذكر ذلك المناوي، انظر: الفتح السماوي (٦٤٢/٢)، وقال الخطيب الشربيني: موضوع، تفسير السرج المنير (٥٥١/١)، وكذا قال الخفاجي على حاشية البيضاوي (٢٤٩/٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل

سورة الأنفال مدنية وهي خمس وسبعون آية عند الكوفيين وست بصري وسبع حجازي.

بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١)** ﴾

اختلف أهل التفسير(في هذه الآية)[(١)] **قال ابن عباس**[(٢)] **ومجاهد**[(٣)] **وعكرمة**[(٤)(٥)] رضي الله عنهم معنى قوله ﴿ **يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ** ﴾ عن الغنائم[(٦)]، قل الغنائم لله والرسول[(٧)]، والإضافة في

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٢/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٩/٥).

(٣) انظر: تفسير مجاهد (٣٥١/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٠/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٠/٥).

(٤) عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري ثقة ثبت عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل بعد ذلك ع. انظر: الجرح والتعديل (٧/٧)، وتهذيب الكمال (٢٦٤/٢٠)، والتقريب (٤٦٧٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٠/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٠/٥).

(٦) وجاء أيضا عن الضحاك، وقتادة، وعطاء، ومقاتل، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٢/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٠/٥).

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٩/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٦٥/٢)، والنكت والعيون (٢٩٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٣/٢)، وبحر العلوم (٣/٢)، وزاد المسير (١٨٧/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٦١/٧)، وتفسير الخازن (٢٩٠/٢)، والدر المصون (٥٥٦/٥).

(٧) انظر : تفسير الطبري (٣٦١/١٣)، والمحرر الوجيز (٤٩٧/٢).

الآية لله عز وجل على جهة التشريف للغنائم والإضافة إلى رسول الله ﷺ؛ لأنه كان بيان حكمها وتدبيرها إليه لا أن الغنائم كلها كانت له كما قال ﷺ في وبرة أخذها من سنام بعير من الفيء: "والله لا يحل لي من فيئكم مثل

هذه إلا الخمس والخمس مردود فيكم "[١].

وقيل: إنما سألوا عن الغنائم على هذه الرواية؛ لأنها كانت حراما على من قبلهم[٢] كما روي **عن أبي هريرة** رضي الله عنه عن رسول الله - ﷺ - أنه قال " لم تحل الغنيمة لقوم سود الرؤوس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء فتأكلها"[٣].

وإنما سميت الغنائم أنفالا؛ لأن الأنفال جمع النفل، والنفل: الزيادة، والأنفال مما زاده الله عز وجل لهذه الأمة من الحلال والنافلة من الصلاة الزيادة على الفرض، ويقال لولد الولد نافلة؛ لأنه زيادة على الولد [٤].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ثم أنزل الله عز وجل قوله سبحانه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ إلى آخر الآية.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٣٩/١١ رقم (٦٧٢٩)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (٢٦٢/٦) رقم (٣٦٨٨) كتاب الهبة، باب هبة المشاع، وأخرجه أبو داوود في سننه (٦٣/٣) رقم (٢٦٩٤) كتاب الجهاد، بَابٌ فِي فِدَاءِ الْأَسِيرِ بِالْمَالِ، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١٩٣/١١) رقم (٤٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٦٥٦)، والسلسلة الصحيحة (١٩٧٢).

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٣٩٩/٢)، وبحر العلوم (٣/٢).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٢٧١/٥) حديث رقم (٣٠٨٥) أبواب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الأَنْفَالِ، وقال حديث حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٧٦/٢) رقم (٢٩٠٦)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠/١٠) رقم (١١١٤٥)، وأخرجه ابن الجارود في المنتقى (٢٦٨/١) رقم (١٠٧١)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٣١٠/١) رقم (٤٧٥)، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٧/٣) رقم (٥٣٦١)، وصححه المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير (٥٨٣/٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٥٥).

(٤) انظر : غريب القرآن للسجستاني (٦١/١)، والصحاح (١٨٣٣/٥) مادة (نفل)، ومجمل اللغة؛ لابن فارس (٨٧٧/١)، ولسان العرب (٦٧١/١١) مادة (نفل)، وتاج العروس (١٧/٣١) مادة (نفل)، ومقاييس اللغة (٤٥٥/٥) مادة (نفل).

وعن ابن عباس[1] رضي الله عنهما في رواية أخرى؛

وهو قول **عطاء**[2] ﷺ: أن الأنفال ما شذ من أموال المشركين نحو دابة وعبد جعل الله تعالى ذلك لرسوله يضعه حيث يشاء[3].

وعن مجاهد ﷺ في رواية أخرى: أن الأنفال الأخماس التي جعلها الله تعالى للفقراء والمساكين[4].

وعن الحسن ﷺ: الأنفال ما ينفله الإمام لسرية تقدم الجيش أو القوم يدلون المسلمين على حصن المشركين أو لرجل خاص[5].

---

(١) عن ابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٣/١٣)، ونسبه السيوطي لعبد بن حميد والنحاس وَابْن الْمُنْذر وَابْن جرير وَأَبُو الشَّيْخ، انظر: الدر المنثور (٩/٤)، وانظر: زاد المسير؛ لابن الجوزي (١٨٧/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٢٢/١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣/٨)، وتفسير ابن كثير (٦/٤).

(٢) عن عطاء، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٣/١٣).

وانظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٨/٢)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (١٨٧/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٢٢/١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣/٨)، وتفسير ابن كثير (٦/٤)، وتفسير القاسمي (٢٥٤/٥).

(٣) انظر : تفسير الطبري ومال إلى هذا القول بقوله " قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى: "الأنفال" قولُ من قال : هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم، إما من سَهْمه على حقوقهم من القسمة، وإما مما وصل إليه بالنفل، أو ببعض أسبابه، ترغيبًا له، وتحريضًا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين، أو صلاح أحد الفريقين، وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس، لأن ذلك أمره إلى الإمام، إذا لم يكن ما وصلوا إليه بغلبة وقهر يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام" انظر : (٣٦٣/١٣-٣٦٦)، وانظر : التبيان للطوسي (٧١/٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٥/١٣).

وانظر: الكشف والبيان؛ للثعلبي (٣٢٦/٤)، والتبيان للطوسي (٧٢/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٥/٢).

(٥) وجاء عن علي بن صالح، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٣/١٣).

وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٦٥١/٥)، والتبيان للطوسي (٧١/٥)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٩٢/٢)، زاد المسير (١٨٧/٢).

وهذا عندنا إنما يكون قبل إحراز الغنيمة فأما[(١)] بعده فلا يجوز إلا من الخمس وذلك كأن يقوله للسرية على وجه التحريض على القتال و التضرية على العدو ولكم الربع بعد الخمس أو الربع من الجميع من[(٢)] قبل الخمس أو يقول من أصاب شيئا فهو له أو من قتل قتيلا فله سلبه وأما بعد إحراز الغنيمة فغير جائز أن ينفل من الأربعة الأخماس التي هي للغانمين، ويجوز أن ينفل من الخمس[(٣)].

وقد روى **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما في رواية أخرى في سبب نزول هذه الآية أن النبي ﷺ رغب أصحابه يوم بدر فقال:" من قتل قتيلا فله كذا ومن جاء بأسير فله كذا فلما هزم الله المشركين ذهب سرعان الناس في أثرهم وأقبلوا بالأسارى وثبت وجوه الناس مع النبي ﷺ مخافة أن يغتاله أحد من المشركين فوقع الاختلاف بينهم في استحقاق الغنيمة فقال الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ قيامنا أفضل من ذهابهم فلو أعطيتهم ما وعدتهم لم يبق لنا ولا لعامة أصحابك شيء، وقال الآخرون: نحن قتلنا وأسرنا فكان في ذلك مراجعة بينهم ورسول الله ﷺ ساكت لا يقول شيئا فأنزل الله هذه الآية يسألونك عن الأنفال، لمن هي[(٤)].

---

(١) في أ (وأما).

(٢) في أ زيادة (من).

(٣) يجوز النَّفَل قبل إحراز الغنيمة، وهو أن يقول الإمام: من أصاب شيئاً فهو له، وبه قال الجمهور. فأما بعد إحرازها، ففيه عن أحمد روايتان، وعن الحنفية لانفل بعد إِحْرَاز الْغَنِيمَة . =

=وانظر: زاد المسير (١٨٨/٢)، وتفسير القاسمي (٢٩٨/٥)، ومختصر اختلاف العلماء؛ للطحاوي (٤٥٨/٣)، وأضواء البيان؛ للشنقيطي (٨٠/٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٣٩/٥) رقم (٩٤٨٣)، وأخرجه أبو داود في سننه (٧٧/٣) رقم (٢٧٣٧، ٢٧٣٨، ٢٧٣٩) كتاب الجهاد، باب في النفل، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٩/٣) رقم (٥٣٦٨)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٧٧/٦) رقم (١٢٧١٢)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (١٤٣/٢) رقم (٢٥٩٤) وقال صحيح، ووافقه الذهبي.

ويجوز أن تكون (عن) صلة في الكلام المعنى يسألونك عن الأنفال التي وعدتهم بها يوم بدر قبل القتال[١]، قل الأنفال لله ولرسوله، ليس لكم منها شيء.

قال عبادة بن الصامت[٢]:"لما اختلفنا في غنائم بدر وساءت أخلاقنا نزعها الله من أيدينا وجعلها إلى رسوله فقسم بيننا على سواء [٣].

وهذه الرواية تقتضي أن هذه الآية لابد أن تكون منسوخة؛ لأن النبي ﷺ لم يخرج الخمس من غنائم بدر على هذه الرواية وسوى في القسمة بين الفارس والراجل كما قال **عبادة**: "فقسم بيننا على سواء"، يدل عليه أنه روي في الخبر أن النبي ﷺ قسم من غنائم بدر[٤] لمن لم يحضرها لعلل كانت لهم، منهم: **عثمان**[٥] **وطلحة**[٦] [٧] وسبعة من المهاجرين وخمسة من

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/٩٩)، وبحر العلوم (٢/٣).

(٢) عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي أبو الوليد المدني أحد النقباء بدري مشهور مات بالرملة سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون وقيل عاش إلى خلافة معاوية قال سعيد ابن عفير كان طوله عشرة أشبار، ع. انظر: معرفة الصحابة (٤/١٩١٩)، والاستيعاب (٢/٨٠٧)، والإصابة (٣/٥٠٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/٤١١) رقم (٢٢٧٤٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٣٦٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/٤٧٨) رقم (١٢٧١٤).

(٤) (بدر) لا توجد في أ.

(٥) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس الأموي أبو ليلى أمير المؤمنين ذو النورين أحد السابقين الأولين والخلفاء الأربعة والعشرة المبشرة استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة خمس وثلاثين فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون وقيل أكثر وقيل أقل. انظر: معرفة الصحابة (١/٥٨) و (٤/١٩٥٢)، والاستيعاب (٣/١٠٣٧)، والإصابة (٤/٣٧٧).

(٦) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو ابن كعب ابن سعد ابن تيم ابن مرة التيمي أبو محمد المدني وهو المسمى طلحة الفياض أحد العشرة مشهور استشهد يوم الجمل سنة ست وثلاثين وهو ابن ثلاث وستين. انظر: معرفة الصحابة (١/٩٤)، والاستيعاب (٢/٧٦٤)، والإصابة (٣/٤٣٠).

(٧) أخرج هذه الرواية الطبراني في المعجم الأوسط (٤/١٥٩) رقم (٣٨٦٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٥٤٤) رقم (١٢٩٢٥).

الأنصار، وقيل: إن التنفيل المذكور في هذه الآية[1] قبل القتال غلط وقع من الراوي؛ لأنه لا يجوز على النبي ﷺ خلف الوعد ولا استرجاع ما جعله لإنسان وأخذه منه وإعطائه غيره ، والصحيح أنهم اختلفوا في الغنائم من غير تنفيل كان من رسول الله/ صلى الله عليه قبل الأخذ والقتال، يدل على ذلك ما روي عن **مصعب بن سعد**[2] **عن أبيه**[3] أنه قال: جئت يوم بدر إلى النبي ﷺ بسيف فقلت يا رسول الله إن الله عز وجل قد شفى صدري اليوم من العدو فهب لي هذا السيف فقال : إن هذا السيف ليس لي ولا لك فذهبت وأنا أقول : يعطاه اليوم من لم يبل ببلائي ، فبينا أنا جالس إذ جاءني الرسول فظننت انه نزل في شيء من كلامي فخفت، فقال النبي ﷺ أنك سألتني هذا السيف فقلت ليس لي ولا لك ثم إن الله عز وجل جَعْلُه لي فهو لك ثم قرأ " ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ "[4].

٨= ب

وقوله عز وجل : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ معناه فاتقوا معاصيه واحذروا مخالفة أمر الله عز وجل ورسولهﷺ.

---

(١) في أ (الرواية).

(٢) مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري أبو زرارة المدني ثقة من الثالثة أرسل عن عكرمة ابن أبي جهل مات سنة ثلاث ومائة ع. انظر: الجرح والتعديل (٣٠٣/٨)، وتهذيب الكمال (٢٤/٢٨)، والتقريب (٦٦٨٨).

(٣) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف ابن زهرة ابن كلاب الزهري أبو إسحاق أحد العشرة وأول من رمى بسهم في سبيل الله ومناقبه كثيرة مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور وهو آخر العشرة وفاة. انظر: معرفة الصحابة (١٢٩/١)، والاستيعاب (٦٠٦/٢)، والإصابة (٧٤/٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه مختصرا جدا، (١٣٦٧/٣) رقم (١٧٤٨) كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال، وأخرجه الترمذي الترمذي في سننه (٢٦٨/٥) رقم (٣٠٧٩) أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنفال، وقال: حسن صحيح،= =وأخرجه أبو داوود في سننه (٧٧/٣) رقم (٢٧٤٠) كتاب الجهاد، باب في النفل، والنسائي في الكبرى(سورة الأنفال)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٨٤/٢) رقم (٧٣٥)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤٧٧/٦) رقم (١٢٧١١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (١٤٤/٢) رقم (٢٥٩٥) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وقوله تعالى : ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ أي: كونوا مجتمعين على ما يأمركم به الله ويأمركم به رسولكم ، ومعنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين يذكر بمعنى الوصل، قال الله تعالى "﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾"[(١)] أي (وصلكم[(٢)].

ويقال معناه: أصلحوا نفس كل شيء بينكم)[(٣)] أصلحوا الحال التي يجتمع عليها المسلمون أو الخصومة التي بينكم في أمر الغنيمة ومن هذا يقال اللهم أصلح ذات البين ، وقوله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ أي أقبلوا ما أمرتم به في الغنائم وغيرها إن كنتم مصدقين بالله ورسوله كما تزعمون.

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾.

فيه بيان صفة المؤمنين ومعناه أن صفتهم أنهم إذا ذكر الله (عز وجل عندهم)[(٤)] فزعت قلوبهم عند الموعظة، والوجل في اللغة هو الخوف مع شدة الحزن كما قال الشاعر:

---

(١) سورة الأنعام آية ٩٤.

(٢) انظر : معاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٠/٢)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (١٢٩/٣)، وفي لسان العرب البَيْنُ في كلام العرب جاء على وجْهَين يكون البَينُ الفُرْقةَ ويكون الوَصْلَ بانَ يَبِينُ بَيْناً وبَيْنُونةً وهو من الأَضداد وشاهدُ البَين الوَصل قول الشاعر لقد فَرَّقَ الواشِينَ بيني وبينَها فقَرَّتْ بِذاكَ الوَصْلِ عيني وعينُها وقال قيسُ بن ذَريح لَعَمْرُك لولا البَيْنُ لا يُقْطَعُ الهَوى ولولا الهوى ما حَنَّ لِلبَيْنِ آلِفُ فالبَينُ هنا الوَصْلُ. (٦٢/١٣)، وتهذيب اللغة (٣٣/١٥)، والقاموس المحيط (١٣٥١/١)، وتاج العروس (٤٢٨/٤٠).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على أينا تعدوا المنية أول[١]

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ ﴾ معناه: إذا قرئت عليهم آياته بالأمر والنهي زادتهم يقينا وبصيرة[٢]، ويقال: زادتهم تصديقا بالفرائض مع تصديقهم بالله عز وجل[٣].

وقوله : ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي يفوضون أمورهم إلى الله عز وجل لا يتقون بغيره؛ لأنه تعالى يحسن إلى عباده ثم زاد جل ذكره في نعت المؤمنين[٤].

فقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ ﴾.

معناه الذين يقيمون الصلاة بوضوئها وركوعها وسجودها في مواقيتها[١]، ومما أعطيناهم من الأموال ينفقون في طاعة الله عز وجل[٢]، وإنما خص الله عز وجل الصلاة والزكاة بالذكر

---

(١) البيت لمعن بن أوس بن نصر بن زياد المزني : شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والاسلام، مات سنة٦٤هـ . انظر : الأعلام للزركلي (٧/٢٧٣).

والبيت من الطويل، وانظره في: معاني القرآن؛ للفراء (٢/٣٢٠)، وشرح ديوان الحماسة (١/٧٩١)، وزهر الآداب وثمر الألباب (٣/٨٧٣)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٦/٥٠٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٠٠).

(٢) قاله الضحاك، انظر : تفسير الطبري (١٣/٣٨٥)، بحر العلوم (٢/٤)، وزاد المسير (٢/١٨٨)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٥١).

(٣) جاء ذلك عن ابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٣٨٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٥٦).

وجاء أيضا عن الضحاك، وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٠٠) وبحر العلوم (٢/٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٦٦)، والنكت والعيون (٢/٢٩٥)، والتفسير الوسيط (٢/٤٤٤)، والوجيز؛ للواحدي (١/٤٣٠)، وتفسير السمعاني (٢/٢٤٨)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٦٨)، والمحرر الوجيز (٢/٥٠١)، وزاد المسير (٢/١٨٨)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٥١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٦٧).

(٤) انظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٦٨)، وتفسير البيضاوي (٣/٤٩)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٣٠)، وتفسير أبي السعود (٤/٤).

في هذا الموضع لعظم شأنهما أو تأكيد أمرهما وإظهار المدح على فعلهما حتى لا يمل منهما[٣].

قولـه عـز وجـل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤ ﴾.

معناه: أهل هذه الصفة الذين تقدم ذكرهم هم الذين استحقوا هذه الصفة صدقا، لهم فضائل ومنازل في الرفعة في الآخرة على قدر أفعالهم ، ومغفرة لذنوبهم ، وثواب حسن في الجنة[٤].

ويقال منافع خالصة عن المضار، كما يقال: فلان كريم؛ إذا كانت أخلاقه حميدة ، وقيل: إنما أثنى الله عز وجل على أهل بدر بهذا الثناء؛ لأنه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه سلم (يوم بدر)[٥] إلا الصادق في إيمانه لم يكن معهم يومئذ منافق، فإن قيل كيف (يصح)[٦] الجمع بين قوله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ "وبين قوله عز وجل" ﴿ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ "[٧] وكيف يجتمع الوجل مع طمأنينة

---

(١) قاله قتادة، ومقاتل، وانظر: تفسير الطبري (٣٨٨/١٣)، وبحر العلوم (٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٨/٢)، وتفسير الخازن (٢٩٢/٢)، وتفسير ابن كثير (١٢/٤)، وتفسير القاسمي (٢٥٦/٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٨٨/١٣)، وبحر العلوم (٤/٢)، وتفسير الخازن (٢٩٢/٢)، وتفسير ابن كثير (١٢/٤)، وتفسير القاسمي (٢٥٦/٥).

(٣) انظر: البحر المحيط (٢٧١/٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٨٩/١٣)، وبحر العلوم (٤/٢-٥)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٠١/٢).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٧)سورة الرعد آية (٢٨).

القلب ؟[١] قيل: إنما ورد في حالتين فالمراد بقول الله عز وجل " ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾" إذا ذُكر[٢] إحسان الله عز وجل إلى عباده ورحمته وإنعامه عليهم وثوابه لهم على الطاعات وغفران الذنوب اطمأن قلبه، والمراد بقوله عز وجل " ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾"أن يذكر العبد أمر الله عز وجل وعظمته ويتذكر ذنوب نفسه وإقدامه على المعاصي مع أن الله عز وجل تواعد على المعاصي بالعقاب وهو يعلم اقتداره على ذلك وجل قلبه على ذلك[٣] كما قال عزّ من قائل في آية أخرى "

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾"[٤].

قوله عز وجل : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ / إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ ﴾.

٩= أ

وذلك أن رسول الله ﷺ بلغه أن عير قريش خرجت من الشام وفيهم أبو سفيان بن حرب ومخرمة بن نوفل (في)[٥] أربعين رجلا من تجار قريش أو أكثر ، فقال عليه السلام لأصحابه : هذه عير قريش قد أقبلت فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها فتتقووا بها على الجهاد[٦]،

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٩٢/٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٠/٣)، إيجاز البيان عن معاني القرآن (٥٧٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٢١٢/١٧)، وتفسير الخازن (٢٩١/٢).

(٢) في أ زيادة (الإنسان).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠٠/٢)، مفاتيح الغيب (٢١٢/١٧).

(٤) سورة الزمر آية ٢٣.

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) في أ (العدو).

فغدوا على نواضحهم من المدينة ليس لهم ظهر غيرها ومعهم فارسان أحدهما الزبير والآخر المقداد فخرجوا بغير قوة ولا سلاح وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا لا يرون أنه يكون قتال فلما سار رسول الله ﷺ بلغ ذلك أبا سفيان فأرسل من الطريق ضمضم بن عمرو الغفاري يخبر أهل مكة أن محمدا قد اعترض لعيركم فأدركوها ، فنزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فأخبره بنفر المشركين يريدون عيرهم وقال يا محمد إن الله يعدك إحدى الطائفتين إما العير وإما العسكر فأخبر بذلك رسول الله ﷺ المسلمين (فسروا بذلك وأعجبهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله المسلمين) [١] حين عرف أنهم لا يخالفوه فقالت الأنصار : والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك أما إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام أذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ثم أخبرهم رسول الله ﷺ أن في المشركين كثرة فشق على بعضهم فقالوا ألا كنت أخبرتنا أنه يكون قتالا فنخرج معنا بسلاحنا وقوتنا إنما خرجنا في ثيابنا نريد العير فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهم بالروحاء[٢].

ومعنى الآية امض على وجهك من الروحاء كما أخرجك ربك من بيتك أي من المدينة بالحق بالأمر الواجب، يقال فلان خرج من بيته إذا خرج من بلده[٣].

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) هذا الحديث جاء مفرقا، فأخرج بعضه: البخاري في صحيحه (٧٣/٥) رقم (٣٩٥٢) كتاب المغازي، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٣/٧) رقم (٣٦٦٦٠)، وأحمد في المسند (٢٢٧/٦) رقم (٣٦٩٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٤/٤) رقم (٤٠٥٦) و (٣٤٦/٢٤) رقم (٨٦٠).

وانظر : سيرة ابن هشام (٦٠٦/١)، ومغازي الواقدي (٣٦/١)، وجوامع السيرة؛ لابن حزم (٨١/١)، وتفسير مقاتل (١٠٠/٢).

(٣) قال ذلك ابن أبي بزة، ومحمد بن عباد بن جعفر، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١٣).

وانظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٦٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٢٩/٤)، والنكت والعيون (٢٩٥/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٤/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٣١/١).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴾ أراد بذلك كراهية الطبع للمشقة التي لحقتهم لا كراهية الحق فإنهم كانوا لا يعلمون عند الخروج أن خروجهم للقتال[١] ، وقيل: إن التشبيه في قوله عز وجل : ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ ﴾ راجع إلى ما تقدم ذكره وهو قوله "﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ ﴾ " أي انتزع الله الأنفال من أيديكم وجعل ذلك إلى رسول الله ﷺ ينفلها من شاء على ما علم من المصلحة في ذلك وإن كنتم كارهين كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على ما علم من المصلحة[٢] (في ذلك)[٣] ، وقيل: إن قوله عز وجل ("﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ ﴾ " متصل بقوله عز وجل)[٤] "﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ ﴾" أي يجادلونك في الحق متكرهين له كما أخرجك ربك مع تكرههم له ومعنى يجادلونك في الحق يخاصمونك بقولهم هلا أعلمتنا أنه قتال حتى كنا نستعد للقتال[٥].

---

(١) قال بذلك ابن عباس، والسدي، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١٣).

وانظر: التبيان للطوسي (٧٨/٥-٨٩)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٦٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٢٩/٤)، والتفسير الوسيط (٤٤٤/٢)، تفسير السمعاني (٢٤٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٦٩/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٣٢/١).

(٢) جاء عن مجاهد، والمبرد، انظر : معاني القرآن للفراء (٧٤/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٣٩٩/٢)، والتبيان للطوسي (٧٨/٥)، وبحر العلوم (٥/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٢٩/٤)، والنكت والعيون (٢٩٥/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٩/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠١/٢)، وتفسير الخازن (٢٩٣/٢).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر : تفسير الطبري (٩٢/١٣) عن مجاهد -رحمه الله – واختاره بقوله " قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قولُ من قال في ذلك بقول مجاهد، وقال: معناه : كما أخرجك ربك بالحقّ على كره من فريق من المؤمنين، كذلك يجادلونك في الحق بعد ما تبين، لأن كلا الأمرين قد كان أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارهًا وجدالهم في لقاء العدو وعند دنوِّ القوم بعضهم من بعض فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بَعُد عنه".

وقوله عز وجل :﴿ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ ﴾ أي بعدما ظهر لهم أنك ما تصنع إلا ما أمرك ربك[١]، وقوله عز وجل :﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴾أي هم بما عليهم من شدة المشقة لقلة عددهم وعدتهم وكثرة عدوهم كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون إلى أسباب الموت[٢].

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٠١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٤٩/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠١/٢)، وزاد المسير (١٩٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٦٩/٧)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٣٢/١)، تفسير الخازن (٢٩٤/٢).

(١) جاء عن السدي، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٧/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٥٩/٥).

قال ابن الجوزي: " ثلاثة أقوال: أحدهما: تبيَّن لهم فرضُه. والثاني: تبيَّن لهم صوابه. والثالث: تبيَّن لهم أنك لا تفعل إلا ما أُمِرتَ به"، زاد المسير (١٩٠/٢).

وانظر: بحر العلوم (٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٦٩/٧).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٥١/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٣٢/١).

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

معناه: اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين إما العير وإما العسكر وتمنون أن تكون لكم العير دون العسكر ذات الشوكة وهي السلاح[١]، من قولهم (فلان)[٢] شاك وشائك في السلاح[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ معناه ويريد الله أن يظهر الإسلام بوعده الذي أنزل في القرآن، ويقال بأمره لكم في القتال[٤]، وقوله عز وجل : (ويقطع دابر الكافرين؛ معناه: يظفركم على ذات الشوكة فتستأصلوا الكافرين) [٥]ليحق الحق ليظهر الدين بإظهار أهله وإلا فالحق في نفسه حق، وقوله عز وجل ويبطل الباطل أي يهلك الباطل بإهلاك أهله ولو كره مشركوا أهل مكة[٦].

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٩٨/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٠٢/٢)، وبحر العلوم (٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٣١/٤)، والنكت والعيون (٢٩٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٥/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٢/٢)، وزاد المسير (١٩٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٦٩/٧).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) ذَاتِ الشَّوْكَةِ: ذات السلاح. ومنه قيل: فلان شاكُّ السلاح انظر: تهذيب اللغة (٣١٦/٩) مادة (شك)، والصحاح (١٥٩٤/٤) مادة (شكك)، غريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٧٧/١).

(٤) في أ (بالقتال).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤٠٧/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٢/٢)، وبحر العلوم (٧/٢)، والنكت والعيون (٢٩٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٥/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٢/٢)، وزاد المسير (١٩١/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٣٣/١).

قولـه عـز وجـل : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾ .

معناه إذ تستغيثون أيها المسلمون ربكم حين رأيتم قلة عددكم وكثرة عدوكم لم يكن لكم مفزع إلا الدعاء لله عز وجل وطلب المعونة منه فاستجاب لكم أي أجابكم والإجابة[(١)] العطية على موافقة المسألة[(٢)].

وقولـه عـز وجـل :﴿ أَنِّي مُمِدُّكُم ﴾ مـن المـدد، وقولـه :﴿ بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ **قال ابن عباس**: كان مع كل رجل ملك [(٣)]، فكانت جملتهم ألفين وهذا كما يقال : ردفت الرجل إذا ركبت/ خلفه، وأردفته إذا أركبته خلفك[(٤)]. ٩= ب

وقال عكرمة وقتادة[(٥)]

---

(١) في أ (و الاستجابة العطية).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٠٩/١٣)، وبحر العلوم (١٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٢/٢)، وزاد المسير (١٩١/٢)، والنكت والعيون (٤٥٩/١٥).

(٣) جاء عن ابن عباس لكن بلفظ: مع كل ملك ملك، والظاهر هو هذا لقول المؤلف هنا بعدها :"فكانت جملتهم ألفين" والأثر أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٢/١٣).

وانظر: تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٩٨/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٤/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٢٦/١)، والبحر المحيط (٢٧٩/٥)، والدر المصون (٥٦٧/٥)، وتفسير ابن كثير (٢٠/٤).

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٠٢/٢)، ، غريب القرآن للسجستاني (٤٣٩/١)، وتهذيب اللغة (٦٨/١٤) مادة (ردف)، والنهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير (٢١٦/٢)، ولسان العرب (١١٥/٩) مادة (ردف)،وتاج العروس (٣٣٢/٢٣) مادة (ردف).

(٥) عن قتادة، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١١٥/٢)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٤١٣/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٣/٥).

والضحاك[١]: معناه بألف من الملائكة متتابعين يتبع بعضهم بعضا[٢].

وقد يجوز أن يقال أردفت الرجل إذا جئت بعده، وكذلك ردفته[٣] فيكون معنى مردفين: رادفين للمؤمنين، وأما قراءة نافع مردَفين بنصب الدال[٤] فمعناه أردفهم الله بالمؤمنين[٥].

وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ معناه: ما جعل الله عز وجل إمداد الملائكة إلا بشارة بالنصر للمؤمنين[٦]، ويقال معناه: ما جعل الله إخبار النبي ﷺ بإمداد الملائكة إلا

---

(١) عن الضحاك، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤١٣/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٣/٥).

(٢) وكذا قال ابن عباس، أخرجه الطبري في تفسيره (٤١٢/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٣/٥).

وقال به مقاتل، وسفيان الثوري، ومجاهد، والسدي، وأبي مالك، ومحمد بن كعب وابن زيد، وانظر : تفسير مقاتل (١٠٢/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٦٣/٥)، وتفسير سفيان (١١٦/١)، وتفسير الطبري (٤١٣/١٣-٤١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٦٧/٢)، والنكت والعيون (٢٩٨/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٣/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٠١/٢)، وتذكرة الأريب (١٢٦/١)، وزاد المسير (١٩٢/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠٢/٢)، غريب القرآن للسجستاني (٤٣٩/١)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٧٧/١).

(٤) قال ابن مجاهد: "اخْتلفُوا فى فتح الدَّال وَكسرهَا من قَوْله {مُردِفِينَ}،فَقَرَأَ نَافِع وَحده {مُردفِينَ} بِفَتْح الدَّال وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {مُردفِينَ} بِكَسْر الدَّال، وروى الْمُعَلَّى بن مَنْصُور عَن أَبى بكر عَن عَاصِم {مُردفِينَ} بِفَتْح الدَّال". انظر: السبعة في القراءات (٣٠٤/١).

وانظر: معاني القرآن؛ للنحاس (١٣٤/٣)، والحجة في القراءات السبع (١٦٩/١)، وحجة القراءات (٣٠٧/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٦/١).

(٥) انظر : تفسير الطبري (٤١٥/١٣) ورده بقوله " وأما قول من قال: معنى ذلك إذا قرئ مُرۡدِفِينَ بفتح الدال: أن الله أردفَ المسلمين بهم فقولٌ لا معنى له، إذ الذكر الذي في مُرۡدِفِينَ من الملائكة دون المؤمنين، وإنما معنى الكلام =

= أن يمدكم بألف من الملائكة يُرْدَف بعضهم ببعض، ثم حذف ذكر الفاعل وأخرج الخبر غير مسمَّى فاعلُه فقيل : (مردَفين) بمعنى : مردَفٌ بعض الملائكة ببعض، ولو كان الأمر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون في "المردفين" ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة، وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر القرآن"، وانظر: معاني القراءات؛ للأزهري (٤٣٧/١)، وحجة القراءات (٣٠٧/١)، وتفسير السمعاني (٢٥١/٢).

بشرى بالنصر[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾ (معناه لتسكن به قلوبكم في الحرب فلا تخافون من عدوكم[٢]، وقوله عز وجل) [٣] وما النصر إلا من عند الله معناه ليس النصر بقلة العدد ولا بكثرته ولا[٤] من قبل الملائكة؛ ولكن النصر من عند الله إن الله عزيز بالنقمة ممن عصاه حكيم في أفعاله يجريها على ما تقتضي الحكمة[٥].

وقد اختلفوا في أن الملائكة هل قاتلوا مع (المؤمنين يوم)[٦] بدر أم لا ؟ قال بعضهم أنهم لم يقاتلوا ولكن الله عز وجل أيد بهم المؤمنين ليشجع بهم قلوب المؤمنين ويلقي بهم الرعب في قلوب الكافرين فيجعل للمؤمنين ثواب القتال على الكمال، ولو بعث الله عز وجل الملائكة للمحاربة لكان ينبغي أن يبعث ملكاً واحداً فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة واحدة سبعا من قريات قوم لوط ، وأهلك بصيحة واحدة جميع بلاد ثمود، وهذا القول أقرب إلى ظاهر الآية ،

---

(٦) جاء ذلك عن مجاهد، وابن زيد، وابن إسحاق، ومقاتل، انظر : تفسير مجاهد (٢٥٨/١)، وتفسير مقاتل (٢٩٩/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٩١/٧)، وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (٣٧١/١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٦٣/٥).

وانظر: ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٧/١)، وبحر العلوم (٢٤٤/١)، وتفسير السمعاني (٢٥١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٠٢/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٥/٢)، وزاد المسير (١٩٢/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٦٠/١٥)، وتفسير البيضاوي (٥١/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٢٩٠/١)، والبحر المحيط (٣٣٦/٣).

(١) انظر : التبيان للطوسي (٨٤/٥)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٢٩٨/٢)، وزاد المسير (١٩٢/٢)، وتفسير ابن كثير (٢١/٤).

(٢) انظر: بحر العلوم (١٠/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥١/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٢٩٠/١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) (ولا) لا توجد في أ.

(٥) انظر: بحر العلوم (١٠/٢)، والنكت والعيون (٢٩٩/٢)، وتفسير الكشاف (٢٠٢/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٥/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٧١/٧)، وتفسير البيضاوي (٥٢/٣).

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

وقال بعضهم: إن الملائكة قاتلت في ذلك اليوم؛ لأنه رُوي أن أبا جهل قال لعبد الله بن مسعود: من أين كان ذلك الضرب الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا؟ فقال ابن مسعود من الملائكة ، فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم[١] .

---

(١) قال الماوَرْدِي: "واختلفوا في قتال الملائكة معهم على قولين: أحدهما: لم يقاتلوا وإنما نزلوا بالبشرى لتطمئن به قلوبهم ، وإلا فملك واحد يهلك جميع المشركين كما أهلك جبريل قوم لوط. الثاني: أن الملائكة قاتلت مع النبي ﷺ كما روى ابن مسعود "، النكت والعيون (٢/٢٩٩).

وممن قال بالقول الأول: مجاهد، تفسير مجاهد (١/٢٥٨)، وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (١/٣٧١)، ويحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني، جزء في تفسير القرآن ليحي بن يمان (١/٧٨)، والرازي في مفاتيح الغيب (١٥/٤٦٠).

والقول الثاني: أن الملائكة قاتلت: وممن قال بذلك القرطبي حيث قال: "تظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت .."، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٤/١٩٢-١٩٣-١٩٤).

وكذا مال ابن عطية فقد ذكر قول من قال بعدم القتال: "وهذا عندي ضعيف ترده الأحاديث الواردة بقتال الملائكة وما رأى من ذلك أصحاب النبي ﷺ كابن مسعود وغيره"، المحرر الوجيز (٢/٥٠٥).

وقال الخازن: " وما جعل الله الإرداف بالملائكة إلا بشرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وهذا يحقق أنهم إنما نزلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الأول وأنهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الأيام."، تفسير الخازن (٢/٢٩٧).

وممن قال بهذا: السمرقندي في بحر العلوم (١/٢٤٤)، والبيضاوي في تفسيره (٣/٥١).

وممن حكى القولين دون ترجيح: السمرقندي في بحر العلوم (٢/١٠).

قوله عز وجل : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ﴾.

رُوي عن جماعة من أهل التفسير أنهم قالوا: وذلك لما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالمسير إلى الكفار سارﷺ بمن معه حتى إذا كان قريبا من بدر لقي رجلين في الطريق فسألهم هل مرت بكم العير ؟ قالا نعم مرت بنا ليلا فطوت الماء ، فسار رسول الله ﷺ وكان بين يديه عشرة رهط من المسلمين يرتادون له فأخذوا رجلين أحدهما عبدٌ للعباس بن عبد المطلب يقال له أبو رافع والآخر عبدٌ لعقبة بن أبي معيط يقال له أسلم كانا يستقيان الماء فجاؤا بهما إلى رسول الله ﷺ فاستخلا بأبي رافع ودفع أسلم إلى أصحابه يسألونه فقالﷺ لأبي رافع من خرج من أهل مكة ؟ فقال:ما بقي أحد إلا وقد خرج، فقالﷺ جاءت مكة اليوم بأفلاذ كبدها ثم قال هل رجع منهم أحد ؟ قال : نعم ابن أبي شريق في ثلاثمائة من بني زهرة فكان خرج لمكان العير فلما أقبلت العير انصرف ، فسماهﷺ الأخنس؛ حين خنس بقومه، ثم أقبل رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يسألون أسلم وكان هو يقول خرج فلان وفلان وكان أبو بكر يضربه بالعصا ويقول كذبت تجبن الناس، فقال – ﷺ – " إن صدقكم ضربتموه، وإن كذبكم تركتموه، فعلموا أن رسول الله قد عرف أمرهم فساروا حتى نزلوا بدرا بجانب الوادي الأدنى على غير ماء ونزل المشركون على جانبه الأقصر على الماء والوادي بينهما ومشت السفراء يومئذ فيما بينهم ثم باتوا ليلتهم تلك ثم ألقى الله عز وجل النوم على المسلمين فناموا ثم استيقظوا وقد أجنبوا وليس معهم ماء فأتاهم الشيطان فوسوس إليهم وقال تزعمون أنكم على دين الله وأنتم مجنبون محدثون تصلون على الجنابة والمشركون على الماء فأمطر الله عز وجل الوادي وكان ذا رمل تغيب فيه الأقدام فاشتد الرمل وتلبدت بذلك أرضهم وأوحل أرض عدوهم وبنى المسلمون

في مكانهم حياضا واغتسلوا من الجنابة وشربوا وسقوا دوابهم وتهيؤا للقتال[١] فذلك قوله عز وجل : ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ ﴾

معناه اذكروا إذ يلقي عليكم النعاس والنعاس أول النوم قبل أن يثقل، ويجوز أن يكون قوله عز وجل " ﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ﴾ " راجع إلى قوله "﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ ﴾"[٢]، من قرأ يَغشاكم بنصب الياء والتخفيف[٣] جعل الفعل للنعاس؛ كأنه قال: إذ يلابسكم/ (النعاس)[٤] [٥]. ١٠=أ

وقوله عز وجل :﴿ أَمَنَةً مِّنۡهُ ﴾معناه: أمناً من الله عز وجل أن أمنهم الله بوعد النصر أمناً حتى غشيهم النعاس في حالة الاستعداد للقتال، **قال عبد الله بن مسعود** ﷺ: النعاس عند القتال أمنٌ من الله وفي الصلاة من الشيطان[٦].

---

(١) أخرجه الواقدي في المغازي عن محمد بن عباد بن جعفر به (١/١٣٢)، وذكره ابن هشام في السيرة (١/٦٦٧)، وذكره مقاتل في تفسيره (٢/١٠٣)، وذكره أبو الفداء الحنفي في روح البيان (٣/٣٢٠)، وذكره الفراء في معاني القرآن (١/٤٠٤).

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٣/٤١٩).

(٣) **قال ابن مجاهد**: " فَقَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو؛ إِذْ يغشاكم النعاس؛ رفعا، وَقَرَأَ ابْن عَامر وَعَاصِم وَحَمْزَة والكسائى {يغشيكم} بِضَم الْيَاء وَفتح الْغَيْن وَتَشْديد الشين و {النعاس} نصبا، وَقَرَأَ نَافِع {يغشيكم} من أغشى خَفِيفَة بِغَيْر ألف {النعاس} نصبا"، السبعة في القراءات (١/٢٨٢)، وانظر: معاني القراءات؛ للأزهري (١/٤٣٧)، وحجة القراءات (١/١٧٦).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر: معاني القراءات؛ للأزهري (١/٤٣٧)، وحجة القراءات (١/٣٠٨).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١١٧) رقم (١٠٠٠)، الطبراني في المعجم الكبير (٩/٢٨٨) رقم (٩٤٥١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤١٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٧٩٣)، وأخرجه مسدد كما في إتحاف المهرة (٥/١٦٢) رقم (٤٤٤٥)، والمطالب العالية بزوائد الثمانية (١٤/٥٥٦) رقم (٣٥٦٢).
وانظر: بحر العلوم (٢/١٠)، وروح البيان (١/٢٥٧)، والدر المنثور (٢/٣٥٤).

وقوله عز وجل : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يعني المطر ليطهركم بالمطر من الجنابة والحدث ويذهب عنكم وسوسة الشيطان التي كان وسوس إليكم بأن عدوكم قد غلب على الماء وأنكم في مكان تسوخ أقدامكم في الرمل(١).

ويقال: أرد بالرجز الجنابة التي أصابتهم بالاحتلام؛ فإن الاحتلام إنما يكون من وسوسة الشيطان(٢).

وقوله عز وجل : ﴿ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ ﴾ بالصبر ويشجعكم على القتال وهذا كما تقول لغيرك ربط الله على قلبك بالصبر.

وقوله عز وجل : ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ ويثبت بالمطر الأقدام على ما تقدم أن المطر لبد الرمل وشددهُ حتى اشتدوا عليه، ويقال معناه وثبت بالربط على القلوب الأقدام؛ فإن الأقدام إنما تثبت في الحرب بقوة القلب (٣).

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٠٤/٢)، وتفسير عبد الرزاق (١١٦/٢)، وتفسير الطبري (٤٢٢/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٣/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٦٥/٥)، بحر العلوم (١١/٢)، والنكت والعيون (٣٠٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٤/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٦/٢).

(٢) قال الرازي: "فَفِيهِ وُجُوهٌ: الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْهُ الِاحْتِلَامُ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ. الثَّانِي: أَنَّ الْكُفَّارَ لَمَّا نَزَلُوا عَلَى الْمَاءِ، وَسْوَسَ الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ وَخَوَّفَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ، فَلَمَّا نَزَلَ الْمَطَرُ زَالَتْ تِلْكَ الْوَسْوَسَةُ...الثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ رِجْزِ الشَّيْطَانِ سَائِرُ مَا يَدْعُو الشَّيْطَانُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَةٍ وَفَسَادٍ"، النكت والعيون (٤٦٢/١٥).

وانظر : التبيان للطوسي (٨٦/٥)، وتفسير البيضاوي (٥٢/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٣٥/١).

(٣) **قال الزجاج**: " وجائز أن يكون زين به للربط على قلوبهم، فيكون المعنى " وَلِيَرْبطَ عَلَى قُلُوبكُمْ وَيُثَبِّتَ"

بالربط الأقدام"معاني القرآن للزجاج (٤٠٤/٢).

وذكره هذا القول الماوَرْدِي ونسبه لأبي عبيدة، النكت والعيون (٣٠١/٢).

وذكره الطبري هذا القول فرده مضعفا له، انظر: تفسير الطبري (٣٢٧/١٣-٤٢٨).

وقوله عز وجل : ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ أي يلهم ربك الملائكة النازلين أني معكم بالنصر للمسلمين[١] فثبتوا الذين آمنوا بالتنبيه والإخطار بالبال[٢]، ويقال: بَشِّروهم بالنصر[٣]، ويقال: أروهم أنفسكم مدداً لهم فإذا عاينوكم ثبتوا[٤]، والوحي إلقاء المعنى إلى النفس من وجه خفي ويقال فلانا مع فلان في خَفيٍّ هذا الأمر يراد بذلك أن كلمتهما فيه واحدة؛ فإن[٥] كل واحد منهما معين لصاحبه ولا يراد بذلك اجتماعهما في مكان واحد[٦].

وقد روي عن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أنه قال سوى أصحاب رسول ﷺ صفوفهم وقدموا راياتهم فوضعوها مواضعها ووقف رسول الله ﷺ على بعير له يدعو الله ويستغيث به فهبط جبريل عليه السلام في خمسمائة من الملائكة على ميمنتهم، وميكائيل عليه السلام في خمسمائة على ميسرتهم فكان الملك يأتي الرجل من المسلمين على صورة من يعرف هو صورته ولا يعرف اسمه ويقول له دنوت من عسكر المشركين فتسمعهم يقولون والله لئن حملوا علينا لا نثبت لهم أبدا ، ويقول أنهم ليسوا بشيء فأبشروا بالنصر من الله عز وجل فإنا نعبده وهم لا يعبدونه ونحن كثير وعدونا قليل فيقول الذي يسمع حدثني جليسي بكذا أنه سمع المشركين

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٤٢٨/١٣)، بحر العلوم (١١/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٣٣/٤)، تفسير السمعاني (٢٥٢/٢)، وزاد المسير (١٩٣/٢).

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٠٤)، معاني القرآن للنحاس (١٣٧/٣)، الكشاف (١٩٤/٢)، وزاد المسير (١٩٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٣٣/٤)، والتفسير الوسيط (٤٤٧/٢).

(٣) انظر : تفسر مقاتل (٨/٢)، بحر العلوم (١١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٧/٢)، وزاد المسير (١٩٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٤/٢)، وزاد المسير (١٩٣/٢).

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٠٤/٢)، تفسير السمعاني (٢٥٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٤/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٧/٢).

(٥) في أ (وأن).

(٦) انظر: تفسير ابن فورك (٣٣٠/١)، والنكت والعيون (٣٩٣/١)، والمحرر الوجيز (٤٣٥/١)، وتفسير العو بن عبد السلام (٢٦٢/١)، وتفسير النيسابوري (٣٦٨/٦)، وروح البيان (٩٥/٣).

يقولون كذا فيزدادون أصحاب النبي ﷺ بذلك[١] جرأة عليهم وألقي الله عز وجل في قلوب الكفرة الرعب بعد قيامهم للصف فقال عتبة بن ربيعة يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش نقاتلهم فقام إليهم بنوا عفراء من الأنصار وهم عوف ومعوذ ومعاذ أمهم عفراء وأبوهم الحارث فمشوا إليهم فقالوا ارجعوا وأرسلوا إلينا أكفاءنا من بني هاشم فخرج إليهم علي وحمزة وعبيدة بن الحارث ، قال علي فمشيت إلى الوليد بن عتبة ومشى إليّ فضربته بالسيف أطرت يده ثم بركت عليه فقتلته، فقام شيبة بن ربيعة إلى عبيدة بن الحارث فاختلفا ضربتين ضرب كل واحد منهما صاحبه فضرب عبيدة أخرى قطع ساقه ثم قام حمزة إلى عتبة فقال أنا أسد الله وأسد رسوله فقال عتبة أنا أسد الحلفاء فضربه حمزة فقتله ثم إن أبا جهل قام إلى أصحابه يحرضهم ويقول لا يهولكم[٢] ما لقي هؤلاء فإنهم عجلوا واستحمقوا ثم حمل هو بنفسه فقتل ثم حمل المسلمون كلهم فهزموهم[٣].

وأما قوله عز وجل : ﴿ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ معناه: سأقذف في قلوب الذين كفروا المخافة منكم، ثم علّم الله المسلمين كيف يضربون فقال : ﴿ فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ معناه: أعلى الأعناق[٤]؛ وإنما قال ذلك والله أعلم؛ لأن أعلى

---

(١) (بذلك) لا توجد في أ.

(٢) في أ (ولا يهولنكم).

(٣) عن ابن عباس قوله، أخرجه الواقدي في المغازي (١/٧٩)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/٦٠).

وانظر: السيرة لابن كثير (٢/٤٢٧)، وإمتاع الأسماع؛ للمقريزي (١/١٠٨)، والخصائص الكبرى؛ للسيوطي (١/٣٣٣)، وتفسير الطبري (١٣/٤٢٨)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٣٣)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/٢٠٤)، والبحر المحيط (٥/٢٨٥)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٥)، وتفسير أبي السعود (٤/١٠)، وروح البيان (٣/٣٢٢).

(٤) **قال المَاوَرْدي**: "فيه خمسة أقاويل: أحدها: فاضربوا الأعناق، والثاني: معناه واضربوا الرؤوس فوق الأعناق، والثالث: فاضربوا على الأعناق. والرابع: فاضربوا أعلى الأعناق. والخامس: فاضربوا فوق جلدة الأعناق"، النكت والعيون (٢/٣٠٢).

جلدة العنق هو المقتل، وقيل: لأن الضربة تأتي فوق العنق فتصيب فتقطع[(١)].

وقوله عز وجل: ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴾ أي اضربوا كل عضو منهم أمكنكم ضربه، وليس عليكم توقي عضو دون عضو[(٢)]، والبنان في اللغة: هو الأصابع وغيرها من الأعضاء التي يكون بها قوام الإنسان وحياته مأخوذة من قولهم أبنّ الرجل بالمكان إذا أقام به[(٣)]،

وقيل أراد الله عز وجل بضرب أعضائهم لأنه إذا بطلت الأعضاء بطلت النفس[(٤)].

وعن أبي سعيد الفاراني[(٥)] أنه كان يقول أراد الله عز وجل أن لا يلطخ سيوف المسلمين بفرث الكفار فأمرهم أن يضربوا فوق الأعناق ويضربوا منهم كل بنان[(٦)].

وانظر: تفسير مقاتل (١٠٤/٢)، وتفسير الطبري (٤٢٩/١٣)، وبحر العلوم (١١/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٦٨/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٣٤/٤)، والتفسير الوسيط (٤٤٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٢/٢)، وتفسير الراغب (١١٢٤/٣)، وغرائب التفسير (٤٣٦/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٤/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٧٨/٧).

(١) انظر : الكشاف للزمخشري (٢٠٤/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٨/٢)، وزاد المسير (١٩٤/٢)، وتفسير الخازن (٢٩٨/٢).

(٢) انظر : تفسير الطبري (٤٣١/١٣)، وبحر العلوم (١١/٢)، والنكت والعيون (٣٠٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٤/٢).

(٣) البنان: الْأَصَابِع وغَيْرِها من جَمِيع الْأَعْضَاء. قَالَ: وَإِنَّمَا اشْتقاق (البنان) من قَوْلهم: (أَبَنَّ) بِالْمَكَانِ، والبَنانة: الإصبع الْوَاحِدَة، وجمعُ الْقِلَّةِ بناناتٌ. وانظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠٥/٢)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (١٣٧/٣)، تهذيب اللغة؛ للأزهري (٣٣٧/١٥)، ومقاييس اللغة (١٩١/١)، ولسان العرب (٥٩/١٣)، وتاج العروس (٢٧٩/٣٤)، والصحاح (٢٠٨١/٥).

(٤) **يقول ابن عطية**:"هي من أنكى ضربات الحرب، لأنها تعطل من المضروب جميع جسده، إذ البنان أعظم آلة المقاتل وأصلها"، المحرر الوجيز (١١٠/٥)، وانظر: مفاتيح الغيب (٤٦٣/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٧٩/٧)، وتفسير الخازن (٢٩٨/٢).

(٥) الفاراني، هكذا هنا، وعند السمرقندي في أربعة مواضع: الفاريابي، ولم أقف على شخصه، وانظر : بحر العلوم (١١/٢)، (٦٢/٢)، (٧٣/٢)، (٥٩٧/٢).

(٦) انظر : بحر العلوم (١١/٢).

وأما قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ ﴾ معناه ذلك الضرب والقتل[١] بأنهم شاقوا (أولياء)[٢] الله ورسوله (وهذا كقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾ أي يؤذون أولياء الله)[٣] وكقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ ﴾ أي يحادون أولياء الله، والمشآقة أن يصير أحد العدوين في شق والآخر في شق آخر، كما أن المحادة أن يصير أحدهما في حد غير حد الآخر[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ ﴾ أي من يخالف أولياء الله ورسوله فإن الله شديد العقاب له ، وأما إظهار التضعيف في موضع الجزم في قوله يشاقق فهو لغة أهل الحجاز وغيرهم يدغم أحد الحرفين في الآخر لاجتماعهما من جنس واحد كما قال عز وجل في سورة الحشر " ﴿ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ ﴾ "[٥] /بقاف واحدة[٦].   ١٠= ب

وأما قوله عز وجل: ذلكم فذوقوه (فمعناه إن الذي ذكرت لكم أيها الكفار)[٧] من العذاب العاجل في الدنيا فذوقوه، ثم بين جل ذكره أن القتل في الدنيا لا يصير كفارة لهم وأن الله عز وجل سيعاقبهم في الآخرة بقوله ﴿ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ وإنما قال عز

---

(١) ذلك: في موضع رفع بالابتداء أو خبر. والتقدير ذلك الأمر أو الأمر ذلك، أي ذلك الخزي وعذاب النار لهم بأنهم خالفوا الله ورسوله.

وانظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (٩٢/٢) و (٢٥٩/٤)، وتفسير الطبري (٤٣٣/١٣)، بحر العلوم (١١/٢).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) في أ زيادة (وهذا كقوله إن الذين يؤذون الله أي يؤذون أولياء الله...).

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٠٥/٢)، معاني القرآن للنحاس (١٣٧/٣)، وغريب القرآن؛ للسجستاني (٢٨٦/١)، وتفسير السمعاني (٣٨٥/٥)، وتفسير الراغب (١٥١/٤)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٠٥/٢).

(٥) سورة الحشر آية (٤).

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٠٥/٢)، إعراب القرآن؛ للنحاس (٩٢/٢).

(٧) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (معناه أن الذين ذكرت لكم أي الكفار).

وجل في عذاب الدنيا: فذوقوه؛ لأن الذوق يتناول اليسير من الشيء (وكل ما)[١] يلقى الكافر من ضرب أو قتل في الدنيا فهو قليل من العذاب تعجل لهم ومعظم عذابهم مؤخرا إلى يوم القيامة[٢].

قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾

خطاب من الله عز وجل للمسلمين حين التقوا بالعدو يوم بدر ومعناه يا أيها الذين ءامنوا صدّقوا بالله ورسوله إذا لقيتم الذين كفروا مزاحفة مستعدين لحربهم فلا تنهزموا حتى يدبروا[٣]، والزحف في اللغة هو: الدنو قليلا قليلا والزحف التداني[٤]، يقال زاحفت القوم إذا ثبت لهم[٥]، فكأنه قال جل ذكره: إذا واقعتموهم للقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تجعلوا أدباركم إليهم إليهم ووجوهكم إلى جهة أخرى كما يفعله المنهزم[٦]، والتولية: جعل الشيء يلي غيره وهو متعد إلى مفعولين (وولاه)[٧] دبره إذا جعله يليه،

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (وكأنما).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٤٦٤/١٥)، التبيان للطوسي (٩٠/٥)، وتفسير السمعاني (٢٥٣/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٠٥/٢)، وزاد المسير (١٩٤/٢).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٤٣٥/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٥/٢)، وبحر العلوم (١٢/٢)، والكشف والبيان؛ للثعلبي للثعلبي (٣٣٦/٤).

(٤) انظر : تهذيب اللغة (٢١٤/٤) مادة (زحف)، ولسان العرب (١٢٩/٩) مادة (زحف)، وغريب القرآن؛ للسجستاني (٢٥١/١)، والنهاية في غريب الحديث؛ لابن الأثير (٢٩٧/٢)، تفسير الطبري (٤٣٥/١٣)، معاني القرآن للنحاس (١٣٨/٣)، الكشاف للزمخشري (١٩٥/٢)، تفسير الثعلبي (٣٣٦/٤)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٥٠٩/٢).

(٥) معاني القرآن للزجاج (٤٠٥/٢)، معاني القرآن للنحاس (١٣٨/٣)

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤٣٥/١٣)، والتبيان للطوسي (٩١/٥)، وبحر العلوم (١٢/٢)، والنكت والعيون (٣٠٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٦٥/١٥).

(٧) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (وولى).

ومنه ولاية البلد إذا جعله يليه[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ معناه: ومن يجعل ظهره إليهم وقت القتال إلا أن ينحرف فيقاتل في موضع يراه أصلح في باب المحاربة أو لتطلب غرة يطمع فيها من العدو.

وقوله عز وجل : ﴿ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ معناه ألا أن يقصد الانضمام إلى جماعة يمنعونهم من العدو، يعنى إذا كثر العدو وللمؤمنين فئة يلتجئون إليها فيحاربون العدو بعد ذلك معهم، كان لهم ترك القتال عند ذلك ومن ولاهم الدبر على سبيل الانهزام من غير هذين الوجهين فقد احتمل غضبا من الله عز وجل ومأواه في الآخرة جهنم وبئس المصير صار إليه[٢]، والتحرف في اللغة: هو الزوال عن جهة الاستواء إلى الانحراف[٣]، والتحيز طلب حيّز يتمكن فيه[٤]، والأصل في متحيز متحيوز أدغمت الواو في الياء[٥].

واختلف أهل العلم في أن الوعيد المذكور في الآية مقصور على حرب بدر أم هو عام في جميع الأوقات، قال بعضهم: إنه خاص في حرب بدر لأنه لم يكن يومئذ للمسلمين فئة سواهم وكان النبي ﷺ حاضرا في ذلك الحرب وكان النصر موعودا له يومئذ ومع حضوره كان لا يعد غيره فئة وكان المنهزم عن القتال يومئذ غير متحيزاً إلى فئة فأما اليوم فالمنهزم عن الحرب يكون متحيز إلى فئة أعظم من المحاربين من المسلمين، وقال بعضهم: إنه عام في جميع الأوقات ولا يجوز الانهزام عن قتال المشركين مع قوة القتال، ألا ترى أنه قد كان بالمدينة خلق كثير من

---

(١) انظر: لسان العرب (٤١٤/١٥)، وتهذيب اللغة (٣٢٤/١٥)، التبيان للطوسي (٩١/٥)

(٢) تفسير الشافعي (٨٧٠/٢)، وتفسير الطبري (٤٣٥/١٣)، وبحر العلوم (١٢/٢)، والنكت والعيون (٣٠٣/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٧/٢)، وتفسير الكشاف (٢٠٦/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٩/٢)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٢٥٠/٤).

(٣) معاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٦/٢)، وروح المعاني (١٦٩/٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٨٣/٧)، وفتح القدير؛ للشوكاني (٣٣٦/٢).

(٤) معاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٦/٢)، وإعراب القرآن وبيانه (٥٤٢/٣).

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٠٦/٢)، وزاد المسير (١٩٤/٢)، والدر المصون (٥٨٦/٥)، وإعراب القرآن وبيانه (٥٤٢/٣)، ولسان العرب (٣٤٠/٥) مادة (حوز)، وتاج العروس (١٢٥/١٥).

الأنصار لم يأمرهم النبي- ﷺ- بالخروج ولم يكونوا يرون أنه يكون قتال وإنما ظنوا أنها العير فخرج رسول الله-ﷺ- فيمن خرج معه ولم يكن لأحد من أصحابه الذين كانوا معه يومئذ أن يرجع عن ذلك الحرب فثبت أن الوعيد عام في جميع الأوقات[١]، وإلى هذا ذهب **ابن عباس** حتى قال في قوله عز وجل :﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾من فر من رجلين فقد فر ومن فر من ثلاثة لم يفر[٢].

وذكر **محمد بن الحسن**[٣] في السير الكبير: أن الجيش إذا بلغوا أثنا عشر ألفا فليس

لهم أن يفروا من عدوهم وإن كثر العدو[٤] ، واحتج بما يروى عن بن عباس عن النبي ﷺ أنه قال " خير الأصحاب أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولن يغلب أثنا

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٤٣٦/١٣-٤٤٠) واختار القول الثاني حيث قال " وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب عندي قولُ من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين إلا لتحرفٍ للقتال، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من= =أرض الإسلام، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتالٍ منهزمًا بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه " اهـ.

ووافقه ابن كثير، انظر : تفسير ابن كثير (٣٠/٤)، وانظر: زاد المسير (١٩٥/٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٠/٩) رقم (١٨٠٨١)، وأخرجه ابن المبارك في الجهاد (١٧٣/١) رقم (٢٣٥)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٠٦).

وانظر : بحر العلوم (٣١/٢)، وتفسير الخازن (٣٠٠/٢)، وروح البيان (٣٢٤/٣).

(٣) محمد بن الحسن بن فرقد من موالي بني شيبان أبو عبد الله إمام بالفقه والاصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، أصله من قرية حرستة في غوطة دمشق وولد بواسط، ونشأ بالكوفة فسمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به وانتقل إلى بغداد فولاه الرشيد القضاء بالرقة ثم عزله، ولما خرج الرشيد إلى خراسان صحبه فمات في الري سنة (١٨٩هـ)، انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤٢/٢)، والجرح والتعديل (٢٢٧/٧)، وسير أعلام النبلاء (٥٥٥/٧).

(٤) انظر : السير الكبير للشيباني (٦٨/١).

عشر ألفا من قلة" [١].

قولـه عـز وجـل : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾.

معناه والله أعلم: فلم تقتلوهم يوم بدر بأنفسكم ولكن الله قتلهم بالملائكة؛ فأضاف الله عز وجل قتلهم إلى نفسه؛ لأن السبب في قتلهم كان أكثره من الله عز وجل[٢]؛ فإنه هو الذي أيد المؤمنين بالملائكة حتى شجع به قلوبهم وأنزل المطر حتى تثبت به أقدامهم وألقى في قلوب المشركين الرعب حتى انهزموا وانتقضت عزائهم، ويقال كان المسلمون يقولون قتلنا فلانا وفلانا فأراد الله أن لا يعجبوا بأنفسهم[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ معناه: ما رُوي في الخبر أن النبي ﷺ قال **لعلي ابن أبي طالب** كرم الله وجهه وهو واقف على بعيره ناولني كفا من تراب الوادي فناوله قبضة فاستقبل بها وجوه المشركين فرماهم بها/ وقال شاهت الوجوه فملأ ١١= أ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٤١٩) رقم (٢٦٨٢)، وأخرجه أبو داود في سننه (٣/٣٦) رقم (٢٦١١) كتاب الجهاد، بَابٌ فِيمَا يُسْتَحَبُّ مِنَ الْجُيُوشِ وَالرُّفَقَاءِ وَالسَّرَايَا، وقال : والصحيح أنه مرسل، وأخرجه الترمذي في سننه (٤/١٢٥) رقم (١٥٥٥) أبواب السير، بَابُ مَا جَاءَ فِي السَّرَايَا، وقال: حسن غريب، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/٩٤٤) رقم (٢٨٢٧) كتاب الجهاد، باب السرايا، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤/١٤٠) رقم (٢٥٣٨)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (١١/١٧) رقم (٣٧١٧)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (١/٦١١) رقم (١٦٢١) وقال صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٨٦).

(٢) **قال ابن جرير**: " وأضاف جل ثناؤه قتلهم إلى نفسه، ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين، إذ كان جل ثناؤه هو مسبِّب قتلهم، وعن أمره كان قتالُ المؤمنين إياهم. ففي ذلك أدلُّ الدليل على فساد قول المنكرين أن يكون لله في أفعال خلقه صُنْعٌ به وَصَلوا إليها."، تفسير الطبري (١٣/٤٤١).

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٠٦)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٣٩)، والنكت والعيون (٢/٣٠٤)، وتفسير الراغب (١/٢٢)، والمحرر الوجيز (٢/٥١١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٨٤)، وتفسير الخازن (٢/٣٠٠).

(٣) انظر : بحر العلوم (٢/١٣)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٣٩)، وتفسير السمعاني (٢/٢٥٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٧٨)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٦٦)، وتفسير البيضاوي (٣/٥٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٣٦).

الله عز وجل أعينهم بها ولم يبقى أحد منهم إلا وقد شغل بعينه[١] فحمل المسلمون عليهم فهزموهم فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ﴾ علم الله عز وجل أن كفا من التراب لا يملأ عيون تلك الجيش برمية بشر وأنه عز وجل تولى إيصال ذلك إلى أبصارهم من الموضع الذي كان فيه النبي ﷺ (حتى)[٢] أصاب عين كل واحد منهم قسط من ذلك التراب[٣]، ومن المعلوم أن مثل هذا لا يكون في وسع أحد من المخلوقين، ومن هذا قيل: إن في هذه الآيات ضروباً من دلائل النبوة؛ منها: إخبار الله عز وجل إياهم أن إحدى الطائفتين لهم إما العير وإما الجيش فتم (إنجازه ووعده لهم) [٤] في قطع دابر الكافرين وقتلهم، ومنها طمأنينة قلوب المؤمنين بعد كراهتهم لقاء الجيش حتى ألقى الله عز وجل على المؤمنين النعاس في الوقت الذي يطير فيه النعاس بإطلال العدو عليهم بالعدة والسلاح وهم أضعافهم، ومنها نزول المطر حتى بلّ الرمل واشتدت أقدامهم عليه ، ومنها رمي النبي ﷺ إلى الكفار وهزيمة الكفار بذلك ومعلوم أن مثل هذه الأشياء لا يجوز أن تتفق تخرصا وتخمينا فثبت أن ذلك كله من دلائل النبوة.

---

(١) أخرج نحوه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠٣/٣) رقم (٣١٢٨) ولم يذكر فيه علي بن أبي طالب.

وجاء مرسلا عن السدي، ومحمد بن كعب، وقتادة، وابن زيد، وابن إسحاق، أخرج ذلك الطبري في تفسيره (٤٤٤/١٣) وما بعدها، وأخرجه بعضه ابن أبي حاتم في التفسير (١٦٧٣/٥).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (حين).

(٣) وانظر: بحر العلوم (٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٣٨/٤)، والنكت والعيون (٣٠٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٨/٢)، والمحرر الوجيز (٥١١/٢).

(٤) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (اثنان موعدة لهم)

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ﴾ فمعناه: ولينعم على المؤمنين بالنصر والغنيمة والأسارى نعمة حسنة[١]، وقوله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ معناه: سميع لدعائكم عليم بأفعالكم وضمائركم.

قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾

في الآية بشارة للمؤمنين وتقوية لقلوبهم في الإقدام على الجهاد في المستقبل إذا صبروا واتقوا[٢]، وموضع ذلكم رُفع على الإضمار، المعنى ذلكم القتل والهزيمة للكفار واعلموا أن الله مضعف صنيع الكافرين[٣]، والتوهين إيقاع الوهن في الشيء، ومن قرأ "موهن" على التخفيف فهو من أوهن يوهن، ومن قرأ "كيد" بالخفض فهو على الإضافة[٤] .

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٠٦/٢)، تفسير الطبري (٤٤٨/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج ٤٠٧/٢)، وبحر العلوم (١٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٣٩/٤)، والتفسير الوسيط (٤٥٠/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٧٨/٢)، وإيجاز البيان (٣٥٩/١)، وزاد المسير (١٩٦/٢).

(٢) انظر : تفسير ابن كثير (٣٢/٤).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٤٤٩/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٧/٢)، وبحر العلوم (١٣/٢).

(٤) التخفيف قراءة أهل الشام والكوفة، والخفض في كيد قراء حفص عن عاصم، يقول في حجة القراءات : قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو موَهّن بالتشديد كيدَ نصبٌ من وهن يوهن مثل قتل يقتل وحجتهم في ذلك أن التشديد إنما وقع لتكرر الفعل وذلك ما ذكره الله من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث وربطه على قلوبهم وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال فذلك منه شيء بعد شيء وحال بعد حال في وقت بعد وقت فكان الأولى بالفعل أن يشدد لتردد هذه الأفعال فكأنه أوقع الوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة = =فوجب أن يقال موهن لهذه العلة، وقرأ أهل الكوفة وأهل الشام مؤهِن بإسكان الواو من أوهن يوهن فهو موهن مثل أيقن يوقن فهو موقن وهما لغتان مثل كرم وأكرم، وكلهم ينصبون كيد وينونون موهن إلا حفصا عن عاصم فإنه أضافه فقرأ موهن كيد ومثله بالغ أمره فمن نون أراد الحال والاستقبال كقولك الأمير خارج الآن أو غدا ومن لم ينون جاز أن يريد الماضي والاستقبال " وانظر : السبعة في القراءات (٣٠٤/١)، الحجة في القراءات السبع (١٧٠/١)، وحجة القراءات؛ لابن زنجلة (٣٠٩/١)، التيسير في القراءات السبع (١١٦/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٠٧/٢)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٣٥٥/١)، وبحر العلوم (١٣/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٥/٢)، وتفسير الكشاف (٢٠٨/٢).

قوله عز وجل : ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩ ﴾.

قال بعضهم: هذا خطاب للكفار(١) وذلك أن أبا جهل ابن هشام قال يوم بدر قبل القتال اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير الدينين ، اللهم أينا أقطع للرحم وأفسد للجماعة فأحنه اليوم(٢)، فاستجاب الله دعائه على نفسه، ويقال: إنهم حين أرادوا الخروج إلى بدر تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم أي الفئتين أحب إليك فانصرهم اللهم اقضي بيننا وبينهم، فذلك قوله عز وجل :﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ ﴾ أي إن تستحكموا فقد جاءكم الحكم، ويقال معناه: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر فنصر محمد ﷺ، وإن تنتهوا عن الشرك والمعاصي فهو خير لكم وإن تعودوا إلى القتال نعد بأن نأمر المسلمين بجهادكم وننصرهم عليكم(٣)، وقال بعضهم هذه الآية خطاب للمؤمنين(٤).

ومعنى قوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾ (أي)(٥) عن فعلكم في الأسارى والفداء يوم

---

(١) قال الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي: " وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ خِطَابٌ للكفار"، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٨٧/٧).

وانظر : تفسير مجاهد (٣٥٣/١)، وتفسير الطبري (٤٥١/١٣)، وتفسير الثعلبي (٣٤٠/٤)، والتفسير الوسيط (٤٥٠/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٠٨/٢)، وزاد المسير (١٩٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٦٨/١٥).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٤٧/٥) رقم (٩٧٢٥)، وأخرجه أحمد في مسنده (٦٦/٣٩) رقم (٢٣٦٦١)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٥٥/٧) رقم (٣٦٦٧٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٤٥٤/١) رقم (٦٣١)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠٦/١٠) رقم (١١١٣٧)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٥٧/٢) رقم (٣٢٦٤) وقال: صحيح، وصححه الضياء في المختارة (١١٨/٩) رقم (١٠٦).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٤٥٠/١٣-٤٥٥)، وبحر العلوم (١٣/٢-١٤)، معاني القرآن للزجاج (٤٠٨/٢).

(٤) قال به أبي بن كعب وعطاء الخراساني، انظر: تفسير الثعلبي (٣٤٠/٤)، والنكت والعيون (٣٠٥/٢)، والمحرر الوجيز (٥١٢/٢)، وزاد المسير (١٩٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٦٨/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٨٧/٧).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

بدر فهو خير لكم وإن تعودوا إلى فعلكم في الأسارى نعد إلى الإنكار عليكم[١].

وقوله عز وجل: ﴿ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا ﴾ معناه نسلب النصر عنكم حتى لا تغني عنكم جماعتكم شيئا ولو كثرت في العدد[٢].

وقوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ معناه وإن الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة[٣]، ومن قرأ وأن الله بالنصب فعلى معنى واعلموا فيكون راجعا إلى التأويل الأول[٤]، وقرأ الأكثرون بالكسر على الابتداء[٥].

---

(١) انظر: التبيان للطوسي (٩٦/٥)، والنكت والعيون؛ للماوردي (٣٠٥/٢-٣٠٦).

(٢) انظر: بحر العلوم (١٤/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٥٥/١٣)، بحر العلوم (١٤/٢).

(٤) يقصد المخاطب بقوله "**إِن تَسْتَفْتِحُواْ**" وهم الكفار.

(٥) قال ابن مجاهد: "وَاخْتلفُوا فى فتح الْألف وَكسرهَا من وَقَوله {وَأَن الله مَعَ الْمُؤمنِينَ}، فَقَرَأَ ابْن كثير وَعَاصِم فى رِوَايَة أَبى بكر وَأَبُو عَمْرو وَحَمْزَة والكسائى {وَأَن الله مَعَ الْمُؤمنِينَ} بِكَسْر الْألف، وَقَرَأَ نَافِع وَابْن عَامر وَحَفْص عَن عَاصِم {وَأَن الله مَعَ الْمُؤمنِينَ} بِفَتْح الْألف"، السبعة في القراءات (٣٠٥/١).

وقال الفراء: "كسر ألفها أحب إليّ من فَتَحها لأن فِي قراءة عبد الله: (وإنّ الله لمع المؤمنين) فحسّن هذا كسرها بالابتداء. ومن فَتَحها أرادَ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ يريدُ: لكثرتها ولأن الله مع الْمُؤْمِنِين، فيكون موضعها نصبًا لأن الخفض يصلح فيها"، معاني القرآن (٤٠٧/١). وانظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (٩٤/٢)، والحجة في القراءات السبع (١٧٠/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٣٨/١)، وحجة القراءات (٣١٠/١).

قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾.

معناه: أطيعوا الله (ورسوله)[١] في أمر الغنيمة وغيرها ولا تتولوا عن أمر الله وأنتم تسمعون ما أنزل الله عز وجل[٢].

قال الحسن (معناه)[٣]: وأنتم تسمعون الحجة في وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ.

وأما تخصيص المؤمنين بالأمر لهم بالطاعة إن كانت هذه الطاعة واجبة على غير المؤمنين كوجوبها على المؤمنين فلأحد معنيين : إما إجلالا لهم ورفعا لقدرهم فيدخل غيرهم في الخطاب على جهة التبع[٤] لهم ، وإما لأنه لم يعتد بغير المؤمنين لإعراضهم عن ما وجب عليهم[٥].

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٤٦٩/١٥)، البحر المحيط (٢٩٨/٥).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) في أ (على جهة النفع ...).

(٥) قال القرطبي: الخطاب للمؤمنين المصدقين...هذا قول الجمهور، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: الْخِطَابُ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِنَّمَا هُوَ لِلْمُنَافِقِينَ. ...قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا وإنما كَانَ مُحْتَمَلًا عَلَى بُعْدٍ فَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا"، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٨٧/٧).

وقال أبو حيان: "وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ نِدَاءٌ وَخِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الْخُلَّصِ حَثَّهُمْ بِالْأَمْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"، البحر المحيط (٢٩٨/٥). وانظر : التبيان للطوسي (٩٦/٥).

قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.

معناه: ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا على جهة القبول وهم لا يسمعون به للقبول وإنما سمعوا به للرد والإعراض عنه(١)، ويقال معناه: ولا تكونوا كالذين قالوا قبلنا/ وهم لا يقبلون، ومنه قولهم: سمع الله لمن حمده أي قبل الله حمد من حمده(٢). ١١=ب

واختلفوا فيمن نزلت فيه هذه الآية؛ **قال ابن جريج**(٣) :نزلت في المنافقين(٤)، **وقال الحسن** في أهل الكتاب، ويقال في مشركي العرب(٥).

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠٨/٢)، وتفسير الطبري (٤٥٨/١٣)، وبحر العلوم (١٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥١/٢)، وزاد المسير (١٩٨/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٣٨/١).

(٢) قال الرازي: "والمعنى أن الإنسان لا يمكنه أن يقبل التكليف وأن يلتزمه إلا بعد أن يسمعه، فجعل السماع كناية عن القبول، ومنه قولهم سمع الله لمن حمده، والمعنى : ولا تكونوا كالذين يقولون بألسنتهم أنا قبلنا تكاليف الله تعالى ثم إنهم بقلوبهم لا يقبلونها"، مفاتيح الغيب (٤٦٩/١٥).

وانظر: بحر العلوم (١٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥١/٢)، وزاد المسير (١٩٨/٢).

(٣) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم المكي ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل من السادسة مات سنة خمسين أو بعدها وقد جاز السبعين وقيل جاز المائة ولم يثبت ع. انظر: الجرح والتعديل (٣٥٦/٥)، وتهذيب الكمال (٣٣٨/١٨)، التقريب (٤١٩٣).

(٤) انظر: تفسير الكشاف (٢١٠/٢).

(٥) قال ابن الجوزي: "اختلفوا فيمن نزلت على ثلاثة أقوال، أحدها: أنها نزلت في بني عبد الدار بن قصيّ، قاله أبو صالح عن عن ابن عباس. والثاني: في اليهود، قريظة والنضير. روي عن ابن عباس أيضاً. والثالث: في المنافقين، قاله ابن إسحاق، والواقدي، ومقاتل"، زاد المسير (١٩٨/٢). **واختار ابن جرير** أنها في المشركين ورجحه، فقال: "وللذي قال ابن إسحاق وجه، ولكن قوله: (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) ، في سياق قَصَص المشركين، ويتلوه الخبر عنهم بذمّهم، وهو قوله: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ) ، فلأن يكون ما بينهما خبرًا عنهم، أولى من أن يكون خبرًا عن غيرهم"، تفسير الطبري (٤٥٩/١٣)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣٣/٤).

قولـه عـز وجـل : ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

معنـاه: إن شـر الخليقـة علـى وجـه الأرض هـم الكفـار الـذين لا يسـمعون الهـدى ولا يتكلمون بخير ولا يتدبرون القرآن وسماهم صماً وبكماً؛ لأنهم لم ينتفعوا بما سمعوا من دلائل الله عز وجل.

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

معناه: ولـو علـم الله فيهم أنهم يصلحون بمـا يـورده علـيهم مـن حججـه وآياتـه لأسمعهـم إياها[١]، وقيل معناه: لأسمعهم جواب كل ما يسألون عنه ولو بين لهم كل ما يختلج في نفوسهم لتولوا عن الهدى وهم معرضون لمعاندتهم[٢]، وقيل معناه: ولو أسمعهم قول قصي بن كلاب[٣] سمعنا أنك صادق (لأنهم قالوا انعته لنا)[٤] .

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ فيه بيان أن الله عز وجل إنما لم يسمعهم لأن الحجة كانت قد قامت عليهم بسماع ما سمعوا فلم يكن لهم مصلحة في سماع قول قصي ولو أسمعهم لأعرضوا عن قبول الحق[٥] .

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٠٨/٢)، والتبيان للطوسي (٩٩/٥)، وبحر العلوم (١٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٠٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٨٢/٢)، وزاد المسير (١٩٩/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٣٠/١)، وتفسير الخازن (٣٠٣/٢).

(٢) جاء ذلك عن عروة بن الزبير، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٧٨/٥).

وانظر : معاني القرآن للزجاج (٤٠٩/٢)، وتفسير الطبري (٤٦٣/١٣)، وبحر العلوم (١٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٠٧/٢)، وزاد المسير (١٩٩/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٣٠/١)، وتفسير الخازن (٣٠٣/٢).

(٣) انظر : التبيان للطوسي (٩٩/٥)، النكت والعيون للماوردي (٣٠٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٧٠/١٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٨٢/٢)، وتفسير الكشاف (٢٠٩/٢)، وزاد المسير (١٩٩/٢)، وتفسير البيضاوي (٥٥/٣).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر: بحر العلوم (١٤/٢)، مفاتيح الغيب (٤٧٠/١٥)، والتفسير الوسيط (٤٥٢/٢)، وتفسير البيضاوي (٥٥/٣).

قولـه عـز وجـل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

معناه أجيبوا الله والرسول كما قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى النداء فلم يستجبه عند ذاك مجيب[١]

أي لم يجبه[٢]، ويقال معنى الاستجابة طلب الموافقة للداعي على وجه الطاعة[٣]، وقيل في الجمع بين الاستجابة لله وللرسول استجيبوا لله بسرائركم وللرسول بظواهركم.

وقوله عز وجل : ﴿ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ (فيه ثلاثة أقوال أحدها إذا دعاكم إلى العلم الذي يحييكم)[٤] من أمر الدين[٥]، والثاني إذا دعاكم إلى الجهاد الذي يحيي أمركم[٦]، والثالث إذا دعاكم إلى ما يكون سببا للحياة الدائمة في نعيم الآخرة لأنه إذا حصل

---

(١) الشاعر هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي من بني غني : شاعر جاهلي، توفي ١٠ قبل الهجرة، انظر : الأعلام للزركلي (٢٢٧/٥).

وانظر الشعر في: الأصمعيات (٩٦/١)، والعقد الفريد (٢٢٧/٣)، والحماسة البصرية (٢٣٤/١)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٤٣٦/١٠)، زهر الأكم في الأمثال والحكم (٢٩١/١) .

(٢) انظر : غريب القرآن؛ لابن قتيبة (٧٤/١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣١٢/٦)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٠٩/٢)، ولسان العرب (٢٨٣/١)، وتاج العروس (٢٠٦/٢).

(٣) وهو قول ثعلب، انظر: النكت والعيون (٢٤٣/١)، ومفاتيح الغيب (٣٥٤/٢٠)، وتفسير العز بن عبد السلام (١٩٢/١)، والتبيان للطوسي (١٠٠/٥)، وتفسير النيسابوري (٣٥٧/٤)، والسراج المنير (٣١٢/٢).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥ انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٠٩/٢)، التبيان للطوسي (١٠١/٥)، ومفاتيح الغيب (٤٧٢/١٥).

(٦) انظر : تفسير الطبري (٤٦٥/١٣)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٠٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٧/٢).

الإمتثال (بأمر الله ورسوله حصلت هذه الحياة الدائمة وإن لم يحصل هذا الإمتثال)[١] أدى ذلك إلى العقاب الذي يُتَمنى معه الموت[٢] .

وقوله عز وجل :﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ ﴾ فيه ثلاثة أقوال : أحدها: أن الله عز وجل يحول بين المرء وأمله بالموت أو غيره من الآفات فبادروا إلى الطاعات قبل الحيلولة ودعوا التسويف؛ فإن الأجل يحول دون الأمل[٣]، قال الشاعر:

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما يريد[٤]

قال مجاهد: يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يفهم ولا يعقل[٥].

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٠٩/٢)، وبحر العلوم (١٥/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٧٢/١٥).

وما تقدم فيه سبعة أقاول: أحدها: إذا دعاكم إلى الإيمان ، قاله السدي. والثاني: إذا دعاكم إلى الحق ، قاله مجاهد. والثالث: إذا دعاكم إلى ما في القرآن ، قاله قتادة. والرابع: إذا دعاكم إلى الحرب والجهاد، وهو قول الأكثرون، قاله ابن إسحاق. والخامس: إذا دعاكم إلى ما فيه دوام حياتكم في الآخرة ، ذكره علي بن عيسى. والسادس: إذا دعاكم= =إلى ما فيه إحياء أمركم في الدنيا ، قاله الفراء. والسابع: أنه على عموم الدعاء فيما أمرهم به، انظر: النكت والعيون (٣٠٨/٢)، وتفسير الطبري (٤٦٣/١٣-٤٦٥)، وزاد المسير (٢٠٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٧٢/١٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٧٠/١٣)، بحر العلوم (١٥/٢)، والنكت والعيون (٣٠٨/٢)، وزاد المسير (٢٠٠/٢).

(٤) البيت من الوافر، وهو منسوب لأبي الدرداء ﷺ الصحابي المشهور، انظر: تاريخ دمشق (١٨٣/٤٧-١٨٤)، لجليس لجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي (٦٠٦/١)، وربيع الأبرار ونصوص الأخيار؛ للزمخشري (٧٩/٥).

وقد نسب أيضا إلى قيس بن الحطيم كما في شرح ديوان الحماسة (٨٣٤/١)، زهر الأكم في الأمثال والحكم (١٥٩/١)، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (٤٢٧/٢).

(٥) انظر: تفسير مجاهد (٣٥٣/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤٧٠/١٣).

وانظر: النكت والعيون (٣٠٨/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٤٢/٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٨٢/٢)، وزاد المسير (٢٠٠/٢).

والقول الثاني: واعلموا أن الله عز وجل أقرب إلى ذي القلب من قلبه فإن الذي يحول بين الشيء وغيره أقرب إلى ذلك الشيء من غيره كما قال عز وجل في آية أخرى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[١] وفي هذا تحذير شديد[٢].

القول الثالث: أن معناه أن الله يقلب القلوب[٣][٤].

وقوله عز وجل :﴿ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ عطف على قوله عز وجل ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ ﴾ ومعناه: واعلموا أن محشركم في الآخرة إلى الله سبحانه فيجزي كل عامل ما عمل إن كان خيرا فخيرا وإن كان شرا فشرا، وقيل في تقييد[٥] آخر الآية بأول الآية أن الذي يحول بين المرء وقلبه قادراً على أن يبدل خوفكم أمنا وأمن عدوكم بالخوف فيجعل القوي ضعيفا والضعيف قويا والعزيز ذليلا والذليل عزيزا والشجاع جبانا والجبان شجاعا بفعل ما يشاء ويريد فأجيبوا الرسول في الجهاد ولا تخافوا ضعفكم وقوتهم[٦] .

---

(١) سورة ق آية ١٦.

(٢) انظر: تفسير عبد الرزاق (١١٨/٢)، وتفسير الثوري (١١٧/١)، وتفسير الطبري (٤٧١/١٣)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٠٩/٢)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٠٨/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٤٢/٤)، والتفسير الوسيط (٤٥٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٨٢/٢).

(٣) في أ (والقول الثالث أن معناه أن الله عز وجل مقلب القلوب من حال إلى حال كما جاء في الدعاء يا مقلب القلوب)، انظر : التبيان للطوسي (١٠١/٥).

(٤) هذه الأقوال الثلاثة وغيرها جمع بينها ابن جرير الطبري بقوله : وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال : إن ذلك خبرٌ من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن= =يُدرك به شيئًا من إيمان أو كفر، أو أن يَعِي به شيئًا، أو أن يفهم، إلا بإذنه ومشيئته...والكلام محتمل كل هذه المعاني"،: تفسير الطبري (٤٧٢/١٣-٤٧٣)، وانظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٩١/٧).

(٥) مقصود المؤلف ربط أول الآية بآخرها وذكر المناسبة بين أول الآية وآخرها - والله اعلم.

(٦) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤١٠/٢).

قوله عز وجل : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في رجلين من قريش يعني عثمان وعلياً رضي الله عنهما أخبر الله عز وجل نبيه ﷺ بالفتنة التي تكون بسببهما أنها ستكون بعدك يلقاها أصحابك تصيب الظالم والمظلوم ولا تكون بالظلمة وحدهم خاصة ولكنها عامة فأخبر ﷺ بذلك أصحابه فكان بعد وفاة النبي ﷺ من الفتن بسبب عثمان وعلي رضي الله عنهما ما لا يخفى على أحد وذلك قوله ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً ﴾[1].

وأما قوله :﴿ لَّا تُصِيبَنَّ ﴾ فهو جواب الأمر بلفظ النهي كما تقول لآخر أنزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك، المعنى: أن تنزل عنها لا تطرحك فإذا أتيت بالنون الخفيفة أو الثقيلة كان آكد للكلام[2] ، ومثله قوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾[3].

---

(١) لم أره مسندا، وإنما عزاه أبو الفداء الحنفي للحدادي في تفسيره، انظر: روح البيان (٣/٣٣٣).

وإنما الذي وقفت عليه عن السدي قوله أنها في أصحاب الجمل، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٥٤٢) رقم (٣٧٨٠٥)، وكذا قال مقاتل في تفسيره (٢/١٠٨)، و أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٧٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٨٢).

وجاء عن الحسن: نزلت في علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٧٣).

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/٤١٠)، وتفسير الطبري (١٣/٤٧٥)، وغرائب التفسير (١/٤٣٨)، وتفسير الكشاف (٢/٢١٢)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٧٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٩٣)، والبحر المحيط (٥/٣٠٤)، والدر المصون (٥/٥٩١)، وتفسير النيسابوري (٣/٣٨٩)، وفتح القدير (٢/٣٤٢).

٣) سورة النمل آية ١٨

والفتنة المذكورة في الآية هي البلية التي يظهر بها باطن أمر الإنسان[١]، وقيل هي الهرج التي يركب الناس فيه الظلم[٢] لأنهما إذا وقعا[٣] دخل ضررهما على كل أحد من الناس؛ فكأن الله عز وجل أمر باتقاء ترك النكير على أهل المعاصي واتقاء الاختلاط بأهل المعصية.

قال ابن/ عباس رضي الله عنهما: أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يُقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله عز وجل بالعذاب[٤]. ١٢= أ

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : "ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي وهم أكثر ممن يعمل فيهم ما لم ينكروا إلا عمهم الله عز وجل بعقابه"[٥].

وعنه ﷺ أنه قيل :أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"[٦].

---

(١) انظر : التبيان للطوسي (١٠٢/٥)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٠٩/٢).

(٢) **قال المَاوَرْدِي**: "فيها أربعة أقاويل: أحدها: أنه المنكر ، أمر الله تعالى المؤمنين ألا يقروه بين أظهرهم فيعمهم العذاب قاله ابن عباس. والثاني: أنها الفتنة بالأموال والأولاد كما قال تعالى {إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُم فِتْنَةٌ} (الأنفال: ٢٨) قاله عبد الله بن مسعود. والثالث: أن الفتنة ها هنا البلية التي يبلى الإنسان بها، قاله الحسن. والرابع: أنها نزلت في النكاح بغير وليّ ، قاله بشر بن الحارث. ويحتمل خامساً: أنها إظهار البدع"، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٠٩/٢).

وزاد السمرقندي سادسا فقال: " وقال ابن زيد: أراد بالفتنة افتراق الكلمة، ومخالفة بعضهم بعضا."، بحر العلوم (٤٥٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٨٤/٢).

وزاد الكرماني سابعا فقال: " قال ابن عباس: هذه الفتنة، فسئل عنها، فقال: أبهموا ما أبهم الله"، غرائب التفسير (٤٣٨/١). ولعل هذا أقربها والله أعلم.

(٣) لعل المؤلف هنا يقصد الهرج (القتل) والظلم.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٤٧٤/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٦٨٢/٥).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٥٧١/٣١) رقم (١٩٢٥٣)، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٢٩/٢) ر٤٠٠٩) كتاب الفتن، بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وأخرجه أبو داوود في سننه (١٢٢/٤) رقم (٤٣٣٨، ٤٣٣٩) كتاب الملاحم، بَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وابن حبان وصححه (٥٣٦/١) رقم (٣٠٠)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٣٢/٢) رقم (٢٣٨٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣١٦)، وصحيح الجامع (٥٧٤٩).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٨/٤) رقم (٣٣٤٦) كتاب بدء الخلق، بَابُ قِصَّةِ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٠٧/٤) رقم (٢٨٨٠) كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَفَتْحِ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

وذهب الزجاج في معنى هذه الآية إلى أن قوله عز وجل : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً ﴾ معناه اتقوا أن يبتلى (الظالمون)[1] بفتنة من الله عز وجل، والفتنة العذاب، قال والمراد بهذا مردة المنافقين الذين كانوا يصدون عن الإيمان بالله ، قال وقوله لا تصيبن نهي بعد أمر كأنه قال اتقوا فتنة ثم نهى بعد ذلك فقال لا تصيبن الفتنة الذين ظلموا أي لا يتعرض الذين ظلموا لما ينزل بهم بغتة العذاب ،وهذا كالرجل يقول لآخر لا أرينك هاهنا بلفظ النهي لنفسه، ومعناه لا تكونن هاهنا فأراك وعلى هذا قوله عز وجل ﴿ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾[2].

وأما قوله عز وجل :﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾فهو تحذير شدة العقوبة لمن أهاج الفتن، قال رسول الله ﷺ"الفتنة راتعة في بلاد الله عز وجل واضعة خطامها فالويل لمن أهاجها "[3] وفي بعض الأخبار "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها"[4].

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (الصالحون).

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/٤١٠).

(٣) عن ابن عمر، أخرجه نعيم بن حماد في الفتن (١/٣١) رقم (١٥) و (١/١٤١) رقم (٣٤٧).

وجاء عن أبي الدرداء، أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦/١٠١).

وهو عندهم بلفظ" الْفِتْنَةَ رَاتِعَةٌ فِي بِلَادِ اللَّهِ، تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُوقِظَهَا، وَيْلٌ لِمَنْ أَخَذَ بِخِطَامِهَا".

(٤) أخرجه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين (١/٢٩١)، وقال الألباني: منكر، وهذا إسناد ضعيف مظلم بمرة، السلسلة الضعيفة (٣٢٥٨).

قوله عز وجل : ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس :نزلت في المهاجرين خاصة، أي احفظوا معشر المهاجرين إذ أنتم قليل في العدة مقهورين في أرض مكة وتخافون أن يختلسكم ويذهب بكم أهل مكة فآواكم إلى المدينة وأعانكم يوم بدر بالملائكة ورزقكم الحلال من الغنائم لكي تشكروا الله وتعرفوا ذلك منه فتطيعوه(١).

وقال قتادة: كان هذا الحي من العرب من أذل الناس ذلاً وأشقاهم عيشاً وأجوعهم بطناً وأعراهم جلوداً ما في بلادهم ما يُحسدون عليه من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم أُردي في النار يؤكلون ولا يأكلون وكانوا بين أسدين قيصر وكسرى يخافون أن يتخطفهم أهل فارس والروم والعرب ممن حول أهل مكة حتى جاء الله بالإسلام فمكنهم من البلاد ووسع عليهم في الرزق وجعلهم بذلك ملوكا على رقاب الناس لكي يشكروا الله عز وجل على نعمه(٢).

---

(١) انظر: زاد المسير (٢/٢٠٢)، وكذا قال الكلبي: انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٩٤).

وانظر: تفسير مقاتل (٢/١٠٨)، وتفسير الطبري (١٣/٤٧٩)، والنكت والعيون (٢/٣١٠)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٧٣)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٨٤)، وتفسير العز بن عبد السلام (١/٥٣١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٩٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٧٨).

وانظر: بحر العلوم (٢/١٦)، والدر المنثور (٤/٤٧)، والنكت والعيون (٢/٣١٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٨٤)، وتفسير العز بن عبد السلام (١/٥٣١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧/٣٩٤).

وقوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في أمر **أبي لبابة بن عبد المنذر** فإن بني قريظة قالوا لرسول الله ﷺ: ابعث إلينا حليفاً من حلفائك ننزل على حكمه، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم **سعد بن معاذ** وكانوا يقولون (أرسل)[1] إلينا أبا لبابة وكان عياله وولده وأهله عندهم فبعثه ﷺ إليهم فأتاهم فقالوا يا أبا لبابة أننزل على حكم سعد بن معاذ فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه أي أنه الذبح فلا تفعلوا ولم يتكلم بلسانه فأنزل الله عز وجل هذه الآية[2]، قال أبو لبابة فما زالت قدماي من مكانهما حتى علِمتُ أني خنت الله ورسوله وذلك قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ كما فعل أبو لبابة.

قال الحسن: من ترك شيئا من الدين فضيعه فقد خان؛ لأن الدين أمانة كلفها الله عز وجل للعباد فيما بينهم وبينه وكل رجل مؤتمن على ما افترض الله عليه من أمر الله عز وجل فإن هو أدى الأمانة أو خانها لا يطلع عليها إلا الله تعالى (ويقال أراد بقوله لا تخونوا الله

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (أنزل).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٥/٢٠٧) رقم (٩٨٨)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه مختصرا (٩/٧٤) رقم (١٦٣٩٧)، وأخرجه أبو داود مختصرا جدا في سننه (٣/٢٤٠) رقم (٣٣١٩) كتاب الأيمان والنذور، بَابٌ فِيمَنْ نَذَرَ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمَالِهِ، وأخرجه ابن وهب في جامعه معضلا (١/١٤٩) رقم (٣٠٢).

وأخرجه الطبري عن الزهري مرسلا في تفسيره (١٣/٤٨١).

وأخرجه عن عبد الله بن أبي قتادة به، تفسير الطبري (١٣/٤٨٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٨٤)، وأخرجه ابن إسحاق، سيرة ابن هشام (٢/٢٣٦)، أسباب النزول للواحدي (١/١٥٧-١٥٨).

وانظر: تفسير مقاتل (٢/١٠٩)، وبحر العلوم (٢/١٧)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٤٦)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٣)، وتفسير السمعاني (٢/٢٥٨)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٨٥).

وكأن الطبري ضعف كل ما تقدم حيث قال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله، وخيانة أمانته= وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة وجائز أن تكون نزلت في غيره، ولا خبر عندنا بأيِّ ذلك كان يجب التسليم له بصحته"، التفسير (١٣/٤٨٣)، ونحو هذا للرازي في مفاتيح الغيب (١٥/٤٧٥).

الخيانة من الغنائم التي هي عطية الله عز وجل، والخيانة فيها خيانة للرسول أيضاً؛ لأنه هو القيم بقسمتها[١])[٢].

وقوله عز وجل :﴿ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾ **قال ابن عباس** معناه لا تخونوا أماناتكم[٣].

وقال الزجاج: هذا نصب على الظرف أي أنكم إن فعلتم ذلك فإنما خنتم أماناتكم[٤]، ثم هذا اللفظ يحتمل الخيانة في الغنائم على معنى أنهم كلهم مشتركين فيها فمن استبد بشيء منها فقد خان، ويحتمل الخيانة في (ائتمان)[٥] بعض الناس بعض من حقوق أنفسهم، وقوله عز وجل **:**﴿ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ أنها خيانة[٦].

قوله عز وجل : **﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾**.

معناه: واعلموا أنما أموالكم وأولادكم أحد ما شدد الله عز وجل به التكليف عليكم؛ فإن الإنسان ربما يترك الجهاد أو يخون/ في الأمانات للولد أو حرصا على المال، وقد روينا أن ١٢= ب

---

(١) انظر : مفاتيح الغيب (١٥/٤٧٥)، والتبيان للطوسي (٥/١٠٥)، والنكت والعيون (٢/٣١٠).، والمحرر الوجيز (٢/٥١٨)

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (ويقال يراد بقوله لا تخونوا الله وحده والخيانة فيها خيانة الرسول أيضا الخيانة من الغنائم التي هي عطية الله عز وجل لأنه هو القيم بقسمتها).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٨٥).

وانظر: بحر العلوم (٢/١٧)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٤٧)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٣)، مفاتيح الغيب (١٥/٤٧٥).

(٤) وانظر: تفسير الطبري (١٣/٤٨٤)، تفسير الثعلبي (٤/٣٤٧)، والمحرر الوجيز (٢/٥١٨)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/٣٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/٩٥).

(٥) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (إتيان).

(٦) انظر : بحر العلوم (٢/١٧)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٧٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٤٠).

أبا لبابة إنما حمله على ما فعل ماله وأهله وولده الذين كانوا فيما كان بين ظهراني بني قريظة؛ لأنه إنما ناصحهم لأجلهم وخان المسلمين بسببهم[(١)].

وقوله عز وجل: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ معناه: أن الله عنده ثواب جسيم في الآخرة لمن لا يترك النصيحة للأمة ولم يعص الله عز وجل لأجل المال والذرية.

قوله عز وجل: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩** ﴾.

معناه: إن تتقوا الله في الأمانات فتمتنعوا عن معاصيه بأداء فرائضه يجعل لكم نورا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل[(٢)]، ويقال معناه: ويجعل لكم فتحا ونصرا كما قال عز وجل يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أراد به يوم عز المؤمنين وخذلان الكافرين[(٣)]، ويقال معناه: يجعل لكم مخرجا ونجاة في الدنيا والآخرة[(٤)].

وقوله: ﴿ وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ معناه يمحو عنكم ذنوبكم التي عملتموها ويستر عليكم خطاياكم ولا يؤاخذكم بها، وقوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ معناه: أنه جل ذكره عظيم الفضل على عباده ابتدأكم بالنعم فلا يمنع فضله عنكم عند

---

(١) وتقدم تخريجه.

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١١٠/٢)، وتفسير الطبري (٤٨٧/١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٨٦/٥)، التبيان للطوسي (١٠٧/٥)، ةتفسير ابن أبي زمنين (١٧٣/٢)، والنكت والعيون (٣١١/٢).

(٣) انظر: تفسير ابن جرير (٤٨٨/١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٨٦/٥)، والنكت والعيون (٣١١/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢١٤/٢).

(٤) **قال الطبري**: "كل ذلك متقارب المعنى وإن اختلفت العبارات عنها "، تفسير الطبري (٤٨٨/١٣).

وانظر: تفسير مجاهد (٣٥٤/١)، وتفسير الثوري (١١٨/١)، والجامع لابن وهب (١٣٨/١)، وتفسير عبد الرزاق (١٢٠/٢)، وبحر العلوم (١٧/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٨٦/٥)، وتفسير الثعلبي (٣٤٧/٤)، والنكت والعيون (٣١١/٢)، وتفسير السمعاني (٢٥٩/٢).

الاستحقاق وإنما جاز الشرط في خبر الله تعالى في قوله :﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ لأنه يعامل العباد في الجزاء معاملة البيان (والمظاهرة في العدل وكذلك جاءت صفة الابتلاء والاختبار لما في ذلك من البيان) [١] أن الجزاء واقع على ما يظهر من الفعل دون ما لا يكون والفرق بين التقوى والاتقاء أن الدين التقوى خاصة والاتقاء مستعمل فيه وفي غيره[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

ذكّر سبحانه نبيه ﷺ بعقب ما أنعم الله عليه من النصر والظفر يوم بدر ما كان من مكر المشركين في أمره بمكة فقال عز وجل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾ أي اذكر تلك الحالة.

روي عن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أنه قال: وذلك أن رؤساء قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون برسول الله ﷺ ويحتالون فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم إبليس عدو الله في صورة شيخ كبير عليه ثياب أطمار حتى جلس بينهم، فقالوا : ما بالك أيها الشيخ في خلوتنا بغير إذننا ؟ فقال : أنا رجل من أهل نجد قدمت مكة فأراكم حسنة وجوهكم، طيبة رائحتكم، فأحببت أن أسمع حديثكم وأقتبس منكم خبرا فدخلت وإن كرهتم مجلسي خرجت، فقالوا هذا رجل من أهل نجد وليس من أهل تهامة لا بأس عليكم منه فتكلموا فيما بينهم فبدأ عمرو بن هشام فقال أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدا فتجعلوه في بيت تسدون عليه بابه وتجعلون له كوة تُدخلون عليه منها طعامه وشرابه فيكون محبوسا عندكم إلى أن يموت، فقال إبليس لعنه الله بئس الرأي ما رأيت تعمدون إلى رجل فيكم أهل بيته وقد سمع به من حولكم فتحبسوه وتطعموه يوشك أن يقاتلكم أهل بيته ويفسدوا عليكم جماعتكم، فقالوا صدق والله الشيخ، ثم تكلم أبو البحتري بن هشام فقال: أرى أن تحملوه على بعير فتشدوا وثاقه عليه ثم

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٥١٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٧٧/١٥).

تخرجوه من أرضكم حتى يموت أو يذهب[١] حيث شاء، قال إبليس لعنه الله بئس الرأي ما رأيت تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم ومعه منكم طائفة فتخرجوه إلى غيركم فيأتيهم فيفسد أيضا منهم جماعة ويقبل إليكم فيكون منه هلاككم، قالوا صدق والله الشيخ، فتكلم أبو جهل فقال: أرى أن يجتمع من كل بطن منكم رجلا فتعطونهم السيوف فيضربونه جميعا ولا يدري قومه من يأخذون وتؤدي قريش ديته فقال إبليس لعنه الله صدق والله الشاب وتفرقوا على ذلك[٢]، وأخبر الله عز وجل نبيه ﷺ بمكرهم وأمره بالهجرة إلى المدينة فكان من أمر الغار ما كان وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ ﴾أي ليحبسوك[٣] وهو ما قال عمرو بن هشام، ويقال معنى يثبتوك يقيدوك[٤]، ويقال: يخرجوك كما قال أثبته في القتال إذا أخرجه[٥].

---

(١) في أ زيادة (به) بعد قوله أو يذهب.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥/٣٨٤) رقم (٩٧٤٣)، والآجري في الشريعة (٤/١٦٦٠) رقم (١١٤٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٤٩٤-٤٩٨)، وابن هشام في السيرة (١/٤٨٠).

وانظر: تفسير مقاتل (٢/١١٠)، وبحر العلوم (٢/١٧-١٨)، روح المعاني (٥/١٨٤)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/١٧٤)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٤٨)، وتفسير السمعاني (٢/٢٥٩)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٨٧)، وتفسير الكشاف (٢/٢١٥)، والمحرر الوجيز (٢/٥١٩).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/١١١)، وتفسير الطبري (١٣/٤٩٢)، بحر العلوم (٢/١٨)، وتفسير ابن أبي زمنين (٢/١٧٥)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٤)، وتفسير السمعاني (٢/٢٦٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٨٨)، والمحرر الوجيز (٢/٥١٩)، والنكت والعيون (٢/٣١٢)، وزاد المسير (٢/٢٠٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٤٢)، وتفسير الخازن (٢/٣٠٨)، والبحر المحيط (٥/٣٠٩)، وتفسير النيسابوري (٣/٣٩٢)، وتفسير أبي السعود (٤/١٨).

(٤) انظر : تفسير الطبري (١٣/٤٩١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/١٦٨٨)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٤٩)، والنكت والعيون (٢/٣١٢)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٤)، والوجيز؛ للواحدي (١/٤٣٧)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٨٨).

(٥) انظر : التبيان للطوسي (٥/١٠٩).

وقوله : ﴿ أَوْ يَقْتُلُوكَ ﴾ ظاهر المراد وهو ما قال أبو جهل[١]، وقوله : ﴿ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ أي يخرجونك من بين أظهرهم إلى غيرهم، وهو ما قال البحتري بن هشام[٢]، ويقال: أراد منه الإخراج الذي يفعل بمن استحق النفي من بلده.

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَمْكُرُونَ ﴾ أي يريدون بك الشر والهلاك ويمكر الله أي يريد قتلهم ببدر مجازاة لهم على فعلهم وسوء صنيعهم[٣]، وقيل: إن المكر هو تدبير الماكر الإضرار بالممكور به من حيث لا يشعر[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ أي أفضل الصانعين وأقوى المدبرين/؛ ١٣= أ لأنه لا يمكر إلا بحق وصواب ومكرهم باطل وظلم، وإذا بلغ مكر بعض العباد بالحق فلن يبلغ مكره في النفع للمؤمنين مبلغ مكره تعالى فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾، وهذه الرواية التي رويت عن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما في هذه الآية قيل: إنها موافقة للقرآن إلا ما فيها من حديث تصوير إبليس نفسه بصورة شيخ كبير[٥]؛ لأن ابن عباس

---

(١) انظر : تفسير مقاتل (١١٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٠/٢).

(٢) انظر : تفسير مقاتل (١١٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٠/٢).

(٣) **قال الزجاج**: "لأن مكر الله إنما هو مجازاة ونصر للمؤمنين، فاللَّه خير الماكرين"، معاني القرآن للزجاج (٤١٠/٢).

وانظر : بحر العلوم (١٨/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٧٥/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٤/٢).

وقال السمعاني: " وَالْمَكْر من الله: التَّدْبِير بِالْحَقِّ، وَقيل: هُوَ الْأَخْذ بَغْتَة"، تفسير السمعاني (٢٦٠/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢١٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٧٧/١٥)،

وقال البيضاوي: " برد مكرهم عليهم، أو بمجازاتهم عليه، أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أخرجهم إلى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا. وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره، وإسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقها ابتداء لما فيه من إيهام الذم"، أنوار التنزيل (٥٧/٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٩٥/١٢)، والمحرر الوجيز (٢٨٤/٣)، وتفسير المنار (٥٤١/٩)، وإعراب القرآن وبيانه (٢٢٥/٧).

(٥) وتقدم تخريجه.

مع تقدمه في العلم لا يجوز أن يعتقد في إبليس أنه كان يتمكن أن يجعل نفسه بصورة شيخ[١] ولا يجوز أن يعتقد أن الله عز وجل يجعله كذلك ليعين الكفار في المكر على الرسول وإهلاكه[٢] فلعل الذي دخل على الكفار في خلوتهم كان شيخا من شياطين الإنس وجملة الكفار فظنوه إبليس، ومن الناس من قال في تأويل هذه الرواية أن المعجزات يجوز ظهورها في زمان الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ليخبر النبي ﷺ عن ذلك من بعد فيعلم القوم صحة خبره فيؤمنوا به.

قوله عز وجل : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ ۙ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

روي عن **ابن عباس** أنه قالت: نزلت هذه الآية في **النضر بن الحارث بن علقمة**[٣] كان بعض الصحابة ذات يوم جلوسا وفيهم **النضر بن الحارث** بن علقمة فتهزأ بآية من كتاب الله عز وجل فأنكر عليه **عثمان بن مظعون**[٤] وقال له إن محمد ﷺ لا يقول إلا الحق

---

(١) (لأن ابن عباس مع تقدمه في العلم لا يجوز أن يعتقد في إبليس أنه كان يتمكن أن يجعل نفسه بصورة شيخ) لا توجد في أ.

(٢) انظر : مفاتيح الغيب (١٢٥/١٥).

(٣) النّضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار القرشيّ العبدريّ؛ قال ابن أبي حاتم: النّضر بن الحارث؛ ويقال نضير؛ من مسلمة الفتح؛ وليست له رواية . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة (٣٣٨/٦)، الأعلام للزركلي (٣٣/٨)

٤) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو ابن هصيص القرشي الجُمَحِيّ، يكنى أَبَا السائب، وأمه سخيلة بِنْت العنبس بْن أهبان بْن حُذَافَة بْن جمح، وهي أم السائب وعبد الله . وقال ابْن إِسْحَاق: أسلم عُثْمَان بْن مظعون بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرا. وقال ابْن إِسْحَاق، وسالم أَبُو النَّضْر: كَانَ عُثْمَان بْن مظعون أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعد ما رجع من بدر، وَقَالَ غيرهما: كَانَ أول من تبعه إِبْرَاهِيم بْن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروي من وجوه من حديث عَائِشَة وغيرها أن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل عُثْمَان بْن مظعون بعد مَا مات، توفي سنة اثنتين من الهجرة، وقيل بعد اثنين وعشرين شهرا من مقدم رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة. وقيل: إنه مات على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة بعد شهوده بدرا، فلما غسل وكفن قبل رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين عينيه، فلما دفن قَالَ: نعم السلف هُوَ لنا عُثْمَان بْن مظعونٍ. ولما توفي إِبْرَاهِيم ابْن النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحق بالسلف الصالح، عثمان بن مظعون . انظر : الاستيعاب (١٠٥٣/٣)، سير أعلام النبلاء (١٠٠/٣)

فاتق الله يا نضر، فقال النضر: وأنا أقول حقا،أقول لا إله إلا الله؛ إلا أن الملائكة بنات الله فنزل ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾[(١)] فقال النضر ألا ترون الله قد صدَقني فقال له **الوليد بن المغيرة** ما صدقك؛ بل كذبك، ففطن له النضر فغضب وقال: اللهم إن كان ما يقول محمداً هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فأنزل الله عز وجل " ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ "[(٢)] فقتل النضر يوم بدر صبراً لم يقتل من الأسارى يومئذ غيره وغير عقبة بن أبي معيط[(٣)].

---

(١) سورة الزخرف آية ٨١.

(٢) سورة المعارج آية ١.

(٣) انظر : تفسير مقاتل (١١٢/٢) و (٨٠٥/٣)، وتفسير مجاهد (٣٥٤/١)، وتفسير الطبري (٥٠٣/١٣-٥٠٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٩٠/٥) و (٣٣٧٣/١٠)، وبحر العلوم (٢٦٥/٣)، وتفسير والثعلبي (٣٥١/٤).

وأما قوله عز وجل : ﴿ قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ﴾ فإنما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الإتيان بمثل سورة منه بعد التحدي؛ إما لشدة العداوة؛ فإن ذلك قد يحمل الإنسان على أن يقول بخلاف ما يعلم، أو لأنهم لم ينقطع طمعهم عن القدرة على ذلك في المستقبل وإن عجزوا عنه في الحال؛ فإن القرآن كان مركبا من كلمات جارية في كلامهم وعلى ألسنتهم فطمعوا أن يتأتى لهم قول مثله وإن عجزوا عنه في الحال، ولهذا يقال في صفة القرآن أنه سهل ممتنع وليس كصورة الفصاحة؛ لأن كل أحد يعلم أنه لا يقدر على فصاحته مع أنه لما توهم قوم فرعون أن السحرة يمكنهم أن يأتوا بمثل ذلك فلا يبعد جاهل أن يعتقد أنه يمكنه الإتيان بمثل القرآن مع عجزه عنه.

وأما قوله عز وجل : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ فهذا قول **النضر بن الحارث** أراد به أن الذي يخبركم محمد ما هو إلا مثل ما أحدثكم من أحاديث الأولين وكان النضر كثير الحديث عن الأمم الخالية، كان يحدث عن رستم واسفنديار وغيرهما، والأساطير جمع الأسطور والأسطاره، وسميت أساطير لأنها تكتب سطرا بعد سطر، وقيل أصلها أساطر فزيدت الياء كما يقال دراهيم[١].

قوله عز وجل : **﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾**

معناه: واذكر يا محمد إذ قالوا اللهم وأنت بين أظهرهم بمكة فلم يعذبهم الله حينئذ ثم عذبهم الله من بعده، روى **المقداد بن الأسود**[٢] رضي الله عنه كان هو الذي أخذ النضر أسيرا فلما

(١) انظر : تفسير مقاتل (١١٢/٢) و (٢٢٦/٣)، وتفسير مجاهد (٣٥٤/١)، وتفسير الطبري (٥٠٤/١٣)، وبحر العلوم (١٨/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٥١/٤)، وتفسير السمعاني (٢٢٦/٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٨٨/٢)، والكشاف (٢١٦/٢)، وتفسير الخازن (٣٠٨/٢)، والبحر المحيط (٣٠٩/٥)، وتفسير ابن كثير (٤٦/٤)، وروح البيان (٣٤٠/٣)، وتفسير القاسمي (٢٨٣/٥).

(٢) الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيُّ حَلِيفٌ لِبَنِي زُهْرَةَ، مُهَاجِرِيٌّ أَوَّلِيٌّ بَدْرِيٌّ، يُكْنَى أَبَا مَعْبَدٍ، وَقِيلَ: أَبَا عَمْرٍو، مَاتَ بِالْجُرُوفِ، وَدُفِنَ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٥٥٢/٥)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٤٨٠/٤)، والإصابة (١٥٩/٦).

أمر النبي ﷺ بقتل النضر فقال المقداد أسيري يا رسول الله فقال‑عليه السلام إنه كان يقول في الله وفي رسوله ما يقول ، قال: أسيري يا رسول الله ، فقال : اللهم أغن المقداد من فضلك، فقال : هذا الذي أردت[١].

قولـــه عـــز وجـــل : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: قال الحارث بن عامر بن نوفل يا محمد والله إنك فينا لصادق ولا نتهمك ولكنا متى نؤمن بك غزانا العرب، فنزل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ أي مقيما بين أظهرهم ولم تعذب أمة قط ونبيها بين أظهرها حتى يخرج منها[٢]، وما كان الله معذبهم بأن يسلط عليهم عدوهم/ وهم يصلون[٣]. ١٣= ب

قال مجاهد وقتادة[٤] **والسدي**[٥][٦]: لو استغفروا لم يُعذبوا، ويقال معنى وهم يستغفرون: أي يقولون غفرانك ربنا[٧].

---

(١) أخرجه ابن زنجويه في الأموال (١/٣٤١) رقم (٥٣٤)، وأخرجه أبو داود في المراسيل (١/٢٤٨) رقم (٣٣٧)، وأخرجه الواقدي في المغازي (١/١٠٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٥٠٤).

وانظر : بحر العلوم (٢/١٩)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٥١)، والنكت والعيون (٢/٣١٣)، والمحرر الوجيز (٢/٥٢٠)، وتفسير ابن كثير (٤/٤٧)، والدر المنثور (٤/٥٤)، والسراج المنير (١/٥٦٨)، وفتح القدير (٢/٣٤٨).

(٢) انظر : تفسير الطبري (١٢/٥٤٧) و (١٣/٥١٧) واختاره، والنكت والعيون (٢/٢٣٦)، والمحرر الوجيز (٢/٥٢١).

(٣) انظر : تفسير الطبري (١٣/٥١٦)، بحر العلوم (٢/١٩)

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٥١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١٠٦٣).

(٥) إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي بضم المهملة وتشديد الدال أبو محمد الكوفي صدوق يهم ورمي بالتشيع من الرابعة مات سنة سبع وعشرين م ٤. انظر: الجرح والتعديل (٢/١٨٤)، تهذيب الكمال (٣/١٣٢)، التقريب (٤٦٣).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٥١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٦٩٣).

(٧) وجاء أيضا عن ابن زيد، أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٥١٤).

وأما قوله عز وجل :﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ المراد به على ما روى عن **ابن عباس**: عذاب الآخرة دون عذاب الأولى الذي أريد به في قوله : وما كان الله معذبهم من عذاب الاستئصال[١] في الدنيا[٢].

وعن **عبد الرحمن بن أبزي**[٣] أنه قال: كان رسول الله ﷺ بمكة فنزل﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ فخرج رسول الله ﷺ إلى المدينة فنزل ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ الله عز وجل وكان من المسلمين بقية بمكة لم يهاجروا وكانوا يستغفرون الله عز وجل ويصلون له فلما خرج الكفار من مكة إلى حرب بدر نزل قوله عز وجل : ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي يمنعون المؤمنين عنه فعذبهم الله عز وجل يوم بدر وأذن للنبي ﷺ في فتح مكة[٤].

وانظر أيضا: التبيان للطوسي (١١٣/٥)، تفسير النكت والعيون؛ للمَاورْدِي (٣١٤/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٧٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٥٣/٤)، وتفسير السمعاني (٢٦١/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٤٨٠/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٩٩/٧)، وتفسير الخازن (٣٠٩/٢)، وتفسير النيسابوري (٣٩٥/٣).

(١) (عن ابن عباس عذاب الآخرة دون عذاب الأولى الذي أريد به في قوله : وما كان الله معذبهم من عذاب الاستئصال) لا توجد في أ.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١١/١٣)، وتفسير الثعلبي (٣٥٢/٤).

(٣) عبد الرحمن بن أبزى، بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها زاي مقصور الخزاعي مولاهم صحابي صغير وكان في عهد عمر رجلا وكان على خراسان لعلي ع. انظر: الجرح والتعديل (٢٠٩/٥)، وتهذيب الكمال (٥٠١/١٦)، التقريب (٣٧٩٤).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٥١٠/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٩٣/٥).
وانظر: تفسير الثعلبي (٣٥٢/٤).

وقيل: أراد بقوله وهم يستغفرون أي: منهم من يؤول أمره إلى الإسلام[١] وفي أصلابهم من يُسلِم[٢].

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ ﴾ فمعناه: وما كان الكفار أولياء المسجد الحرام[٣].

قال الحسن: وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أولياء المسجد الحرام[٤]، فرد الله ذلك عليهم، ونظيره قوله عز وجل " ﴿ مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ "[٥].

وقيل معنى قوله وما كانوا أولياءه: ما كانوا أولياء الله[٦].

وقوله عز وجل : ﴿ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ ﴾ (معناه ما أولياء الله تعالى ما أولياء المسجد الحرام)[٧] إلا المتقون من الشرك ولكن أكثر الكفار لا يعلمون ذلك[٨].

---

(١) جاء ذلك عن مجاهد، والكلبي، وعكرمة، وسعيد بن جبير، انظر: تفسير مجاهد (١/٣٥٤)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٢١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/٥١٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥/١٦٩٢).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤١٢)، والكشف والبيان؛ للثعلبي (٤/٣٥٣)، والنكت والعيون (٢/٣١٤)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٧)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٩٠).

(٢) انظر: بحر العلوم (٢/١٩)، والنكت والعيون (٢/٣١٤)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٧)، وتفسير السمعاني (٢/٢٦٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٢٩٠).

(٣) هذا على قول الجمهور، **قال ابن الجوزي**: " وفي هاء الكناية في قوله تعالى: وَما كانُوا أَوْلِياءَهُ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى «المسجد الحرام» ، وهو قول الجمهور"، زاد المسير (٢/٢٠٨)، والدر المصون (٥/٥٩٩).

وانظر: تفسير الطبري (١٣/٥٢٠)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤١٢)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٤٣)، وتفسير الخازن (٢/٣١٠)، والبحر المحيط (٥/٣١٣).

(٤) انظر : التبيان للطوسي (٥/١١٣)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٨)، وزاد المسير (٢/٢٠٨)، وتفسير الخازن (٢/٣١٠).

(٥) سورة التوبة آية (١٧).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٢/١١٣)، وتفسير الطبري (١٣/٥١٩)، وبحر العلوم (٢/٢٠).

(٧) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٨) انظر : بحر العلوم (٢/٢٠).

قولـه عـز وجـل : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

في الآية مقت للكافرين، وبيان أن تقربهم إلى الله عز وجل كان بالصفير والتصفيق، كانوا يقولون ذلك عند البيت مكان الدعاء والتسبيح، ويقال كانوا يأتون بأفعال الصلاة إلا أنهم مع ذلك يصفرون فيها ويصفقون[١]، والمكَّاء طائر أبيض يكون في الحجاز يَصْفُر فسمي تصفيره باسمه يقال مكا يمكو إذا صفّر[٢]، وصدى يصدي تصدية إذا صفق بيده[٣].

وقال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان إذا صلى في المسجد قام رجلاً من بني عبد الدار عن يمينه ورجلاً عن يساره فيصفرون كما يصفر المكاء ويصفقون بأيديهم ليخلطوا على النبي ﷺ صلاته وقراءته وكانوا يفعلون بصلاة من ءامن به (منهم)[٤] فقتلهم الله ببدر[٥] وذلك قوله

(١) جاء ذلك عن ابن شهاب، أخرجه ابن وهب في جامعه (١٤٤/١).

وانظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٢٩/٤)، وتفسير الثعلبي (٣٥٣/٤)، والنكت والعيون (٣١٦/٢)، والتفسير الوجيز (٤٣٩/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩١/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٨١/١٥)، وتفسير الخازن (٣١٠/٢).

(٢) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (١٧٩/١)، وتفسير الطبري (٥٢٢/١٣)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (١٥٣/٣)، تهذيب اللغة (٣٤٥/٩)، والصحاح (٢٤٩٥/٦) مادة (مكا)، ومقاييس اللغة (٣٤٤/٥)،، ولسان العرب (٤٩١/١٠) مادة (مكك)، وتاج العروس (٥٥٠/٣٩) مادة (مكو)، والتفسير الوسيط (٤٥٨/٢)، وغرائب التفسير (٤٤٠/١)، والدر المصون (٦٠٠/٥).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١١٤/٢)، الجامع لابن وهب (١١٢/١)، وتفسير عبد الرزاق (١٢١/٢)، وتفسير الطبري (٥٢٢/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤١٢/٢)، وبحر العلوم (١٩/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٧٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٥٣/٤)، والنكت والعيون (٣١٥/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩١/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢١٨/٢)، وزاد المسير (٢٠٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٨١/١٥)، وتفسير البيضاوي (٥٨/٣)، وتفسير الخازن (٣١٠/٢)، وتفسير ابن كثير (٥٢/٤).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١١٤/٢).

قوله عز وجل﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾، ويقال: أراد بهذا أنهم يقال لهم يوم القيامة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون[١].

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في المطعمين منهم يوم بدر وكانوا ثلاثة عشر رجلاً لكل واحد منهم نوبة في الإطعام وهم أبو جهل بن هشام وأخوه الحارث بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومُنَبه ابنا الحجاج وأبو البحتري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف الجمحي وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش[٢].

ومعنى الآية[٣]: أن الذين جحدوا بالله ورسوله ينقون أموالهم على عداوة رسول الله ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الله فسيقع هذا الإنفاق منهم ثم يكون إنفاقهم ندامة عليهم يوم القيامة

---

(١) انظر: بحر العلوم (٢٠/٢)، والبيان للطوسي (١١٧/٥).

(٢) الأثر أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٣٦/١)،انظر: تفسير مقاتل (١١٥/٢)، وبحر العلوم (٢٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٥٥/٤)، والتفسير الوسيط (٤٥٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩١/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢١٨/٢)، وتذكرة الأريب (١٢٩/١)، وزاد المسير (٢٠٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٨١/١٥)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٩١/٢)، وتفسير البيضاوي (٥٨/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٤٤/١)، ، وتفسير الخازن (٣١١/٢)، والبحر المحيط (٣١٦/٥).

(٣) ذكر ابن جرير أن المعني بهذه الآية أبو سفيان في إنفاقه يوم أحد، ولكن الأمر كما قال ابن جرير الطبري "والصواب من القول في ذلك عندي ما قلنا وهو أن يقال : إن الله أخبرَ عن الذين كفروا به من مشركي قريش أنهم ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله و لم يخبرنا بأيّ أولئك عَنى غير أنه عم بالخبر الذين كفروا، وجائز أن يكون عَنَى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر وجائز أن يكون عنى الفريقين، وإذا كان ذلك كذلك فالصواب في ذلك أن يعمّ كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش . انظر : تفسير الطبري (٥٣٤/١٣).

ثم يهزمون ويقتلون ببدر لا تنفعهم نفقتهم، والحسرة مأخوذة من الكشف[١]، يقال حسر الرأس إذا كشفه، والحاسر كاشف الرأس فيكون المعنى (ثم)[٢] يكشف لهم عن ذلك ما يكون حسرة عليهم، وفي الآية دلالة على نبوة محمد ﷺ؛ لأنه عز وجل أخبر أن إنفاقهم يصير حسرة وأنهم سيغلبون بعد تناصرهم ووجد مخبر ذلك على ما أخبر في كفار قريش[٣].

قوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦﴾ فيه بيان أن ذلك القتل والهزيمة لا يكفران ذنوبهم وأنهم يحشرون في الآخرة إلى جهنم للجزاء[٤].

قوله عز وجل: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧﴾

معناه: ليميز الله نفقة المؤمنين من نفقة الكافرين والعمل السيئ من العمل الصالح، ومن قرأ ليميز بنصب الياء مع التخفيف[٥] فهو من مازه يميزه ميزاً إذا ميَّز[٦].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٤/١٦٨)، والصحاح (٢/٦٢٩) مادة (حسر)، ومجمل اللغة (١/٢٣٤)، ولسان العرب (٤/١٨٧) مادة (حسر)، والمصباح المنير (١/١٣٥) مادة (حسر)، وتاج العروس (١١/١١) مادة (حسر)، والنهاية في غريب الحديث (١/٣٨٣).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) انظر: تفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٤٤)، والتبيان للطوسي (٥/ ١١٨).

(٤) انظر : بحر العلوم (٢/٢٠).

قلت : ولا يكون ذلك كفارة إلا للمؤمنين كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه " مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا ، إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ" وهذا لفظ البخاري.

(٥) قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَعَاصِم وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر {حَتَّى يُميِّز} و {ليميز}، وَقَرَأَ حَمْزَة وَالْكسَائِيّ {حَتَّى يُميِّز} و {ليميز} بِضَم الْيَاء وَالتَّشْدِيد. انظر: الحجة في القراءات السبع (١/١١٨)، والسبعة في القراءات (١/٢٢٠)، وحجة القراءات (١/١٨٢)، والتيسير في القراءات السبع (١/٩٢).

(٦) انظر: الحجة في القراءات السبع (١/١١٨)، ومعاني القراءات للأزهري (١/٢٨٤)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (١/٣٤٩).

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي يجعل ما أنفقه المشركون في معصية الله/ عز وجل بعضه فوق بعض فيجعله ركاما فيكوي بذلك جباههم ١٤=أ وجنوبهم في جهنم كما قال عز وجل : في آية أخرى ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ "[1]الآية[2]، ويقال: أراد بقوله فيركمه طرح بعضه على بعض كما يُفعل بالمتاع الخسيس[3] تحقيرا له، والفائدة في ذلك أن الكفار إذا تذكروا بمشاهدة أموالهم ما فرطوا فيه من حق الله عز وجل كان حسرتهم أعظم، ويحتمل أن المراد بالخبيث الكفار والمراد بالطيب المؤمنون لأن المقصود من الآية تمييز أهل الثواب والعقاب[4].

وقوله عز وجل :﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾أي هم الذين خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة.

قوله عز وجل : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾

معناه: قل لهم إن ينتهوا عن الشرك وقتال المؤمنين يغفر لهم ما قد مضى من كفرهم وقتالهم وإن يعودوا إلى قتال محمد ﷺ فقد مضت سنة الله بأن ينصر أنبيائه[5] على الكفار

---

(١) سورة التوبة آية ٣٥.

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤١٣/٢)، وبحر العلوم (٢١/٢)، والنكت والعيون (٣١٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥٢٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٨٢/١٥).

(٣) في أ (المتاع الخفيف).

(٤) انظر : تفسير الطبري (٥٣٥/١٣)، والتبيان للطوسي (١١٩/٥)، وبحر العلوم (٢١/٢)، والنكت والعيون (٣١٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٤/٢)، والمحرر الوجيز (٥٢٦/٢)، وزاد المسير (٢١٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٨٢/١٥).

(٥) في أ (أولياءه).

وإن للكفار النار في الآخرة[١]، والسُنةُ اسم لما يُفعل دائما على حد واحد[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠ ﴾.

معناه: وقاتلوا كفار مكة حتى لا يكون شرك[٣]، وقيل: حتى لا يكون كافر بغير عهد؛ لأن الفتنة إنما تكون بأن يترك الكافر بلا عهد؛ فإن الكافر بغير عهد يكون عزيزاً في نفسه يدعوا الناس إلى دينه، والكافر بعهد لا يمكنه دعاء الناس إلى دينه[٤]، وعن هذا **قال محمد بن إسحاق**[٥] رحمه الله في هذه الآية حتى لا يفتن مؤمن عن دينه[٦]، ويجوز أن يكون المراد بالفتنة

---

(١) النكت والعيون (٢/٣١٨)، والتفسير الوسيط (٢/٤٥٩)، والوجيز؛ للواحدي (١/٤٤٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣/٣٥٦)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٨٢)، وتفسير الخازن (٢/٣١٢)، والبحر المحيط (٥/٣١٩)، وتفسير ابن كثير (٤/٥٥).

(٢) انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٨/٤١٧)، وتهذيب اللغة (١٢/٢١٠)، والصحاح (٥/٢١٣٨) مادة (سنن)، ولسان العرب (١٣/٢٢١) مادة (سنن).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١/١٦٨)و (٢/١١٥)، تفسير الشافعي (٢/٨٧٢)، وتفسير عبد الرزاق (١/٣١٥)، وتفسير الطبري (٣/٥٦٧) و (١٣/٥٣٧-٥٣٨)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/١٧٠١)، وبحر العلوم (٢/٢١)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٧٧)، وتفسير السمعاني (١/١٩٣).

(٤) انظر : التبيان للطوسي (٥/١٢٠-١٢١).

(٥) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق إمام المغازي صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر من صغار الخامسة مات سنة خمسين ومائة ويقال بعدها خت م ٤. انظر: الجرح والتعديل (٧/١٩١)، وتهذيب الكمال (٢٤/٤٠٥)، والتقريب (٥٧٢٥).

(٦) عزاه المصنف هنا لابن إسحاق، والنص إنما هو كذلك: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: بَلَغَنِي عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ أَيْ حَتَّى لَا يُفْتَنُ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ"، تفسير ابن أبي= =حاتم (٥/١٧٠١)، فيكون محمد بن إسحاق ناقل للخبر لا قائله، وقد تابع المصنف لعزوه هذا كل من سيأتي وهو خلاف الصواب لما ذكرت.

بالفتنة كل ما يؤدي إلى الفساد؛ لأن الكفر إنما سمي فتنة لما فيه، فتنتظم الآية قتال الكفار وأهل البغي والفساد[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ معناه: ويكون الطاعة كلها لله فيجتمع الناس على دين الإسلام[٢].

وقوله عز وجل :﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ ﴾ معناه: إن انتهوا عن الكفر فإن الله عز وجل يجازيهم على الخير والشر (جزاء البصير بأعمالهم)[٣] [٤].

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ ﴾ معناه: إن يعرضوا عن طاعة الله سبحانه فاعلموا أن الله ناصركم نعم المولى الحفيظ (والولي)[٥] ونعم النصير ينصركم عليهم وهذا ترغيب في طلب النصرة من قبل الله عز وجل فإنه هو المولى لمن والاه والنصير لمن استنصره[٦].

وانظر : المحرر الوجيز (٥٢٧/٢)، تفسير المنار (٢١٢/٥)، وتفسير الخازن (٣١٢/٢).

وجاء مثله عن ابن جريج، أخرجه الطبري في تفسيره (٥٣٩/١٣)

وجاء مثله عن الربيع، انظر: تفسير الثعلبي (٣٥٦/٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٢/٢).

(١) **قال الجصاص:**" والفتنة هاهنا جَائِزٌ أَنْ يُرِيدَ بِهَا الْكُفْرَ وَجَائِزٌ أَنْ يُرِيدَ بِهَا الْبَغْيَ وَالْفَسَادَ لِأَنَّ الْكُفْرَ إنَّمَا سُمِّيَ فِتْنَةً لِمَا فِيهِ مِنْ الْفَسَادِ فَتَنْتَظِمُ الآية قتال الكفار وأهل البغي وأهل العيث وَالْفَسَادِ"، أحكام القرآن للجصاص (٢٢٩/٤)، وانظر: بحر العلوم (٢١/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥٣٨/١٣)، وبحر العلوم (٢١/٢)، وتفسير ابن أبي زمنين (١٧٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥٢٧/٢)، وتفسير الخازن (٣١٢/٢).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٥٤٣/١٣)، وبحر العلوم (٢١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٩/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٢٠/٢)، وزاد المسير (٢١١/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٨٤/١٥)، والبحر المحيط (٣١٩/٥).

(٥) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (والمولي).

(٦) انظر: بحر العلوم (٢١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٥٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٢/٢)، وتفسير البيضاوي (٥٩/٣)، وتفسير الخازن (٣١٢/٢).

قوله عز وجل : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ ﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كان خمس الغنيمة يقسم على عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، سهم الله ورسوله واحد كان النبي ﷺ يعطي منه المحتاج والضعيف ويجعله في عدة المسلمين من السلاح ونحوه، وسهم لذوي قرابة النبي ﷺ وسهم ليتامى المسلمين عامة، وسهم لمساكين المسلمين، وسهم لابن السبيل[١]، (قال ثم قسمه أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ على ثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل)[٢] وكذلك فعله عمر رضي الله عنه بعده ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين وبهذا أخذ علماؤنا رحمهم الله، قالوا إن قوله ﴿لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ لافتتاح الكلام باسم الله عز وجل على طريق التبرك به (لا)[٣] لأن لله عز وجل نصيبا واحدا من الخمس فإن الدنيا والآخرة كلها لله سبحانه[٤]، قالوا وفي خبر ابن عباس رضي الله عنهما بيان أن سهم النبي ﷺ كان لفضيلته فسقط بوفاته؛ لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لا يُورِثون[٥]،

---

(١) أخرجه بنحوه الطبري في تفسيره (٥٥١/١٣)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٠٣/١) رقم (٧٧)، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٦/٣) رقم (٥٣٥٧).

(٢) (قال ثم قسمه أبو بكر رضي الله عنه بعد رسول الله ﷺ على ثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل) لا توجد في أ.

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) انظر : تفسير الشافعي (٨٨٠/٢)، وتفسير الطبري (٥٤٨/١٣)، الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٦/٣)، وتفسير الثعلبي (١٠٤/٥)، والنكت والعيون (٣١٩/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٠/٨)، وتفسير ابن كثير (٦٠/٤)، وفتح القدير (٣٥٦/٢).

(٥) **قال ابن الجوزي**: "وهل سقط بموته، أم لا؟ فيه قولان: أحدهما: لم يسقط بموته، وبه قال أحمد والشافعي في آخرين. وفيما يُصنَع به قولان: أحدهما: أنه للخليفة بعده، قاله قتادة. والثاني: أنه يُصْرَفُ في المصالح، وبه قال أحمد والشافعي. والثاني: أنه يسقط بموته كما يسقط الصفيُّ، فيرجع إلى جملة الغنيمة، وبه قال أبو حنيفة"، زاد المسير (٢١٢/٢).

وسهم ذوي القربى كان جعل إليه ﷺ ليضعه فيمن شاء منهم[١]،ألا ترى أنه أعطى بني هاشم وبني المطلب وحرم بني نوفل وبني عبد شمس مع مساواتهما بيني المطلب في القرب، وإلى هذا المعنى أشار ﷺ في حديث **عثمان بن عفان وجبير بن مطعم**[٢] .قالا له نحن لا ننكر فضل بني هاشم لمكانك فيهم ولكنا وبني المطلب كهاتين وأشار بإصبعين فلم أعطيتهم وحرمتنا ؟ فقال : بأنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام[٣]، وإذا بطل هذان السهمان بعد النبي ﷺ رجعنا إلى السهام الثلاثة (التي)[٤] ذكرت معها فيقسم الخمس على ثلاثة أسهم يدخل في استحقاقه فقراء بني هاشم دون أغنيائهم بدلا عن ما حرموا من الصدقات[٥]، ومن أصحابنا من قال يقسم الخمس الآن على أربعة أسهم فيفرد سهم/ من الخمس لفقراء قرابة النبي ﷺ، كما روي عن عبد الله بن عباس أنه كتب إلى نجدة الحروري في سهم ذوي القربى أن عمر بن

(١) **قال ابن الجوزي**: "فيهم ثلاثة أقوال: أحدها: أنهم جميع قريش. قال ابن عباس: كنا نقول: نحن هم فأبى علينا قومنا، وقالوا: قريش كلها ذوو قربى. والثاني: بنو هاشم وبنو المطلب، وبه قال أحمد والشافعي. والثالث:

أنهم بنو هاشم فقط، قاله أبو حنيفة"، زاد المسير (٢١٢/٢).

(٢) جبير ابن مطعم ابن عدي ابن نوفل ابن عبد مناف القرشي النوفلي صحابي عارف بالأنساب مات سنة ثمان أو تسع. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥١٨/٢)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب (٢٣٢/١)، والإصابة (٥٧٠/١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٠٥/٢٧) رقم (١٦٧٤٠)، وأخرجه البخاري في صحيحه (١٧٩/٤) رقم (٣٥٠٢) كتاب المناقب، باب مناقب قريش، وأخرجه أبو داوود (١٤٥/٣) رقم (٢٩٧٨) كِتَاب الْخَرَاجِ وَالْإِمَارَةِ وَالْفَيْءِ، بَابٌ فِي بَيَانِ مَوَاضِعِ قَسْمِ الْخُمُسِ، وَسَهْمِ ذِي الْقُرْبَى، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (١٣٠/٧) رقم (٤١٣٧) أول كتاب قسم الفيء.

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤١٥/٢)، وبحر العلوم (٢٢/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٢٢/٢)، والبحر المحيط (٣٢٤/٥)،وتفسير النيسابوري (٤٠٢/٣)، وفتح القدير (٣٥٤/٢)، وتفسير المنار (١٥/١٠)، والتحرير والتنوير (١٠/١٠)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٣٨/١)، وتفسير الخازن (٣١٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٢/٢)، والمحرر الوجيز (٥٣٠/٢)، وتفسير أبي السعود (٢٢٨/٨).

الخطاب ﷺ أراد أن يزوج منه أيمنا ويقضي دين مغرمنا فأبينا إلا أن يسلمه إلينا فأبى ذلك علينا[١].

وأما اليتامى فهو جمع يتيم؛ وهو الصغير الذي لا أب له، واليتيم من كل جنس من الحيوان الذي ماتت أمه إلا من بني آدم فإنه الذي لا أب له[٢]، والمسكين الذي أسكنه الضعف من النهوض لحاجته[٣]، وابن السبيل المحتاج المنقطع عن ماله وأضيف إلى السبيل لانقطاعه إلى السبيل كانقطاع الإنسان إلى أبيه[٤]، وأربعة أخماس الغنيمة فهو للغانمين بظاهر قوله عز وجل ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ ﴾ وسُئل رسول الله ﷺ بوادي القرى[٥] لمن الأربعة الأخماس؟ فقال لهؤلاء فأشار إلى الغانمين[٦]، وفي رواية **علي بن أبي طلحة**[١] رحمه الله

---

(١) **قال ابن جرير**: "والصواب من القول في ذلك عندنا، أن سهم رسول الله ﷺ مردودٌ في الخمس، والخمس مقسوم على أربعة أسهم، على ما روي عن ابن عباس: للقرابة سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم، لأن الله أوجبَ الخمس لأقوام موصوفين بصفات، كما أوجب الأربعة الأخماس الآخرين. وقد أجمعوا أنّ حق الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم"، التفسير (١٣/٥٥٩) .

(٢) انظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/٢٣١)، تهذيب اللغة (١٤/٢٤١)، والصحاح (٥/٢٠٦٤) مادة (يتم)، وتاج العروس (٣٤/١٣٤).

(٣) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (١/١٢٧)، وتهذيب اللغة (١٠/٤٠)، والصحاح (٥/٢١٣٧) مادة (سكن)، والفائق في غريب الحديث (١/٧٠)، والنهاية في غريب الحديث (٢/٣٨٥)، ولسان العرب (١٣/٢١٤) مادة (سكن).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث (٢/٣٣٩)، والمصباح المنير (١/٢٦٥)، وتاج العروس (٢٩/١٦١)، والقاموس الفقهي (١/١٦٦).

(٥) وادي القرى: واد بين الشام والمدينة وهو بين تيماء وخيبر فيه قرى كثيرة وبها سمي وادي القرى، لأن الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد وآثار القرى إلى الآن بها ظاهرة، انظر: معجم البلدان (٤/٣٣٨).

(٦) الأثر أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢/٢٩٨) رقم (٢٦٨٠)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٢/٦٧٩) رقم (١١٣٦)، وأخرجه المروزي في السنة (١/٤٩) رقم (١٥٦)، وفي تعظيم قدر الصلاة (١/٩٥) رقم (١١)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في المسند (١٣/١٣١) رقم (٧١٧٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٩/١٠٥) رقم (١٨٠١٢)، وأخرجه الواحدي في التفسير الوسيط (٢/٤٦٢)، قال ابن كثير: إسناده صحيح، التفسير (٤/٦٠).

الله عن **ابن عباس** رضي الله عنهما أن الخمس يقسم على أربعة أسهم، سهم الله وسهم الرسول وسهم ذوي القربى كان واحدا ولم يكن رسول الله ﷺ يأخذ من الخمس شيئا[٢].

وذهب بعض الناس إلى أن الخمس كان يقسم على عهد رسول الله ﷺ على ستة أسهم[٣]، سهم الله عز وجل كان يصرف في وجوه القرب كلها، وسهم الرسول كان يصرفه فيمن شاء ولكل فريق من الفرق الأربعة سهم، وكان **أبو العالية** يقول يصرف سهم (الله)[٤] إلى الكعبة[٥]، وهذا لا يصح لأنه لو كان كذلك لثبت به النقل مستفيضاً ولكانت الخلفاء الأربعة أولى بصرف سهم منها إلى الكعبة أو إلى وجوه القرب فلما لم يفعلوا ثبت أن معنى قوله عز وجل لله خمسه أن الخمس كله مصروف في وجوه القرب إلى الله عز وجل، ثم بين تلك

---

(١) علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس سكن حمص أرسل عن ابن عباس ولم يره من السادسة صدوق قد يخطىء مات سنة ثلاث وأربعين م د س ق. انظر: الجرح والتعديل (١٨٨/٦)، وتهذيب الكمال (٤٩٠/٢٠)، التقريب (٤٧٥٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٥١/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٧٠٤/٥)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٠٣/١) رقم (٧٧)، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٦/٣) رقم (٥٣٥٧).

(٣) قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: قوله: "فأن لله خمسه"، "افتتاح كلام"، وذلك لإجماع الحجة على أنّ الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم، كما قال أبو العالية، لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسومًا على ستة أسهم. وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها، فأما على أكثر من ذلك، فما لا نعلم قائلا قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية. وفي إجماع من ذكرت، الدلالةُ الواضحةُ على صحة ما اخترنا"، تفسير الطبري (٥٥٢/١٣).

وانظر: بحر العلوم (٢٢/٢).، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٢/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٢٢/٢)، وزاد المسير (٢١٢/٢)، وتفسير ابن جزي (٣٢٦/١)، وتفسير الخازن (٣١٣/٢)، وتفسير النيسابوري (٤٠٢/٣)، وتفسير أبي السعود (٢٣/٤).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٠٠/٦) رقم (٣٣٢٩٨)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٩٩/١) رقم (٧١)، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٧٦/٣) رقم (٥٣٥٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٥٥١/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٠٣/٥).

وانظر: تفسير أبي السعود (٢٣/٤)، وتفسير الثعلبي (٣٥٧/٤)، ومفاتيح الغيب (٤٨٥/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٠/٨)، والدر المنثور (٦٦/٤)، وفتح القدير (٣٥٦/٢)، وتفسير المنار (١٥/١٠).

الوجوه فقال وللرسول ولذي القربى إلى آخر ما ذكره، وأما دخول الواو في قوله وللرسول فقد يدخل الواو في الكلام ويراد به إلغاؤها كما قال عز وجل ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [(١)] معناه آتيناهما الفرقان ضياء، قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام . . . وليث الكتيبة المزدحم[(٢)]

وذهب **الشافعي**[(٣)] رحمه الله إلى أن الخمس يقسم الآن على خمسة أسهم سهم منها وهو سهم الرسول ﷺ يصرف إلى الأهم فالأهم من مصالح المسلمين[(٤)]، ومن أصحابه من يقول يصرف ذلك إلى الخليفة وسهم آخر لذوي قرابة النبي ﷺ لأغنيائهم وفقرائهم وثلاثة أسهم (لليتامى)[(٥)] والمساكين وابن السبيل، وذهب بعض الناس أن سهم ذوي القربى يصرف إلى قرابة الخليفة وهو قول بعيد[(٦)].

---

(١) سورة الأنبياء آية ٤٨.

(٢) البيت من المتقارب، انظر: خزانة الأدب (٤٥١/١)، والبلاغة العربية (٥٦٦/١)، وحياة الحيوان الكبرى (٣٣٩/٢).

(٣) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ابن السائب ابن عبيد ابن عبد يزيد ابن هاشم ابن المطلب المطلبي أبو عبد الله الشافعي المكي نزيل مصر رأس الطبقة التاسعة وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين مات سنة أربع ومائتين وله أربع وخمسون سنة خت ٤. انظر: الجرح والتعديل (٢٠١/٧)، وتهذيب الكمال (٣٥٥/٢٤)، وتذكرة الحفاظ (٢٦٥/١).

(٤) انظر : الإقناع؛ للمَاورْدِي (٤٢٩/٨، ٤٤١)، والمهذب (٣٠٠/٣)، والبيان؛ للعمراني (٢٢٩/١٢)، وروضة الطالبين (٣٥٥/٦)، واللباب في الفقه الشافعي (١٨٤/١)، وبداية المجتهد (١٥٣/٢)، وانظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٠/٨).

(٥) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (للفقراء).

(٦) انظر: المحرر الوجيز (٥٣١/٢)، والبحر المحيط (٣٢٥/٥)، الإقناع؛ للمَاورْدِي (٤٢٩/٨).

وقال مالك رحمه الله: يجوز صرف الخمس عن هؤلاء المذكورين في الآية إلى غيرهم وإنما ذكرهم الله عز وجل لبيان أنهم أولى من غيرهم إذا احتاجوا إليه وهذا كقوله جل ذكره ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[١][٢].

وأما قوله عز وجل :﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ ﴾ فمعناه: واعلموا واقبلوا ما أمرتم به في الغنيمة إن كنتم صدقتم بتوحيد الله عز وجل وصدقتم بما أنزلنا على عبدنا محمد ﷺ وهذه إشارة إلى الوعيد على العدول عن هذه القسمة التي في الآية (لئلا يقول أحد من الغانمين لِمَ يُصرف من جملة ما تحملنا فيه المشقة وبذلنا فيه المال والمهجة إلى من هو قاعد في مقره على خفضٍ ودعة)[٣]،وهذا كما قال عز وجل في أول هذه السورة ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾.

وقوله عز وجل :﴿ يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ ﴾ فهو بدر فرق فيه بين الحق والباطل بنصر المؤمنين وكبت الكافرين مع ضعف المسلمين وقلتهم[٤].

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٥.

(٢) انظر: المقدمات الممهدات (٣٥٦/١، ٣٥٧)، والمحرر الوجيز (٥٣٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١١/٨).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (لئلا يقول أحد من الغانمين إذا تصرف من جملة ما على خفض ودعة).

(٤) قاله ابن عباس، وعروة بن الزبير، ومقسم، وابن كثير، وقتادة، والزهري، ومجاهد، وابن زيد، وَعُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالضَّحَّاكِ، انظر: تفسير مجاهد (٣٥٥/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٧١/٢) و (٥٦١/١٣)، وأخرجه ابن المنذر في تفسيره (٣٦٢/١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٠٦/٥).

وقوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ﴾ معناه يوم التقى جمع المؤمنين والكافرين[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ معناه أن الله قادر على كل شيء من نصر المؤمنين وغير ذلك يضع كل شيء موضعه.

قوله عز وجل ﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِي ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾.

معناه: واذكروا يا أصحاب محمد ﷺ إذ أنتم بالعدوة الدنيا[٢] منكم أي بشفير الوادي الذي يلي المدينة، يقال لشفير الوادي عُدوة وعَدوة[٣]، وهم بالعدوة القصوى[٤] يعني المشركين بالجانب الآخر من الوادي على شفيره الأبعد من المدينة وهو الجانب الذي يلي مكة،[٥].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١١٦/٢)، وتفسير الطبري (٥٦٠/١٣)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٠٧/٥)، وبحر العلوم (٢٢/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٧٨/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٦١/٤)، وتفسير البيضاوي (٦٠/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٤٦/١)، وتفسير الخازن (٣١٥/٢).

(٢) العدوة الدنيا: من يعني من دون الوادي على الشاطئ مما يلي المدينة، انظر: تفسير مقاتل (١١٦/٢).

(٣) يقول الطبري: وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيبٌ ، قال ابن السكيت: عدوة الوادي، وعدوته جانبه، والجمع عدى وعدى، وقال ابن عطية: " شفير الوادي وحرفه الذي يتعذر المشي فيه بمنزلة رحا البير لأنها عدت ما في الوادي من ماء ونحوه أن يتجاوز الوادي أي منعته"، انظر: معاني القرآن للزجاج (٤١٧/٢)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٥٠/١)، وتفسير الطبري (٥٦٥/١٣)، وتفسير عبد الرزاق (١٢٣/٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٠٧/٥)، وبحر العلوم (٢٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٦١/٤)، والتفسير الوسيط (٤٦٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٨/٢)، والمحرر الوجيز (٥٣٢/٢).

(٤) العدوة القصوى من الوادي خلف العقنقل، انظر: معجم البلدان (٤٤١/٥).

(٥) انظر : تفسير مقاتل (١١٦/٢)، وتفسير الطبري (٥٦٤/١٣)، معاني القرآن للفراء ( )، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٠٧/٥)، وبحر العلوم (٢٣/٢)، والنكت والعيون (٣٢١/٢)، والوجيز؛ للواحدي (٤٤١/١)، وتفسير السمعاني (٢٦٨/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ ﴾ والقافلة المقبلة من الشام التي كان أبو سفيان فيها كانت أسفل منكم بثلاثة أميال كانوا نازلين أسفل الوادي على شاطئ البحر[١].

وقوله تعالى:/ ﴿ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ ﴾ معناه: أن الله عز وجل جمعكم مع المشركين يقاتلونكم والذين هم أصحاب العير في ليلة واحدة بمنزل واحد ولو تواعدتم للاجتماع هناك لاختلفتم في الميعاد بالعوائق التي تعوق عن ذلك وبأنكم لو كنتم تعلمون كثرة عدد المشركين وقلة عددكم لم تحضروا في ذلك المكان للقتال[٢]. ١٥=أ

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا ﴾ معناه ولكن قدر الله اجتماعكم في ذلك المكان ليقضي أمراً كائنا لا محالة من إعزاز الإسلام وإعلائه على سائر الأديان ، يقال للأمر الكائن لا محالة هذا أمر مفعول وهذا أمر مفروغ منه.

قوله عز وجل : ﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾.

معناه: ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليهم ويعيش من عاش بعد قيام الحجة عليهم[٣].

---

(١) جاء ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، وعباد بن عبد الله بن الزبير، انظر: تفسير مجاهد (٣٥٥/١)، وتفسير مقاتل (١١٦/٢)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٣/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٥٦٤/١٣)،، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٠٧/٥).

وانظر: وبحر العلوم (٢٣/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٧٩/٢)، والنكت والعيون (٣٢٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٨/٢).

(٢) وهذا المغنى قاله ابن إسحاق، وعَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أخرجه الطبري في تفسيره (٥٦٦/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٠٨/٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (٣٦٢/٤)، والنكت والعيون (٣٢٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٧/٢).

(٣) جاء هذا المعنى عن عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وابن إسحاق، أخرجه الطبري في تفسيره (٥٦٨/١٣)، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٠٨/٥).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ معناه سميع لمقالتكم عليم بضمائركم فيجزيكم على قدر أعمالكم[١].

قولــه عــز وجــل : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس: وذلك أن النبي ﷺ رأى العدو في المنام قليلا فقص رؤياه على أصحابه فلما التقوا ببدر قلل الله عز وجل المشركين في أعين المؤمنين تصديقا لرؤيا النبي ﷺ[٢]، ومعنى التقليل في الرؤيا أن يخطر ببال النائم ما يدعو إلى الظن والاعتقاد الذي يحدث له فيصير ذلك داعية إلى الخير والطاعة والرؤيا في المنام تصور تتوهم معه الرؤية في اليقظة، والرؤيا على أربعة أوجه رؤيا من الله عز وجل على وجه الإلهام ولها تأويل، ورؤيا من وسواس الشيطان، ورؤيا من غلبة الأخلاط، ورؤيا من الأفكار وكلها أضغاث أحلام إلا الرؤيا التي من قبل الله[٣].

وانظر: بحر العلوم (٢/٢٣)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٧٩)، والنكت والعيون (٢/٣٢٢)، والتفسير الوسيط (٢/٤٦٣)، وتفسير السمعاني (٢/٢٦٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٣/٥٦٩).

وانظر: بحر العلوم (٢/٢٣)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٧٩)، والنكت والعيون (٢/٣٢٢)، والتفسير الوسيط (٢/٤٦٣)، وتفسير السمعاني (٢/٢٦٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/١١٧)، وتفسير الطبري (١٣/٥٦٩-٥٧٠)، تفسير النكت والعيون؛ للمَاوَرْدِي (٢/٣٢٣) وقال : وهو الظاهر وعليه الجمهور.

(٣) دلت الأحاديث المتوافرة والصحيحة على تقسيم الرؤيا إلى ثلاث الأولى: رؤيا حق وهي الرؤيا الصالحة التي هي بشرى من الله لمن رآها أو رؤيت له. الثانية : رؤيا مما يحدث به الرجل نفسه. الثالثة: رؤيا أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومن تلك الأحاديث ما جاء في صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ، وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ » وتقسيم المؤلف رحمه الله تعالى فقد أخذه عن المعتزلة، قال القاضي أبو بكر بن العربي المالكي: أما تقسيم الرؤيا على ثلاثة أقسام فهي قسمة صحيحة مستوفية للمعاني وهي عند الفلاسفة على أربعة أقسام بحسب الطبائع الأربع، وقد بيّنا في كل كتاب ونادينا على كل باب وصرخنا على الوهاد والأنقاب بأنه لا تأثير للأخلاط ولا فعل، وإنما

وعن الحسن أن معنى قوله عز وجل : ﴿فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ في عينك التي تنام بها[١].

وقيل: إن تقدير الآية على هذا التأويل إذ يريكهم الله في موضع منامك أي في عينك فحذف الموضع وأقام المنام مقامه[٢].

وقوله عز وجل : ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي: لجبنتم وتأخرتم (عن الصف)[٣]

الصحيح ما قاله النبي – ﷺ – وهي الرؤيا البشرى إما بمحبوب وإما بمكروه وإما تحزين من الشيطان يضرب به الأمثال المكروهة الكاذبة ليحزنه، وإما خطرات الوساوس وحديث النفوس فتجري على غير قصد ولا عقد في المنام جريانها في اليقظة. انتهى.

(١) عن الحسن أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٠٩/٥).

وانظر : بحر العلوم (٢٣/٢)، ومعاني القرآن للزجاج (٤١٩/٢)، وتفسير النكت والعيون؛ للمَاوَرْدِي (٣٢٣/٢)، والتفسير الوسيط (٤٦٣/٢)، وتفسير السمعاني (٢٦٩/٢)، والمحرر الوجيز (٥٣٤/٢)، وزاد المسير (٢١٤/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٢/٨)، وتفسير ابن كثير (٦٩/٤)، وتفسير الطبري (٥٧٠/١٣).

وقد ضعف هذا جماعة: **فقد حكى السمعاني** القولين وقال: "أظهر الْقَوْلَيْنِ: أَن الْمَنَام حَقِيقَة النّوم"، تفسير السمعاني (٢٦٩/٢).

وضعف ابن عطية هذا القول، وقال: "هذا القول ضعيف" انظر: المحرر الوجيز (٥٣٥/٢)، **ورده ابن كثير** فقال: " وَهَذَا الْقَوْلُ غَرِيبٌ، وَقَدْ صُرِّحَ بِالْمَنَامِ هَاهُنَا، فَلَا حَاجَةَ إِلَى التَّأْوِيلِ الَّذِي لَا دَلِيلَ عليه"، تفسير ابن كثير (٦٩/٤).

وقال الزمخشري: "وهذا تفسير فيه تعسف، وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن، وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته"، تفسير الكشاف (٢٢٥/٢).

(٢) ذكر هذا المعنى الطبري وضعفه وذلك بذكره بعد القول الأول، وقوله (وقد زعم بعضهم أن معنى قوله : " **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا** "، أي : في عينك التي تنام بها فصيّر "المنام" هو العين كأنه أراد: إذ يريكهم الله في عينك قليلا) ، انظر : تفسير الطبري (٥٧٠/١٣)، ويقول الزجاج بعد ذكره لهذا المعنى (ولكنه قد جاءَ في التفسير أن النبي – ﷺ – رآهم في النوم قَلِيلًا ، وقص الرؤْيا على – أصحابه فقالوا : صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ يا رسول اللَّه ، وهذا المذهب أسوغ في العربية ، لأنَّه قَد جاءَ : (**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ**) فدَل بهذا أن هذا رؤْية الالتقاءِ ، وأن تلك رؤْيةُ النوم) انظر : معاني القرآن (٤١٩/٢).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (من الضعف).

ولاختلفتم في أمر الحرب[١]، والفشل هو الضعف مع الوجل[٢]، والتنازع أن يحاول كل واحد من الاثنين أن ينزع صاحبه عما هو عليه[٣].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ معناه ولكن الله سلمكم من ذلك ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي بما في قلوبكم عليم أنكم لو علمتم كثرة عدد المشركين لرغبتم عن القتال.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾

وذلك أن الله عز وجل قلل المشركين في أعين المسلمين ليجترئ المسلمون على قتالهم وقلل المسلمين في أعين المشركين كي لا يستعد المشركين لحربهم كل الاستعداد ولا تتوفر دواعيه إلى ذلك وإنما فعل ذلك لبعض الأسباب المانعة عن الرؤية فمنعهم من رؤية إما بعيان أو نحوه حتى رُوي **عن ابن مسعود** أنه قال: قلت لرجل بجانبي أتراهم سبعون رجلا فقال هم قريبا من مائة فلما أسرنا رجل منهم سألناه عن عددهم فقال كنا ألفا أو تسعمائة وخمسين[٤].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١١٧/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤١٩/٢)، وبحر العلوم (٢٣/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٨٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٦٢/٤)، والنكت والعيون (٣٢٣/٢)، والتفسير الوسيط (٤٦٣/٢).

وقد رد هذا المعنى الرازي فقال: "الفشل وهو الضعف، وَقِيلَ الْفَشَلُ هُوَ الْجُبْنُ، وَهَذَا بَاطِلٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا، أَيْ فَتَضْعُفُوا، لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فَتَجْبُنُوا"، مفاتيح الغيب (٣٨٧/٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٥٢/١١) مادة (فشل)، والصحاح (١٧٩٠/٥) مادة (فشل)، ومجمل اللغة (٧٢١/١) مادة (فشل)، ولسان العرب (٥٢٠/١١) مادة (فشل)، وتاج العروس (١٥٩/٣٠).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٤٨/٢) مادة (نزع)، والصحاح (١٢٨٩/٣) مادة (نزع)، ومجمل اللغة (٨٦٣/١) مادة (نزع)، ومقاييس اللغة (٤١٥/٥) مادة (نزع).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٦٠/٧) رقم (٣٦٦٩٨)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٥٧٢/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٠/٥)، وانظر: تفسير الثعلبي (٢٢/٣)، والتفسير الوسيط (٤٦٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل؛

وقوله عز وجل : ﴿ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ قد سبق تفسيره والفائدة في إعادته أن المراد بالأول إعلاء الإسلام على سائر الأديان والمراد بالثاني قتل المشركين وأسرهم يوم بدر وكلاهما كائنا في علم الله عز وجل(١).

قولـه عـز وجـل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾.

تحريض من الله عز وجل للمؤمنين على قتال الكفار ومعناه إذا لقيتم جماعة من الكفار فاثبتوا لقتالهم، واذكروا الله كثيرا في الحرب بالدعاء والاستغفار؛ لكي تفلحوا بالظفر على الأعداء(٢) .

قوله عز وجل : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

معناه: وأطيعوا الله والرسول في الثبات على القتال ولا تختلفوا فيما بينكم (في)(٣) لقاء العدو والتقدم إلى قتالهم فتجبنوا عن عدوكم وتذهب ريحكم.

قال قتادة: هي ريح النصر التي يبعثها الله عز وجل مع من ينصره على من يخذله(٤)،

للبغوي (٤١٧/١)، وزاد المسير (٢٦٣/١)، وتفسير الخازن (٣١٦/٢)، والبحر المحيط (٤٩/٣)، وتفسير ابن كثير (١٨/٢).

(١) **قال القرطبي**: "تَكَرَّرَ هَذَا، لِأَنَّ الْمَعْنَى فِي الْأَوَّلِ مِنَ اللِّقَاءِ، وَفِي الثَّانِي مِنْ قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَإِعْزَازِ الدِّينِ، وَهُوَ إِتْمَامُ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ."، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٣/٨).

ويقول ابن عطية:"والأمر المفعول المذكور في الآيتين هو للقصة بأجمعها، وذهب بعض الناس إلى أنهما لمعنيين من معاني القصة والعموم أولى". انظر : المحرر الوجيز (٥٣٥/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٨٨/١٥)، والتبيان للطوسي (١٣١/٥).

(٢) انظر : تفسير الطبري (٥٧٤/١٣)، والمحرر الوجيز (٥٣٦/٢).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (من).

(٤) وهو مروي كذلك عن ابن زيد، ومجاهد، انظر: تفسير مجاهد (٣٥٦/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٥٧٦/١٣، ٥٧٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٢/٥).

وانظر: تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٢٤/٢)، وبحر العلوم (٢٤/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٨١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٦٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٨/٢).

كما روي عن رسول الله ﷺ/ أنه قال: "نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"[(١)]. ١٥=ب

ويقال معنى وتذهب: أي دولتكم وقوتكم[(٢)]، تقول العرب ذهب ريح بني فلان وفلان، كما يجري أمره في السعادة على الريح سكنت ريحه[(٣)].

وقوله عز وجل: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ ﴾ معناه واصبروا على قتال المشركين ولا تولوهم الأدبار إن الله معين الصابرين .

قوله عز وجل: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧ ﴾.

معناه: قاتلوا لوجه الله عز وجل ولا تكونوا في خروجكم إلى قتال المشركين (كالمشركين الذين خرجوا من ديارهم إلى قتال المسلمين)[(٤)] بطراً وهو الطغيان في النعمة ورياء الناس يقول سمعة للناس، والرياء إظهار الجميل مع إبطان القبيح[(٥)].

وقوله عز وجل: ﴿ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي هم مع بطرهم ورياءهم يمنعون الناس من دين الله، **قال عبد الله بن عباس**: وذلك أن بعض المشركين قالوا لأبي جهل بن

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه (٣٣/٢) رقم (١٠٣٥) كتاب الجمعة، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وأخرجه مسلم في صحيحه (٦١٧/٢) رقم (٩٠٠) كتاب صلاة الاستسقاء، بَابٌ فِي رِيحِ الصَّبَا وَالدَّبُورِ.

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٥/٢)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٤٧/١)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٢٤٧/١)، وبحر العلوم (٢٤/٢)، والنكت والعيون (٣٢٤/٢)، والوجيز؛ للواحدي (٤٤٣/١)، وغرائب التفسير (٤٤٢/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٨/٢).

(٣) انظر: الصحاح (٣٦٨/١) مادة (روح)، ومجمل اللغة (٤٠٨/١)، ومقاييس اللغة (٤٦٤/٢) مادة (ريح)، ولسان العرب (٥١/٢) مادة (ريح)، والتفسير الوسيط (٤٦٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٨/٢)، تفسير الخازن (٣١٧/٢).

(٤) (كالمشركين الذين خرجوا من ديارهم إلى قتال المسلمين) لا توجد في أ.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥٧٨/١٣)، وبحر العلوم (٢٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٩/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٤٩٧/٣)، ومفاتيح الغيب (٤٩٠/١٥).

هشام وأصحابه قبل نزولهم بدراً انصرفوا إلى مكة فقد نجت العير فقالوا لا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتغني القينات حتى تسمع العرب بمسيرنا فنزلوا ببدر ومعهم القينات يضربن بالدفوف ويتغنين بهجاء المسلمين[١].

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ معناه الإحاطة بالعلم والاقتدار وبالله التوفيق.

قوله عز وجل : ﴿ **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾** ﴾.

واذكروا إذ زين لهم الشيطان أعمالهم يوم بدر وقال لا غالب لكم اليوم من أحد من الناس لمنعتكم وكثرتكم وإني دافعٌ عنكم السوء وهذا كقوله عز وجل ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ ﴾ [٢] أي هو الذي يعقد على غير عقد دفع السوء ولا يعقد أحد على أحد دفع ما يريد الله عز وجل من إنزال السوء به عنه[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ لما توافقنا حتى رأت كل واحدة منهما الأخرى رجع الشيطان قهقرى على عقبيه هارباً خوفاً مما رأى وقال

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٥٧٩/١٣)، وابن هشام في السيرة (٦١٧/١).

وانظر: تفسير مقاتل (١١٨/٢)، والنكت والعيون (٣٢٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٩/٢)، والمحرر الوجيز (٥٣٧/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٥/٨)، وتفسير البيضاوي (٦٢/٣)، وتفسير الخازن (٣١٧/٢) ، وتفسير ابن كثير (٦٧/٤)، وتفسير النيسابوري (٤٠٤/٣).

٢) سورة المؤمنون آية ٨٨

(٣) **قال المَاوَرْدِي**: "يحتمل وجهين: أحدهما: يعني أني معكم. وفي جواركم ينالني ما نالكم. الثاني: مجير لكم وناصر. فيكون على الوجه الأول من الجوار ، وعلى الوجه الثاني من الإجارة"، النكت والعيون (٣٢٥/٢).

وانظر: تفسير الطبري (١١/١٣)، والتفسير الوسيط (٤٦٥/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٠/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٥٠/١)، وتفسير النيسابوري (٤٠٥/٣).

للمشركين إني بريء منكم إني أرى الملائكة تنزل من السماء وأنتم لا ترون وكان يعرف الملائكة وكانوا يعرفونه[١].

وقوله عز وجل: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ معناه: قال إني أخاف من الله عز وجل أن يصيبني معكم بعذابه والله شديد العقاب لمن استحق العقاب[٢].

قال مقاتل: كذب عدو الله والله ما كان به من خوف من الله عز وجل؛ فإن الله عز وجل قد أنظره إلى يوم الوقت المعلوم ولكنه خذلهم عند الشدة[٣].

ويقال ظن إبليس أن الوقت الذي أنظره الله عز وجل قد حضر فإن الله عز وجل إنما أنظره إلى يوم الوقت المعلوم دون أن يبين له ذلك الوقت[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لم يخف الخبيث على نفسه القتل والضرب ولكنه خاف أن يأخذه جبريل عليه السلام أسيراً فتعرفه الناس فلا يطيعونه[٥].

فإن قيل: على أي وجه قال لهم إبليس ذلك قيل: ذكر **الحسن** رضي الله عنه أن إبليس لم يتصور في صورة إنسان وإنما قال لهم ذلك على جهة الوسوسة[٦]، والأشهر في هذه القصة والله

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/١١٩)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٤٢١)، والتفسير الوجيز (١/٤٤٣)، وتفسير السمعاني (٢/٢٧١)، والمحرر الوجيز (٢/٥٣٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط؛ للواحدي (٢/٤٦٦)، وتفسير السمعاني (٥/٤٠٧)، وتفسير معالم التنزيل؛ للبغوي (٢/٣٠٠)، وزاد المسير (٢/٢١٦).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٢/١١٩)، وتفسير معالم التنزيل؛ للبغوي (٢/٣٠٠).

وجاء نحوه عن قتادة، أخرجه البري في تفسيره (١٣/٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/١٧١٦)، والدر المنثور (٤/٧٩)، وزاد المسير (٢/٢١٦).

وكذا جاء عن الكلبي، أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢/١٢٤)، وانظر المحرر الوجيز (٢/٥٣٩).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٢١)، تفسير النكت والعيون؛ للمَاوَرْدِي (٢/٣٢٥)، وتفسير السمعاني (٢/٢٧١)، والمحرر الوجيز (٢/٥٣٩)، وزاد المسير (٢/٢١٦).

(٥) انظر: بحر العلوم (٢/٢٥)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٦٦)، وتفسير معالم التنزيل؛ للبغوي (٢/٣٠٠).

(٦) وهو قول الحسن، والأصم، انظر: تفسير الكشاف (٢/٢٢٨)، مفاتيح الغيب (١٥/٤٩١)، وتفسير الخازن (٢/٣١٨)، وتفسير القاسمي (٥/٣٠٧).

أعلم ما روي **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أن أهل مكة لما وجدوا العير أرادوا الرجوع إلى مكة فتمثل لهم إبليس في صورة رجل يقال له سراقة بن مالك جعشم من كنانة فقال لا ترجعوا حتى تستأصلوهم فإنكم كثر وعدوكم قليل ولا غالب لكم اليوم من الناس وإني معين لكم من بني كنانة لا تمرون بأحد من بني كنانة إلا سار معكم فإنهم لا يخالفونني فساروا وسار إبليس معهم ولم يخرج أحد من بني كنانة فجعلوا يقولون يا سراقة أين ما ضمنت لنا فيقول غروني حتى قدموا بدراً فلما كان عند القتال وصافوا المسلمين أبصر جبريل عليه السلام فنكص على عقبيه راجعاً فقال الحارث بن هشام يا سراقة أين تذهب فقال إني أرى مالا ترون فقال الحارث أو ما ترى إلا جعاشيش أهل يثرب، والجعشوش الرجل القصير الحقير فلما رأى الحارث إبليس ينطلق أهوى بيده/ ليأخذه فدفعه إبليس فرمى به ثم نكص على عقبيه وهو يقول إني أخاف الله والله شديد العقاب قال فلما انهزم المشركون جعلوا يقولون هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة من قولهم فقدم عليهم فقال بلغني أنكم تقولون أني انهزمت بالناس والذي يحلف به ما بلغني ولا سمعت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فجعلوا يقولون له أما أتيتنا كذا وكذا وهو يقول لا والذي يحلف به ما كان من ذا قليل ولا كثير فلما أسلموا عرفوا أنه إنما كان الشيطان[١]. ١٦= أ

فإن قيل كيف يجوز أن يتمكن إبليس من أن يخلع صورة نفسه ويلبس صورة سراقة ؟ ولو كان قادرً على أن يجعل نفسه في مثل صورة إنسان لكان قادراً على أن يجعل نفسه إنساناً، قيل إن صحت هذه الرواية فالجواب أن الله عز وجل خلق إبليس في صورة سراقة والله عز وجل قادر على خلق إنسان في مثل صورة سراقة ابتداءً فكان قادرا على أن يُصير إبليس في صورة

ورد هذا القول ابن عطية بقوله : قال : القاضي أبو محمد : ويضعف هذا القول أن قوله { وإني جار لكم } ليس مما يلقى بالوسوسة . اهـ وذهب إلى ما ذهب إليه المؤلف من ذكر القصة ونسب ذلك إلى الجمهور . انظر : المحرر الوجيز (٥٣٨/٢)، وكذلك قال ابن حيان : (والجمهور على أنّ إبليس تصور لهم فعن ابن عباس..) انظر : البحر (٥٠١/٥٠٠/٤).

(١) أخرجه الطبري في تفسير مختصرا (٧/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٥/٥).

وانظر : تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢٩٩/٢)، البحر المحيط (٥٠٠/٤-٥٠١)، والنكت والعيون (٣٢٥/٢)، والكشاف (٢٢٨/٢)، وزاد المسير (٢١٦/٢).

سراقة، فإن قيل لماذا جعل الله عز وجل (إبليس)[١] في صورة سراقة وإبليس جرأ المشركين على قتال المسلمين يومئذ[٢]،

قيل فيه قولان : أحدهما أن الله تعالى إنما صوره في مثل صورة سراقة[٣] لكي إذا جاء إبليس ودعا المشركين إلى قتال النبي ﷺ أخبر النبي ﷺ بأن ذلك إبليس وأنه سيخذلهم ويرجع عنهم عند نزول الملائكة ولو أخبرهم النبي ﷺ بذلك دون أن كانوا يرون إبليس لم يكونوا يعلمون ذلك من طريق المشاهدة وإنما كانوا يعلمونه غيباً فصور الله عز وجل إبليس في صورة سراقة حتى كان إخبار النبي ﷺ ووقوع مخبره على ما أخبر إحدى معجزات النبي ﷺ[٤].

وأما دعاء إبليس لهم إلى قتال المسلمين فقد كان يفعل ذلك على عادته ، والقول الثاني أنه محتمل أنه كان في ذلك مصلحة للمسلمين من حيث أن الكفار لما ظنوا بقول إبليس أن بني كنانة لا يخالفونه (دعاهم)[٥] ذلك إلى الخروج إلى حرب المسلمين وإلى أن يكونوا أقل استعداداً لقتالهم حتى غلبهم المسلمين وقتلوهم وكان ذلك تنبيهاً للكفار أن لا يغتروا من بعد

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) **قال أبو الفداء الحنفي**: "إذا صحت هذه الرواية فالجواب ان الله خلق إبليس فى صورة سراقة والله تعالى قادر على خلق انسان فى مثل صورة سراقة ابتداء فكان قادرا على ان يصور إبليس فى مثل صورة سراقة كما فى التفسير الحدادي وقال القاضي ابو يعلى ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم والانتقال فى الصور وانما يجوز ان يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الافعال إذا فعله او تكلم بها نقله الله تعالى من صورة الى صورة فيقال انه قادر على التصوير والتخييل على معنى انه قادر على قول إذا قاله او فعل إذا فعله نقله الله تعالى من صورته الى صورة اخرى بجرى العادة واما ان يصور نفسه فذاك محال لان انتقالها من صورة الى صورة انما يكون بنقض البنية وتفريق الاجزاء وإذا انتقضت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل بالجملة فكيف بنقل نفسها قال والقول فى تشكيل الملائكة مثل ذلك"، انظر: روح البيان (٣٥٦/٣).

(٣) (وإبليس جرأ المشركين على قتال المسلمين يومئذ، قيل فيه قولان : أحدهما أن الله تعالى إنما صوره في مثل صورة سراقة) لا توجد في أ.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (٤٩١/١٥)، وتفسير القاسمي (٣٠٧/٥).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

بمن يُظهر من القول ما يكون ترغيباً في الحرب واتهاما للغلبة وصار ذلك سبباً لإسلام بعضهم حين علموا أن سراقة لم يكن حاضراً في ذلك الحرب[١].

قوله عز وجل : ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

تقدير الآية وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم إذ يقول المنافقون ولذلك لم يقل وإذ تقول المنافقون[٢].

وأما قوله عز وجل : والذين في قلوبهم مرض؛ **قال الحسن:** هم المشركون[٣].

ويقال: أناس كانوا تكلموا بكلمة الإيمان حين كان النبي ﷺ بمكة من دون علم منهم بأمر النبي ﷺ فيكون معنى قوله عز وجل والذين في قلوبهم مرض شك في ذلك وهم الذين لا عزيمة لهم في الكفر ولا في الإسلام ولم يكونوا أعداء للنبي ﷺ[٤]، والمنافقون هم الذين أبطنوا الكفر وأظهروا الإسلام.

---

(١) انظر : تفسير مقاتل (٢/١١٩)، وبحر العلوم (٢/٢٥)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٨١)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٩٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٠٠)، وتفسير الكشاف (٢/٢٢٨)، وتفسير البيضاوي (٣/٦٣)، وتفسير أبي السعود (٤/٢٦).

(٢) **قال ابن عطية**: "العامل في إِذْ زَيَّنَ أو نَكَصَ لأن ذلك الموقف كان ظرفا لهذه الأمور كلها"، المحرر الوجيز (٢/٥٣٩).

وقال الرازي: "إِنَّمَا لَمْ تَدْخُلِ الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ: إِذْ يَقُولُ وَدَخَلَتْ فِي قوله: وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ لِأَنَّ قَوْلَهُ: وَإِذْ زَيَّنَ عَطْفٌ عَلَى هَذَا التَّزْيِينِ عَلَى حَالِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءً، وَأَمَّا هُنَا "، مفاتيح الغيب (١٥/٤٩٣)، وانظر: البحر المحيط (٥/٣٣٥)، وتفسير القاسمي (٥/٣٠٨).

(٣) وضعف هذا القول **أبو حيان حيث قال**:"وَيَبْعُدُ هَذَا إِذْ لَا يَتَّصِفُ الْمُشْرِكُونَ بِالنِّفَاقِ لِأَنَّهُمْ مُجَاهِرُونَ بِالْعَدَاوَةِ لَا مُنَافِقُونَ"، البحر المحيط (٥/٣٣٥). =

=وانظر: النكت والعيون (٢/٣٢٦)، وتفسير الكشاف (٢/٢٢٨)، والتبيان للطوسي (٥/١٣٦).

والذي أخرجه عبد الرزاق والطبري وابن أبي حاتم عن الحسن (هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين). انظر: تفسير عبد الرزاق (٢/١٢٤)، وتفسير الطبري (١٣/١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/١٧١٦).

(٤) انظر: بحر العلوم (٢/٢٦)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٨٢)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٦٦)، والنكت والعيون (٢/٣٢٥)، والوجيز (١/٤٤٤)، وتفسير السمعاني (٢/٢٧١)، وزاد المسير (٢/٢١٧).

وأما قوله عز وجل : ﴿ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ ﴾ **قال ابن عباس** لما نفر المشركون من مكة إلى بدر ولم يخلفوا أحدا بمكة قد احتلم إلا أخرجوه وأخرجوا معه ناساً كانوا تكلموا بالإسلام بمكة فلما التقوا ورأوا قلة المسلمين وكثرة الكافرين ارتابوا ونافقوا وقالوا لأهل مكة: غر هؤلاء دينهم (يعنون المسلمين غرهم دينهم)[١] حين خرجوا مع قلتهم إلى قتال المشركين مع كثرتهم فقُتِل هؤلاء مع المشركين يومئذ وضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم كما ذكر الله عز و جل من بعد هذه الآية[٢].

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ فمعناه من يثق بالله تعالى في جميع أمره فإن الله عزيز حكيم ينصره على عدوه وإن كثر عدوه حكيم يضع الأمور مواضعها.

قوله عز وجل : ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ﴾

معناه: ولو ترى يا محمد حين تقبض الملائكة أرواح الكفار ببدر يضربون على وجوههم بالأعمدة وعلى أدبارهم ويقولون لهم ذوقوا بعد السيف في الدنيا عذاب الحريق في الآخرة، والحريق تفريق الأجسام الكثيفة في النار العظيمة، وجواب لو محذوف في هذه الآية؛ لأن الآية دليلا عليه[٣].

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) قاله ابن عباس، ومقاتل، والكلبي؛ وعامر الشعبي، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وابن جريج، انظر: تفسير مقاتل (١٢١/٢)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٤/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٣/١٣)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١٧/٥).

وانظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٨٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٦٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠١/٢).

(٣) **قال ابن زنجلة**: "وَجَوَاب لَو مكفوف الْمَعْنى وَلَو ترى يَا مُحَمَّد هَؤُلَاءِ الْمُشْركين عِنْد رُؤْيَتهمْ الْعَذَاب لرأيت أمرا عَظِيما ينزل بهم"، حجة القراءات (١١٩/١)

وانظر: إعراب القرآن؛ للنحاس (١٠٠/٢)، والحجة في القراءات السبع (٩١/١)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٥١/١)، والكشاف (٢٢٨/٢).

وهذه الآية تدل على أن الملائكة قاتلت يوم بدر، وفي/ الخبر ما يدل على ذلك وهو ما ١٦=ب روي **عن مجاهد** أن رجلا قال لرسول الله ﷺ إني أردت أن أقتل رجلا يوم بدر فابتدر رأسه بين يدي فقال النبي ﷺ سبقك إليه الملك[١].

قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾

معناه: ذلك العذاب الذي عاينتموه بكفركم وخيانتكم، والخيانة إذا أضيفت إلى الإنسان أكدت بذكر اليد في العادة كما يقال هذا بما جنت يداك وإن كان ربما فعل المعصية تلك بالفرج أو باللسان[٢].

وقوله عز وجل :﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ معناه: واعلموا أن الله عز وجل لا يعذب أحداً بجرم أحد منهم[٣]، وكان **الحسن** ﵁ إذا قرأ هذه السورة قال: طوبى لجيش قائدهم رسول الله ﷺ ومبارزهم أسد الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله وثوابهم رضوان الله تعالى[٤].

قوله عز وجل : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾

معناه عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بالآيات التي أتتهم بها الرسل فعاقبهم الله بذنوبهم إن الله قوي في أخذ الأعداء شديد العقاب لمن عصاه[٥]،

---

(١) وتقدم هذا المبحث.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٦٨/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨/١٣)، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٩٣/٧).

(٤) انظر : بحر العلوم (٢٦/٢)، وروح البيان (٣٨١/٣).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١٢١/٢)، وتفسير الشافعي (٤٦٣/١)، تفسير الطبري (١٨/١٣)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٠/٢)، وتفسير ابن المنذر (١٣٦/١)، وتفسير الثعلبي (٣٦٨/٤)، والنكت والعيون (٣٧٢/١)، والوجيز (٤٤٤/١)، وتفسير السمعاني (٢٩٧/١).

والدأب في اللغة : العادة يقال فلان يدأب في كذا وكذا أي يداوم عليه ويتعب نفسه فيه[١]، وآل الرجل الذين يرجعون إليه بأوكد الأسباب ولهذا يقال لقرابة الرجل آل الرجل ولا يقال لأصحابه آلُه[٢].

قوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

معناه: ذلك العقاب لهم بأن الله عز وجل لم يكن مزيلا نعمة عن قوم بنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم في الدين والنعم إلى أحوال لا يجوز لهم أن يتغيروا إليها، كما فعل أهل مكة بعد أن أطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف وبعث فيهم رسولا منهم وأنزل عليهم كتابا بلسانهم ثم أنهم غيروا هذه النعمة ولم يشكروها ولا عرفوها من الله عز وجل فغير الله عليهم عز وجل ما بهم وأهلكهم أو عامتهم ببدر ويدخلهم النار في الآخرة وقد يسلب الله عز وجل النعمة على جهة المصلحة ولكن لا يسلبها بفعل النقمة إلا عمن استحق العقاب[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ معناه سميع لجميع المسموعات عليم بمصالحكم.

قوله عز وجل : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾

معناه: عادتهم في التكذيب بآيات الله عز وجل كعادة آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم الماضية كذبوا بآيات الله التي جاءت بها رسلهم فعاقبناهم بذنوبهم وأهلكنا آل فرعون بالغرق خاصة وكل هؤلاء كانوا ظالمين لأنفسهم مستحقين للعقوبة بسوء فعلهم، فإن قيل: لماذا

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (٢٠٩/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٠/٢)، وتهذيب اللغة (١٤٢/١٤) مادة (دأب)، والصحاح (١٢٣/١) مادة (دأب)، ومقاييس اللغة (٣٢١/٢) مادة (دأب)، ولسان العرب (٣٦٨/١) بمادة (دأب).

(٢) انظر: لسان العرب (٣٨/١١) فصل الألف.

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٢١/٢)، وتفسير الطبري (١٩/١٤)، وبحر العلوم (٢٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٦٨/٤)، والتفسير الوسيط (٤٦٦/٢)، والكشاف (٢٣٠/٢).

كرر كدأب آل فرعون ؟ فالجواب عنه أنه يحتمل أن المراد بالأول أن هؤلاء جازاهم الله عز وجل بالأسر والقتل كما جوزي أولئك بالغرق والإهلاك ، والمراد بالثاني إن صنع هؤلاء في النعم التي أنعم الله عز وجل عليهم كصنع آل فرعون فيما أعطاهم الله عز وجل من الملك والعز في الدنيا فلما غير كل فريق النعم التي أنعمها الله عز وجل عليهم غير الله سبحانه مابهم وكانت آل فرعون على أحوال مختلفة في المعصية فكرر الله عز وجل قوله ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ لأن مشاركة هؤلاء القوم فرعون في الأحوال كلها[1].

قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ معناه: أي شر ما يدب على الأرض في علمه وحكمه الذين جحدوا بتوحيد الله عز وجل ونبوة رسله عليهم السلام مصرين على الكفر فهم لا يصدقون .

قوله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نزلت في يهود بني قريظة[2] عاهدهم رسول الله ﷺ على أن لا يضروا به ولا يعينوا عليه عدوا فنقضوا العهد وأعانوا أهل مكة بالسلاح على قتال النبي ﷺ ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعاهدهم مرة أخرى فركب كعب بن الأشرف إلى أهل مكة/ و وافقهم على حرب رسول الله ﷺ[3].

---

(١) **قال السمعاني**: "وإعادة الذّكر للتَّأْكِيد، وَيجوز أَن هَذَا كَانَ فِي قوم آخَرين سوى الْأَوَّلين"، تفسير السمعاني (٢/٢٧٣).

وقال ابن عطية: "وهذا التكرير هو لمعنى ليس للأول، إذ الأول دأب في أن هلكوا لما كفروا، وهذا الثاني دأب في أن لم تغير نعمتهم حتى غيروا ما بأنفسهم"، المحرر الوجيز (٢/٥٤١).

وانظر: مفاتيح الغيب (١٥/٤٩٦) وقد ذكر الرازي أجوبة أخرى لذلك ينظر إليها هناك، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٠٢).

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/٣٥٧)، وتفسير الطبري (١٤/٢٢)، وتفسير ابن أبي حاتم (٥/١٧١٩)، وروح المعاني (٥/٢١٨)، وتفسير الخازن (٢/٣٢١)، وبحر العلوم (٢/٢٧)، وزاد المسير (٢/٢١٩)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٣٠).

(٣) انظر: السيرة النبوية؛ لابن كثير (٣/١١).

وفي قوله عز وجل ﴿ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ ﴾ بيان أن ذلك عادتهم، ومعنى لا يتقون لا يخافون عقاب الله عز وجل في نقض العهد .

قوله عز وجل : ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

معناه: وإما تصادفهم في الحرب فافعل بهم فعلا من القتل والعقوبة والتنكيل تُعرِّف بهم من ورائهم من أعدائك[1]، والتشريد التبديد والتفريق[2]، ويقال معنى شرد بهم أسمع بهم بلغة قريش[3].

وقوله عز وجل :﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ معناه لكي يتذكروا القتال ولا ينقضوا العهد الذي بينك وبينهم مخافة أن يحل بهم ما حل ببني قريظة[4].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

معناه: إذا خفت من قوم بينك وبينهم عهدٌ خيانةً في ذلك العهد من غدر وإيقاع بالمسلمين (أو علمت أنهم يفعلون ذلك بالمسلمين) [5] في الخفية من غير أن يُظهروا نقض

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٢٢/٢)، وتفسير الطبري (٢٢/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٠/٢)، بحر العلوم (٢٨/٢)، والنكت والعيون (٣٢٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٢/٢).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٢٠/١١) مادة (شرد)، والصحاح (٤٩٤/٢) مادة (شرد)، ومجمل اللغة (٥٢٨/١) مادة (شرد)، ولسان العرب (٢٣٦/٣) مادة (شرد)، وتفسير الطبري (٢٢/١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧١٩/٥)، ومجاز القرآن (٢٤٨/١).

(٣) انظر : زاد المسير (٢١٩/٢)، والنكت والعيون (٣٢٨/٢)، وبحر العلوم (٢٨/٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٢٢/٢)، وتفسير الطبري (٢٤/١٤)، بحر العلوم (٢٨/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٤/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٥٣/١).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

العهد فانبذ إليهم العهد على سواء منك ومنهم في العلم ولا تبدأهم بالقتال من قبل أن تعلمهم إعلاماً بيّناً بأنك نقضت العهد[١].

ويقال معنى على سواء: على عدل[٢] بأن ترد المال عليهم إن كان في العهد مال قبضته ثم تنقض العهد.

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ أي لا يرضى عمل الذين يخونون بالبداية بالقتال من غير إعلام بنقض العهد ، وقد غزا رسول الله ﷺ أهل مكة بعد الهدنة من غير أن ينبذ إليهم؛ لأنهم كانوا أعانوا بني كنانة على خزاعة وكانت خزاعة حلفاء النبي ﷺ ولذلك جاء أبو سفيان إلى المدينة يسأل رسول الله ﷺ تجديد العهد بينه وبين قريش فلم يجبه النبي ﷺ إلى ذلك ولهذا لم يحتج إلى نبذ العهد[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ معناه: ولا تظنن يا محمد أن من أفلت من الكفار في هذه الحرب قد سبق إلى الحياة[٤]، ويقال لا تحسبن يا محمد أن أعدائك من المشركين ربما يفوتك بأن لا يظفرك الله عليهم؛ بل الله عز وجل يظهرك عليهم ويظفرك[٥]،

---

(١) انظر: مجاز القرآن (٢٤٩/١)، وتفسير الشافعي (٨٨٥/٢)، وتفسير الطبري (٢٥/١٤)، وبحر العلوم (٢٨/٢)، والنكت والعيون (٣٢٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٢/٢)، وتفسير الكشاف (٢٣١/٢)، وزاد المسير (٢٢٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٢/٨).

(٢) **قال الطبري**: "هذه المعاني متقاربة، لأن "العدل"، وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصّر عنه، وكذلك "الوسط" عدل، واستواء علم الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة، عدل من الفعل ووسط. وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه: "المهل"، فما لا أعلم له وجهًا في كلام العرب"، تفسير الطبري (٢٧/١٤).

وانظر: زاد المسير (٢٢٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٤/٣).

(٣) انظر : مفاتيح الغيب (٤٩٨/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣٢/٨)، وتفسير الخازن (٣٢١/٢)، وتفسير النيسابوري (٤١١/٣)، والسراج المنير (٥٧٨/١)، وروح البيان (٣٦٣/٣).

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢١/٢)، والمحرر الوجيز (٥٤٤/٢)، وتفسير ابن جزي (٣٢٨/١)، وتفسير الخازن (٣٢٢/٢).

(٥) انظر : تفسير الطبري (٣١/١٤)، بحر العلوم (٢٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٩٨/١٥).

ومن قرأ لا يحسبن بالياء[(١)] فمعناه لا يظنن هؤلاء (المشركون)[(٢)] أن من مات منهم فقد فات من الله سبحانه وأن الله عز وجل لا يبعثه يوم القيامة ولا يعاقبه[(٣)]، وفي حرف **ابن مسعود** " أنهم سبقوا[(٤)] " ويجوز حذف أن في هذه المواضع، يقال حسبت أن أقوم، وحسبت أقوم بمعنى واحد[(٥)].

وأما قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ من قرأ إنهم بالكسر[(٦)] فمعناه إنهم لا يعجزون الله عز وجل عن عقوبتهم[(٧)]، ويقال لا يعجزونك أي لا يجدونك عاجزا[(١)]، ومن قرأ

---

(١) قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَعَاصِم فى رِوَايَة أَبى بكر والكسائى {وَلَا تحسبن} بِالتَّاءِ وَكسر السِّين غير عَاصِم فَإِنَّهُ فتح السِّين وفى النُّور أَيْضا بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ ابْن عَامر وَحَمْزَة{وَلَا يَحسبن الَّذين كفرُوا}بِالْيَاءِ وَفتح السِّين، وروى حَفْص= = عَن عَاصِم بِالْيَاءِ هَهُنَا وفى النُّور بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ غير حَمْزَة وَابْن عَامر فى السورتين بِالتَّاءِ، وَقَرَأَ حَمْزَة وَابْن عَامر بِالْيَاءِ، السبعة في القراءات (٣٠٨/١)، وحجة القراءات (٣١٢/١).

قال الزجاج:" والقراءَة الجيدةُ (وَلَا تَحْسَبَنَّ) بالتاءِ على مخاطبة النبي"، معاني القرآن (٤٢١/٢).

وقال الطبري: "والصواب من القراءة في ذلك عندي، قراءة من قرأ: (لا تَحْسَبَنَّ) ، بالتاء"، تفسير الطبري (٣٠/١٤).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٨/١٤)، وبحر العلوم (٢٨/٢)، والتفسير الوسيط (٤٤٦/١)، والمحرر الوجيز (٥٤٤/٢)، وزاد المسير (٢٢٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٩٨/١٥)، وتفسير البيضاوي (٦٥/٣)، وتفسير الخازن (٣٢٢/٢).

(٤) ذكره الطبري وقال: : "وهذا فصيح صحيح"، التفسير (٢٩/١٤)، ومفاتيح الغيب (٤٩٨/١٥)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١٠٢/٢).

(٥) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢١/٢)،وإعراب القرآن؛ للنحاس (١٠٢/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٩٨/١٥).

(٦) قال ابن مجاهد: " كلهم قَرَأَ {إِنَّهُم لَا يعجزون} بِكَسْر الْألف إِلَّا ابْن عَامر فَإِنَّهُ قَرَأَ {إِنَّهُم} بِفَتْح الْألف"، السبعة في في القراءات (٣٠٨/١)، الحجة في القراءات السبع (١٧٢/١)، وحجة القراءات (٣١٢/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٧/١).

(٧) انظر : معاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٢/٢)، وبحر العلوم (٢٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٣/٢)، والكشاف (٢٣١/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٥/٣)، وتفسير أبي السعود (٣١/٤).

قرأ أنهم بالنصب[٢] فعلى معنى لأنهم[٣]، ويجوز أن يكون لا لغواً؛ المعنى لا تحسبن أنهم يعجزون[٤]،

ويجوز لا يعجزون بكسر النون على معنى يعجزونني فحذف النون الأولى لاجتماع النونين[٥] .

قوله عز وجل : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

معناه: وأعدوا للكفار ما استطعتم من آلات الحرب، روي عن **ابن عباس وعقبة بن عامر**[١] أنهما قالا: قرأ رسول الله ﷺ على المنبر وأعدوا لهم الآية ثم قال "ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي"[٢].

---

(١) انظر : وتفسير الكشاف (٢/٢٣١)، وتفسير البيضاوي (٣/٦٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٥٣)، وتفسير أبي السعود (٤/٣١).

(٢) قراءة ابن عامر الشامي، السبعة في القراءات (١/٣٠٨)، الحجة في القراءات السبع (١/١٧٢)، وحجة القراءات (١/٣١٢)، والتيسير في القراءات السبع (١/١١٧)

(٣) انظر : بحر العلوم (٢/٢٨).

(٤) انظر : معاني القرآن للزجاج (٢/٤٢٢) وضعفه فقال:"هذا الوجه ضعيف لأن " لا " لا تكون لَغْواً في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغوٍ ". =

= وانظر: تفسير الطبري (١٤/٣٠)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٣٤) ، والدر المصون (٥/٦٢٤)، وزاد المسير (٢/٢٢٠)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٩٨).

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٢٢)، وبحر العلوم (٢/٢٨)، ومفاتيح الغيب (١٥/٤٩٨)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٣٤)، والبحر المحيط (٥/٣٤٢)، والدر المصون (٥/٦٢٦).

لهو المؤمن في الخلا وقوته عند اللقاء، ومات عقبة فأوصى بتسعين قوسا مع كل قوس قرابها وسهامها في سبيل الله ، **قال عقبة**: قال رسول الله ﷺ: "إن الله عز وجل يدخل الثلاثة الجنة بسهم واحد صانعه يحتسب في صنعته الخير والمهدي إليه والرامي به"(٣)، قال: وقال رسول الله ﷺ: "ارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، وكل شيء يلهو به الرجل باطل إلا رمي الرجل بقوسه أو تأديبه فرسه وملاعبته أهله فإنهن من الحق"(٤).

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ فمعناه: وارتبطوا الخيل لهم ولقتالهم(٥).

وقوله عز وجل : ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ ﴾ معناه: وأعدوا لهم ذلك لتخويف عدو الله وعدوكم ، والرهبة الخوف(٦).

وقوله عز وجل :﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ ﴾ معناه وترهبون به آخرين من دون كفار

---

(١) عقبة بن عامر الجهني صحابي مشهور اختلف في كنيته على سبعة أقوال أشهرها أنه أبو حماد ولي إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين وكان فقيها فاضلا مات في قرب الستين. انظر: معرفة الصحابة (٢١٥٠/٤)، والاستيعاب (١٠٧٣/٣)، والإصابة (٤٣٠/٤).

١٧= ب

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٢٢/٣) رقم (١٩١٧) كتاب الإمارة، بَابُ فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، وأخرجه أبو داود في سننه (١٣/٣) رقم (٢٥١٤) كتاب الجهاد، باب في الرمي.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥٣٢/٢٨) رقم (١٧٣٠٠)، وأخرجه أبو داود في سننه (١٣/٣) رقم (٢٥١٣) كتاب الجهاد، باب في الرمي، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (٢٨/٦) رقم (٣١٤٦) كتاب الجهاد، ثَوَابُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٩٤٠/٢) رقم (٢٨١١) كتاب الجهاد، بَابُ الرَّمْيِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٣٣).

(٤) وهذه الفقرة هي والتي قبلها كالحديث الواحد، وهو كذلك.

(٥) انظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٤/٢)، والكشاف (٢٣٢/٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٣٤/١٤)، وبحر العلوم (٢٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٦٩/٤)، والنكت والعيون (٣٣٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٦٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٥/٢)، والكشاف (٢٣٢/٢)، وزاد المسير (٢٢١/٢).

العرب وأهل الكتاب[(١)(٢)]، لا تعلمونهم أي لا تعرفونهم الله يعرفهم، يعلمهم وأعدوا لهم القوة من/ الخيل والسلاح وقد اختلفوا في هؤلاء ، **قال ابن عباس**: المراد بقوله عز وجل : ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ كفار الجن[(٣)] أعداء للمؤمنين، قال وقال رسول الله ﷺ " لا يقرب صاحب قوس جني أبدا " ويقال: إن الجن لا تدخل بيتا فيه قوس ولا سلاح.

وقال السدي :أراد بقوله وآخرين أهل فارس[(٤)].

قال الحسن والضحاك: هم الشياطين[(٥)]، ولا يمتنع أن يكون الكل مراد بالآية[(١)]، وأما

وأما قوله عز وجل : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فمعناه وما تنفقوا من شيء من الجهاد يوف إليكم ثوابه ولا ينقص شيء من حقكم .

---

(١) مابين المعكوفتين لا يوجد في أ.

(٢) انظر: النكت والعيون (٣٣٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٦٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٥/٢)، والكشاف (٢٣٢/٢)، وزاد المسير (٢٢١/٢).

(٣) ذكره الطبري ورجحه بقوله :"وأما قوله تعال ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ فإن قول من قال : عنى به الجن أقربُ وأشبهُ بالصواب"، تفسير الطبري (٣٧/١٤).

ووصف ابن عطيه رحمه الله قول ابن جرير بأن فيه مع احتماله نظر، وقال : " وكان الأهم في هذه الآيات أن يبزر معناها في كل ما يقوي المسلمين على عدوهم من الإنس وهم المحاربون والذين يدافعون على الكفر ورهبتهم من المسلمين على عدوهم من الإنس وهم المحاربون والذين يدافعون على الكفر ورهبتهم من المسلمين هي النافعة للإسلام وأهله ورهبة الجن وفزعهم لا غناء له في ظهور الإسلام " انظر : المحرر الوجيز (٥٤٧/٢). =

=وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٢٣/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٠٠/١٥)، وتفسير الخازن (٣٢٣/٢)، والبحر المحيط (٣٤٥/٥)، وروح البيان (٣٦٦/٣).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٤/٥).

وانظر: بحر العلوم (٢٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٦٩/٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥٤٦/٢)، وزاد المسير (٢٢٢/٢)، والبحر المحيط (٣٤٥/٥).

(٥) هذا القول نسبه الماوَرْدي والسمعاني؛ لمعاذ بن جبل وحده. انظر : تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدي (٣٣٠/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٦/٢).

ونسب هذا القول ابن كثير: لابن يمان، انظر تفسير ابن كثير (٨٢/٤).

قوله عز وجل : ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾.

راجع إلى قوله عز وجل: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ ﴾ ومعناه: إن مال يهود بني قريظة إلى الصلح فمل إليه[٢]، والسَّلم والسِّلم بالخفض والنصب[١]، وإنما قال﴿ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [٢] لأن السلم والمسالمة بمعنى واحد فرد الكناية إلى المعنى[٣].

---

(١) قال ابن عطية: "وهذا الخلاف إنما ينبغي أن يترتب على ما يتوجه من المعنى في قوله ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ فإذا حملنا قوله ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ على عمومه ونفينا علم المؤمنين بهذه الفرقة المشار إليها جملة واحدة كان العلم بمعنى المعرفة لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد لم يثبت من الخلاف في قوله { آخرين } إلا قول من قال الإشارة إلى المنافقين وقول من قال : الإشارة إلى الجن ، وإذا جعلنا قوله ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ محاربين أو نحو هذا مما تفيد به نفي العلم عنهم حسنت الأقوال"، المحرر الوجيز (٥٤٧/٢).

والذي يظهر لي أن من قصد أنهم الشياطين أراد الجن، والعكس بالعكس، لأنهم يقولون: " هم الجنّ، فإنّ الشيطان لا يخبِّل أحداً في داره فرس عتيق"، زاد المسير (٢٢١/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٠٠/١٥)، وهكذا صنع غيره، فتوجه ما ذكرت والله أعلم.

وقد قطع القرطبي الطريق إلى كل ما قيل فيه، فقال: " ولا ينبغي أن يقال فيهم شي، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَالَ:" وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ"، فَكَيْفَ يَدَّعِي أَحَدٌ عِلْمًا بِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَصِحَّ حَدِيثٌ جَاءَ فِي ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ قَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: (هُمُ الْجِنُّ) . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَخْبِلُ أَحَدًا فِي دَارٍ فِيهَا فَرَسٌ عَتِيقٌ)"، تفسير القرطبي (٣٨/٨).

على أن ابن كثير وهى هذا الحديث بقوله: " وَهَذَا الْحَدِيثُ مُنْكَرٌ، لَا يَصِحُّ إِسْنَادُهُ وَلَا مَتْنُهُ"، التفسير (٨٢/٤).

(٢) جاء معنى ذلك عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وابن إسحاق، وابن زيد، انظر: تفسير مجاهد (٣٥٧/١)، وتفسير مقاتل (١٢٣/٢)، وأخرجه الطبري (٤١/١٤)، وأخرجه عبد الرزاق عن قتادة في التفسير (١٢٥/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٥/٥).

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٢/٢)، وبحر العلوم (٢٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٧٠/٤)، والنكت والعيون (٣٣٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٦٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٧٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٧/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ معناه: ثق بالله عز وجل إن نقضوا العهد إنه هو السميع لمقالتكم العليم بما تفعلون، وقيل إن هذا كان في ابتداء الإسلام كان يجوز المهادنة من غير جزية تؤخذ من الكفار حين لم يكن بالمسلمين قوة للقتال ولم يكن لهم فئة ينصرونهم فأما الآن فلا يجوز الصلح على ترك القتال (ونسخ الله الصلح بقوله عز وجل : ﴿ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾[٤]،

وسائر آيات القتال[٥])[٦] والأظهر أنه إنما اختلفت الآيتان لاختلاف الحالتين فإذا كان في الثغور من المسلمين قوم لا يمكنهم مقاومة الكفار ولم يكونوا على رجاء أن يلحقهم مدد من المسلمين جاز لهم أن يصالحوا الكفار على ترك القتال إلى أن يتقوى المسلمون وإن تقووا أو رأوا المصلحة في القتال نبذوا إليهم الصلح وقاتلوهم ومتى كان والعياذ بالله في أهل الثغور من الضعف ما لا يمكنهم دفع العدو عن أنفسهم إلا بمال يبذلونه لهم كان لهم أن يفعلوا ذلك، كما روي عن رسول الله ﷺ أنه صالح عيينة بن حصن وغيره من الكفار عن نصف ثمار المدينة

---

(١) الخفض قراءة عاصم، والنصب قراءة الباقون. انظر: السبعة في القراءات (١٨١/١)، والحجة في القراءات السبع (١٧٢/١)، وحجة القراءات (٣١٢/١)، ومعاني القراءات للأزهري (١٩٧/١)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٣٣/٢).

(٢) يعني ولم يقل (فاجنح له).

(٣) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢٢/٢)، ويقول الفراء (إن شئت جعلت (لها) كناية عن السِلم لأنها مؤنثة، وإن شئت جعلته للفَعْلة؛ كما قال تعالى {إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} ولم يذكر قبله إلا فعلا، فالهاء للفعلة) انظر : معاني القرآن (٤١٦/١)، وتفسير السمعاني (٢٧٦/٢)، وتفسير الكشاف (٢٣٣/٢)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١٩٨/١)، ومعاني القراءات؛ للنحاس (١٦٧/٣).

(٤) سورة التوبة آية (٥).

(٥) القول بالنسخ قال به: ابن عباس، ومقاتل، وقتادة، وعكرمة، والحسن البصري، وابن زيد. انظر: تفسير مقاتل (١٧٥/٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤١/١٤)، وانظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٨/٢)، والنكت والعيون (٣٣١/٢)، والكشاف (٢٣٣/٢)، وزاد المسير (٢٢٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٤٠/٨).

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

في الحرب على الأنصار فلما شاور الأنصار قالوا يا رسول الله هذا أمر أمرك الله به أم الرأي والمكيدة؟ قال : بل رأي فإني رأيت العرب كلهم رمتكم من قوس واحدة فدفعتهم عنكم إلى يوم ما فقال السعدان **سعد بن عبادة وسعد بن معاذ**: والله يا رسول الله إنهم كانوا لا يطمعون فينا إلا قرىً أو شراً ونحن كفار فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام لا نعطيهم إلا السيف[١]، فهذا الخبر يبين أن الصلح يختلف باختلاف أحوال المسلمين، فإذا لم يكن في الثغور قوم من المسلمين يقامون الكفار كان على كل واحد من المسلمين أن يخرج إلى الجهاد فإذا خرج جماعة يمكنهم مقاومة العدو سقط فرض الجهاد على الباقين[٢].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٣٣/١) رقم (٢٥١)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٣٩٨/١) رقم (٦٥٧)، وأخرجه البيهقي في معرفة الآثار والسنن (٤١٢/١٣) رقم (١٨٦٧٤)، وأخرجه أيضا في دلائل النبوة (٤٣٠/٣)، وأخرجه الواقدي في المغازي (٤٧٨/٢)، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (٢٢٣/٢)، وابن حزم في جوامع السيرة (١٤٩/١)، كلهم عن الزهري، وهو مرسل.

وله إسناد آخر موصول عن أبي هريرة، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٨/٦) رقم (٥٤٠٩) قال الهيثمي: "وَرِجَالُ الْبَزَّارِ وَالطَّبَرَانِيِّ فِيهِمَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ"، مجمع الزوائد (١٣٣/٦).

(٢) وهذا هو مضمون كلام الطبري حيث قال: "ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله، من أن هذه الآية منسوخة، فقولٌ لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل. وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه. فأما ما كان بخلاف ذلك، فغير كائنٍ ناسخا. وقول الله في براءة: (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) ، غير نافٍ حكمُه حكمَ قوله. (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها)...فليس في إحدى الآيتين نفي حكم الأخرى، بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه "، التفسير (٤٢/١٤)، وانظر: بحر العلوم (٢٩/٢)، والكشاف (٢٣٣/٢) وقال: صحيح، وتفسير ابن كثير (٨٤/٤) ومال إليه.

معناه: إن يريد الذين يطلبون منك الصلح أن يخدعوك بإظهار الصلح لتكف عنهم إلى أن يتقووا بغيرهم؛ فإن الله عز وجل كافيك في حربهم وقتالهم، هو الذي أيدك؛ أي قواك يوم بدر بنصره وقواك بالمؤمنين وهم الأوس والخزرج[1].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ معناه: جمعهم على المودة والإيمان بما لطف بهم بعد العداوة التي كانت بين القبيلتين في الجاهلية كان إذا لطم الرجل من القبيلة لطمة قاتل أهل قبيلته حتى يدركوا بثأره[2].

وقوله عز وجل : ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ معناه: لو أنفقت جميع ما في الأرض ما قدرت على جمع قلوبهم على الألفة؛ ولكن الله عز وجل لطف بهم حتى ائتلفت قلوبهم إنه عزيز حكيم في ملكه وسلطانه لا يقدر على أن يغلبه أو يمنعه عن مراده، حكيم يضع الأمور مواضعها[3].

قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾. روي أن هذه الآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال[4]، ومعناها يا أيها النبي كافيك الله بالعون والنصر ويكفيك من اتبعك من المؤمنين[5]، ويجوز أن يكون في موضع من اتبعك نصباً

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٤/٤٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٢٢)، وبحر العلوم (٢/٢٩)، وتفسير القرآ؛ لابن أبي زمنين (٢/١٨٥)، والتفسير الوسيط (٢/٤٦٩)، وتفسير السمعاني (٢/٢٧٦).

١٨= أ

(٢) انظر : تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٠٨)، وتفسير الكشاف (٢/٢٣٤)، والمحرر الوجيز (٢/٥٤٨)، وزاد المسير (٢/٢٢٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٤٢).

(٣) انظر: تفسير البيضاوي (٣/٦٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٥٥)، وتفسير أبي السعود (٤/٣٣)، وتفسير القاسمي (٥/٣١٨)، وروح المعاني؛ للآلوسي (٥/٢٢٣).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٢٤)، وروح المعاني؛ للألوسي (٢/٣٠)، والنكت والعيون (٢/٣٣١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٠٨)، والمحرر الوجيز (٢/٥٤٩)، والكشاف (٢/٢٣٤)، وتفسير العز بن عبد السلام (١/٥٤٤)، وتفسير البيضاوي (٣/٦٦)، وتفسير الخازن (٢/٣٢٥)، والبحر المحيط (٥/٣٤٨).

(٥) انظر : معاني القرآن للفراء (١/٤١٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٢٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/١٠٤)، وبحر العلوم (٢/٣٠)، والنكت والعيون (٢/٣٣١)، وتفسير السمعاني (٢/٢٧٧)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٠٨).

على موضع الكاف على معنى أن قوله عز وجل﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ ﴾ عطف على الكاف في قوله عز وجل ﴿ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾ كأنه قال يكفيك الله فهو يكفي من اتبعك من المؤمنين[1]./

قولـه عـز وجـل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾.

معناه: يا أيها النبي رغب المؤمنين في القتال، والتحريض الترغيب في الشيء بما يدعوا إليه، نحو وعده الثواب على القتال والتنفيل عليه[2]، وذهب **الزجاج** إلى أن التحريض في اللغة أن يحث الإنسان على الشيء حتى يعلم أنه معه حارض فيه ، والحارض الذي (قارب)[3]

---

(١) انظر : تفسير الطبري (١٤/٥٠)، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٢٣)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/٤١٧)، بحر العلوم (٢/٣٠)، وتفسير روح المعاني (٨/٥٢٤)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/١٠٣)، وتفسير الثعلبي (٤/٣٧٠)، والنكت والعيون (٢/٣٣١)، وغرائب التفسير (١/٤٤٤).

(٢) انظر : تفسير السمعاني (٢/٢٧٨)، ومفاتيح الغيب (١٥/٥٠٤)، وتفسير الخازن (٢/٣٢٥)، والسراج المنير (١/٥٨١)، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٤/٢٨٩)، وروح البيان (٣/٣٧١)، وفتح القدير (٢/٣٧٠)، والتحرير والتنوير (١٠/٦٦).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (قاد).

الهـلاك، وقولـه عـز وجـل :﴿ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴾[(١)] معناه حتى تذوب غما فتقارب الهلاك[(٢)].

وأما قوله عز وجل : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ ﴾ فهو وعد من الله عز وجل أن يقوي واحدا من المسلمين المستنصرين في الدين على عشرة من الكفار ويقوي مائة صابرة محتسبة على ألف من الكفار.

وقوله عز وجل :﴿ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ معناه: ذلك النصر من الله عز وجل لكم على الكفار وخذلان الكفار بأنكم تفقهون أمر الله سبحانه وتصدقونه فيما وعد من الثواب والكفار لا يفقهون ذلك ولا يصدقون ، **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يبعث المؤمنين على أن يقاتل الرجل منهم العشرة من الكفار والمائة منهم الألف من الكفار كما أمرهم الله عز وجل ، فبعث‍ﷺ حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً إلى قوم يقاتلونهم وذلك قبل بدر فلقيهم أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة راكب فأرادوا قتالهم فمنعهم جهينة؛ لأنهم كانوا حلفاء الأنصار وانصرف أبو جهل وأصحابه ولم يكن بينهم قتال[(٣)]، فلما أمر الله عز وجل المسلمين بقتال الكفار ببدر وكان فرض القتال على

---

(١) سورة يوسف آية (٨٥).

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢٣/٢) وعبارة الزجاج أوضح من عبارة المؤلف فرأيت أن أنقلها يقول : (وتأويل التحريض في اللغة أن يحث الإنسان على الشيء حثًّا يعلم معه أنه حَارِضٌ إن تخلف عنه ، والحارض الذي قدْ قَارَبَ الهلاكَ وقَوله تعالى : حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أي حتى تَذوب غَمًّا فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين) واستبعد الإمام= =الرازي هذا حيث قال : (والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء ، وذكر الزجاج في اشتقاقه وجهاً آخر بعيداً) ثم ذكر كلام الزجاج في التحريض . انظر : مفاتيح الغيب (٥٠٤/١٥).

(٣) أخرجه الشافعي في الأم (١٧٨/٤، ٢٦٥)، وأخرجه البخاري مختصرا في صحيحه (٦٣/٦) رقم (٤٦٥٣) كتاب تفسير القرآن، بَابُ {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ المؤْمِنِينَ عَلَى القِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ}، وأخرجه أبو إسحاق الفزاري في السيرة (٢٠١/١)، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة (٣٠٦/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٥٢/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٢٨/٥)، وانظر: مغازي الواقدي (١٣٦/١)، وتفسير مجاهد (٣٥٧/١)، وتفسير مقاتل (١٨١/٥).

المسلمين كما ذكره الله عز وجل في هذه الآية شق ذلك على المسلمين مشقة شديدة فأنزل الله عز وجل قوله[١] : ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

معناه: الآن هون الله عليكم القتال الذي افترضه عليكم، والآن عبارة عن الوقت والتوقيت إنما يرجع إلى التخفيف في التكليف في أمر الجهاد دون العلم؛ فإن علم الله عز وجل لا يختص بوقت دون وقت، فصار تقدير الآية: الآن خفف الله عنكم الجهاد وعلم في الأزل أن فيكم ضعفا في النصرة في أمر الدين ولو لم يخفف عنكم ما افترضه عليكم لأطقتم وأطعتم؛ ولكن سهل الأمر عليكم لتعرفوا فتشكروا [٢]، والضُعف والضَعف لغتان كالمِكث والمُكث[٣]، ولا يجوز أن يكون المراد بالضعف ضعف البدن فإن الذين أسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم

---

(١) انظر : تفسير مجاهد (٣٥٧/١)، وتفسير مقاتل (١٨١/٥)، وتفسير الثوري (١٢١/١)، وتفسير الطبري (٥١/١٤)، وبحر العلوم (٣١/٢).

(٢) رد الرازي هنا على المعتزلة (فأفاد وأجاد) في زعمهم أن الله لا يعلم الجزئيات، فقال: " احْتَجَّ ...عَلَى قَوْلِهِ إِنَّ اللَّه تَعَالَى لَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ إِلَّا عِنْدَ وُقُوعِهَا بِقَوْلِهِ ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ ﴾ قَالَ: فَإِنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: الْآنَ عَلِمَ اللَّه أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عِلْمَهُ بِضَعْفِهِمْ مَا حَصَلَ إِلَّا فِي هَذَا الْوَقْتِ. وَالْمُتَكَلِّمُونَ أَجَابُوا بِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: أَنَّهُ تَعَالَى قَبْلَ حُدُوثِ الشَّيْءِ لَا يَعْلَمُهُ حَاصِلًا وَاقِعًا، بَلْ يَعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ سَيَحْدُثُ، أَمَّا عِنْدَ حدوثه ووقوعه فإن يَعْلَمُهُ حَادِثًا وَاقِعًا، فَقَوْلُهُ: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً معنا: أَنَّ الْآنَ حَصَلَ الْعِلْمُ بِوُقُوعِهِ وَحُصُولِهِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ الْحَاصِلُ هُوَ الْعِلْمُ بِأَنَّهُ سَيَقَعُ أَوْ سَيَحْدُثُ"، مفاتيح الغيب (٥٠٧/١٥). وانظر: تفسير الكشاف (٢٣٥/٢).

(٣) **قال ابن زنجلة:** " قَرَأَ عَاصِم وَحَمْزَة {وَعلم أَن فِيكُم ضعفا} بِفَتْح الضَّاد وَفِي الرّوم مثله وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْع وهما لُغَتَانِ مثل الْمكْث والمكث والفقر والفقر والقرح والقرح"، حجة القراءات (٣١٣/١).

قال الرازي: " وَهُمَا لُغَتَانِ صَحِيحَتَانِ، الضَّعْفُ وَالضُّعْفُ كَالْمَكْثِ وَالْمُكْثِ"مفاتيح الغيب (٥٠٧/١٥).

وانظر: معاني القرآن للزجاج (٤٢٤/٢)، والحجة في القراءات السبع (١٧٢/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٧/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٤٤/١)، وانظر أيضاً: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٠٨/٢)، والكشاف (٢٣٥/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥١/٢)، وزاد المسير (٢٢٣/٢).

أقوياء في البدن؛ بل كان فيهم القوي والضعيف مثل سلمان وبلال وغيرهما؛ ولكن كانوا أقوياء في (النصرة)[١] ثم أسلم بعد ذلك كثير ممن كان ضعيفا في (النصرة)[٢] وكانوا مختلطين بالأولين[٣]، ومن قرأ أن فيكم ضعفا فمعناه عجزا عن ما فرض الله عليكم من الشيوخ والضعاف[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ أمر الله عز وجل بأن الواحد يثبت للاثنين وضمن منه النصرة له عليهما؛ وإنما لم يأمر من كان قويا في النصرة أن يثبت لعشرة ومن كان ضعيفا في النصرة أن يثبت للاثنين لوجهين :

أحدهما: أنهم كانوا يشهدون القتال مختلطين وكان لا يمكنه التمييز بينهم في ذلك.

والثاني: أن التمييز في هذا لا يمكن إلا بالنص على من يكون قويا في (النصرة)[٥] فيؤمر بالثبات لعشرة وعلى من يكون ضعيفا (بالنصرة) [٦] فيؤمر بالثبات لاثنين وهذا إذا فعل كان فيه إيحاش من يكون ضعيف النصرة.

وقوله عز وجل :﴿ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ معناه بأمره وإطلاقه[١]، وقوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ معناه والله أعلم: معين الصابرين، وحقيقة المعية معونة الله عز وجل مع

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (البصيرة).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (البصيرة).

(٣) **قال الزمخشري:** "والمراد بالضعف: الضعف في البدن. وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدين"، الكشاف (٢/٢٣٥).
وقال الجصاص: " لَمْ يُرِدْ بِهِ ضَعْفَ الْقُوَى وَالْأَبْدَانِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ ضَعْفُ النِّيَّةِ لِمُحَارَبَةِ الْمُشْرِكِينَ فَجَعَلَ فَرْضَ الْجَمِيعِ فَرْضَ ضُعَفَائِهِمْ"، أحكام القرآن للجصاص (٤/٢٥٦)، وانظر: تفسير الألوسي (٥/٢٢٧).

(٤) **قال الجصاص** كلام نفيس يحسن نقله ها هنا، قال: " وَلَمْ يَكُنْ أولئك القوم قد نقصت بصائرهم وقل صَبْرُهُمْ وَإِنَّمَا خَالَطَهُمْ قَوْمٌ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِثْلُ بَصَائِرِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَهُمْ الْمَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى وعلم أن فيكم ضعفا"، أحكام القرآن (٤/٢٥٧). وانظر: معاني القرآن للزجاج (٢/٤٢٤)، وروح المعاني (٥/٢٢٧).

(٥) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (البصيرة).

(٦) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (البصيرة).

الصابرين إلا أنه عبر عن ذلك بحرف "مع" تفخيما لأمر المعونة، وهاتان الآيتان وإن كانتا مقترنتين في المصحف فإنهما وردتا في وقتين مختلفين على ما تقدم ذكره؛ لأن الناسخ لا يرد مقرونا بالمنسوخ وإنما يرد بعده، في الآية دليل أن النسخ قد يكون بأمر أخف من الأول(٢) بخلاف ما يقول بعضهم أن النسخ (لا يكون ألا بما يكون أشق من الأول)(٣)، **وعن عطاء عن عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أنه قال: من فر من رجلين فقد فر ومن فر من ثلاثة لم يفر(٤)، وقال: ينقص بالنصر ما نقص من العدة، وأراد بالفرار المذكور أنه إذا كان للواحد المسلم من السلاح والقوة/ (مثلما)(٥) لكل واحد من الرجلين الكافرين كان فارا فإذا لم يكن له لم يثبت حكم الفرار(٦) والله أعلم .

١٨= ب

قوله عز وجل : ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾** ﴾.

---

(١) انظر: بحر العلوم (٤٧٠/٢)، وزاد المسير (٢٢٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٠٧/١٥).

(٢) انظر : المحرر الوجيز (٥٥٠/٢)، وتفسير ابن عرفة (٣٩٠/١)، وتفسير الطبري (٥٧/١٤)، أحكام القرآن للجصاص (٢٥٧/٤)، وأضواء البيان (٤٤٨/٢).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (قد يكون بأمر أخف من الأول).

(٤) أخرجه الشافعي في المسند (٣١٤/١)، وأخرجه سعيد بن منصور في تفسيره (٢٢٦/٥) رقم (١٠٠١)، وأخرجه في السنن (٢٤٨/٢) رقم (٢٥٣٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥٤١/٦) رقم (٣٣٦٩٠)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٧/٢)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٠/٩) رقم (١٨٠٨١)،وفي معرفة السنن والآثار (٢١٩/١٣) رقم (١٧٩٧٢)، كلهم عن ابن عباس موقوفا عليه.

وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٣/١١) رقم (١١١٥١) مرفوعا، ومن طريق الطبراني أخرجه الضياء في المختارة (٨٥/١٣) رقم (١٤٠).

(٥) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (مثل).

(٦) انظر : بحر العلوم (٣١/٢) .

روي عن **أبي هريرة** ﷺ أنه قال: وذلك أنه لما كان يوم بدر تعجل ناس من المسلمين وأصابوا من الغنائم فقال ﷺ:" إن الله عز وجل لم يبح (شيئا من)[١] الغنائم لقوم سود الرؤوس قبلكم كان النبي وأصحابه إذا غنموا جمعوا غنائمهم فتنزل نار من السماء فتأكلها وكانوا لا يأخذون إلا ما لا تأتي عليه النار[٢]، (ويقال كانوا إذا أخذوا شيئاً مما لا تضره النار)[٣] من ذهب وفضة أو متاع أو حديد أو صفر أدخلوه في النار حتى يزول عنه خبثه ثم أخذوا بعد ذلك ما يخرج من النار فأحل الله عز وجل الغنائم كلها لهذه الأمة كما روي عن رسول الله ﷺ قال: " أعطيت خمسا لم يعطها أحد قبلي بعثت إلى الأحمر والأسود وإنما كان النبي عليه السلام يبعث إلى قومه خاصة، ونصرت بالرعب حتى أن عدوي ليخافني على مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا أينما أدركتني الصلاة تيممت وصليت وما من نبي إلا وقد تعجل دعوته وادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"[٤].

ومعنى الآية والله أعلم: ما كان لنبي أن يكون له أسرى من المشركين فيعذبهم أو يمن عليهم؛ ولكن السيف حتى يتمكن في الأرض بالقتل فيقتل منهم قتلا ذريعا ليرتعد من

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤٠٣/١٢) رقم (٧٤٣٣)، وأخرجه الترمذي في سننه (٢٧١/٥) رقم (٣٠٨٥) أبواب تفسير القرآن، بَاب وَمِنْ سُورَةِ الأَنْفَالِ، وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠/١٠) رقم (١١١٤٥)، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٣٧٦/٢) رقم (٢٩٠٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٦٥/٧) رقم (٣٦٧٤٠)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٣١٠/١) رقم (٤٧٥)، وأخرجه البزار في مسنده (٨١/١٦) رقم (٩١٣٩)، وأخرجه ابن الجارود في المنتقى (٢٦٨/١) رقم (١٠٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٦).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٥١٢/٣٢) رقم (١٩٧٣٥)، وأخرجه البخاري في صحيحه (٧٤/١) رقم (٣٣٥) أول كتاب التيمم، وأخرجه مسلم في صحيحه (٣٧٠/١) رقم (٥٢١) أول كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، واللفظ للإمام أحمد.

ورائهم[١]، والإثخان في كل شيء قوة الشيء وشدته، يقال أثخنه المرض إذا أشتد قوته عليه، وكذلك أثخنته الجراح[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ﴾ خطاب للذين أسرعوا في أخذ الغنائم وشغلوا أنفسهم بذلك عن القتال[٣] معناه: يريدون بالقتال المال، وسماه عرضا لقلة لبثه[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ ﴾ معناه: والله يريد منكم العمل بما تستحقون به ثواب الآخرة والله تعالى عزيز منيع في سلطانه ، حكيم في أمره وقضاءه فاعلموا ما أمركم به[٥].

وقوله عز وجل : ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ معناه: لولا حكم من الله سبق بإباحة الغنائم لمسكم فيما استبحتم قبل الإثخان عذاب عظيم[٦]، ويقال معناه: لولا كتاب من الله سبق في أهل بدر أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم

---

(١) انظر : تفسير الطبري (٥٨/١٤)، بحر العلوم (٣١/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٣٥/٤)، والنكت والعيون (٣٣٢/٢)، والكشاف (٢٣٥/٢)، وزاد المسير (٢٢٥/٢)، ومفاتيح الغيب (٥١١/١٥)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٤١٨/١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (١٧٠/٣).

(٢) انظر : مقاييس اللغة (٣٧٢/١) مادة (ثخن)، والنهاية في غريب الحديث (٢٠٨/١)، ولسان العرب (٧٧/١٣) مادة (ثخن)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٢٥/٢)، تفسير الطبري (٥٨/١٤)، وتفسير السمعاني (٢٧٩/٢)، والكشاف (٢٣٥/٢).

(٣) جل المفسرين على أن المراد الفداء الذي أخذ من الأسرى يوم بدر، بل نقل الرازي الاجماع على أن المراد الفداء حيث قال:" وأجمع المفسرون على أن المراد من عرض الدنيا ههنا هو أخذ الفداء"، مفاتيح الغيب (٥٠٩/١٥).
ويقول ابن عطية (وكذلك ذكروا-يقصد المفسرين- في هذه الآيات تحليل المغانم لهذه الأمة ولا أقول ذلك، لأن حكم الله تعالى بتحليل المغنم لهذه الأمة قد كان تقدم قبل بدر وذلك في السرية التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي وإنما المبتدع في بدر استبقاء الرجال لأجل المال) انظر : المحرر الوجيز (٥٥٣/٢) وكلامه هذا يدل على أن المراد أخذ الفداء، أما أمر الغنائم فمتقدم على ذلك، والله أعلم ، وانظر: تفسير الخازن (٣٢٧/٢).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣٣٢/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٥٦/١).

(٥) انظر: النكت والعيون (٣٣٢/٢)، والكشاف (٢٣٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥٢/٢).

(٦) قاله أبو هريرة، ومجاهد، والأعمش، والحسن، وعبيدة السلماني، وعطاء، انظر: تفسير مجاهد (٣٥٨/١)، وتفسير مقاتل (١٢٦/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦٥/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٣٤/٥).

وما تأخر، ويقال معناه لولا حكم الله عز وجل في اللوح المحفوظ في القرآن أنه لا يعذب قوما حتى يبين لهم ما يتقون لأصابتكم عقوبة عظيمة[(١)].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية : وذلك أنه لما قتل أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين من المشركين وأسروا سبعين فاستشار رسول الله ﷺ أصحابه في أمر الأسارى فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله هم قومك فإن تقتلهم يدخلوا النار ولكن فادهم فيكون الذي تأخذ منهم قوة للمسلمين ولعل الله عز وجل يقلب قلوبهم، وقال عمر ﷺ : يا رسول الله ما أعلم قوما كانوا أشر لنبيهم منهم فاقتلهم فأخذ رسول الله ﷺ برأي أبي بكر ثم ضرب لهما مثلا فقال : مثل أبي بكر مثل إبراهيم ﷺ حيث قال: " ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾"[(٢)] ، ومثل عمر كمثل نوح ﷺ حيث قال: " ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ "[(٣)] ثم ضرب رسول الله ﷺ الفداء على الأسرى فلما كان من الغد أنزل الله عز وجل قوله " ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ

وانظر: بحر العلوم (٣٢/٢)، والنكت والعيون (٣٣٣/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٠/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥٣/٢).

(١) قاله الحسن، ومجاهد، وسعيد، وابن زيد، انظر: تفسير مجاهد (٣٥٨/١)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٧/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٦٨/١٤).

قال الطبري بعد أن سرد الأقوال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قد بيناه قبلُ وذلك أن قوله : (لولا كتاب من الله سبق) خبر عامٌّ غير محصور على معنى دون معنى وكل هذه المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الأمة وذلك : ما عملوا من عمل بجهالة، و إحلال الغنيمة، والمغفرة لأهل بدر، وكل ذلك مما كتب لهم، وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى وقد عم الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه"، تفسير الطبري (٧٠/١٤).

وانظر: تفسير الثعلبي (٣٧٣/٤)، والنكت والعيون (٣٣٣/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٠/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥٣/٢).

(٢) سورة إبراهيم آية ٣٦.

(٣) سورة نوح آية ٢٦.

﴿ أَسۡرَىٰ ﴾ إلى آخر الآيتين" قال عمر : فدخلت على رسول الله ﷺ وعنده أبو بكر رضي الله عنه وهما يبكيان فقلت ما يبكيكما حتى إن وجدت بكاء لبكائكما بكيت معكما ؟ فقال رسول الله ﷺ : إنما أبكي على الذي عرض علي أصحابك من أخذ الفداء ثم قرأ عليه السلام " ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [(١)].

وفي بعض الروايات لو نزل عذاب ما نجا أحد غير عمر[(٢)].

وأما قوله عز وجل : ﴿ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾ معناه: على هذا التأويل[(٣)] لولا حكم الله عز وجل أنه يحل لهم الفدية التي أخذوها من الأسارى، ويقال معناه: لولا ما سبق لهذه الأمة من الرحمة إذا علموا/ الخطأ ثم عرفوا أنهم ما عملوا فتابوا ورجعوا[(٤)]. ١٩= أ

فإن قيل: هل كان من النبي ﷺ معصية في هذه القضية أم لم تكن ؟ قيل: كانت المعصية منهم جميعا لمقتضى الآية؛ إلا أن معصية النبي ﷺ كانت غير معصية القوم؛ فإن معصيته كانت معصية صغيرة كانت قتل الأسارى لما حملوا إليه، وكان الصواب للنبي ﷺ أن يأمر بقتلهم حتى يكون الله عز وجل الذي يكفه عن ذلك بأمر ينزله عليه، وهذا معروف في التعامل أن السيد ينكر على غلامه من تلقاء نفسه ويقول كان الواجب أن ينتظر أمري[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٣٨٣/٣) رقم (١٧٦٣) كتاب الجهاد والسير، بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ.

(٢) أخرج هذه الزيادة ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بلفظ"لَوْ عُذِّبْنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ يَا عُمَرُ مَا نَجَا مِنْهُ غَيْرُكَ" في تفسيره (١٧٣٥/٥) هكذا، وهو معضل.

وذكره أهل التفسير بلا سند، انظر: التفسير الوسيط (٤٧٣/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٠٩/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٤٧/٨)، والدر المنثور (١٠٨/٤)، وروح البيان (٣٧٤/٣)، والمحرر الوجيز (٥٥٤/٢).

(٣) يقصد تفسير قوله تعالى (تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا) بأن المراد أخذ الفداء في الأسرى، وهو الأصح على ما سبق.

(٤) وتقدم ذلك.

(٥) ذكر الرازي جميع حجج الطاعنين في عصمة الأنبياء على حد قوله ورد عليها، إلى أن قال: "وَقَعَ الْخَطَأُ فِي ذَلِكَ الِاجْتِهَادِ، وَحَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ، فَأَقْدَمَ عَلَى الْبُكَاءِ لِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى"، مفاتيح الغيب (٥٠٩/١٥).

وقوله عز وجل: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ مخاطبة لهم لا للرسول ﷺ وجِلّة الصحابة؛ فإن أبا بكر ﷺ كان من مراده إعزاز الدين وهداية الأسرى، وهذا هو تأويل هذه الآية على القول الثاني، والقول الأول أقرب إلى ظاهر الآية لأن الله عز وجل قال لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ولم يقل فيما عرضتم وأشرتم ، ومن المعلوم أن الفداء لم يؤخذ من الأسارى ساعة إذ؛ وإنما أخذ من بعد؛ ويستحيل أن ينزل الوعيد في قول قاله الرسول ﷺ؛ لأنه كان لا ينطق عن الهوى[(١)].

قوله عز وجل : ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ ﴾.

دخول الفاء في أول هذه الآية للجزاء[(٢)]، والمعنى أحللت لكم الغنائم ويقال الفداء فكلوا[(٣)]، والطيب المستلذ ويصف الحلال بذلك على التشبيه فإن المستلذ مالا يكون فيه كراهية في الطبع وكذلك الحلال مالا يكون فيه كراهة في الدين[(٤)].

قال جامعه: عاتب الله عز وجل نبيه ﷺ في أكثر من آية في القران ففي سورة عبس عاتبه لما عبس في وجه الأعمى، وفي سورة الأحزاب كذلك في قصة زيد بن حارثة -ﷺ- فلعل هذه الآية من جنس ذلك العتاب، والأنبياء ليسوا معصومين من الخطأ فيما لا تعلق للشرع به من أمور الدنيا والله أعلم .

(١) **قال ابن عطية**: "هذه الآية تتضمن عندي معاتبة من الله عز وجل لأصحاب نبيه ﷺ"، المحرر الوجيز (٥٥١/٢). وتقدم وأن الخطاب كان للذين أخذوا الغنائم على قول المصنف، وللذين قبلوا الفداء على رأي الجمهور.

(٢) **قال النحاس**: "في الفاء معنى الشرط والمجازاة"، إعراب القرآن؛ للنحاس (١٠٥/٢).

وقال الزمخشري: " فإن قلت: ما معنى الفاء؟ قلت: التسبيب والسبب محذوف، معناه: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم"، الكشاف (٢٣٨/٢). وانظر: زاد المسير (٢٢٦/٢)، والبحر المحيط (٣٥٥/٥).

(٣) **قال النحاس**: "والتقدير في الآية قد أحللت لكم الفداء فكلوا ممّا غنمتم، حَلالًا طَيِّباً منصوب على الحال"، إعراب القرآن؛ للنحاس (١٠٥/٢). وانظر: الكشاف (٢٣٨/٢)، وزاد المسير (٢٢٦/٢)، والبحر المحيط (٣٥٥/٥).

(٤) : انظر : معاني القرآن للزجاج (٢٤١/١)، وتفسير الكشاف (٢٣٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٥١٢/١٥).

وقوله عز وجل : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ معناه: اخشوه ولا تفعلوا أشياء لم تؤمروا بها ولم يرخص لكم فيها، إن الله غفور لما فرط منكم، رحيم بكم إذ لم يعذبكم فيما فعلتم قبل الرخصة وبالله التوفيق[١].

قوله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس: وذلك أن النبي ﷺ لما وضع الفداء على كل واحد من الأسارى أربعين أوقية من ذهب وجعل على عمه العباس بن عبد المطلب مائة أوقية وأفتدى ابن أخيه عقيل بن طالب بعشرين أوقية قال العباس أتجعل علي مائة أوقية وعلى عدوك سهيل بن عمر أربعين أوقية ؟ قال: نعم؛ لقطعك الرحم؛ ولظلمك؛ قال: تركتني والله أسأل قريشا ما بقيت بيدي فدعني وهذه العشرين الأوقية أستعين بها في فدائي، وكان العباس خرج بهذه العشرين أوقية ليطعم بها الناس وكان هو أحد الثلاثة عشر[٢] الذين ضمنوا طعام أهل بدر ولم يكن بلغته التوبة حتى أسر وأخذ ما معه، فقال له رسول الله ﷺ: أما شيء خرجت تستعين به علينا فلا أتركه لك، فقال العباس: تترك عمك يسأل بكفه ، فقال ﷺ: فأين الذهب الذي أعطيت أم الفضل عند مخرجك فقلت إن حدث بي حدث في وجهي هذا فهو لك ولعبد الله ولقثم وللفضل، قال وما يدريك ؟ قال : أخبرني الله عز وجل بذلك، قال أشهد إنك لصادق وإني لم أعلم أنك رسول الله قط قبل اليوم وإني دفعت إليها الذهب ولم يطلع عليه أحد إلا الله عز وجل ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فأسلم وأمر ابن أخيه أن يسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٧٢/١٤)، وبحر العلوم (٣٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٣٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٥١٢/١٥)، وتفسير الخازن (٣٢٨/٢).

(٢) (عشر) لا توجد في أ.

(٣) أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (٥٧٦/١) رقم (٤١٠) نحوه، إلا أنه قال: "وعلى عقيل بثمانين" بدل "عشرين"،وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٤٢/٣)،وأصله في البخاري مختصرا جدا، صحيح البخاري (١٤٧/٣)= =

ومعناها: يا أيها النبي قل للعباس وعقيل ونوفل بن الحارث وغيرهم من الأسارى إن يعلم الله عز وجل في قلوبكم رغبة في الإيمان وإخلاصاً في النية يؤتكم خيراً مما أخذ منكم من الفدية، ويجوز أن يكون المعنى: يخلف عليكم في الدنيا[١]، ويجوز أن يكون يجازيكم في الآخرة[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ أي يتجاوز عنكم ما كان من كفركم وقتالكم والله غفور للذنب رحيم بالعباد إذا تابوا، قال: **وكان العباس** يقول إذا قرأ هذه الآية صدق الله ورسوله قد أعطاني الله عز وجل خيراً مما أخذ مني أبدلني مكان العشرين الأوقية التي أخذت مني عشرين مملوكا كل مملوك يضرب بعشرين ألفا (في)[٣] التجارة وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة أنجزني أحد الوعدين وأنا أرجو أن ينجزني الوعد الثاني أنتظر المغفرة من ربي[٤].

رقم (٢٥٣٧) كتاب العتق، بَابُ إِذَا أُسِرَ أَخُو الرَّجُلِ، أَوْ عَمُّهُ، هَلْ يُفَادَى إِذَا كَانَ مُشْرِكًا، قال ابن حجر: وَعِنْدَ أَبِي نُعَيْمٍ فِي الْأَوَائِلِ بِإِسْنَاد حسن"، فتح الباري (٣٢٢/٧).

وانظر : سيرة ابن اسحاق (٣٠٧/١)، وتفسير مقاتل (١٢٧/٢)، وبحر العلوم (٣٣/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٥٢/٨)، وتفسير السمعاني (٢٨٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٠/٢).

(١) انظر: بحر العلوم (٣٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٣٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٥١٤/١٥)، وتفسير القاسمي (٣٢٩/٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٢٨/٢)، وبحر العلوم (٣٤/٢)، وتفسير الكشاف (٢٣٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٥١٤/١٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٥٨/١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (من).

(٤) أخرج الحاكم نحوه دون ذكر زمزم ، المستدرك (٣٦٦/٣) حديث رقم (٥٤٠٩)، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأخرجه الطبري في تفسيره (٧٤/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٧٣٧/٥)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٢٣/٦) رقم (١٢٨٥١).

وانظر : النكت والعيون (٣٣٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٢/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٥٨/١)، وتفسير الخازن (٣٢٩/٢)؟، وتفسير أبي السعود (٣٧/٤)، والبحر المحيط (٣٥٦/٥)، والسراج المنير (٥٨٤/١).

وعن العلاء بن الحضرمي[١] أنه بَعثَ إلى رسول الله ﷺ من البحرين ثمانين ألفا ما أتاه (مال)[٢] أكثر منه لا قبل ولا بعد فقال العباس رضي الله عنه : أعطيت فدائي وفداء عقيل يوم بدر ولم يكن لعقيل مال فأعطني من هذا المال فأعطاه/ رسول الله ﷺ ما أطاق حمله فجعل العباس يقول وهو منطلق أما أحدى اللتين وعدنا الله عز وجل فقد أنجزها ولا ندري ما يصنع بالأخرى[٣] يعني قوله عز وجل ﴿ يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾

١٩= ب

قوله عز وجل : ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ .

معناه: وإن يرد الذين أطلقتم من الأسارى خيانتك بأن يعدوا حربا لك أو ينصروا عدوك عليك فقد[٤] خانوا الله من قبل لمخالفة ما أخذ عليهم من العهود وذلك أن النبي ﷺ كان عاهد الذين أطلقهم على أن لا يعينوا فخانوا وخالفوا، وقوله : ﴿ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ ﴾ معناه: فأمكنك منهم يوم بدر وإن خانوك فسيمكنك منهم ثانياً والله عليم بكل شيء حكيم في كل ما يفعل[٥].

---

(١) العلاء بن الحضرمي واسم أبيه عبد الله ابن عماد وكان حليف بني أمية صحابي جليل عمل على البحرين للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر ومات سنة أربع عشرة وقيل بعد ذلك. وانظر:معرفة الصحابة (٢١٩٨/٤)، والاستيعاب (١٠٨٥/٣)، والإصابة (٤٤٥/٤).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (ما أتاه).

(٣) متفق عليه بغير هذا السياق، أخرجه البخاري في صحيحه (٩١/١) رقم (٤٢١) كتاب الصلاة، بَابُ القِسْمَةِ، وَتَعْلِيقِ القِنْوِ فِي المَسْجِدِ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: «القِنْوُ العِذْقُ وَالِاثْنَانِ قِنْوَانِ وَالجَمَاعَةُ أَيْضًا قِنْوَانٌ مِثْلَ صِنْوٍ وَصِنْوَانٍ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٣/٤) رقم (٢٩٦١) أول كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

(٤) (معناه وإن يرد الذين أطلقتم من الأسارى خيانتك بأن يعدوا حربا لك أو ينصروا عدوك عليك فقد) لا توجد في أ.

(٥) انظر : تفسير الطبري (٧٥/١٤)، وبحر العلوم (٣٤/٢)، وتفسير الكشاف (٢٣٩/٢)، وزاد المسير (٢٢٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٥١٤/١٥).

قولـه عـز وجـل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾.

معناه: أن الذين صدقوا بتوحيد الله ومحمد ﷺ والقرآن وهاجروا من مكة إلى المدينة وجاهدوا العدو بأموالهم وأنفسهم في طاعة الله ، ثم ذكر الأنصار فقال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ ﴾ معناه والذين آووا النبي ﷺ والمهاجرين معه وأعطوهم المأوى وأنزلوهم ديارهم[١]، ونصروا أي أعانوا بالسيف على الكفار ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ أي أنصار في الدين والمواريث[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ ﴾ معناه: والذين صدقوا من أهل مكة في ديارهم ولم يهاجروا إلى المدينة ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ أي ليس بينكم وبينهم ميراث حتى يهاجروا، وإطلاق لفظ الموالاة يقتضي التوارث في الجملة وإن كان بعض أسباب الموالاة أوكد من بعض[٣].

---

(١) انظر : تفسير مقاتل (١٣٠/٢)، وتفسير الطبري (٧٧/١٤)، وبحر العلوم (٣٤/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٨٨/٢)، والنكت والعيون (٣٣٤/٢).

(٢) فيه تأويلان: أحدهما : أولئك بعضهم أعوان بعض ، قاله الجمهور. والثاني: أولئك بعضهم أولى بميراث بعض، قال ابن عباس: جعل الله تعالى الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام. انظر : تفسير الطبري (١٤/ ٧٨)، وبحر العلوم (٣٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٤/٢)، والنكت والعيون (٣٣٤/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٢/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥٦/٢)، وزاد المسير (٢٢٧/٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب (٧٣/١)، وتفسير الطبري (٨١/١٤)، وبحر العلوم (٣٥/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٣٨٨/٣)، وتفسير ابن كثير (٩٥/٤).

روي عن **عبد الله بن عباس** أنه قال: لما نزلت هذه الآية : قام **الزبير بن العوام**[١] وأناس معه من المسلمين فقالوا : يا رسول الله كيف لا يرثنا إخواننا وهم على ديننا من أجل أنهم لم يهاجروا فهل نعينهم على أمر إن استعانونا عليه ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ ﴾[٢] معناه: إن قاتلهم الكفار ليردوهم عن الإسلام فانصروهم إلا أن يقاتلوا قوما بينكم وبينهم عهد فاستنصروكم عليهم فلا تقاتلوهم معهم؛ بل عليهم أن يكفوا عن طلب النصرة منكم لهم عليهم؛ لأن أمان واحد من المسلمين يلزم كافتهم فيجب الإصلاح بينهم على غير وجه القتال[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ معناه والله تعالى بصير بأعمالكم يجازيكم عليها، **قال ابن عباس**: فمكثوا على هذا ما شاء الله أن يمكثوا.

ثم أنزل الله عزوجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

معناه: والذين كفروا بعضهم أنصار بعض في الدين[٤] وبعضهم أولياء بعض في الميراث[١]، يعني أن الكافر لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر بل الكافر يرث من الكافر والمؤمن

---

١) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، يكنى أبا عبد الله. أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ روى وكيع وغيره، عن هشام بن عروة، قَالَ: أسلم الزبير وهو ابن خمس عشر سنة. وروى أبو أسامة عن هشام بن عروة، عن أبيه مثله سواء إلى آخره؛ توفي سنة (٣٦) . انظر : الاستيعاب (٥١٠/٢-٥١٦)، الإصابة (٤٥٧/٢)

(٢) انظر: تفسير مفاتيح الغيب (٥١٨/١٥)، والبحر المحيط (٣٥٨/٥).

(٣) انظر: بحر العلوم (٣٥/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٤/٢)، والكشاف (٢٣٩/٢)، وزاد المسير (٢٢٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٥١٨/١٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٥٩/١).

(٤) انظر : تفسير الطبري (٨٤/١٤-٨٧) ورجحه، وتفسير الثعلبي (٣٧٥/٤)، والنكت والعيون (٣٣٥/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٤٠/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥٦/٢).

يرث من المؤمن، كما ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا توارث بين أهل ملتين"[٢] " لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم"[٣]

(فصارت هذه الآية ناسخة التي قبلها)[٤] [٥].

وقوله عز وجل : ﴿ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ معناه إلا تفعلوا ما أمرتكم به ولم تورثوا الأعرابي الذي لم يهاجر من المهاجر ولم تجعلوا ولاية الكافر للكافر وولاية المؤمن للمؤمن تكن فتنة أي محنة بالميل إلى الضلالة وفساد في الدين فإن الكفار بعضهم أنصار بعض، وذهب بعض المفسرين إلى أن معنى قوله عز وجل : ﴿ مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ (أي مالكم من نصرهم من شيء)[٦] قال: ومعنى الموالاة عقد النصرة في الموافقة في الديانة[٧].

---

(١) انظر : بحر العلوم (٢/٣٥)، والنكت والعيون (٢/٣٣٥)، والوجيز؛ للواحدي (١/٤٥٠)، وتفسير السمعاني (٢/٢٨٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/٢٤٠)، والمحرر الوجيز (٢/٥٥٦)، وزاد المسير (٢/٢٢٨).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٣/١٢٥) رقم (٢٩١١) كتاب الفرائض، بَابُ هَلْ يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ؟، وأخرجه الترمذي في سننه (٤/٤٢٤) رقم (٢١٠٨) أبواب الفرائض، بَابُ لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ، وقال: غريب، وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/٩١٢) رقم (٢٧٣١) كتاب الفرائض، بَابُ مِيرَاثِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/١٢٤) رقم (٦٣٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٠٧).

(٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه (٨/١٥٦) رقم (٦٧٦٤) كتاب الفرائض، بَابٌ: لاَ يَرِثُ المسْلِمُ الكَافِرَ وَلاَ الكَافِرُ المسْلِمَ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٢٣٣) رقم (١٦١٤) كتاب الطلاق، بَابُ قَدْرِ الطَّرِيقِ إِذَا اخْتَلَفُوا فِيهِ.

(٤) (فصارت هذه الآية ناسخة التي قبلها) لا توجد في أ، وهو الصواب إذ لم أجد من قال بالنسخ في هذه الآية والله أعلم.

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١٤/٨١)، وبحر العلوم (٢/٣٦)، والتفسير الوسيط (٢/٤٧٤)، والمحرر الوجيز (٢/٥٥٧).

على أن الطبري رجح ألا وجود للنسخ أصلا، بناء على أن الآية في التناصر والمعاونة لا في الميراث، انظر: تفسير الطبري (١٤/٨٨-٨٩).

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٢/٥٥٥)، وتهذيب اللغة (١٥/٣٢٥)، ولسان العرب (١٥/٤٠٧) مادة (ولي).

قال وأما قوله عز وجل : ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ﴾ فمعناه (أنه ليس عليكم إلا أن يطلبوا منكم النصرة في الدين فعليكم النصر حينئذٍ و)[١] ليس عليكم نصرهم في غير الدين[٢] .

قوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾.

ومعنى قوله هم المؤمنون حقا أولئك الذين حققوا إيمانهم بالهجرة/ وإقامة الجهاد في سبيل الله عز وجل[٣]، وقيل معناه: أولئك الذين حقق الله إيمانهم بأن أثنى عليهم ومدحهم في كتابه[٤]. ٢٠=أ

وقوله عز وجل :﴿ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ معناه :لهم مغفرة لذنوبهم، وقوله عز وجل : ﴿ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ في الجنة بأن يطعمهم طعاما يصير كالمسك رشحا ولا يستحيل في أجوافهم نجواً[٥]، وفي الآية إبطال قول الروافض: إن أكثر المهاجرين قد استحالوا عن الدين.

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) انظر : تفسير مقاتل (١٣٠/٢)، وتفسير الطبري (٨٢/١٤)، وتفسير مفاتيح الغيب ؛ للرازي (٥١٧/١٥)، والبحر المحيط (٣٥٨/٥).

(٣) انظر : تفسير الطبري (٨٨/١٤)، وبحر العلوم (٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٠/٢)، وزاد المسير (٢٢٨/٢)، وتفسير البيضاوي (٥٠/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦٠/١)، وتفسير الخازن (٣٣٠/٢).

(٤) انظر : تفسير السمعاني (٢٤٨/٢)، وتفسير الخازن (٣٣٠/٢)، والبحر المحيط (٣٥٩/٥)، وتفسير القاسمي (٣٣٦/٥). (٣٣٦/٥).

(٥) انظر : تفسير الطبري (٨٨/١٤)، وتفسير السمعاني (٢٨٣/٢).

قوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

معناه: والذين ءامنوا من بعد المهاجرين السابقين وهاجروا إلى المدينة وجاهدوا معكم الكفار فأولئك منكم في الدين والنصرة[1]

وقوله عز وجل : ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ معناه: أن الأقارب بعضهم أولى ببعض في الميراث من غيرهم هاجروا أم لم يهاجروا إذا كانوا مسلمين[2]، وقوله : ﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ يجوز أن يكون المراد بالكتاب القرآن[3]، ويجوز أن يكون معناه في اللوح المحفوظ[4]، ويجوز أن يراد بالكتاب الحكم كما قال الله عز وجل ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ﴾[5] أي حكم الله تعالى[6].

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ معناه إنه بكل شيء مما فرض من المواريث وغير ذلك عالم ، **قال قتادة** رضي الله عنه: وذلك أن النبي ﷺ آخى بين المهاجرين وكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر فكان لا يرث أخاه فنسخ الله عز وجل

(١) انظر : تفسير الطبري (٨٩/١٤)، وتفسير المحرر الوجيز (٥٥٦/٢).

(٢) انظر : تفسير مقاتل (١٣١/٢)، و تفسير الطبري (٩٠/١٤)، وتفسير السمعاني (٢٨٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٠/٢)، والمحرر الوجيز (٥٥٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٢٠/١٥)، وتفسير البيضاوي (٦٩/٣).

(٣) انظر : المحرر الوجيز (٥٥٧/٢)، وزاد المسير (٢٢٩/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٩/٣)، وتفسير ابن جزي (٣٣٠/١)، والبحر المحيط (٣٦٠/٥).

(٤) انظر : تفسير الطبري (٩٠/١٤)، وبحر العلوم (٣٦/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٠/٢)، و المحرر الوجيز (٥٥٧/٢)، وزاد المسير (٢٢٩/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٩/٣)، وتفسير ابن جزي (٣٣٠/١)، والبحر المحيط (٣٦٠/٥).

(٥) سورة المجادلة آية ٢١.

(٦) جمع ابن جرير الطبري بين القول الثاني والثالث بقوله عند تفسير الآية : (في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء) انظر : تفسير الطبري (٩٠/١٤)، وانظر: بحر العلوم (٣٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٠/٢)، وزاد المسير (٢٢٩/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٩/٣)، والبحر المحيط (٣٦٠/٥).

ذلك بقوله ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾[(١)] وصارت الموارثة بالقرابة كما ذكره الله في سورة النساء[(٢)].

وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية"[(٣)].

وعن الحسن ﷺ أنه قال: بقيت هجرة الأعراب إلى الأمصار قائمة إلى يوم القيامة[(٤)]، القيامة[(٤)]، كأنه ذهب إلى أن الهجرة إنما سقطت عمن كان مسلما بمكة بسبب الفتح؛ لأنها لما لما فتحت صارت دار الإسلام (فعليه أن يهاجروا إلى دار الإسلام)[(٥)] خصوصا إذا كان في وقت من الأوقات في عدد المسلمين في ديار أنفسهم قلة وفي الذين أسلموا في دار الحرب من الكثرة ما لو انتقلوا إلى دار الإسلام لازدادت شوكة المسلمين كان عليهم أن يهاجروا كما كان في زمن النبي ﷺ، وقد روي عن **أُبي بن كعب** عن رسول الله ﷺ أنه قال من قرأ سورة الأنفال والتوبة فإنا له شفيع وشهيد يوم القيامة أنه بريء من النفاق وأعطي من الأجر بعدد كل منافق ومنافقة ورفع له عشر درجات[(٦)] وبالله التوفيق .

---

(١) انظر : الأثر في تفسير الطبري (٨٢/١٤).

(٢) تقدم رد ابن جرير الطبري على من قال بالنسخ.

٣) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه (١٥/٤) رقم (٢٧٨٣) كتاب الجهاد والسير، بَابُ فَضْلِ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٤٨٧/٣) رقم (١٣٥٣) كتاب الإمارة، بَابُ الْمُبَايَعَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْجِهَادِ وَالْخَيْرِ، وَبَيَانِ مَعْنَى لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ.

(٤) ذكره الجصاص عن ابن عمر، والأوزاعي، انظر : أحكام القرآن للجصاص (٢٦٢/٤)، وذكره القاسمي عن ابن عمر وعزاه وعزاه للإسماعيلي، تفسير القاسمي (٢٩٢/٣).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) أخرجه الواحدي في تفسيره الوسيط (٤٤٣/٢)، وأخرجه المستغفري في فضائل القرآن (٧٧٧/٢) رقم (١١٧٥) بلا إسناد، وأخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٣٩/١) وقال: وَقد فرق هَذَا الحَدِيث أَبُو إِسْحَاق الثَّعْلَبِيّ فِي تَفْسِيره فَذكر عِنْد كل سُورَة مِنْهُ مَا يَخُصهَا وَتَبعهُ أَبُو الْحسن الواحدي فِي ذَلِك وَلَا أعجب مِنْهُمَا لانهما ليسامن أَصْحَاب الحَدِيث،

سورة التوبة

سورة التوبة مدنية[١]، وهي مائة وتسع وعشرون آية عند الكوفيين، ومائة وثلاثون آية عند الباقين[٢] .

قوله عز وجل أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ ﴾

(معناه)[٣] هذه الآيات براءة من الله فيكون قوله براءة رفعا على خبر الابتداء[١]، ويجوز أن يكون قوله تعالى براءة رفعا بالابتداء وخبره **إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ** [٢]، والبراءة هي: رفع

وَإِنَّمَا عجبت من أبي بكر بن أبي دَاوُد كَيفَ فرقه على كِتَابه الَّذِي صنفه فِي فَضَائِل الْقُرْآن وَهُوَ يعلم أَنه حَدِيث محَال، وَلَكِن شَره جُمْهُور الْمُحدثين فَإِن من عَادَتهم تَنْفِيق حَدِيثهمْ وَلَو بِالْبَوَاطِيل، وَهَذَا قَبِيح.

وانظر: تفسير الثعلبي (٣٢٤/٤)، وتفسير الكشاف (٢٤٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٦٩/٣)، والسراج المنير (٥٨٦/١)، وتفسير أبي السعود (٣٨/٤).

(١) **قال مقاتل**: "سورة براءة مدنية كلها غير آيتين هما قوله تعالى: «لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ ... » إلى آخر السورة، فإنهما مكيتان"، تفسير مقاتل (١٥٣/٢)، ووافقه الزمخشري في الكشاف (٢٤١/٢)، ومفاتيح الغيب ؛ للرازي (٥٢١/١٥)، وابن جزي في تفسيره (٣٣١/١)، والسراج المنير (٥٨٦/١).

وقال العز بن عبد السلام: " مدنية اتفاقاً، أو إلا آيتين في آخرها"، تفسير العز (٥/٢).

وانظر: تفسير الطبري (٣٠٣/١١)، وبحر العلوم للسمرقندي (٣٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٥/٥)، والتفسير الوسيط (٤٧٥/٢)، وزاد المسير (٢٣٠/٢)، وتفسير ابن كثير (١٠١/٤)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦١/١)، وتفسير ابن جزي (٣٣١/١)، وتفسير ابن كثير (١٠١/٤)، والدر المنثور (١١٩/٤).

(٢) **قال مقاتل**: "وهي مائة وسبع وعشرون آية كوفية"، تفسير مقاتل (١٥٣/٢).

وانظر: تفسير الطبري (٣٠٣/١١)، وبحر العلوم (٣٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٥/٥)، والتفسير الوسيط (٤٧٥/٢)، والكشاف (٢٤١/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٢١/١٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦١/١)، والدر المنثور (١١٩/٤)، والسراج المنير (٥٨٦/١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (معنى).

العصمة[٣]، يقال برأ فلان من فلان وبرأ الله من المشركين، وإنما ذكر الله سبحانه هذه البراءة من العهد لأن المشركين كانوا ينقضون العهد قبل الأجل ويضمرون الغدر فأمر الله عز وجل بنبذ العهد إليهم إما بخيانة مستورة ظهرت أماراتها (منهم)[٤] وإما أن يكون بشرط النبي ﷺ لبعضهم في العهد أن يقرهم ما أقرهم الله تعالى، كما قال لأهل خيبر:" أقركم على ما أقركم الله"[٥]، فلما أمر الله تعالى بقطع العهد قطعه بذلك الشرط[٦]، وأما ترك التسمية في أول هذه السورة فقد اختلفوا في ذلك ، روي **عن أبي بن كعب** رضي الله عنه أنه سئل: لم لم تفتتح براءة ببسم الله الرحمن الرحيم ؟ فقال: لأنها نزلت في آخر ما نزل من القرآن وكان رسول الله ﷺ يأمر في أول كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في سورة براءة بذلك فضمت إلى الأنفال لشبهها بها يعني أن أمر العهود مذكور في الأنفال وفي[٧] هذه السورة نزلت بنقض العهود[٨]،

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٨/٢)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٤٢٠/١)، وإعراب القرآن للنحاس (١٠٨/٢)، والحجة في القراءات السبع (٣٠٤/١)، وتفسير الكشاف (٢٤٢/٢)، والمحرر الوجيز (٤/٣).

(٢) انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢٨/٢)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٤٢٠/١)، وإعراب القرآن للنحاس (١٠٨/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٢/٢)، وتفسير الطبري (٩٣/١٤) واختار الأول، والمحرر الوجيز (٤/٣).

(٣) **قال المَاوَرْدِي**: " وجهان: أحدهما: أنها انقطاع العصمة منهما. والثاني: أنها انقضاء عهدهما."، النكت والعيون (٣٣٧/٢)، وانظر : تفسير السمعاني (٢٨٥/٢)، ولطائف الإشارات؛ للقشيري (٦/٢)، وإيجاز البيان عن معاني القرآن (٣٧١/١)، وتذكرة الأريب (١٣٤/١)، وزاد المسير (٢٣٣/٢)، وتفسير الخازن (٣٣٣/٢)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٦٤/٤)، وزاد المسير (٢٢٣/٢).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٢/٣) رقم (٢٧٣٠) كتاب الشروط، بَابُ إِذَا اشْتَرَطَ فِي المُزَارَعَةِ إِذَا شِئْتُ أَخْرَجْتُكَ.

(٦) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٢٦٥/٤)، مفاتيح الغيب للرازي (٥٢٣/١٥)، وبحر العلوم (٣٨/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٤/٢).

٧) (في) لا توجد في أ

(٨) وجاء ذلك أيضا عن معمر، وعطاء، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٢٩/٢).

انظر : معاني القرآن للزجاج (٤٢٧/٢)، والنكت والعيون (٣٣٦/٢)، وزاد المسير (٢٣١/٢).

وهكذا روي **عن ابن عباس** رضي الله عنهما[١]، **وسئل علي** ﷺ عن هذا فقال: لأن هذه السورة نزلت في السيف وليس للسيف أمان وبسم الله الرحمن الرحيم من الأمان[٢]، وهذا هو الأصح/ أن يكون حذف التسمية عن أول السورة وحياً من الله عز وجل؛ لأن القرآن كله مرتب من الله عز وجل ووجه المصلحة في حذف هذه التسمية أن خاتم سورة الأنفال لبيان أن الموالاة لا يجوز إلا أن تكون على الإيمان والهجرة وأول سورة براءة إشارة إلى ما يجب من قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين لإظهار المباينة وتحقيق الجهاد[٣].

---

١) أخرجه أحمد في مسنده (٤٦٠/١) رقم (٣٩٩)، وأخرجه الترمذي (٢٧٢/٥) رقم (٣٠٨٦) أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، وقال : هذا حديث حسن، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٢٥٣/٧) رقم (٧٩٥٣)، وأخرجه البزار في مسنده (٨/٢) رقم (٣٤٤)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٣١/١) رقم (٤٣)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢٤١/٢) رقم (٢٨٧٥) وقال: صحيح، ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦٣/٢) رقم (٢٣٧٦)، وأخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٢٠/١) رقم (١٣١)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٢٢٢).

(٢) عزاه لعلي ﷺ: ابن عطية: المحرر الوجيز (٣/٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣١/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٢٢/١٥)، وابن جزي في تفسيره (٣٣١/١).

وذكر القرطبي هذا الخبر ثم قال " وروي معناه عن المبرد قال : ولذلك لم يجمع بينهما فإن بسم الله الرحمن الرحيم رحمة وبراءة نزلت سخطة، ومثله عن سفيان بن عيينة قال: إنما لم تكتب في صدر هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وبالسيف ولا أمان للمنافقين " ثم مال إلى رأي المصنف في أن ذلك كان وحياً من الله بقوله "والصحيح أن التسمية لم تكتب لأن جبريل عليه السلام ما نزل بها في هذه السورة قاله القشيري" انظر : تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٦٢/٨-٦٣)، وانظر: تفسير السمعاني (٢٨٥/٢)، وتفسير الثعلبي (٥/٥)، والنكت والعيون (٣٣٧/٢)، والكشاف (٢٤٢/٢)، وإيجاز البيان (٣٧١/١)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥/٢).

(٣) **قال الخازن**: "الصحابة اختلفوا في أن سورة الأنفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال ومجموعها معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول إنهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة"، تفسير الخازن (٣٣٣/٢).

وأما قوله عز وجل : ﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ السيح : السير في الأرض على المهل[١] أي : اقبلوا وأدبروا في الأرض آمنين إلى أن تمضي أربعة أشهر[٢] (ولا يكون بينكم وبين المسلمين إلا القتال[٣]، ويقال: إن قوله عز وجل :﴿ فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ بيان أن هذا السيح المذكور في أول هذه السورة إنما هو بعد أربعة أشهر)[٤] فإن عهد الكفار باقي إلى آخر هذه المدة[٥].

قال الحسن ﷺ: أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن ينظر في عهود الكفار فيقر من كان عهده أربعة أشهر على عهده إلى أن يمضي، ويحط من كان له عهد أكثر من أربعة أشهر إلى أربعة أشهر، ويرفع عهد من كان له عهد أقل من أربعة أشهر فيجعله أربعة أشهر[٦].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (١٢٠/٣) مادة (سيح)، وتهذيب اللغة (١١٢/٥)، والصحاح (٣٧٧/١) مادة (سيح)، والنهاية في غريب الحديث (٤٣٢/٢)، ولسان العرب (٤٩٢/٢)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٣٧/٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢٥٢/١)، تفسير الطبري (١١١/١٤)، معاني القرآن للزجاج (٤٢٩/٢)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (١٨٠/٣)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٢٦٤/٤).

(٣) كما ذكرنا في الحاشية التالية أن هذا من نسخة أ ، ولعل الصحيح والله أعلم " ولا يكون بينكم وبين المسلمين قتال " أعلم .

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٢٦٤/٤)، وتفسير الطبري (١٣٢/١٤)، وتفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٣٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٦/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٦/٢)، وزاد المسير (٢٣٤/٢).

(٦) وجاء أيضا عن نحوه ابن عباس، وقتادة، والضحاك، والكلبي، ومحمد بن كعب، انظر : تفسير الطبري (١٠٢/١٤)، وأحكام القرآن للجصاص (٢٦٤/٤)، والنكت والعيون (٣٣٨/٢)، وزاد المسير (٢٣٤/٢)، وتفسير القاسمي (٣٤٧/٥)، وتفسير العز بن عبد السلام (٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٧/٥)، وتفسير الخازن (٣٣٣/٢).

وفي هذه المسألة أربعة أقوال كما ذكر ذلك الماوَرْدِي في تفسيره النكت والعيون ، منها قول الكلبي : أن الأربعة الأشهر عهد وأمان لمن لم يكن له من رسول الله ﷺ عهد ولا أمان، أما أصحاب العهود فهم على عهودهم إلى انقضاء مددهم . انظر : النكت والعيون (٣٣٧/٢-٣٣٨) وهو اختيار ابن جرير الطبري في تفسير (١٠٢/١٤) وقال عنه ابن كثير: وهذا أحسن الأقوال وأقواها، انظر : تفسير ابن كثير (١٠٢/٤).

وقد اختلفوا في أول هذه الأربعة الأشهر قال بعضهم هو من عشرين من ذي القعدة – أي عشرين بقيت – إلى عاشر ربيع الأول[١]، قال وروي في الخبر أن مكة افتتحت في سنة ثمان من الهجرة وولى رسول الله ﷺ في تلك السنة **عتّاب بن أسيد**[٢] الوقوف بالناس في الموسم واجتمع في تلك السنة في الموقف المسلمون والمشركون فلما كان سنة تسع ولى رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه وبعث معه عشر آيات من أول براءة أو تسع آيات وأمره أن يقرأها على أهل مكة وينبذ إلى كل ذي عهد عهده كما وصف الله سبحانه له فلما خرج أبو بكر رضي الله عنه نحو مكة منطلقا نزل جبريل عليه السلام فقال للنبي ﷺ أنه لا يبلغ عنك إلا رجل من أهل بيتك فدعا عليه السلام علياً رضي الله عنه فبعثه إلى مكة وقال له كن أنت الذي تقرأ هذه الآيات على أهل مكة فإنه لا يؤدي عني ذمتي إلا رجل من أهل بيتي[٣]، ومر أبا بكر فليصل بالناس فسار حتى لحق أبا بكر في الطريق فاخبره بأمر رسول الله ﷺ فمضيا فكان أبو بكر رضي الله عنه على الموسم، فلما كان يوم النحر واجتمع المشركون قام علي كرم الله وجهه عند جمرة العقبة فقال أيها الناس إني رسولُ رسولِ الله إليكم فقرأ عليهم سورة ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ إلى أخر الآيات التي أنزلت، وكان الحج في السنة التي قرأ علي كرم الله وجهه فيها هذه السورة بأمر رسول الله

---

(١) **قال المَاوَرْدِي**: " واختلفوا في أول مَدَى الأربعة الأشهر على ثلاثة أقاويل: أحدها: أن أولها يوم يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر ، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر ، قاله محمد بن كعب ومجاهد والسدي. والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، قاله الزهري. والثالث: أن أولها يوم العشرين من ذي القعدة ، وآخرها يوم العشرين من شهر ربيع الأول"، النكت والعيون (٣٣٨/٢)، وزاد المسير (٢٣٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٥/٢) وصوب الأول، والمحرر الوجيز (٥/٣)، ومفاتيح الغيب (٥٢٤/١٥).

(٢) عتاب بن أسيد بفتح أوله ابن أبي العيص بكسر المهملة ابن أمية الأموي أبو عبد الرحمن أو أبو محمد المكي له صحبة وكان أمير مكة في عهد النبي ﷺ ومات يوم مات أبو بكر الصديق فيما ذكر الواقدي لكن ذكر الطبري أنه كان عاملا على مكة لعمر سنة إحدى وعشرين. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٢٢٣/٤)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٢٣/٣)، والإصابة (٣٥٦/٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد مختصر جدا عن أبي صالح في فضائل الصحابة (١٧٥/١) رقم (١٧٧) وهو مرسل.

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس (١٧٤٥/٦).

وأخرج الحاكم بعضه في المستدرك (٥٣/٣) رقم (٤٣٧٤) وقال الحاكم والذهبي: شاذ.

وانظر: غرائب التفسير؛ للكرماني (٤٤٨/١).

ﷺ في العاشر من ذي القعدة ثم صار الحج في السنة الثانية في ذي الحجة وكان السبب في تقديم الحج في سنة العهد ما كان يفعله بنو كنانة في النسيء؛ وهو : التأخير ولذلك قال ﷺ : في حجة الوداع " ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض"(١).

وذهب بعض المفسرين إلى أن الأربعة الأشهر المذكورة في هذه الآية هي شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم(٢).

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ ﴾ فمعناه: واعلموا أنكم غير فايتين عن الله عز وجل بعد الأربعة الأشهر؛ فإنكم إن أجلتم هذه الأربعة أشهر فلن تفوتوا الله(٣).

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٧/٤) رقم (٣١٩٧) كتاب بدء الخلق، بَابُ مَا جَاءَ فِي سَبْعِ أَرَضِينَ، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٣٠٥/٣) رقم (١٦٧٩) كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، بَابُ الْمُجَازَاةِ بِالدِّمَاءِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُقْضَى فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَ .

(٢) وهذا قول الزهري أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٣٢/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٠١/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٧/٦). =

=قال ابن الجوزي : قال أبو سليمان الدمشقي : وهذا أضعف الأقوال، وقال ابن كثير بعد أن نقل قول الزهري : وهذا القول غريب، وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر حين نادى أصحاب رسول الله ﷺ بذلك، انظر: زاد المسير (٢٣٤/٢)،

وبقي في المسألة قول ثالث وهو قول محمد بن كعب القرظي، ومجاهد، والسدي : أن أولها يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر . انظر : تفسير الطبري (٩٩/١٤-١٠٠)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٣٨/٢)، زاد المسير (٢٣٤/٢) واختاره ابن جرير الطبري بقوله : وأما الأشهر الأربعة فإنها كانت أجل من ذكرنا، وكان ابتداؤها يوم الحج الأكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر، فذلك أربعة أشهر متتابعة، جُعِل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحةُ في الأرض يذهبون حيث شاؤوا لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحدٌ بحرب ولا قتل ولا سلب . انظر : تفسير الطبري (١٠٩/١٤-١١٠) وانتصر له.

(٣) ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٢٩/٢)، وبحر العلوم (٣٨/٢)، والنكت والعيون (٣٣٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٤/٢)، والمحرر الوجيز (٥/٣)، وزاد المسير (٢٣٤/٢).

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ معناه وأعلموا أن الله عز وجل معذب الكافرين في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وهو الإذلال على وجه الإهانة[١].

وقوله عز جل : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ ﴾.

معناه: وإعلام من الله عز وجل ورسوله ﷺ[٢]، يقال آذني فأذنت أي أعلمني فعلمت[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَلِيمٍ ﴾ اختلفت الراوية فيه[٤] روي عن النبي

---

(١) انظر: بحر العلوم (٣٨/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٦/٢)، وتفسير البيضاوي (٧١/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦٣/١)، وتفسير الخازن (٣٣٥/٢).

(٢) انظر : ذكره البخاري في صحيحه (٦٤/٦) كتاب تفسير القرآن، وتفسير الطبري (١١٢/١٤)، بحر العلوم (٣٨/٢)، والوسيط؛ للواحدي (٤٧٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥/٣)، ، وزاد المسير (٢٣٥/٢)، ومفاتيح الغيب (٦٣٢/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦٣/١).

(٣) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة (٩٨/١)، وتهذيب اللغة (١٥/١٥)، والنهاية في غريب الحديث (٣٩/٥)، ولسان العرب (٢٠٣/٥) مادة (أذان)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٤/٢)،

(٤) يمكن إجمال الأقوال في الآتي: من العلماء من قال: إن المقصود بيوم الحج الأكبر : يوم النحر، وهو قول علي بن أبي طالب ، وابن عباس، و عبد الله بن أبي أوفى، والمغيرة بن شعبه، وسعيد بن جبير، والشعبي، والنخعي، وغيرهم –رضي الله عن الصحابة ورحم علماء الأمة– انظر : تفسير الطبري (١١٦/١٤–١٢٦)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٣٩/٢) وهو اختيار ابن جرير الطبري انظر : تفسير الطبري (١٢٧/١٤)

ومن العلماء من قال : أن المقصود به : يوم عرفة، وهو قول : عمر بن الخطاب، وعثمان، وابن عباس، وطاؤوس، ومجاهد، وابن المسيب، وعطاء، –رضي الله عن الصحابة ورحم علماء الأمة– انظر : تفسير الطبري (١١٣/١٤–١١٦)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٣٩/٢)، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٦٩/٨)

ومن العلماء من قال : أن المقصود به : أيام الحج كلها، فعبر عن الأيام باليوم، وهو قول : مجاهد، وسفيان، والثوري، وابن جريج –رحمهم الله جميعاً– انظر : تفسير الطبري (١٢٦/١٤–١٢٧)، تفسير النكت والعيون ؛ للمَاوَرْدِي (٣٣٩/٢)، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧٠/٨) وقال الطبري بعد أن بيّن اختياره : وأما ما قال مجاهد : من

ﷺ أنه يوم النحر[١]،

وهو راوية عن **ابن عباس**[٢]، وسمى يوم النحر يوم الحج الأكبر؛ لأنه اتفقت فيه الأعياد على قول أهل الملل[٣]، وروي عن النبي ﷺ أن يوم الحج يوم عرفه[٤]، وهو رواية أخرى عن **ابن عباس**[٥]، **قال عطاء** ﷺ: الحج الأكبر هو الحج الذي فيه الوقوف بعرفه والحج الأصغر الذي

أن يوم الحج : إنما هو أيامه كلها، فإن ذلك وإن كان جائزًا في كلام العرب فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه بل الأغلبُ على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس إلى مثله من الغد وإنما محمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتابُ بلسانه . انظر : تفسير الطبري (١٢٨/١٤)

(١) أخرجه البخاري عن ابن عمر (١٧٧/٢) رقم (١٧٤٢) كتاب الحج، بَابُ الخُطْبَةِ أَيَّامَ مِنًى، وأخرجه أبو داوود (١٩٥/٢) حديث رقم (١٩٤٥) كتاب المناسك، بَابُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ.

وعن أبي هريرة: أخرجه في صحيحه (٦٥/٦) رقم (٤٦٥٧) كتاب تفسير القرآن، بَابُ {إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ المشْرِكِينَ} [التوبة: ٤]، وأخرجه مسلم في صحيحه (٩٨٢/٢) رقم (١٣٤٧) كتاب الحج، بَابُ لَا يَحُجُّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَبَيَانُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ.

وقال الحاكم:"الأقاويل فيه عن الصحابة والتابعين مختلفة منهم من قال يوم النحر ومنهم من قال يوم عرفة". المستدرك (٣٦١/٢) حديث رقم (٣٢٧٦).

وجاء عن جابر، أخرجه الترمذي (٢٦١/٣) رقم (٩٣١) أبواب الحج، بَابُ مَا جَاءَ فِي العُمْرَةِ أَوَاجِبَةٌ هِيَ أَمْ لَا؟.

وجاء عن علي، أخرجه الترمذي في السنن (٢٨٢/٣) رقم (٩٥٧) أبواب الحج، بَابُ مَا جَاءَ فِي يَوْمِ الحَجِّ الأَكْبَرِ.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٩٨/٤) رقم (٢٩٢٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢١/١٤).

(٣) قاله الحسن، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٣٢/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٢٨/١٤). وانظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧٠/٨)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٠/٢).

(٤) جاء عن علي بن أبي طالب، وأبي جحيفة، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن قيس بن مخرمة، ومجاهد، وطاووس بن كيسان، أخرجه الطبري في تفسيره (١١٣/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦). =

= وانظر: تفسير الثعلبي (٩/٥)، والنكت والعيون (٣٣٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥/٣)، وزاد المسير (٢٣٥/٢).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١١٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٨/٦). وانظر: وزاد المسير (٢٣٥/٢).

ليس فيه وقوف بعرفه وهو العمرة[١]، كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : "العمرة هي الحجة الصغرى"[٢][٣]./

٢١= أ

وقوله عز وجل : ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ورسوله معناه: أن الله عز وجل ورسوله عليه السلام بريء من المشركين، تقديره: أن الله بريء ورسوله أيضاً بريء[٤]، ومن قرأ ورسولَه بالنصب فعلى معنى : وأن رسوله بريء[٥].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٣٢/٢، ١٣٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١١٤/١٤).

وانظر: التفسير الوسيط (٤٧٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧٠/٨).

(٢) قاله مقاتل، تفسير مقاتل (١٥٦/٢).

وجاء عن ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٤/١)، وانظر: ذكره في بحر العلوم (٣٩/٢)، والدر المنثور (٥٠٤/١).

وجاء عن مجاهد، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٢٤/٣) رقم (١٣٦٦٥)، وانظر: والدر المنثور (١٢٩/٤).

وانظر: تفسير الثعلبي (٩/٥)، والنكت والعيون (٣٣٩/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٥/٢)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٢٦٩/٤)، وكل ذلك موقوف، وام أر فيه شيئا مرفوعا إلى النبي ﷺ

(٣) قال الطبري: "قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصحة، قولُ من قال: "يوم الحج الأكبر، يوم النحر"، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ أن عليًّا نادى بما أرسله به رسول الله ﷺ من الرسالة إلى المشركين، وتلا عليهم "براءة"، يوم النحر. هذا، مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ أنه قال يوم النحر: أتدرون أيّ يوم هذا؟ هذا يوم الحج الأكبر"، وتفسير الطبري (١٢٧/١٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٣٠/١٤)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٤٩/٦)، والتفسير الوسيط (٤٧٨/٢)؟، وتفسير السمعاني (٢٨٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٢٦/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٤/١).

(٥) وقراءة النصب هي قراءة يعقوب، **قال السمرقندي**: "وقرأ بعضهم وَرَسُولِهِ بنصب اللام ومعناه: أن رسوله بريء من المشركين، وهي قراءة شاذة"، بحر العلوم (٣٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٧/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ معناه: وإن تبتم من الشرك فهو خير لكم من الإقامة عليه، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾ معناه: وإن أعرضتم فاعلموا أنكم غير فائتين عن الله عز وجل[١].

وقوله عز وجل :﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ ﴾ تكرار للوعيد ، **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه أنه قال: كنت مع علي كرم الله وجهه حين بعثه رسول الله ﷺ إلى مكة بالبراءة فقيل لأبي هريرة : بم كنتم تنادون قال كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ولا يحجن هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد؛ فإن أجله إلى أربعة أشهر؛ فإذا مضت أربعة أشهر فإن الله عز وجل بريء من عهد المشركين ورسوله ﷺ[٢].

قوله عز وجل: **﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾** .

استثناء من قوله عز وجل براءة من الله ورسوله[٣]، وأراد بقوله عز وجل ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ ﴾ بني ضمرة وهم حي من بني كنانة

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/١٣١)، وبحر العلوم (٢/٣٩)، وتفسير الخازن (٢/٣٣٦).

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/٤٤٧) حديث رقم (٥١٧)، وأخرجه الدارمي في سننه (٢/٨٩٦) رقم (١٤٧٠)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٣٦١) رقم (٣٢٧٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرجه البخاري بعضه في صحيحه (٢/١٥٣) رقم (١٦٢٢) كتاب الحج، بَابُ لاَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَلاَ يَحُجُّ مُشْرِكٌ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/٩٨٢) رقم (١٣٤٧) كتاب الحج، بَابُ لَا يَحُجُّ الْبَيْتَ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَبَيَانُ يَوْمِ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ.

(٣) هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ مِنْ قَوْلِهِ: إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، انظر: تفسير مقاتل (٢/١٥٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٣٢)، وبحر العلوم (٢/٣٩)، والتفسير الوسيط (٢/٤٧٩)، وتفسير السمعاني (٢/٢٨٨)، وغرائب التفسير (١/٤٤٨)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣١٨)، وتفسير الكشاف (٢/٢٤٥)، والمحرر الوجيز (٣/٧)، وتفسير البيضاوي (٣/٧١)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٦٤)، والبحر المحيط (٥/٣٧٠).

عاهدهم رسول الله ﷺ عام الحديبية عند البيت وكان بقي لهم من عهدهم (تسعة)[١] أشهر بعد يوم النحر من السنة التي حج فيها أبو بكر رضي الله عنه وكانوا لم ينقصوا أشياء من عهدهم ولم يمالوا عدوا على رسول الله ﷺ وأمر الله عز وجل ﷺ أن يفي لهم بعهدهم إلى آخر مدتهم[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ معناه أن الله عز وجل يرضى عمل الذين يتقون نقض العهد .

قوله عز وجل : ﴿ **فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾** ﴾ .

معناه: فإذا مضت الأشهر التي حرم الله القتال بالعهد فيها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم[٣]، ويقال أراد بالأربعة الأشهر الأشهر الحرم المعروفة وهي رجب وذو

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (أربعة أ شهر).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره عن مقاتل (١٧٥٦/٦). وانظر : معاني القرآن للفراء (٤٢١/١)، بحر العلوم للسمرقندي (٣٩/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٨/٢)، وتذكرة الأريب (١٣٤/١).

(٣) وهو قول الحسن البصري، ومقاتل، **ومجاهد وابن إسحاق وابن زيد وعمر بن شعيب** انظر: تفسير مقاتل (١٥٧/٢)، وأخرج بعضها الطبري في تفسيره (١٣٧/١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٩٤/٢)، وتفسير الثعلبي (١٢/٥)، والنكت والعيون (٣٤٠/٢)، وزاد المسير (٢٣٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٨/٢)، والمحرر الوجيز (٥/٣)، وتذكرة الأريب (١٣٤/١)، ومفاتيح الغيب (٥٢٨/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧٢/٨)، وقال ابن كثير بعد أن ذكر القول الآخر:"والذي يظهر من حيث السياق ما ذهب إليه ابن عباس في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : أن المراد بها أشهر التسيير الأربعة المنصوص عليها في قوله تعالى : **فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** ثم قال : **فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ** أي : إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم فيها قتالهم وأجلناهم فيها فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم، لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر، انظر : تفسير ابن كثير (١١٠/٤-١١١)

القعدة وذو الحجة والمحرم[١] (كأنه قال إذا أنسلخ المحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وقوله عز وجل: ﴿ وَخُذُوهُمْ ﴾ أي أأسروهم[٢])[٣]، وقوله تعالى : ﴿ وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾أي احبسوهم[٤].

ويقال: أراد بذلك أن يحال بينهم وبين البيت[٥]، والحصر في اللغة : المنع[٦].

وقوله عز وجل :﴿ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ معناه : واقعدوا لقتالهم على

---

(١) وهذا رأي الجمهور، وقد نقضه البيضاوي حيث قال: " وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للإجماع فإنه يقتضي بقاء حرمة الأشهر الحرم إذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها "، تفسير البيضاوي (٧١/٣).

وانظر : معاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٠/٢)، والنكت والعيون (٣٤٠/٢) ، وزاد المسير (٢٣٦/٢)، وقال : قاله الأكثرون، وتفسير العز بن عبد السلام (٨/٢) ، وتفسير ابن جزي (٣٢/١).

(٢) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة (١٦٠/١)، وتفسير الطبري (١٣٤/١٤)، وبحر العلوم (٤٠/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٩٤/٢)، والكشاف (٢٤٧/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦٤/١)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٨٣/١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) **قال المَاوَرْدِي**: "وجهان: أحدهما: أنه استرقاقهم. والثاني: أنه الفداء بمال أو شراء"، والنكت والعيون (٣٤٠/٢).

وانظر : غريب القرآن لابن قتيبة (١٦٠/١)، وزاد المسير (٢٣٦/٢)، وبحر العلوم (٤٠/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٩٤/٢)، والكشاف (٢٤٧/٢)، وتفسير الخازن (٣٣٧/٢)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٨٣/١).

(٥) قول الكلبي، انظر : معاني القرآن للفراء (٤٢١/١)، تفسير الطبري (١٣٤/١٤)، بحر العلوم (٤٠/٢)، وتفسير الخازن (٣٣٧/٢).

(٦) يقول ابن فارس : (حصر) الحاء والصاد والراء أصل واحد : وهو الجمع والحبس والمنع . انظر : مقاييس اللغة (٧٢/٢)، وتهذيب اللغة (١٣٥/٤) مادة (حصر)، والصحاح (٦٣١/٢) مادة (حصر)، وتاج العروس (٢٤/١١) مادة (حصر)، والقاموس الفقهي (٩٠/١)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٤٢١/١).

كل طريق يأخذون فيه إلى البيت وإلى التجارة[١]، وهذا أمر بتضييق السبيل عليهم.

وقوله عز وجل : ﴿ فَإِن تَابُواْ ﴾ معناه : تابوا عن الشرك وقبلوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فأطلقوهم؛ فإن الله غفور لما سلف من شركهم رحيم بهم حين قبل توبتهم[٢]، وإنما حُمل قوله : ﴿ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ على قبول إقامة الصلاة؛ لأن أحدًا لا يشترط في رفع القتل عن الكفار إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة[٣].

قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾.

معناه: وإن أحد من المشركين استأذنك ليسمع دعوتك واحتجاجك بالقرآن فأذِنه حتى يسمع كلام الله وإن أبى أن يسلم فاردده إلى موضع أمنه ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعلمون أمر الله تعالى[٤].

والإجارة هي : عقد الجوار للإنسان ليأمن به[٥].

---

(١) انظر : معاني القرآن للفراء (٤٢١/١)، وتفسير السمعاني (٢٨٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٨/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤٧/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣٤/١٤)، والتفسير الوسيط (٤٨٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٠/٢)، وزاد المسير (٢٣٦/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨١/٨).

(٣) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٢٧٠/٤-٢٧٣)، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٧٤/٨-٧٥)، وزاد المسير (٢٣٦/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨١/٨)، والبحر المحيط (٣٧٩/٥).

(٤) انظر : تفسير مجاهد (٣٦٤/١)، وتفسير مقاتل (١٥٧/٢)، وتفسير الشافعي (٩٠٤/٢)، وتفسير الطبري (١٣٨/١٤)، (١٣٨/١٤)، بحر العلوم (٤٠/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣١/٢)، والنكت والعيون (٣٤١/٢).

(٥) انظر : النهاية في غريب الحديث (٣٣٢/١)، والفائق في غريب الحديث (٢٦٥/٣)، وتهذيب اللغة (١٢٠/١١) مادة (جور)، ولسان العرب (١٥٤/٤) مادة (جور)، وتاج العروس (٤٨٦/١٠).

وفي الآية دلالة جواز أمان الحربي[١]، وبيان أن الغرض بقتالهم الاستدعاء إلى الدين، وأن علينا تعليم دلائل صحة الدين إذا التمسوا معرفته، وأن على الإمام حفظ الحربي المستأمن إلى أن يرده إلي دار الحرب[٢]، فإنه لا يجوز للإمام إقرار الحربي في دار الإسلام مده طويلة[٣]؛ ولهذا قيل: إن المستأمن إذا أقام سنه بعد تقدم الأمان إليه قبل مضي السنة بالخروج من دار الإسلام إلى دار الحرب صار ذمياً يوضع عليه الخراج[٤].

قوله عز وجل ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾.

معناه: كيف يكون للمشركين الذين يضمرون الغدر في عهدكم عهد عند الله وعند رسوله، أي : أن يكون لهم عهد يجب الوفاء به إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم بنو ضمرة[٥][٦] فما استقاموا لكم في وفاء العهد ولم ينقضوه كما نقض غيرهم فاستقيموا لهم على

---

(١) انظر : الأوسط؛ لابن المنذر (٢٧٤/١١).

(٢) انظر : الحاوي الكبير؛ للماوردي (٣٤٠/١٤).

(٣) انظر : تفسير المنار (٩٤/١١).

(٤) انظر : أحكام القرآن للجصاص (٢٧٣/٤).

(٥) اختلف في الذين عنوا بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ ، فمنهم من قال: أنهم قوم من بني بكر بن كنانة ، قاله ابن إسحاق. والثاني: أنهم قريش ، وهو قول ابن عباس. والثالث: خزاعة ، قاله مجاهد. والرابع: بنو ضمرة ، قاله الكلبي، قال الطبري: "وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قولُ من قال: هم بعضُ بني بكر من كنانة، ممن كان أقام على عهده، ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله ﷺ وبين قريش يوم الحديبية"، تفسير الطبري (١٤٤/١٤)، وتقدم أثر بنو ضمرة.

(٦) بنو ضمرة: وضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وعريج بن بكر بطن، وأمهما الصحارية من قضاعة، وقد يقال إن أم أم عريج أم خارجة أيضا، فولد ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وولد ضمرة بن بكر بن عبد مناة: كعب، وجديّ، ومليل وعوف، وحندب. ومنهم: عمارة بن مخشي بن خويلد. انظر: أنساب الأشراف؛ للبلاذري (٨٥/١١)، وجمهرة أنساب العرب؛ لابن حزم (١٨٥/١).

٢١= ب

على القيام بوفاء أجلهم إن الله يحب المتقين لنقض العهد/، (وفي)[١]الآية دليل أن المذكورين في أول السورة إنما لم يكن لهم عهد لغدرهم وأنهم لم يستقيموا.

قوله عز وجل ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾.

معناه: كيف يكون لهم العهد[٢] وأن يكون لهم الغلبة لا يحفظوا فيكم قرابة ولا عهد وأنهم لو ظهروا عليكم لم ينفعكم قرابتكم منهم[٣]، ويقال: الإل هو الله عز وجل ، ومنه جبريل وميكائيل؛ فإن معناهما عبد الله[٤].

وعن أبي بكر الصديق[٥] رضي الله عنه أنه لما سمع كلام **مسيلمة** قال هذا كلام ليس هو من إلٍ[٦]، أي أي

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) في أ (وإن لم تكن لهم الغلبة).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤٦/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٣/٢)، وبحر العلوم (٤١/٢)، وتفسير الثعلبي (١٤/٥)، والتفسير الوسيط (٤٧٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٩/٢)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٥٣٢/١).

(٤) قاله مجاهد، وأبو مجلز، وعكرمة، انظر: تفسير الطبري (١٤٦/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٣/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٠/٢)، والمحرر الوجيز (١٠/٣)، وزاد المسير (٢٣٩/٢)، وغريب الحديث؛ لابن قتيبة (٥٣٢/١)، وتاج العروس (١٩/٢٨) مادة (إل).

(٥) عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمي أبو بكر ابن أبي قحافة الصديق الأكبر [وقيل: اسمه عتيق] خليفة رسول الله ﷺ مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة. انظر: معرفة الصحابة (٢٢/١)، والاستيعاب (١٦١٤/٤)، والإصابة (١٤٤/٤).

(٦) انظر: تفسير الثعلبي (١٥/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٣٢/١٥)، وتفسير الخازن (٣٣٨/٢)، والبحر المحيط (٣٧٧/٥)، وتفسير السمعاني (٢٩٠/٢)ن وغرائب التفسير (٣٧٢/١)، والدر المصون (١٨/٦)، وتفسير ابن كثير (٢٥٥/٤).

لم يتكلم به الله عز وجل، ويقال: الإل والأليه اليمين[١]، ويقال الإل: العهد والذمة كل ما يتذمم به من عهد أو غيره[٢]، وحقيقة الإل على ما توجبه اللغة: تحديد الشيء من ذلك الأله ( )[٣] لأنها محددة[٤]، وتأويل الإل في العهد: تحديد أخذ العهود وتأويله في القرابة تحديد القرابة والذمة ( )[٥].

قوله عز وجل: ﴿ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾ أي يتكلمون بالعهد بأفواههم وتأبى قلوبهم إلا نقض العهد[٦]، ويقال: يتكلمون بكلام الموالين لكم وتنكر قلوبهم موالاتكم وأكثرهم متمردين متمردين في الكفر[٧].

---

(١) وهو قول قتادة، انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٣/٢)، وتهذيب اللغة (٣١٢/١٥)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٤٨١/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٩/٢).

(٢) انظر: مقاييس اللغة (٢١/١) مادة (إل)، والفائق في غريب الحديث (٥٣/٣)، وغريب الحديث؛ لابن الجوزي (٣٧/١)، والنهاية في غريب الحديث (٦١/١)، ولسان العرب (٢٦/١١) مادة (إل)، وتاج العروس (١٩/٢٨) مادة (إل)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٣/٢).

(٣) توجد كلمة لم أستطع قراءتها لا من الأصل ولا من النسخة أ.

(٤) انظر: لسان العرب (٢٦/١١) مادة (إل) وقال فيها: (تحديد) بالحاء المهملة، والنهاية في غريب الحديث (٦١/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٤/٢).

(٥) توجد جملة لم أستطع قراءتها لا من الأصل ولا من النسخة أ.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١٥٨/٢)، وتفسير الطبري (١٥٠/١٤)، وبحر العلوم (٤١/٢)، وتفسير الثعلبي (١٥/٥)، وتفسير الكشاف (٢٥٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٣٢/١٥)، وتفسير البيضاوي (٧٢/٣).

(٧) **قال المَاوَرْدِي**: " يحتمل ثلاثة أوجه: أحدها: يرضونك بأفواههم في الوفاء وتأبى قلوبهم إلا الغدر. والثاني: يرضونكم يرضونكم بأفواههم في الطاعة وتأبى قلوبهم إلا المعصية. والثالث: يرضونكم بأفواهم في الوعد بالإيمان وتأبى قلوبهم إلا الشرك"، النكت والعيون (٣٤٣/٢).

وانظر: تفسير الطبري (١٥٠/١٤)، وبحر العلوم (٤١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٩/٢)، و الكشاف (٢٥٠/٢)، وزاد المسير (٢٣٩/٢)، والبحر المحيط (٣٧٨/٥).

قولــه عــز وجــل ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ ﴾

. معناه: اختاروا على القرآن عرضاً يسيرا من الدنيا وصرفوا الناس عن طاعة الله فبئس العمل عملهم.

قوله عز وجل ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

سبق تفسيره؛ فإن قيل لم أعاد قوله ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ قيل ليس هذا إعادة؛ لأن الأول ورد في جميع الكفار الذين نقضوا العهد، والثاني إنما ورد في طائفة من اليهود الذين كانوا ينقضون العهد؛ فإن هذه الطائفة منهم الذين اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا إنهم كانوا يكتمون صفة رسول الله ﷺ بشيء من المأكلة كانوا يأخذونها من سفلتهم وكانوا يأخذون الرشا على الحكم بالباطل ويغيرون أحكام الله عز وجل التي أنزلها على أنبيائهم[(١)].

ويقال: إن قوله : ﴿ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ورد في قوم من العرب كان أبو سفيان يعطيهم الناقة والطعام ليستميلهم على عداوة النبي ﷺ فكان شراءهم بآيات الله ثمناً قليلا رضاهم بذلك الطعام بدلاً عن الإيمان[(٢)].

---

(١) **قال الرازي:**" لَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ أَعَانُوا الْمُشْرِكِينَ عَلَى نَقْضِ تِلْكَ الْعُهُودِ، فَكَانَ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ ذَمَّ أُولَئِكَ الْيَهُودِ، وَهَذَا اللَّفْظُ فِي الْقُرْآنِ كَالْأَمْرِ الْمُخْتَصِّ بِالْيَهُودِ وَيَقْوَى هَذَا الْوَجْهُ بِمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَادَ قَوْلَهُ: لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً [التوبة: ١٠] وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْمُشْرِكِينَ لَكَانَ هَذَا تِكْرَارًا مَحْضًا، وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْيَهُودَ لَمْ يَكُنْ هَذَا تِكْرَارًا، فَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى"، مفاتيح الغيب (٥٣٣/١٥)، وكذا قال النحاس، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨٠/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦٦/١)، والسراج المنير (٥٩٢/١).

(٢) جاء عن مجاهد، ومقاتل، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٦٤/١)، وتفسير مقاتل (١٥٨/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٥١/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم (١٧٥٩/٦).

قولـه عـز وجـل ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾.

معناه: فإن تابوا عن الكفر وقبلوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فهم إخوانكم في دين الإسلام ونأتي بالآيات آيةً بعد آية لقوم يعلمون أمر الله عز وجل وأحكامه .

قولـه عـز وجـل ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾.

معناه: وإن نقضوا الأيمان والحلف من بعد العهود التي عاهدتم أن لا يقاتلوك ولا يعينوا عليك ولا على حلفائك وطعنوا في دين الإسلام فقاتلوا رؤساء الكفر؛ إنهم لا أيمان لهم، من قرأ أيمان بالنصب[١] معناه إنهم لا يحفظون اليمين والعهد كما يقال فلان لا عهد له على هذا المعنى[٢]، ومن قرأ لا إيمان بالخفض[٣] فمعناه قاتلوهم فإنهم قوم كفار[٤] (ويجوز أن يكون إيمان مصدر أمنه إيماناً أي أنهم لا أمان)[٥] لهم حتى يمتنعوا عن قتالهم.

---

(١) **قال الزجاج**: "بالفتح فقد وصفهم بالنكث في العهد، وهو أجودُ القراءَتين"، معاني القرآن للزجاج (٢/٤٣٥).

(٢) **قال ابن مجاهد**: "فالحجة لمن فتح أَنه أَرَادَ جمع يَمِين وَالْحجّة لمن كسر أَنه أَرَادَ مصدر آمن يُؤمن إِيمَانًا وَإِنَّمَا فتحت همزَة الْجمع لثقله وَكسرت همزَة الْمصدر لخفته وَالْفَتْح هَا هُنَا أولى لِأَنَّهَا بِمَعْنى الْيَمين والعهد أليق مِنْهَا بِمَعْنى الْإِيمَان" الحجة في القراءات السبع (١/١٧٤).

وهو قول عمار بن ياسر، وحذيفة، والثوري، ومجاهد، وصلة بن زفر، والسدي، انظر: تفسير الثوري (١/١٢٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/١٦٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٦٢)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/٤٢٥)، وبحر العلوم (٢/٤١).

(٣) الخفض قراءة ابن عامر وقرأ الباقون بالفتح، انظر: الحجة في القراءات السبع (١/١٧٤)، وحجة القراءات (١/٣١٥)، وتفسير الطبري (١٤/١٥٧)، وبحر العلوم (٢/٤١).

(٤) وهو قول الحسن، انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/٤٢٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/١٨٩)، وتفسير الطبري (١٤/١٥٧)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٣٥)، وبحر العلوم (٢/٤١).

(٥) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (ويجوز أن يكون الإيمان مصدر أمنته إيمانا أي أنهم لا أيمان).

وقوله عز وجل :﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ معناه: ليرجى منهم الانتهاء عن الكفر ونقض العهد، ومن قرأ أئمة بهمزتين[١] فإن الأصل في جمع الإمام آأممة على وزن (أمثال)[٢] وأمثله ولكن أدغمت إحدى الميمين في الأخرى لاجتماعهما، وألقيت حركتها إلي الهمزة فصارت أامة؛ إلا أن أكثر القراء والنحويين جعلوا إحدى الهمزتين ياءً خالصة؛ لأنهما لا يجتمعان في كلمة واحدة[٣].

وفي الآية بيان أن أهل العهد متى خالفوا شيئا مما عاهدوا (عليه)[٤] فقد نقضوا العهد؛ وذلك لأن نكث الأيمان يكون بمخالفة بعض المحلوف عليه إذا كانت اليمين على وجه النفي كمن يحلف ويقول والله لا كلمت زيدا ولا عمرًا، ولا (دخلت)[٥] هذه الدار ولا هذه الدار ولا هذه؛ هذه؛ فإنه يحنث بأي ذلك فعل وهذا مما لا شُبهة فيه[٦]؛ فأما إذا طعن واحد من أهل العهد

---

(١) قراءة الكوفيون وابن عامر، انظر: حجة القراءات (٣١٥/١)، والحجة في القراءات السبع (١٧٣/١).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (مثال).

(٣) قال ابن خالويه:"قوله تعالى فقاتلوا أئمة الكفر يقرا بهمزتين مفتوحة ومكسورة وبهمزة وياء فالحجة لمن حقق الهمزتين أنه جعل الأولى همزة الجمع والثانية همزة الأصل التي كانت في إمام أأممة على وزن أفعلة فنقلوا كسرة الميم إلى الهمزة= =وأدغموا الميم في الميم للمجانسة، والحجة لمن جعل الثانية ياء أنه كره الجمع بين همزتين فقلب الثانية ياء لكسرها بعد أن لينها وحركها لالتقاء الساكنين، وروى المسيبي عن نافع أنه قرأ أآيمة بمدة بين الهمزة والياء والحجة له في ذلك أنه فرق بين الهمزتين بمدة ثم لين الثانية فبقيت المدة على أصلها"، الحجة في القراءات، وانظر: معاني القرآن؛ للأخفش (٣٥٥/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٤/٢)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١١١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٨٠/٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢١/٢).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) انظر: البحر المحيط (٣٧٩/٥)، وتفسير ابن كثير (١١٦/٤).

في دين الإسلام[١]؛ فإن كان شرط في عهودهم أن لا يذكروا كتاب الله عز وجل ولا يذكروا محمد ﷺ بما لا ينبغي ولا يفتنوا مسلما عن دينه ولا يقطعوا عليه طريقا ولا يعينوا أهل الحرب بدلالة على/ المسلمين وأنهم إذا فعلوا ذلك فقد برءت منهم ذمة الله عز وجل وذمة محمد رسوله ﷺ، ففعلوا شيئا من هذه الأشياء حل دمهم وإن كان لم يشترط ذلك في عهودهم فطعنوا في القرآن أو شتموا النبي ﷺ ففي هذا خلاف بين الفقهاء[٢]، قال أصحابنا رحمهم الله: يُقَرون ولا يقتلون، واستدلوا بما روي عن **أنس بن مالك**[٣] رضي الله عنه "أن امرأة يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة فأتي بها (فأكل منها فجيء بها)[٤] فقيل : ألا تقتلها ؟ قال لا"[٥]، وبحديث وبحديث **عائشة**[٦] رضي الله عنها "أن قوم من اليهود دخلوا على النبي ﷺ فقالوا السام عليك قالت ففهمتها فقلت وعليكم السام واللعنة فقال النبي ﷺ مهلا يا عائشة فإن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله فقلت يا رسول الله ألم تسمع ما قالوا فقال ﷺ بلى قد قلت

٢٢= أ

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٥٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٢/٢)، وتفسير ابن كثير (١١٦/٤)، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (٣٠٦/٤).

(٢) **قال الزجاج**: "وهذه الآية توجب قَتلَ الذِميِّ إذا أظْهَرَ الطعنَ في الإسلام لأن العهد معقود عليه بألَّا يطعَنَ، فإذا طعنَ فقد نكث"، معاني القرآن (٤٣٤/٢)، وانظر: تفسير الكشاف (٢٥١/٢)، والمحرر الوجيز (١٢/٣)، ومفاتيح الغيب (٥٣٥/١٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٦٧/١)، وتفسير الخازن (٣٣٩/٢)، وتفسير ابن كثير (١١٦/٤).

(٣) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين مشهور [لقبه ذو الأذنين] مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة.انظر: معرفة الصحابة (٢٣١/١)، والاستيعاب (١٠٩/١)، والإصابة (٢٧٥/١).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه (١٦٣/٣) رقم (٢٦١٧) كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ قَبُولِ الهَدِيَّةِ مِنَ المُشْرِكِينَ، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٧٢١/٤) رقم (٢١٩٠) كتاب الآداب، باب السم.

(٦) عائشة بنت أبي بكر الصديق أم المؤمنين، الحميراء، أفقه النساء مطلقا وأفضل أزواج النبي ﷺ إلا خديجة ففيهما [ففيها] خلاف شهير ماتت سنة سبع وخمسين على الصحيح. انظر: معرفة الصحابة (٣٣٩٢/٦)، والاستيعاب (١٨٨١/٤)، والإصابة (٢٣١/٨).

وعليكم"(١) ولم يقتلهم النبي ﷺ بذلك، وذهب **مالك** إلى أن من شتم النبي ﷺ من اليهود والنصارى قتل إلا أن يسلم (٢).

قوله عز وجل ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾.

في الآية تحريض للمؤمنين على القتال روي عن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما وغيره أن قريشا أعانوا الديل بن بكر(٣)، وكانوا حلفاؤهم على خزاعة وخزاعة حلفاء النبي ﷺ فهزموا خزاعة فجاء وفد خزاعة إلى رسول الله ﷺ وأخبره بالقصة وناشده حلِفه وهو يقول(٤):

لا هُمَّ إنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّداَحِلْفَ أبينَا وأبيهِ الأَتْلَدَا ... كنتَ لَنَا أبـاً وكُنَّا وَلَدَا

ثُمَّتَ أسلَمْنَا ولمْ نَنْزِعْ يَـدَا ... فانصُرْ هَـداكَ اللهُ نَصْراً أبَدَا

وادْعُ عِبَادَ اللهِ يأْتُوا مَـدَدَا ... فِيهِمْ رسُـولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا

إنَّ قُرِيشاً أخلفُوكَ المَوْعِـدَا ... ونَقَضُوا ميثاقَـك المؤَكَّدَا

وبيوتنا بالوتير هجـدا ... نَتَلوا القرآن رُكعاً و سجـدا

---

(١) متفق عليه؛ أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٤٤) رقم (٢٩٣٥) كتاب الجهاد والسير، بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٧٠٦) رقم (٢١٦٥) كتاب الآداب، بَابُ النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ.

(٢) انظر: التمهيد (٦/١٦٨)، والبيان والتحصيل (١٦/٣٩٧)، منح الجليل شرح مختصر خليل (٩/٩)، المحرر الوجيز (٣/١٢).

(٣) الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، من كنانة بن خزيمة، رهط أبي الأسود الديلي، وولد الديل بْن بَكْر بْن عَبْدِ مناة بْن كنانة: عدي بن الديل. والحارث بن الديل. وصبيغ بن الديل وأمهم منيعة بنت خلاوة من مزينة، ويقال إنها من جُهَيْنَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ سَوْدِ بن أسلم بن الحاف بن قضاعة. انظر: مختلف القبائل ومؤتلفها، (١/٤٦)، وأنساب الأشراف (١١/١٠٦)، والإنباه على قبائل الرواة (١/٥٢).

(٤) القائل عمرو بن سالم الخزاعي.

فقال رسول الله ﷺ:" لا نصرت إن لم أنصرهم"، فقال له أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أتنصرهم على قومنا ؟ فقال: "لا نصرت إن لم أنصرهم"[١]، ثم (أمر)[٢] الناس أن يتجهزوا إلى فتح مكة ففتحها الله عز وجل على يديه وأحل رسول الله ﷺ يومئذ القتال لخزاعة ولم يحله لأحد غيرهم فذلك قوله عز وجل : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ يعني قريشا نقضوا عهودهم وهموا بإخراج الرسول من مكة حين أجمعوا على قتله بدار الندوة[٣] [٤].

وقوله :﴿ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ معناه: وهم الذين بدءوا بنقض العهد حيث قاتلوا حلفاء رسول الله ﷺ[٥].

وقوله عز وجل :﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ﴾ معناه: أتخشون أن ينالكم من قتالهم مكروه

فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى إن كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه بمعناه (٣٩٨/٧) رقم (٣٦٩٠٠)، والأموال لابن زنجويه (٤٠٥/١) رقم (٦٧٥)، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (٦٦/٥) رقم (٢٩١٤)، وأخرجه البزار في منسنده مختصرا (٣٣٦/١٤) رقم (٨٠١٣)، وأخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٩١/٣)، ، وأخرجه الطبراني في المعجم الصغير (١٦٧/٢) رقم (٩٦٨)، وفي المعجم الكبير (٤٣٣/٢٣) رقم (١٠٥٢)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغرى (١٦/٤) رقم (٢٩٦٢).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) دارُ النّدْوَة: بمكة أحدثها قصيّ بن كلاب بن مرة لما تملك مكة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها للمشاورة، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصيّ، ولفظه مأخوذ من لفظ النديّ والنادي والمنتدى، وهو مجلس القوم الذين يندون حوله أي يذهبون قريبا منه ثم يرجعون، معجم البلدان (٤٢٣/٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٥٩/٢)، وتفسير الطبري (١٥٨/١٤)، والتفسير الوسيط (٤٨١/٢)، والوجيز (٤٥٥/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٢/٢)، وزاد المسير (٢٤١/٢).

(٥) حكى فيها الطبري قولين، فقال: "يعني فعلهم ذلك يوم بدر، وقيل: قتالهم حلفاء رسول الله ﷺ من خزاعة"، قال الرازي: "وهو قول الأكثرين"، انظر: تفسير الطبري (١٥٨/١٤)، وانظر: بحر العلوم (٤٢/٢)، والمحرر الوجيز (١٣/٣)، وزاد المسير (٢٤١/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٣٥/١٥)، وتفسير البيضاوي (٧٣/٣).

قوله عز وجل ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

معناه: قاتلوا أهل مكة يعذبهم الله بأيديكم بالسيف ويذلهم ويعينكم عليهم ويشف صدور بني خزاعة الذين يثبت عليهم بنو بكر ويذهب حنق قلوب بني خزاعة فشفى الله عز وجل صدورهم يوم فتح مكة ، وفي هذا دليل على نبوة محمد ﷺ[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ معناه ويتوب الله على من يشاء من أهل مكة فيهديه للإسلام والله عليم بجميع الأشياء حكيم في جميع الأمور، وذهب بعض المفسرين إلى أن قوله عز وجل : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ ﴾ ورد في يهود المدينة الذين كانوا ينقضون عهد النبي ﷺ وكانوا هموا بإخراج الرسول ﷺ من المدينة كما أخرجه المشركون من مكة إلا أن القول الأول أشهر وأقرب إلى ظاهر الآية وبالله التوفيق[٣].

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٣٦)، وزاد المسير (٢/٢٤١)، ومفاتيح الغيب (١٥/٥٣٦).

(٢) **قال الزجاج:** "وفيها دليل على تثبيت النُبُوة، لأنه قال عزَّ وجلَّ: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) فوعدهم اللَّه النصْرَ وَوَفَّى به، ودل على صدق ما أتى به النبي – ﷺ "، معاني القرآن (٢/٤٣٦)، وانظر: بحر العلوم (٢/٤٢)، وتفسير الكشاف (٢/٢٥٢).

(٣) **قال ابن الجوزي:** "قولان: أحدهما: أنهم أبو سفيان في جماعة من قريش، كانوا فيمن همّ بإخراج الرّسول ﷺ من مكة. والثاني: انهم قوم من اليهود، غدروا برسول الله ﷺ، ونقضوا عهده وهمّوا بمعاونة المنافقين على إخراجه من المدينة". زاد المسير (٢/٢٤١)، وانظر: المحرر الوجيز (٣/١٣)، وتفسير البيضاوي (٣/٧٣)، والسراج المنير (١/٥٩٣).

قولـه عـز وجـل ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.

معناه: أظننتم أيها المؤمنين أن تتركوا على الإقرار والتصديق فلا تؤمروا بالجهاد[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ﴾ معناه: ولم يرى الله جهادكم حين تجاهدون ولم يرى الله الذين لم يتخذوا منكم من الكافرين بطانة يفشون إليهم سرهم وأمرهم وكان الله عز وجل قد علم قبل أمرهم بالقتال من يقاتل ومن لا يقاتل؛ ولكنه/ يعلم غيبا وأراد العلم الذي يجازي عليه وهو علم المشاهدة؛ لأنه يجازيهم على عملهم لا على علمه منهم[٢]، وقد يجوز أن ينفى المعلوم بنفي العلم على جهة التأكيد وهذا كما يقول الرجل إذا أُدعي عليه أمر هذا مما لم يعلمه الله عز وجل مني؛ أو هذا مما علمه الله تعالى مني، وكما قال الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [٣] أي بما ليس فيهما، والحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع عليه[٤]، والوليجة: الدخيل في القوم من غيرهم، من ولج الشيء يلج ولوجاً إذا دخل[٥].

٢٢= ب

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦٣/١٤)، وبحر العلوم (٤٥/٢)، وتفسير الثعلبي (١٧/٥)، وتفسير السمعاني (٢٩٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٢/٢)، وتفسير الكشاف (٢٥٣/٢).

(٢) انظر: بحر العلوم (٤٥/٢)، وتفسير القرآن العزيز؛ لابن أبي زمنين (١٩٧/٢)، والتفسير الوسيط (٤٨٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٣/٢)، وزاد المسير (٢٤٢/٢).

(٣) سورة يونس آية (١٨).

(٤) فيكون بمعنى الظن، انظر: تهذيب اللغة (١٩٢/٤) مادة (حسب)، ومجمل اللغة (٢٣٣/١) مادة (حسب)، ومقاييس اللغة (٥٩/٢) مادة (حسب)، والمصباح المنير (١٣٤/١) مادة (حسب).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٣١/١١) مادة (ولج)، ولسان العرب (٤٠٠/٢) مادة (ولج)،وتاج العروس (٢٦٢/٦) مادة (ولج)، والنهاية في غريب الحديث (٢٢٤/٥).

وقوله عـز وجـل : ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ ﴾ أي عـالم بأعمـالكم وفي هـذا تهديـد للمنـافقين وموعظـة للمخلصين.

قوله عز وجل ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾** ﴾.

وذلك أنه لما أسر بعض المشركين يوم بدر أقبل عليه رجل من الأنصار وأناس معه من المهاجرين فعيروه بالكفر بالله عز وجل وقطعه الرحم وعون المشركين على رسول الله ﷺ، فقال الرجل: يا فلان ما لكم تذكرون مساوئنا ولا تذكرون محاسننا ؟ فقال: وهل لكم من محاسن ؟ قال: نعم إن كنتم تجاهدون الأعداء مع رسول الله ﷺ فنحن نعمر المسجد الحرام، ونفك العاني، ونحجب البيت[(١)] ونفادي الأسير، ونسقي الحاج، فنحن أفضل منكم أجرا؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآيات رداً عليهم[(٢)]، ومعناها ما كان للمشركين أن يقوموا بعمارة المساجد وأن المساجد لله، والعمارة على وجهين تذكر ويراد بها البناء وتجديد ما انهدم منها، وتذكر ويراد بها الزيارة، ومن ذلك العمرة معناها زيارة البيت يقال فلان من عمار المساجد ومجلس فلان عامر بفلان فانتظمت الآية نهي المشركين عن بناء المساجد وعن عمارتها بالطاعة؛ فإنهم إنما يعمرونها بعبادة الأوثان ومعصية الله عز وجل[(٣)]،

---

(١) في أ (الكعبة).

(٢) أخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٤٣/١)، وذكره مقاتل في تفسيره (١٦٢/٢).

وانظر: بحر العلوم (٤٦/٢)، وتفسير الثعلبي (١٨/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٣/٢)، وتفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢٥٤/٢)، وزاد المسير (٢٤٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨٩/٨)، وتفسير البيضاوي (٧٤/٣)، وتفسير الخازن (٣٤١/٢)، والبحر المحيط (٣٨٥/٥)، وتفسير أبي السعود (٥٠/٤).

(٣) **قال الواحدي**: "وأكثر المفسرين: حملوا العمارة ههنا على دخول المسجد الحرام والقعود في"، التفسير الوسيط (٤٨٢/٢).

وانظر: النكت والعيون (٣٤٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٣/٢)، وزاد المسير (٢٤٢/٢)، ومفاتيح الغيب (١٨/٤)، وتفسير الخازن (٣٤١/٢).

ومن قرأ مسجد الله على التوحيد[١] أراد به المسجد الحرام خاصة[٢].

وقوله عز وجل :﴿ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم ﴾ نصب على الحال[٣]، على معنى ما كانت لهم عمارة المسجد في حال إقرارهم بالكفر وهم كانوا لا يقولون نحن كفار ولكن كان كلامهم يدل على كفرهم وهذا كما يقول الرجل لآخر كلامك يشهد إنك ظالم[٤]، وهو قول **الحسن** رحمه الله[٥]، **وقال السدي**: شهادتهم على أنفسهم بالكفر أن اليهودي لو قيل له ما أنت قال يهودي ويقول النصراني هو نصراني ويقول المجوسي هو مجوسي[٦].

---

(١) **قال ابن مجاهد**:"قَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو: أَن يعمروا مَسْجِد الله، على الْوَاحِد، و: إِنَّمَا يعمر مَسْجِد الله، على الْجمع وَقَرَأَ عَاصِم وَنَافِع وَابْن عَامر وَحَمْزَة والكسائى على الْجمع فيهمَا"، السبعة في القراءات (٣١٣/١)، وانظر: الحجة في القراءات السبع (١٧٤/١)، وحجة القراءات (٣١٦/١).

(٢) **قال النحاس**: "مساجد الله فتحتمل قراءته معنيين أحدهما أن يكون لجميع المساجد والآخر أن يراد به المسجد الحرام خاصة وهذا جائز فيما كان من أسماء الجنس كما يقال قد صار فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا والقراءة مساجد أصوب لأنه يحتمل المعنيين وقد أجمعوا على قراءة قوله إنما يعمر مساجد الله على الجمع"، معاني القرآن (١٩١/٣).

وانظر: معاني القرآن؛ للفراء (٤٢٦/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٤٨/١)، وحجة القراءات (٣١٦/١)، وروح المعاني (٢٥٩/٥).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٧/٢)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١١٢/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٣/٢)، ومفاتيح الغيب (٩/١٦).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٧/٢)، وبحر العلوم (٤٥/٢)، وتفسير ابن جزي (٣٣٣/١).

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (١٨/٥) والنكت والعيون (٣٤٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٣/٢)، ومفاتيح الغيب (٩/١٦).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٦٥/١٤)، وانظر: بحر العلوم (٤٦/٢)، والنكت والعيون (٣٤٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٣/٢)، وزاد المسير (٢٤٢/٢)، ومفاتيح الغيب (٩/١٦).

وقوله عز وجل : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ ﴾ معناه أن الكفر أذهب ثواب أعمالهم التي هي من جنس طاعة المؤمنين.

وقوله عز وجل :﴿ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴾ ظاهر المراد ، ثم بين الله عز وجل من يكون أولى بعمارة المسجد الحرام ، فقال عز من قائل ﴿ **إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨** ﴾.

معناه: إنما يعمر مساجد الله من آمن بطاعة الله ومن كان بهذه الصفة[١]، وقوله :﴿ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أراد به إقامة الصلاة المفروضة وإيتاء الزكاة الواجبة في ماله، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ ﴾ أي لم يخف من غيره ولم يرجو إلا ثوابه[٢]، وكلمة عسى من الله واجبة والفائدة في ذكرها في آخر هذه الآية ليكون الإنسان على حذر من فعل ما يحبط ثواب عمله[٣].

---

(١) في أ معناه (إنما يعمر مساجد الله بطاعة الله من كان بهذه الصفة).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٦٣/٢)، وتفسير الطبري (١٦٧/١٤)، وبحر العلوم (٤٦/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٤/٢)، والمحرر الوجيز (١٦/٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦٨/١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١٩٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٤/٢)، وزاد المسير (٢٤٣/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٩١/٨).

قوله عز وجل ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) ﴾ .

في الآية حذف وتقديرها أجعلتم صاحب سقاية الحاج كمن آمن ويقال أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن بالله(١).

وقوله عز وجل : ﴿ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ﴾ أي لا يستوون عنده في الثواب والفضل، وقوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ أي لا يرشدهم إلى الحجة ما داموا مصرين على كفرهم ويقال لا يرشدهم إلى الجنة والثواب(٢).

قوله عز وجل ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) ﴾ .

معناه: الذين صدقوا بتوحيد الله وهاجروا من أوطانهم إلى الرسول ﷺ وجاهدوا العدو في طاعة الله عز وجل أعظم درجة من غيرهم(٣)، ويقال معناه أعظم درجة /من هؤلاء الذين افتخروا بعمارة البيت وسقاية الحاج(٤)؛ وإنما قال أعظم وإن لم يكن للكفار درجه عند الله؛ لأنهم كانوا

٢٣= أ

---

(١) انظر: بحر العلوم (٤٦/٢)، وزاد المسير (٨٩/١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٩١/٨).

وقدره الزجاج (بأهل) فقال: "المعنى أجعلتم أهل سِقَايَةَ الحَاجِّ وأهْلَ عِمَارَةِ المسْجِدِ الحرامِ"، معاني القرآن (٤٣٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٥/٢)، وإعراب القرآن وبيانه (٧٠/٤)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١٩٢/٣).

(٢) انظر: بحر العلوم (٤٧/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٨/٢)، وبحر العلوم (٤٧/٢)، والكشاف (٢٥٦/٢)، والمحرر الوجيز (١٧/٣)، وتفسير القاسمي (٣٦٥/٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٧٣/١٤)، وتفسير الثعلبي (٢٠/٥)، والنكت والعيون (٣٤٨/٢)، والتفسير الوجيز (٤٥٨/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٢٧/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٩٣/٨)، والسراج المنير (٥٩٧/١).

يعتقدون أن لهم درجه عند الله[1]، وهذا كما قال الله عز وجل " ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾[2].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ معناه أن المهاجرين هم الظافرون بأمانيهم من الخير [3].

قوله عز وجل ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾.

معناه: يبشرهم ربهم في الدنيا على ألسنة الرسل بنجاة من العذاب في الآخرة ورضوان من الله عز وجل عنهم، ويبشرهم بجنات لهم فيها نعيم دائم لا يزول عنهم[4].

وقوله عز وجل : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ معناه دائمين فيها أبداً مع كون النعيم مقيماً لهم[5]، وقوله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ أي ثواب كبير في الجنة والأجر هو الجزاء على العمل والرضوان إرادة الخير.

---

(١) **قال السمعاني**: "كيفَ يَسْتَقِيم قَوْله: {أعظم دَرَجَة عِنْد الله} وَلَيْسَ للْمُشْرِكين دَرَجَة أصلا؟ الْجَواب من وَجْهَيْن:

أَحدهمَا: أعظم دَرَجَة من درجتهم على تقديرهم فِي أنفسهم؛ وَهَذَا مثل قَوْله تَعَالَى: {أَصْحَاب الْجنَّة يَوْمئِذٍ خير مُسْتَقرًّا وَأحسن مقيلا} وَمَعْنَاهُ: على تقديرهم فِي أنفسهم.وَالثَّانِي: أَن هَؤُلَاءِ الصِّنْف من الْمُؤمنِينَ أعظم دَرَجَة عِنْد الله من غَيرهم"، تفسير السمعاني (٢٩٦/٢)، وانظر: مفاتيح الغيب (١٣/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٩٣/٨)، وتفسير المنار (١٩٨/١٠).

(٢) سورة الفرقان آية (٢٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧٣/١٤)، والبحر المحيط (٣٨٩/٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٦٤/٢)، وتفسير الطبري (١٧٤/١٤)، وبحر العلوم (٤٧/٢)، ومفاتيح الغيب (١٥/١٦).

(٥) انظر: تفسير الخازن (٣٤٣/٢)، وفتح القدير (٣٩٤/٢).

قولـه عـز وجـل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾.
نزلت في المهاجرين[١]، معناه: لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم الذين بمكة أولياء تنتصرون بهم وتنصرونهم إن اختاروا الكفر على الإيمان[٢].

وقوله عز وجل :﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ إنما جعلهم ظالمين لموالاة الكافرين؛ لأن الراضي بالكفر يكون كافراً، ثم أنزل الله عز وجل في القوم الذين كانوا أسلموا بمكة وكانوا يريدون الهجرة إلى المدينة فتعلق بكل رجل قومه وزوجته فقالوا ننشدك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع فرق لهم وجلس معهم وترك الهجرة[٣]، فأنزل الله عز وجل قوله ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

---

(١) جاء عن ابن عباس، ومقاتل، ومجاهد، انظر: تفسير مقاتل (٢/١٦٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/١٧٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٧٠)، وانظر: بحر العلوم (٢/٤٧)، والتفسير الوسيط (٢/٤٨٦)، وتفسير السمعاني (٢/٢٩٧)، وتفسير الكشاف (٢/٢٥٧).

وذكر ابن الجوزي في سبب نزولها خمسة أقوال، انظر: زاد المسير (٢/٢٤٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/١٧٥) ، و بحر العلوم (٢/٤٧)، وتفسير السمعاني (٢/٢٩٧)، ومفاتيح الغيب (١٦/١٧)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٩٥).

(٣) جاء ذلك عن ابن عباس، انظر: تفسير الطبري (١٤/١٧٦)، والوجيز (١/٤٥٨)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٤/٣٩٩)، وتفسير الثعلبي (٩/٣٢٩)، وزاد المسير (٢/٢٤٤)، وتفسير الخازن (٢/٣٤٤)، والسراج المنير (١/٥٩٧)، وروح البيان (٣/٤٠٣).

معناه: قل للذين تركوا الهجرة إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ونساؤكم وقرابتكم وأموال اكتسبتموها بمكة وتجارة تخافون كسادها أي إذا اشتغلتم بطاعة الله عز وجل ومنازل يعجبكم الإقامة بها بمكة أحب إليكم من طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة وأحب إليكم من الجهاد في طاعة الله فانتظروا حتى يأتي الله بفتح مكة ويقال حتى يأتي بعذاب عاجل أو آجل[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ معناه انه لا يهديهم إلى جنته وثوابه ونيل كرامته، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال "من أوثق عرى الإسلام الحب في الله والبغض في الله"[٢].

(١) **قال المَاوَرْدِي**: "وجهان: أحدهما: أنه فتح مكة ، قاله مجاهد. والثاني: حتى يأتي الله بأمره من عقوبة عاجلة أو آجلة"، النكت والعيون (٢/٣٤٩). =

=وانظر: تفسير مقاتل (٢/١٦٤)، وتفسير الطبري (١٤/١٧٧)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/١٩٩)، وتفسير الكشاف (٢/٢٥٧).

(٢) أخرجه الطيالسي في مسنده (٢/١١٠) رقم (٧٨٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٧/٨٠) رقم (٣٤٣٣٨)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٠/٤٨٨) رقم (١٨٥٢٤)، وأخرجه الروياني في مسنده (١/٢٧٠) رقم (٣٩٩)، كلهم عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

وجاء أيضا عن ابن مسعود: أخرجه ابن أبي شيبة في مسنده (١/٢١٧) رقم (٣٢١)، وأخرجه ابن بشران في الأمالي (١/٣٣٢) رقم (٧٧٤). وقال الألباني: حسن لغيره، صحيح الترغيب (٣٠٣٠).

قوله عز وجل ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وذلك أن رسول الله ﷺ خرج من مكة بعد أن فتحها، وكان فتحها في بقيه أيام من رمضان فمكث بها حتى دخل شوال فخرج متوجها إلى حنين وبعث رجلاً من بني سُليم عيناً له يقال له **عبد الله بن أبي حدرد** فأتى حنينا فكان بينهم يسمع أخبارهم وسمع **مالك بن عوف** يقول لأصحابه أنتم اليوم أربعه آلاف رجل فإذا لقيتم العدو فاحملوا عليهم حملة رجل واحد فو الله لا تضربون بأربع آلاف سيف شيئا إلا أُفرج لكم وكان مالك بن عوف على هوزان، وكنانة بن عبد بن ياليل[1] على ثقيف فأقبل ابن أبي حدرد حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بمقالتهم فخرج رسول الله ﷺ متوجهاً إليهم في عشرة آلاف رجل أكثر ما كانوا فقال رجل من المسلمين والله يا رسول الله لا نغلب اليوم من قلة[2] فساء رسول الله ﷺ كلمته وابتلى الله المسلمين بكلمته تلك فلما التقوا حمل عليهم العدو حملة رجل واحد فلم يقوموا لهم حلبة شاه وانكشفوا وتبعهم القوم في أدبارهم وكان رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث يقود به/ والعباس بن عبد المطلب آخذ بالثغر وحَوْلَ رسول الله ﷺ يومئذ نحو من ثلثمائة رجل من المسلمين وانهزم سائر الناس عنه فجعل عليه السلام يناديهم يا معشر المهاجرين إليَ ويا معشر الأنصار إليَ أين أصحاب الصفة وأين أصحاب سورة البقرة وكان العباس يناديهم يا معشر المهاجرين أين الذين بايعوا تحت الشجرة ويا معشر الذين آووا ونصروا هلموا فإن هذا رسول الله ﷺ وكان رجلا صيتا فرفع صوته فأسمع الفريقين المسلمين

٢٣= ب

(١) في أ (وكنانة ابن عبد ياليل).

(٢) في أ (لا نغلب اليوم من كثره).

والمشركين فاقبل المسلمون لنصر الله وأقبل المشركون ليطفئوا نور الله فأنزل الله من السماء جنودا لم يروها وعذب الذين كفروا وأظهر المسلمين عليهم وهرب أمير المشركين مالك بن عوف النضري حتى أتوا أوطاسا وبها عيالهم وأموالهم وقد جمعوا بها فبعث إليهم رسول الله ﷺ رجلا من الأشعريين يقال له أبو عامر وأمَّره على الناس فسار إليهم حتى أتاهم أوطاسا فاقتتلوا بها ثم هزمهم الله وسبى المسلمون عيال المشركين فهرب مالك بن عوف فأتى الطائف فتحصن بها وأُخذ أهله وماله فيمن أخذ وقتل أبو عامر ثم أتى رسول الله ﷺ الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو الشهر الحرام انصرف رسول الله ﷺ فأتى الجعرانة وأحرم منها بالعمرة وقسم السبي والمال ثم إن مالك بن عوف قال لأصحابه هل لكم أن تصيبوا من محمد مالاً قالوا نعم فأرسل إلى النبي ﷺ أني أريد أن أسلم فما تعطيني قال عليه الصلاة والسلام أعطيك مائة من الإبل ورعاتها فجاء وأسلم وأقام يوما أو يومين فلما رأى المسلمين ورقتهم وزهدهم واجتهادهم رق لذلك فقال له رسول الله ﷺ يا بن عوف ألا نفي لك ما وعدناك ؟ قال: يا رسول الله أمثلي يأخذ على الإسلام شيئا !! ثم أسلم أهل الطائف وكان مالك بن عوف بعد ذلك ممن افتتح عامة الشام[1]، ومعنى هذه الآيات لقد أعانكم الله على أعدائكم في مواضع كثيرة من قتال بدر وحرب قريظة والنضير وخيبر وفتح مكة[2].

---

(١) الحديث أخرجه مطولا مع اختلاف في بعض ألفاظه: عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٣٩) رقم (١٠٦٤)، وأخرجه أبو عوانة في المستخرج (٤/٢٧٨) رقم (٦٧٥٤)، وأخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/١٢٠)، وأخرجه الواقدي في المغازي (٣/٨٩٠)، وابن هشام في السيرة (٢/٤٤٤)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/١٨٠)، وأخرجه السمرقندي في بحر العلوم (٢/٤٩)، وأصله في البخاري مختصر جدا، صحيح البخاري (٥/١٥٣) رقم (٤٣١٥، ٤١٧) كتاب المغازي، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ. ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ}.

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٦٤)، وبحر العلوم (٢/٤٨).

وقوله عز وجل :﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ﴾ معناه: وأعانكم يوم حنين، وحنين- اسم واد بين مكة والطائف — وأُضيف اليوم إلى حنين لوقوع الحرب يومئذٍ بها[١].

وقولـه : ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ معنـاه: سـرتكم كثـرتكم والإعجـاب هـو السرور بالعجب، وقوله : ﴿ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا ﴾ معناه: فلم تدفع عنكم كثرتكم سوء ولا أغنتكم عن الحاجة إلى معونة الله عز وجل[٢].

وقوله عز وجل :﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ معناه: لم تجدوا (من الأرض)[٣] موضعا للفرار إليه فضاقت عليكم الأرض مع سعتها من خوف العدو[٤]، وقوله عز وجـل :﴿ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ معنـاه فأعرضـتم منهـزمين لا تلـوون علـى أحـد والإدبـار الذهاب إلى الخلف[٥].

---

(١) حُنَينٌ: يجوز أن يكون تصغير الحنان، وهو الرحمة، تصغير ترخيم، ويجوز أن يكون تصغير الحنّ، وهو حيّ من الجن، وقال السّهيلي: سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل، قال: وأظنه من العماليق، حكاه عن أبي عبيد البكري، وهو اليوم الذي ذكره جلّ وعز في كتابه الكريم: وهو قريب من مكة، وقيل: هو واد قبل الطائف، وقيل: واد بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي: بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، وهو يذكر ويؤنث، انظر: معجم البلدان (٣١٣/٢)، وتفسير الطبري (١٧٨/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٣٩/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٨/٢).

(٢) انظر: التفسير الوسيط (٤٨٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٣/٢)، وتفسير مفاتيح الغيب (١٩/١٦).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٦٤/٢)، وتفسير الطبري (١٧٩/١٤)، وبحر العلوم (٥٠/٢)، و التفسير الوسيط (٤٨٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٩/٢)، و مفاتيح الغيب (١٩/١٦)، وتفسير البيضاوي (٧٦/٣).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (٧٦/٣)، وبحر العلوم (٥٠/٢)، والمحرر الوجيز (١٩/٣)، وفتح القدير (٣٩٧/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾ معناه أنزل الله رحمته وأمنه على رسوله وعلى المؤمنين حين عادوا وظفروا[١]، والسكينة في اللغة اسم لما (يسكن إليه القلب)[٢] [٣] ، **وقال الحسن** رضي الله عنه أراد بالسكينة الوقار[٤].

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ أنزل من السماء لنصركم جنودا من الملائكة لم تروها بأعينكم ولكنهم كانوا يحزبون المؤمنين على القتال بالإلهام والخاطر، وفي بعض الروايات أن الملائكة قاتلت يومئذ حتى أن رجلا من بني نضر بن معاوية قال للمؤمنين وهو في أيديهم: أين الخيل البلق والرجال عليهم الثياب البيض ما كنا نراهم فيكم إلا كهيئة الشامة وما كان قتلنا إلا بأيديهم، فأخبروا بذلك رسول الله ﷺ (فقال تلك الملائكة[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٨٩/١٤)، وبحر العلوم (٥٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٨٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٩٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٣/٢)، وزاد المسير (٢٤٧/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٣/١)، وتفسير الخازن (٣٤٨/٢)، والسراج المنير (٥٩٩/١)، وتفسير أبي السعود (٥٦/٤)، وروح المعاني (٢٦٨/٥).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (تسكن إليه).

(٣) انظر: الوجيز؛ للواحدي (٤٥٩/١)، والبحر المحيط (٣٩٤/٥).

(٤) قال الماوَرْدِي: "ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها الرحمة ، قاله علي بن عيسى. والثاني: أنها الأمن والطمأنينة. والثالث: أنها الوقار ، قاله الحسن"، النكت والعيون (٣٤٩/٢)، وانظر: البحر المحيط (٣٩٤/٥)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠٦/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢٧/٥).

(٥) انظر: تفسير الثعلبي (٢٤/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي للقرطبي (١٠١/٨)، ، والبحر المحيط (٣٩٥/٥)، والسراج المنير (٥٩٩/١)، وتقدم ذكر الخلاف في قتال الملائكة.

وقوله عز وجل : ﴿ وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ معناه: عذبهم بالقتل والأسر)[١][٢].

وقوله عز وجل : ﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ معناه: ذلك العقاب جزاء الكافرين في الدنيا والجزاء هو المستحق بالعمل[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ معناه: ثم يتوب الله من بعد الهزيمة على من يشاء منهم من كان[٤] أهلا لذلك[٥]، ويقال: ثم يتوب الله على من يعلم أن له لطفاً في مقدور بأن يلطف له دون من لا يكون له لطف في التوبة.

وقوله عز وجل :﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ معناه: غفور لما كان منهم في الشرك إذا تابوا رحيم بهم في الإسلام؛ وإنما حسن عطف لفظ الاستقبال بقوله " ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ ﴾" على لفظ الماضي؛ لأن ما قبله تذكير بالنعمة (وقوله عز وجل : ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ﴾ وعد نعمة في المستقبل) [٦][٧].

---

(١) في أ زيادة (فقال تلك الملائكة وقوله عز وجل وعذب الذين كفروا معناه عذبهم بالقتل والأسر).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٦٥)، وتفسير الطبري (١٤/١٨٩)، وبحر العلوم (٢/٥٠)، وتفسير الثعلبي (٥/٢٦)، والتفسير الوسيط (٢/٤٨٨)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٣٣)، والكشاف (٢/٢٦٠).

(٣) (وقوله عز وجل : وذلك جزاء الكافرين معناه ذلك العقاب جزاء الكافرين في الدنيا والجزاء هو المستحق بالعمل) لا توجد في أ.

(٤) في أ (من كان من أهل).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٦٥)، وتفسير الطبري (١٤/١٩٠)، وتفسير السمعاني (٢/٣٠٠)، والمحرر الوجيز (٣/٢٠).

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٧) انظر: إعراب القرآن وبيانه (٤/٨١).

وقوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٢٨ ﴾.

معناه: يا أيها الذين صدقوا بتوحيد الله عز وجل إنما المشركون نجس وقذر[١]، والنجس مصدر أقيم مقام الاسم كما يقال رجل عدل ورجال/ عدل لا يثنى المصدر ولا يجمع ولم يقل إنما المشركون أنجاس، وسمي المشرك نجس لأن شركه يجري مجرى القذر في أنه يجب تجنبه فسماه باسمه بإيجاب التبري من المشركين وقطع المودة عنهم[٢]، والنجاسة على ضربين نجاسة الأعيان ونجاسة الذنوب[٣]. ٢٤= أ

وكان **الحسن** ﷺ يقول: لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١٠٤/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٤١/٢)، وبحر العلوم (٥١/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٢٦/٥)، والتفسير الوسيط (٤٨٨/٢).

(٢) انظر: بحر العلوم (٥١/٢)، وتفسير الثعلبي (٢٦/٥)، وتفسير الكشاف (٢٦١/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٣/١).

(٣) **قال ابن الجوزي:** " المراد بكونهم نجساً ثلاثة أقوال «١» : أحدها: أنهم أنجاس الأبدان، كالكلب والخنزير، حكاه الماوَرْدِي عن الحسن، وعمر بن عبد العزيز. وروى ابن جرير عن الحسن قال: من صافحهم فليتوضأ. والثاني: أنهم كالأنجاس لتركهم ما يجب عليهم من غسل الجنابة، وإن لم تكن أبدانهم أنجاساً، قاله قتادة. والثالث: أنه لما كان علينا= =اجتنابهم كما تجتنب الأنجاسُ، صاروا بحكم الاجتناب كالأنجاس، وهذا قول الأكثرين، وهو الصحيح"، زاد المسير (٢٤٨/٢)، وانظر: تفسير الثعلبي (٢٦/٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٢/١٤)، وانظر: تفسير الثعلبي (٢٦/٥)، وتفسير السمعاني (٣٠٠/٢)، وتفسير الكشاف (٢٦١/٢)، وزاد المسير (٢٤٨/٢)، وتفسير ابن كثير (١٣١/٤)، والدر المنثور (١٦٥/٤)، وفتح القدير (٤٠١/٢) وعزاه لأبي الشيخ.

وقوله عز وجل : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ معناه لا ينبغي لهم أن يقربوه للحج والطواف[١][٢] بعد هذا العام وهو العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه، ثم حج النبي ﷺ من العام الثاني حجة الوداع[٣].

وفي قوله عز وجل : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴾ (بيان أن المراد بالآية إبعاد المشركين عن المسجد الحرام)[٤]، كما روينا عن **علي** كرم الله وجه أنه كان ينادي فيهم في ذلك العام: ألا يطوفن بهذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان[٥].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: فقال أناس من تجار بني بكر بن وائل وغيرهم من أهل اليمن بعد قراءة علي كرم الله وجه هذه الآية عليهم ستعلمون يا أهل مكة إذا فعلتم هذا ماذا تلقون من الشدة من أين يأكلون أما والله ليقطعن سبلكم ولا يحمل إليكم شيئا فوقع ذلك في نفس أهل مكة وشق عليهم[٦] فأنزل الله عز وجل قوله تعالى :﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ

---

(١) (الطواف) لا توجد في أ.

(٢) انظر: تفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٣/١)، والبحر المحيط (٣٩٨/٥)، وتفسير النيسابوري (٣٩١/١)، وروح البيان (٣٣٨/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩٢/١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠١/٢)، وزاد المسير (٢٤٨/٢)، والدر المنثور (٩/٣).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) وتقدم تخريجه.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (١٩٣/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٧٧/٦).

وانظر: تفسير مجاهد (٣٦٧/١)، وتفسير مقاتل (١٦٦/٢)، وتفسير سفيان الثوري (١٢٤/١)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠١/٢)، وزاد المسير (٢٤٩/٢)، والبحر المحيط (٣٩٧/٥)، والسراج المنير (٦٠١/١).

يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ ﴾ أي فقراً من إبعاد المشركين فسوف يغنيكم الله من فضله بغيرهم، فأخصبت تَبَالةُ[١]
وجُرَش[٢] فحملوا إلى مكة الطعام والإدام فأغنى الله عز وجل أهل مكة من تجار بني بكر[٣].
وروي أن أهل حدة[٤] وصنعاء[٥] من أهل اليمن أسلموا وحملوا إلى مكة الطعام في البحر والبر[٦].

---

(١) تباله: بالفتح قيل تبالة التي جاء ذكرها في كتاب مسلم بن الحجاج: موضع ببلاد اليمن، وأظنها غير تبالة الحجّاج بن يوسف، فإن تبالة الحجاج بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن قال المهلبي: تبالة في الإقليم الثاني، عرضها تسع وعشرون درجة، وأسلم أهل تبالة وجرش من غير حرب فأقرّهما رسول الله، ﷺ، في أيدي أهلهما، انظر: معجم البلدان (٩/٢).

(٢) جُرْشُ: بالضم ثم الفتح، وشين معجمة: من مخاليف اليمن من جهة مكة، وهي في الإقليم الأول، طولها خمس وستون درجة، وعرضها سبع عشرة درجة، وقيل: إن جرش مدينة عظيمة باليمن وولاية واسعة، انظر: معجم البلدان (١٢٦/٢).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٦٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٢٨/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١١/٥)، وتفسير الكشاف (٢٦١/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٠٩/٢٠)، وتفسير البيضاوي (٧٧/٣)، وتفسير الخازن (٤٧٦/٤)، وتفسير أبي السعود (٥٧/٤)، والسراج المنير (٥٩٣/٤).

(٤) وقعت هذه اللفظة في التفاسير بأشكال منها (حدة) و(جدة) و(نجد) و (الجند)، انظر: تفسير الثعلبي (٢٨/٥)، والتفسير الوسيط (٤٤٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٥/٢)، وزاد المسير (٢٤٩/٢).

(٥) صنعاء: منسوبة إلى جودة الصنعة في ذاتها، والنسبة إليها صنعانيّ على غير قياس، وكان اسم صنعاء في القديم أزال، فلمّا وافتها الحبشة قالوا نعم نعم فسمّي الجبل نعم أي انظر، فلمّا رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا هذه صنعة ومعناه حصينة فسمّيت صنعاء بذلك، وبين صنعاء وعدن ثمانية وستون ميلا سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر، انظر: معجم البلدان (٤٢٦/٣).

(٦) انظر: التفسير الوجيز (٤٥٩/١)، وتفسير السمعاني (٣٠١/٢)، وزاد المسير (٢٤٩/٢)، وتفسير الخازن (٣٤٩/٢)، (٣٤٩/٢)، والسراج المنير (٦٠١/١).

وأما قوله عز وجل :﴿ إِن شَآءَ ﴾ استثناء فيما علم الله عز وجل فيما سيكون لئلا يترك العباد الاستثناء في أمورهم؛ ولتنقطع الآمال إلى الله عز وجل في طلب الغنى منه[١].

وقوله عز وجل :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ معناه بخلقه وما يصلحهم حكيم فيما حكم من أمره .

قوله عز وجل ﴿ **قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾** ﴾.

معناه: قاتلوا اليهود والنصارى الذين لا يؤمنون بآيات الله التي أنزلها على نبيه ﷺ، ومن كفر بآيات الله عز وجل فقد كفر به[٢]، ويقال معنى لا يؤمنون بالله: أنهم كانوا يصفون الله عز وجل بصفة لا تليق به سبحانه؛ لأن اليهود مشبهة، والنصارى مثلثة، فلم يكن قول اليهود ولا قول النصارى إيمانا بالله عز وجل على الحقيقة[٣].

وقوله عز وجل :﴿ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ معناه أنهم يصفون اليوم بخلاف صفته (لأنهم)[٤] لا لا يقرون بثواب المؤمنين في الجنة من الأكل والشراب والتمتع واللباس ولا فرق بين تغيير الصفة

---

(١) انظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن (٣٧٥/١)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٤/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٩٨/١٤)، وتفسير الثعلبي (٢٨/٥)، وتفسير النكت والعيون (٣٥٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٨٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٢٥/١٦).

(٣) انظر: بحر العلوم (٥٢/٢)، وتفسير السمعاني (٣٠١/٢)، وتفسير الكشاف (٢٦٢/٢)، والمحرر الوجيز (٢١/٣)، وزاد المسير؛ لابن الجوزي (٢٤٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٢٣/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٤/١)، والبحر المحيط (٣٩٩/٥).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

وبين الجحد بالموصوف، ويبين ذلك أن زيدا لو كان له والد أبيض لا فرق بين أن ينفي والده أصلا وبين أن يقول والدي أسود[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ أي لا يحرمون الخمر والخنزير ونحو ذلك مما لم يقروا بتحريمه[٢].

وقوله عز وجل :﴿ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ معناه لا يعتقدون دين الإسلام ولا يخضعون لله عز وجل بالتوحيد[٣]، ويقال معنى دين الحق دين الله عز وجل لأن الله هو الحق[٤].

(وقوله عز وجل :﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وصف ذكرهم الله بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى)[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٤١/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٤/١)، وتفسير ابن جزي (٣٣٥/١)، وتفسير الخازن (٣٤٩/٢)، وتفسير أبي السعود (٥٨/٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٦٦/٢)، والتفسير الوسيط (٤٨٩/٢)، وتفسير ابن جزي (٣٣٥/١)، وتفسير الخازن (٣٤٩/٢).

(٣) انظر: بحر العلوم (٥٢/٢)، وزاد المسير (٢٤٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٢٥/١٦)، وتفسير العز بن عبد السلام (١٤/٢)، وتفسير البيضاوي (٧٧/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٤/١).

(٤) قاله قتادة، انظر: بحر العلوم (٥٢/٢)، وتفسير الثعلبي (٢٨/٥)، والنكت والعيون (٣٥٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٥/٢)، وزاد المسير (٢٤٩/٢).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

وقوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ معناه: حتى تؤخذ الجزية من أيديهم وهم قيام أذلاء[١]، والآخذ جالس[٢]، ويقال أراد باليد القهر كأنه قال: عن قهر من المسلمين واعتراف منهم للمسلمين بأن أيدي المسلمين فوق أيديهم، كما يقال اليد في هذا الأمر لفلان ويراد به نفاذ أمره[٣]، ويحتمل أن يكون معنى اليد إنعام المسلمين بقبول الجزية منهم[٤]، ويقال: أراد باليد القوة على أنه معنى ليس على الفقير الذي لا يكون محتملا جزية[٥]، وأما طعن الملحدة بقولهم كيف يجوز إقرار الكفار على كفرهم بأداء الجزية بدلا عن الإسلام فالجواب عنه لا يجوز أن يكون أخذ الجزية منهم رضى بكفرهم وإنما الجزية عقوبة لهم لإقامتهم على الكفر وإذا جاز إمهالهم بغير الجزية للاستدعاء إلى الإيمان كان إمهالهم بالجزية أولى .

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٠٠)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٤٢)، وبحر العلوم (٢/٥٢)، والوجيز (١/٤٦٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٣٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٠٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٣٥)، وزاد المسير (٢/٢٥٠)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٧٤)، وتفسير الخازن (٢/٣٥٠)، وأحكام القرآن؛ لابن العربي (٢/٤٧٩).

(٣) انظر: زاد المسير (٢/٢٥٠)، ومفاتيح الغيب (١٦/٢٥)، وأحكام القرآن؛ لابن العربي (٢/٤٨٠).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٤٢)، وبحر العلوم (٢/٥٢)، و النكت والعيون (٢/٣٥١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٣٥)، وتفسير الكشاف (٢/٢٦٢)، وزاد المسير (٢/٢٥٠)، وتفسير الخازن (٢/٣٥٠)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/١٩٨).

(٥) انظر: النكت والعيون (٢/٣٥١)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٤/٢٨٩)، وأحكام القرآن؛ لابن العربي (٢/٤٧٩).

(٢/٤٧٩).

قوله عز وجل ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.

معناه: قالت اليهود حين قرأ عليهم عزير التوراة/ عن ظهر قلبه أن الله عز وجل لم يجعل التوراة في قلب أحد إلا وهو ابنه[١]، وعن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أن جماعة من اليهود أتوا رسول الله ﷺ فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولا تزعم أن عزيراً ابن الله ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا؛ فأنزل الله عز وجل هذه الآية[٢]. ٢٤= ب

فإن قال قائل كيف يصح تأويل هذه الآية واليهود في زماننا ينكرون هذا القول ؟

قيل: قد بينا سبب نزول هذه الآية، فيكون المراد بهذه الآية طائفة من اليهود، ويحتمل أن يكون هذا القول من أوائلهم فأظهره الله عز وجل، وذلك كالغيب الذي خص به رسول الله ﷺ ويدل على ذلك أن اليهود في وقت نزول القرآن به سمعته فلم تنكره مع شدة حرصهم على تكذيب النبي ﷺ[٣].

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٢/٢٥١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٣٨)، وتفسير الخازن (١/١٩٦)، والسراج المنير (١/٦٠٣)، وتفسير أبي السعود (٤/٥٩)، وروح البيان (٣/٤١٥).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٢٠٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٨١)، وأخرجه ابن إسحاق في السيرة لابن هشام (١/٥٧٠).

وانظر: تفسير الثعلبي (٥/٣٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٤/٣٦)، وتفسير الخازن (٢/٣٥١)، والدر المنثور (٤/١٧٠) وعزاه لأبي الشَّيْخ وَابْن مرْدَوَيْه.

(٣) حكى فيه الماوَرْدِي أقوال ثلاثة ثم قال: " فإن قيل: فإذا كان ذلك قول بعضهم فلم أضيف إلى جميعهم؟ قيل: لأن من لم يقله عند نزول القرآن لم ينكره ، فلذلك أضيف إليهم إضافة جمع وإن تلفظ به بعضهم"، انظر: النكت والعيون (٢/٣٥٣)، وزاد المسير (٢/٢٥٢).

وانظر: تفسير الثعلبي (٥/٣٠)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٤/٣٦)، وتفسير الخازن (٢/٣٥١)، والدر المنثور (٤/١٧٠) وعزاه لأبي الشَّيْخ وَابْن مرْدَوَيْه.

وأما قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ فهو قول نصارى نجران، والسبب في ذلك ما روي في القصة أن رجلا منهم يقال له بولس (غرهم)[١] ولبَّس عليهم فقال لبعضهم: هو الله، وقال لبعضهم: هو ابن الله، وقال للفرقة الثالثة: ثالث ثلاثة، ثم خرج من بين أظهرهم، وافترقوا واقتتلوا وبقوا فرقا إلى أن أدركوا النبي ﷺ وهم على منهاج من مضى منهم[٢].

وقوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ لا يكون القول إلا بالفم إلا أن معنى الآية أنهم لا يتجاوزون في هذا القول عن العبارة إلى المعنى إذ لا برهان لهم؛ لأنهم لا يعترفون أن الله عز وجل لم يتخذ صاحبة فكيف يزعمون أن له ولدا[٣].

وأما قوله عز وجل: ﴿ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾ فمعناه: يشابهون في قولهم ذلك قول أهل مكة حين قالوا اللات والعزى ومناة[٤]، ويقال: أراد به يشابهون قول الكفار والذين يقولون الملائكة بنات الله عز وجل[٥]، ويقال: إنهم يتبعون أسلافهم ويقلدون

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (غيرهم).

(٢) انظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٧٢٤/١)، وتفسير القاسمي (٤٣١/٣)، وهداية الحيارى من اليهود والنصارى (٥٥٥/٢)، والصواعق المرسلة (٣٥٩/١)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢٢٢/٤).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٦٧/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٤٣/٢)، وبحر العلوم (٥٣/٢)، والنكت والعيون (٣٥٣/٢)، والوجيز (٤٦٠/١)، وتفسير الكشاف (٢٦٤/٢).

(٤) قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، انظر: تفسير الطبري (٢٠٦/١٤)، وتفسير الثعلبي (٣٤/٥)، والنكت والعيون (٣٥٣/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٠/٢)، وتفسير السمعاني (٣٠٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٩/٢).

(٥) قاله سفيان بن عيينة، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٣/٦)، وبحر العلوم (٥٣/٢)، والنكت والعيون (٣٥٣/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٠/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١١٨/٨)، وتفسير ابن جزي (٣٣٦/١)، وتفسير الخازن (٣٥٢/٢).

قـومهم مـن دون أن يرجعـوا في ذلـك إلى دليـل[١]، ويقـرأ يضـاهئون بـالهمز وهمـا لغتـان يقـال ضاهيت و ضاهئت[٢]، وامرأة ضهيا إذا شابهت الرجال في أنها لا ثدي لها أو لا تحيض[٣].

وفي قوله "عزير ابن الله" قراءتان؛ يقرأ: عزيرٌ ابن الله بالتنوين[٤]، وهو الأجود؛ لأن ابن خبر؛ وإنما يحذف التنوين في الصفة نحو قولك: جاءني زيدُ بن عمر، فحذف التنوين لالتقاء الساكنين، (ويقرأ عُزَيرُ ابن الله بغير تنوين[٥] على إضمار عُزَيرُ ابن الله معبودنا أو نبينا، فتكون فتكون إما لغة ويجوز حذف التنوين لالتقاء الساكنين)[٦] كما في قوله عز وجل " ﴿أحدُ الله الله الصمد ﴾[٧].

---

(١) وهو قول الحسن، انظر: التفسير الوسيط (٤٩٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٠/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٥/١)، وتفسير ابن جزي (٣٣٦/١).

(٢) وَاخْتلفُوا فِى الْهَمْز وإسقاطه من قَوْله {يضاهئون} فَقَرَأَ عَاصِم وَحده: يضهئون؛ بِالْهَمْز، وقرا الْبَاقُونَ: يضهون؛ بِغَيْر همز، انظر: السبعة في القراءات (٣١٤/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٨/١)، وانظر: تفسير الطبري (٢٠٦/١٤)، وبحر العلوم (٥٣/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٤٣/٢)، والنكت والعيون (٣٥٣/٢)، وتفسير السمعاني (٣٠٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١١٨/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٥/١).

(٤) قراءة الإمام عاصم والكسائي، انظر: السبعة في القراءات (٣١٣/١)، وحجة القراءات (٣١٦/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٨/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٥٠/١).

(٥) قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة، انظر: السبعة في القراءات (٣١٣/١)، وحجة القراءات (٣١٦/١)، والتيسير والتيسير في القراءات السبع (١١٨/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٥٠/١).

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٧) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٤٣١/١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١١٥/٢)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٥٠/١)، وحجة القراءات (٣١٨/١).

وأما قوله عز وجل : ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ فمعناه لعنهم الله هكذا روي عن **ابن عباس** رضي الله عنهما[(١)]،

ويقال معناه: قتلهم الله كما يقال عافاه الله بمعنى أعفاه الله من السوء[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ معناه أني يصرفون عن الحق وقيل أني يكذبون عليه .

وقوله عز وجل ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

معناه: اتخذت اليهود والنصارى علماءهم وعبادهم أرباباً؛ أي أطاعوهم في معاصي الله، فجعل الله عز وجل طاعتهم عبادتهم؛ لأنهم اتبعوهم وتركوا أوامر الله تعالى ونواهيه في كتبهم ، **وعن عدي بن حاتم**[(٣)] أنه سمع رسول الله ﷺ يقرا هذه الآية فقال يا رسول الله ما عبدناهم، فقال:

---

(١) عن ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٣/٦)، وانظر: تفسير مقاتل (١٦٧/٢)، وبحر العلوم (٥٣/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠٢/٢)، وتفسير الثعلبي (٣٤/٥)، والنكت والعيون (٣٥٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٠/٣)، والوجيز (٤٦٠/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٣٩/٢)، وزاد المسير (٢٥٢/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (١٦/٢).

(٢) انظر: وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠٢/٢)، والنكت والعيون (٣٥٤/٢)، وتفسير السمعاني (٣٠٣/٢)، والمحرر الوجيز (٢٥/٣)، وزاد المسير (٢٥٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٦٧/٦).

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بفتح المهملة وسكون المعجمة آخره جيم الطائي أبو طريف بفتح المهملة وآخره فاء صحابي شهير وكان ممن ثبت على الإسلام في الردة وحضر فتوح العراق وحروب علي ومات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل مائة وثمانين. انظر: معرفة الصحابة (٢١٩٠/٤)، والاستيعاب (١٠٥٧/٢)، والإصابة (٣٨٨/٤)

فقال: أليس حرمتم بقولهم ما أحل الله ؟ وأحللتم ما حرم الله ؟ قال: بلى، قال: فتلك كانت ربوبيتهم"[(١)].

وأما تسمية العالم حبرا لكثرة كتابته بالحبر، وقيل لتحبيره المعاني بالبيان الحسن ، وأما الراهب فهو الخاشع لله عز وجل[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ معناه: واتخذوا المسيح إلها[(٣)]، وقوله عز وجل : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ أي لم يؤمروا في جميع الكتب ولا على ألسنة الرسل إلا بعبادة إله واحد[(٤)]، وقوله عز وجل : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ تنزيهاً لله تعالى عن الشرك و ما لا يليق به .

قوله عز وجل ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾.

معناه: يريدون أن يردوا (القرآن و)[(٥)] دلائل الإسلام بألسنتهم بالتكذيب، ويأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره بإظهار الإسلام وأهله على كل دين وإن كره الكافرون ذلك، والإطفاء إذهاب

(١) أخرجه الترمذي في سننه بنحوه (٢٧٨/٥) رقم (٣٠٩٥) أبواب التفسير، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، وقال: حسن غريب، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩٢/١٧) رقم (٢١٨)، ، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٨/١٠) رقم (٢٠٣٥٠)، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٩٧٥/٢) رقم (١٨٦٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٩٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢٣/٥) مادة (حبر)، والصحاح (٦٢٠/٢) مادة (حبر)، ولسان العرب (١٥٨/٤) مادة (حبر)، وتاج العروس (٥٠٢/١٠) مادة (حبر)، والنهاية في غريب الحديث (٣٢٧/١).

(٣) قاله ابن عباس، انظر: تفسير الطبري (٢١٣/١٤)، وبحر العلوم (٥٤/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩١/٢)، والوجيز (٤٦١/١)، وزاد المسير (٢٥٣/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٦/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢١٣/١٤)، وبحر العلوم (٥٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٣١/١٦)، وتفسير الخازن (٣٥٣/٢).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

نور النار ثم استعمل في كل نور[١]، والإباء هو المنع والامتناع[٢]، ومن ذلك سمى واحد في العرب بأبي الضيم.

وقوله عز وجل ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

معناه: هو الذي بعث محمد ﷺ بالقرآن ودين الإسلام ليظهره على/ سائر الأديان بالحجة والغلبة، أما بالحجة فظاهر؛ لأن أحدا من أهل سائر الأديان لا يقدر أن يغلب المسلمين بالحجة والمسلمون يغلبونهم بها، وأما ظهور الإسلام بالغلبة فهو أن كل طائفة من المسلمين غلبوا على ناحية من نواحي الكفر[٣]، وعن **ابن عباس** أن ذلك يكون بعد نزول عيسى عليه السلام لا يبقى حينئذ أحد إلا دخل في دين الإسلام[٤]، وفي الآية دلالة صحة نبوة نبينا ﷺ لوقوع مخبر خبره على ما أخبر به . ٢٥= أ

(١) **قال المَاوَرْدِي**: "وفي نوره قولان: أحدهما: أنه القرآن والإسلام ، قاله الحسن وقتادة. والثاني: أنه آياته ودلائله لأنه يهتدى بها كما يهتدى بالأنوار"، النكت والعيون (٣٥٥/٢).

وأضاف السمعاني قولا ثالثا فقال: هو محمد، تفسير السمعاني (٣٠٤/٢).

وانظر: تفسير مقاتل (١٦٨/٢)، وتفسير الطبري (٢١٤/١٤)، وتفسير الثعلبي (٣٥/٥)، والتفسير الوسيط (٤٩١/٢).

(٢) انظر: مختار الصحاح (١٢/١).

(٣) انظر:تفسير العز بن عبد السلام (١٧/٢)، والبحر المحيط (٤٠٦/٥).

(٤) جاء ذلك عن أبي هريرة، وأبو جعفر، والضحاك، أخرجه الطبري في تفسيره (٢١٥/١٤) ، وعن ابن عباس: انظر: بحر العلوم (٥٤/٢)، وزاد المسير (٢٥٤/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (١٧/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٢١/٨)، وتفسير الخازن (٣٥٤/٢).

قوله عز وجل ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

معناه: يأيها الذين صدقوا محمد ﷺ والقرآن إن كثيرا من الأحبار وهم من ولد هارون، وقوله تعالى ﴿ وَٱلرُّهۡبَانِ ﴾ أهل الصوامع، وهم دون الأحبار في العلم، وقوله عز وجل : ﴿ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ ﴾ أراد به أخذ الرشا على الحكم، وما كان لهم من الهدايا من سفلتهم على كتمان نعت النبي ﷺ وصفته ، هكذا روي عن **ابن عباس** رضي الله عنهما[1]، **وقال السدي** رضي الله عنه: الأحبار علماء اليهود، والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى [2]، وأما تخصيص الأكل في الآية فلأن معظم المقصود من التملك الأكل فوضع الأكل موضع التملك .[3]

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ ﴾ معناه: يجمعونهما ويضعون بعضها فوق بعض ولا ينفقون الكنوز في طاعة الله عز وجل[4]، وقيل معناه: ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب؛ لأن في بيان أحدهما بيان حكم الآخر كما قال الله عز وجل

---

(١) والذي رأيته أن هذا القول منسوب للحسن، وأما ابن عباس ففسره بالظلم.

انظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢٠٣)، والنكت والعيون (٢/٣٥٧)، والوجيز (١/٤٦٢)، وزاد المسير (٢/٢٥٤)، وتفسير العز بن عبد السلام (٢/١٧).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٢١٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٧٨٧).

وانظر: بحر العلوم (٢/٥٤)

(٣) انظر: تفسير الكشاف (٢/٢٦٦)، ومفاتيح الغيب (١٦/٣٤)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٧٦)، وتفسير الخازن (٢/٣٥٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٢٦)، وبحر العلوم (٢/٥٥).

: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ [(١)]والدليل إلى أن هذه الكناية راجعة إلى الذهب والفضة جميعا أنها لو رجعت إلى أحدهما لبقي الآخر عاريا عن الجواب فيصير كلاما منقطعا لا معنى له، وتقدير الآية ولا ينفقون منهما أي لا يؤدون زكاتهما ولا يخرجون(حق الله)[(٢)] عز وجل منهما إلا أنه حذف "من" وأراد إثباتهما[(٣)] بدليل أنه قال جل ذكره في آية أخرى " ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ " وثبت بالنقل المستفيض الشائع أن النبي ﷺ أوجب في مائتي درهم خمسة دراهم وفي عشرين مثقالا من الذهب نصف مثقال[(٤)] ، فلو كان الواجب إنفاق جميع المال لم يكن لهذا التقدير وجه.

وقوله تعالى :﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ معناه ضعِ الوعيد لهم بالعذاب موضع البشارة بالنعيم لغيرهم، وعن **عبد الله بن عمر**[(٥)] رضي الله عنه أنه قال:"كل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن

(١) سورة الجمعة آية (١١).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) **قال الطبري**: "يحتمل ذلك وجهين: أحدهما: أن يكون "الذهب والفضة" مرادًا بها الكنوز، كأنه قيل: والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونَها في سبيل الله، لأن الذهب والفضة هي "الكنوز"، في هذا الموضع.والأخر أن يكون استغنى بالخبر عن إحداهما في عائد ذكرهما، من الخبر عن الأخرى، لدلالة الكلام على الخبر عن الأخرى مثل الخبر عنها، وذلك كثير موجود في كلام العرب وأشعارها"، التفسير (١٤/٢٢٨)، وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٤٥)، والنكت والعيون (٢/٣٥٨)، والتفسير الوسيط (٢/٤٩٢).

(٤) انظر ما أخرجه أبو داود في سننه (٢/٩٩) رقم (١٥٧٢) كتاب الزكاة، بَابٌ فِي زَكَاةِ السَّائِمَةِ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤/٥) رقم (٦٧٩٤)، وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٣٥٥) رقم (٩٨٥٧)، وأخرج أحمد في مسنده (١٧/٤٠٩) رقم (١١٣٠٧)، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٤/٣٤) رقم (٢٢٩٧)، وأخرج الحاكم في مستدركه (١/٥٥٦) رقم (١٤٥٣، ٢٧٠) وصححه الحاكم والذهبي، وعبد الحق في الأحاديث المختارة (٢/١٥٢) رقم (٥٢٧). وانظر: تفسير الطبري (١٤/٢٢٣).

(٥) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي أبو عبد الرحمن ولد بعد المبعث بيسير واستصغر يوم أحد وهو ابن أربع عشرة سنة، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعبادلة وكان من أشد الناس اتباعا للأثر مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها. انظر: معرفة الصحابة (٣/١٧٠٧)، والاستيعاب (٣/٩٥٠)، والإصابة (٤/١٥٥).

كان تحت سبع أرضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرا"[١]، وذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية نزلت حين كان يجب التصدق (بالفضل)[٢] عن نفقة الأهل كما تقدم في قوله عز وجل " ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ "[٣].

قوله عز وجل ﴿ **يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥** ﴾ .

(معناه: يوم يوقد على الكنوز في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم عقوبة لهم ، والإحماء أن يصير الذهب والفضة حاراً فيعذب به صاحبه[٤] ، **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما: لا يوضع دينار مكان دينار ولا درهم مكان درهم؛ ولكن تُوسع جلوده لذلك فلا يمس ديناراً ديناراً درهماً درهماً[٥]،

---

(١) أخرجه ابن وهب في جامعه (١١٧/١) رقم (٢٠٢)، وأخرجه الشافعي في المسند (٨٧/١)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٠٦/٤) رقم (٧١٤٠)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١٢٣٦/٣) رقم (٢٣٤٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (١٦٣/٨) رقم (٨٢٧٩)، وأخرجه البيهقي في السنن الصغير (٥٣/٢) رقم (١١٩٤)، وفي معرفة السنن والآثار (١١/٦) رقم (٧٨٣٩).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (بالنفقة).

(٣) انظر: بحر العلوم (٥٥/٢)، وزاد المسير (٢٥٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٣٥/١٦)، وتفسير ابن جزي (٣٣٧/١)، وتفسير الخازن (٣٥٥/٢)، وتفسير أبي السعود (٦٢/٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٣٠/١٤).

(٥) عزاه إلى ابن عباس: الخازن في تفسيره (٣٥٦/٢)، وروح البيان (٤٣٥/٦).

انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٣٠/٨)، وتفسير ابن كثير (١٤١/٤)، وتفسير الثعلبي (٤٠/٥)، والدر المنثور (١٧٩/٤)، والتفسير الوسيط (٤٩٣/٢)، وتفسير السمعاني (٣٠٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٤/٢)، وزاد المسير (٢٥٥/٢)، والسراج المنير (٦٠٩/١).

وهكذا روي **عن ابن مسعود**[١] رضي الله عنهما.

وقوله عز وجل :﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا ﴾)[٢] أي يقال لهم هذا ما جمعتم في دار الدنيا فذوقوا عقوبة ما كنتم تجمعون، وعن **ثوبان مولى رسول الله ﷺ**[٣] أنه قال: لما نزلت هذه الآية قال أصحاب رسول الله ﷺ وأي المال نتخذه ؟ فقال عمر رضي الله عنه: أنا أسأل لكم رسول الله ﷺ، قال ثوبان: فسأله وأنا أسمع؛ فقال عليه السلام:" لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدناً صابرا وزوجة تعينك على إيمانك"[٤].

وقد استدل بعض الناس على وجوب إنفاق جميع المال بما روي عن **أبي أمامة الباهلي**[٥] أنه قال: مات رجل من أهل الصفة فوجد في مئزره دينار، فقال النبي ﷺ:"كية"، ومات آخر فوجد في مئزره ديناران؛ فقال عليه السلام:"كيتان"[٦]، فهذا الخبر محمول على أن الميت كان أصاب

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٢٧/٢) رقم (١٠٦٩٧)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٣٣/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٠/٦)، وأخرجه ابن الأعرابي في معجمه (١٠٠٩/٣) رقم (٢٠٩٨)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٥٠/٩) رقم (٨٧٥٤)، وأخرجه السمرقندي في بحر العلوم (٥٥/٢)، وقال الهيثمي: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وفي موضع: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ، مجمع الزوائد (٦٥/٣) و (٢٩/٧).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) ثوبان بن بجدد الهاشمي مولى النبي ﷺ صحبه ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين. انظر: معرفة الصحابة (٥٠١/١)، والاستيعاب (٢١٨/١)، والإصابة (٥٢٧/١).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٥/٣٧) رقم (٢٢٣٩٢)، وأخرجه الترمذي في سننه (٢٧٧/٥) رقم (٣٠٩٤) أبواب تفسير القرآن، **بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ**، وقال: حسن، وأخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب (١٧/١) رقم (٦)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٩/٣) رقم (٢٣٧٠)، وأخرجه ابن القرئ في المعجم (١٨٨/١) رقم (٥٧٨)، وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (١٨٢/١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٩٩).

(٥) صدي بالتصغير بن عجلان أبو أمامة الباهلي صحابي مشهور سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين. انظر: معرفة الصحابة (١٥٢٦/٣)، والاستيعاب (٧٣٦/٢)، والإصابة (١٦/٧).

(٦) أخرجه ابن الجعد في مسنده (١٥٣/١) رقم (٩٧٣)، وأخرجه أحمد في المسند (٥٠٧/٣٦) رقم (٢٢١٧٢)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٥/٢) رقم (١٠٧٨)، وأخرجه الروياني في مسنده (٣٠١/٢) رقم (١٢٤٨)، وأخرجه

ذلك من الغلول؛ أو كان ذلك في وقت كان يجب إنفاق المفضل من النفقة؛ أو كان على الرجل حق واجب فمنعه[١]، يدل على هذا التأويل أن هذا القول لم ينقل عن أحد من السلف إلا عن **أبي ذر**[٢] فثبت أن المراد به ما ذكرناه.

الطبراني في المعجم الكبير (١٠٥/٨) رقم (٧٥٠٦)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢١٩/٩) رقم (٦٥٦٥)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٢٢/١٤).

وجاء الحديث أيضا عن غير أبي أمامة، أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧٩/١) رقم (٣٥٥)، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٢١/١) رقم (١٦٤٩). والحديث صححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٣٥).

(١) **قال السمرقندي**: "والمعنى في ذلك: أنه قد أصاب ذلك من الغلول، ولو لم يكن أصابه من الغلول لكان لا يستحق العقوبة، لأن الزكاة لا تجب في أقل من عشرين ديناراً. وقال بعضهم: كان هذا في الوقت الذي وجب عليه أن ينفق الفضل"، بحر العلوم (٥٥/٢).

وقال الزمخشري: "ان هذا قبل أن تفرض الزكاة، فأمّا بعد فرض الزكاة، فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه، ويؤدّى عنه ما أوجب عليه فيه، ثم يعاقبه."، الكشاف (٢٦٧/٢).

وقال ابن عطية: "وهذا إما لأنهما كانا يعيشان من الصدقات وعندهما التبر وإما لأن هذا كان في صدر الإسلام، ثم قرر الشرع ضبط المال وأداء حقه، ولو كان ضبط المال ممنوعا لكان حقه أن يخرج كله لا زكاته فقط"، المحرر الوجيز (٢٩/٣).

(٢) أبو ذر الغفاري الصحابي المشهور اسمه جندب بن جنادة على الأصح وقيل برير بموحدة مصغر أو مكبر واختلف في أبيه فقيل جندب أو عشرقة أو عبد الله أو السكن تقدم إسلامه وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرا ومناقبه كثيرة جدا مات سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان. انظر: معرفة الصحابة (٥٥٧/٢)، والاستيعاب (٢٥٢/١)، والإصابة (٦١١/١).

قوله عز وجل ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ /فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ . ٢٥= ب

معناه: بأن عدد الشهور التي تتعلق بها الأحكام من الحج والصوم والزكاة والأعياد وغيرها اثنا عشر شهرا على منازل القمر تارة يكون الحج والصوم في الشتاء وتارة في الصيف على اعتبار الأهلة وإنما قال اثنا عشر (شهراً)[1] لأن الشهور لا تزيد عن اثنا عشر شهرا؛ لأنها إنما تكثر بالتكرار[2].

وقوله عز وجل :﴿ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أراد به الكتاب الذي كتبه وهو اللوح المحفوظ[3].

وقوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ وإنما قال ذلك؛ لأن الله عز وجل أجرى الشمس والقمر في السماوات والأرض يوم خلق السماوات والأرض، ومسير الشمس والقمر يكون بالشهور وذلك أنه جل ذكره قسم الزمان اثنا عشر قسما على مسير الشمس فجعل نزول الشمس في كل برج من البروج الإثني عشر قسما منها فيكون قطعها للفلك في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم ، وقسم الزمان على مسير القمر اثنا عشر شهرا (إذ جعل

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٤٥/٢)، وبحر العلوم (٥٦/٢)، والنكت والعيون (٣٥٩/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٤/٢)، وتفسير السمعاني (٣٠٧/٢)، وزاد المسير (٢٥٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٠/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٨/١).

(٣) وهو قول ابن عباس، وذكر المفسرون فيه قولين إحداها ما تقدم، والثاني: في حكم الله، انظر: تفسير السمعاني (٣٠٧/٢)، والكشاف (٢٦٩/٢) ، وتفسير مقاتل (١٦٩/٢)، وبحر العلوم (٥٦/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٤/٢)، وزاد المسير (٢٥٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٤١/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٣٢/٨)، وتفسير البيضاوي (٨٠/٣).

القمر يقطع الفلك)[١] في كل تسعة وعشرين يوما ونصف وجعل السنة القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما وربع اليوم (فكان قطع الشمس للبرج مقارباً)[٢] لقطع القمر الفلك كله وهذا معنى قول الله عز وجل :﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [٣]، وقوله عز وجل ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِۖ فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ وَجَعَلۡنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبۡصِرَةٗ لِّتَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡ وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ ﴾[٤]وكانت شهور القمر ثلاثين تارة وتسعة وعشرين أخرى فيما يتعلق بها من أحكام الشرع ولم يكن لنصف الذي هو زيادة على تسعة وعشرين يوما حكم وكان ذلك هو القسمة التي قسم الله تعالى عليها السنة في ابتداء وضع الخلق ثم غيرت الأمم العادلة (عن)[٥] شرائع الأنبياء عليهم السلام هذا الترتيب فكانت شهور الروم بعضها ثمانية وعشرون يوما وبعضها ثمانية وعشرون يوما ونصف يوم وبعضها واحدا وثلاثون وذلك على خلاف ما أمر الله عز وجل به من اعتبار الشهور في الأحكام ، وكانت شهور الفرس ثلاثين ثلاثين إلا شهرا واحد هو (أيارماه) فإنه خمسة وثلاثون[٦] فبين الله سبحانه وتعالى في القرآن أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا لا زيادة فيها ولا نقصان وهي الشهور القمرية كما قال رسول الله ﷺ :" صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوما "[٧]، وفي الخبر أن صوم النصارى كان على شهور القمر فلما رأوه يقع في بعض السنين في

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (إذ جعل الفلك يقطع القمر).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (وكان قطع الشمس للقمر مقارناً).

(٣) سورة الرحمن آية (٥).

(٤) سورة الإسراء آية (١٢).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) انظر: بحر العلوم (٢/٥٦)، ومفاتيح الغيب (١٦/٤٠).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٢٧) رقم (١٩٠٩) كتاب الصوم، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ [ص:٢٧]: «إِذَا رَأَيْتُمُ الهِلاَلَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/٧٦٢) رقم (١٠٨١) كتاب الصيام، بَابُ وُجُوبِ صَوْمِ رَمَضَانَ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَالْفِطْرِ لِرُؤْيَةِ الْهِلَالِ، وَأَنَّهُ إِذَا غُمَّ فِي أَوَّلِهِ أَوْ آخِرِهِ أُكْمِلَتْ عِدَّةُ الشَّهْرِ ثَلَاثِينَ يَوْمًا.

في الصيف اجتمعوا على أن ينقلوه إلى زمان الربيع و زادوا في العدد وتركوا ما تعبّدوا به من اعتبار شهور القمر على الإطلاق فضلوا وأضلوا [(١)]،وقيل في معنى الآية: أن الله عز وجل وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مراتبها عليه يوم خلق السموات والأرض وحكمها باق الآن على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها وتقديمهم للمؤخر وتأخيرهم للمقدم، **قال عبد الله ابن عمر** رضي الله عنهما: وذلك أنهم كانوا يجعلون صفرا عاما حراما وعاما حلالا ويجعلون المحرم عاما حراما وعاما حلالا وكان النسيء من الشيطان[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ﴾ معناه: من هذه الاثني عشر أربعة حرم واحد منها فرد وهو رجب وثلاثة منها سردًا أي متتابعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم[(٣)]، وسماها وسماها حرما لعظم انتهاك حرمتها[(٤)]؛ كما خص الحرم بمثل ذلك فقال عز من قائل :﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [(٥)]ومعلوم أن الظلم حرام في الحرم وفي غير الحرم كذلك.

---

(١) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٧٤/٢).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير عن ابن عمر لكن مرفوعا بلفظ "إِنَّمَا النَّسِيءُ مِنَ الشَّيْطَانِ"، (١٧٩٣/٦)، وكذا ذكره ابن كثير في تفسيره (١٥٢/٤)، والسيوطي في الدر المنثور (١٨٨/٤).

(٣) قال الطبري: "**وهو قول عامة أهل التأويل**"، انظر: تفسير مقاتل (١٦٩/٢)، وتفسير الطبري (٢٣٦/١٤)، ومعاني ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٤٦/٢)، وبحر العلوم (٥٦/٢)، وتفسير القرآن: لابن أبي زمنين (٢٠٤/٢)، والوجيز (٤٦٢/١)، وتفسير السمعاني (٣٠٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٥/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٣٣/٨)، وتفسير البيضاوي (٨٠/٣)، وتفسير ابن جزئ (٣٣٧/١).

(٤) انظر: تفسير النكت والعيون (٣٦٠/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٤/٢)، وزاد المسير (٢٣٦/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٢٤/١٥)، وتفسير الخازن (٣٣٦/٢)، والبحر المحيط (٤١٥/٥)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (٥٢١/١)، وتفسير النيسابوري (٤٢٩/٣).

(٥) سورة الحج آية (٢٥).

وقوله عز وجل :﴿ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ على قول من رد هذه الكناية إلى الأشهر دون الشهور كلها؛ لأن جمع الكثرة إنما يعبر عنها بالألف وجمع القلة يعبر عنها بالهاء والنون ، وأما من قال فلا تظلموا فيهن معناه لا تظلموا في الإثني عشر شهرا أنفسكم؛ فإنما قال ذلك لأن الإنسان لا يخلوا من أن يكون في أحدها[١].

وقوله عز وجل :﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ معناه: الحساب المستقيم[٢].

وقوله عز وجل :﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً ﴾ يجوز أن يكون الكافة راجعة إلى المسلمين أي قاتلوا جميعا المشركين، ويجوز أن يكون راجعا إلى المشركين أي قاتلوا المشركين جميعا[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ معناه كما يقاتلونكم جميعا[٤].

(١) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٤٦)، ومعاني القرآن؛ للفراء (١/٤٣٥)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٣/٢٠٦)، وروح المعاني (٥/٢٨٣)، وبحر العلوم (٢/٥٦).

(٢) **قال المَاوَرْدِي**: "فيه تأويلان: أحدهما: ذلك الحساب البين ، قاله مقاتل بن حيان. الثاني: ذلك القضاء المستقيم"، النكت والعيون (٤/٣١٢).

وانظر: تفسير مقاتل (٢/١٦٩)، وتفسير الطبري (١٤/٢٣٧)، وبحر العلوم (٢/٥٦)، وتفسير الثعلبي (١/١١٥)، والتفسير الوسيط (٢/٤٩٤).، وتفسير السمعاني (٢/٣٠٨) .

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٤١)، وبحر العلوم (٢/٥٦)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢٠٤)، وتفسير الثعلبي (٥/٤٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٣٦)، وتفسير ابن كثير (٤/١٤٩).

(٤) انظر: بحر العلوم (٢/٥٦)، وتفسير السمعاني (٢/٣٠٨)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (٤/٣٠٨)، وتفسير الألوسي (٥/٢٨٤).

وقوله عز وجل : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ معناه واعلموا أن الله عز وجل معهم بالنصرة [(١)].

٢٦= أ قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا/ وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٧﴾.

معناه: إنما تأخير الشهر الحرام من المحرم إلى صفر واستباحة المحرم زيادة في الكفر يغلط ويخطأ بالنسا سائر الكفار، ومن قرأ يَضِل بنصب الياء وكسر الضاد[(٢)] فمعناه هم يضلون أنفسهم[(٣)(٤)]، يحلون المحرم عاما فيقاتلون فيه ويحلون صفر مكان المحرم ويحرمون المحرم عاما فلا يقاتلون فيه ثم يقاتلون في صفر ليواطئوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا في العدد أربعة أشهر وكانوا

---

(١) انظر: تفسير الخازن (٢/٣٥٨)، وتفسير البيضاوي (٣/٨٠)، والسراج المنير (١/٦١١)، وتفسير أبي السعود (٤/٦٤).

(٢) فَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَابْن عَامر وَأَبُو عَمْرو وَعَاصِم فى رِوَايَة أَبى بكر {يضل بِهِ} بِفَتْح الْيَاء وَكسر الضَّاد وَقَرَأَ عَاصِم فى رِوَايَة حَفْص وَحَمْزَة والكسائى {يضل بِهِ} بِضَم الْيَاء وَفتح الضَّاد. انظر: السبعة في القراءات (١/٣١٤)، والحجة في القراءات السبع (١/١٧٥)، وحجة القراءات (١/٣١٨)، وتفسير الطبري (١٤/٢٤٤).

(٣) في أ (يَضِلون هم بأنفسهم).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (١/٤٣٧)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/١١٨)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/٤٥٣)، وتفسير الطبري (١٤/٢٤٤)، وبحر العلوم (٢/٥٧).

يقولون هذه أربعة بمنزلة أربعة[١]، والمواطأة الموافقة، وأصل النسيء التأخير[٢]، ومنه بيع النسيئة ومنه قولهم أنسأ الله في أجل فلان، ومنه المنسأة وهي العصا يزجر بها ويؤخر[٣].

وقوله عز وجل: ﴿ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾ أي يحلوا ما حرمه الله عز وجل من القتل والغارة في الشهر الحرام؛ وإنما كان يفعل هذا بنوا كنانة[٤]؛ فإنهم كانوا على دين إبراهيمعليه السلام في تعظيم الأشهر الحرم، كانوا لا يهيجون فيها أحدا ولا يقتلون فيها أحدا ولا يأخذون مال أحد؛ إلا إنهم ربما كانوا يؤخرون رجبا ويبدلون بدله صفر لتكون الشهور متوالية، وربما كانوا يؤخرون المحرم ويجعلون بدله صفر ليفرقوا بين الشهور الثلاثة؛ لأنهم[٥] كان عيشهم من الغارات وكان يشق عليهم ترك الغارة في الأشهر المتوالية أو في شهر واحد من الأشهر الحرم[٦].

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٣/٢٠٧)، ومعاني للزجاج (٢/٤٤٧)، وحجة القراءات (١/٣١٩)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢٠٥).

(٢) انظر: الصحاح (١/٧٦) مادة (نسأ)، ومجمل اللغة (١/٨٦٦) مادة (نسأ)، ولسان العرب (١/١٦٦) مادة (نسأ)، وتاج العروس (١/٤٥٥) مادة (نسأ).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٣/٥٨) مادة (نسأ)، ومختار الصحاح (١/٣٠٩) مادة (نسأ)، ولسان العرب (١/١٦٩) مادة (نسأ)، والقاموس الفقهي (١/٣٥١).

(٤) انظر: الإنباه على قبائل الرواة (١/٥٢)، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه (١/١٤٦).

(٥) في أ (لأنه).

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١/٤٤٨)، وتفسير سفيان الثوري (١/١٢٦)، وتفسير الطبري (١٤/٢٤٩)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/١٧٩٤)، وبحر العلوم (٢/٥٧)، والمحرر الوجيز (٣/٣٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٢/٢٠).

وقوله عز وجل : ﴿ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ﴾ أي حسن في قلوبهم قبح أعمالهم في تحريم ما أحل الله عز وجل وتحليل ما حرم الله تعالى[١]، **قال الحسن** ﷺ زينها لهم أنفسهم والشيطان[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قيل: لا يوفقهم مجازاة لكفرهم[٣]، وقيل: لا يهديهم إلى الجنة والثواب [٤]، وذهب بعض المفسرين في معنى النسيء إلى أنهم كانوا يؤخرون الحج عن ذي الحجة إلى المحرم ثم إلى صفر حتى تدور السنة إلا أن الأقرب كما إلى ظاهر هذه الآية ما تقدم ذكره **قال ابن عباس** رضي الله عنهما كان الناسي رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة بن عوف[٥] وكان يكون على الناس بموسم فإذا همّ الناس بالصدر وفرغوا من حجهم قام يخطب الناس ويقول [٦]: ألا إن آلهتكم حرمت عليكم صفر العام فيحرمون فيه الدماء والأموال ويستحلون في المحرم؛ فإذا كان من قابل نادى ألا إن

---

(١) **قال المَاوَرْدِي**: "فيه وجهان: أحدهما: أن الله تعالى زينها بالشهرة لها والعلامة المميزة بها لتجتنب. الثاني: أن أنفسهم والشيطان زين لهم ذلك بالتحسين والترغيب ليواقعوها"، النكت والعيون (٣٦٢/٢)، وانظر: بحر العلوم (٥٧/٢)، والكشاف (٢٧٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٨١/٣)، وتفسير أبي السعود (٦٥/٤).

(٢) عن الحسن: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٦/٦)، وانظر: النكت والعيون (٣٦٢/٢).

وعزاه بعضهم لابن عباس، انظر: التفسير الوسيط (٤٩٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٨/٢)، وتفسير الخازن (٣٥٩/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٧٩/١).

(٣) انظر: بحر العلوم (٥٧/٢)، والكشاف (٢٧٠/٢)، وتفسير الخازن (٣٥٩/٢)، تفسير أبي السعود (٦٥/٤).

(٤) ونسب الرازي والنيسابوري هذا القول للمعتزلة، انظر: تفسير الطبري (٢٤٥/١٤)، ومفاتيح الغيب (٤٨/٧)، وتفسير النيسابوري (٣٩/٢)، وتفسير البيضاوي (٨١/٣).

(٥) قيل هو نعيم بن ثعلبة على رواية الكلبي، وقيل هو جنادة بن عوف، وقيل: عدي بن عامر، انظر: بحر العلوم (٥٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٤٥/٥)، والنكت والعيون (٣٦١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٧/٢)، والمحرر الوجيز (١٤٦/٢)، وزاد المسير (٢٥٨/٢)، والسراج المنير (٦١٢/١).

(٦) في أ (وقال).

آلهتكم حرمت عليكم المحرم العام فيحرمون فيه الدماء والأموال ويستحلون صفر ليغيروا فيه[١]، وفي بعض الروايات كان يقول قبل هذا النداء الذي ذكرناه: يا أيها الناس أنا الذي لا أعاب ولا أحاب ولا مرد لما قضيت، فيقول له المشركون لبيك ربنا ثم يسألونه أن ينسيهم شهرا فيقول ألا إن صفر العام حلال يريد به المحرم وربما يقول حرام فيحرمونه فيسمون المحرم صفرا[٢]، وكانوا إذا قال الناسي في المحرم حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة فخرجوا وغاروا على الناس فإذا قال حرام حلوا الأوتار ونزعوا الأزجة وأغمدوا السيوف[٣] ثم استن أمراء الموسم على سَنِّهِ يُغمر من بعده، والذي أدركه رسول الله ﷺ من أمراء الموسم من الكفار جنادة بن عوف بن أمية[٤].

قال محمد بن مروان[٥] :قلت **للكلبي**[٦] إذا كانوا يحلونه عاما ويحرمونه عاما كيف الناس لا يحذرون من قابل ؟ قال إنما كانوا يفعلون ذلك التحليل في المحرم في سنة هم أعز ما كانوا.

وقد اختلف أهل العلم في حرمة القتال في أشهر الحرم ؟ قال بعضهم: إنما سماها تعالى الحُرم لما فيها من حرمة القتال وكان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك وكان في قوله منها أربعة حرم دليل

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٤٤٨/١)، وتفسير الطبري (٢٤٥/١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٧٩٥/٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤٧/١٤)، وانظر: بحر العلوم (٣٠٨/٢)، ، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٧/٢)، ، وزاد المسير (٢٥٨/٢)، وتفسير ابن كثير (١٥١/٤)، وتفسير أبي السعود (٦٤/٤).

(٣) انظر: تفسير الثعلبي (٤٥/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٧/٢)، وتفسير أبي السعود (٦٤/٤).

(٤) أبو ثُمامة جُنادة بن عوف بن أميَّة بن قَلع بن عباد بن حذيفة، وحذيفة هذا الملقب بالقلمس، وجنادة فأدركه الإسلام. يقال إنه نسأ أربعين سنة، ذكر ابن إسحاق في «أوائل السّيرة» أمر النسيء والنسأة إلى أن قال: وقام الإسلام على جنادة بن عوف، ولم يذكر أنه أسلم، قال السّهيليّ: وجدت له خبرا يدلّ على أنه أسلم، وانظر: الجوهرة في نسب النبي وأصحابه (١٤٦/١) ، الإصابة (٦١٠/١).

(٥) محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل السدي بضم المهملة والتشديد وهو الأصغر كوفي متهم بالكذب من الثامنة الثامنة ، انظر: الجرح والتعديل (٨٦/٨)، وتهذيب الكمال (٣٩٢/٢٦)، والتقريب (٦٢٨٤).

(٦) محمد بن السائب بن بشر الكلبي أبو النضر الكوفي النسابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض ، من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ت فق. انظر: الجرح والتعديل (٢٧٠/٧)، وتهذيب الكمال (٢٤٦/٢٥)، والتقريب (٥٩٠١).

حرمة القتل والغارة فيها وفي قوله عز وجل : ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ دليل على جواز القتال فيها على وجه الدفع، وذهب علماؤنا إلى أن المراد بقوله عز وجل : منها أربعة حرم تعظيم انتهاك حرمتها بالظلم والفساد فيها وتعظيم ثواب الطاعة التي يفعل فيها[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يدل على أن الله تعالى أخرج هذه الأشهر الحرم من أن تكون حرما في باب الجهاد؛ لئلا يقدر أحد أن الجهاد داخل تحت قوله عز وجل " ﴿ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ " وكان الله عز وجل ميز الجهاد من الظلم الذي هو إقدام على النفوس والأموال[٢] .

---

(١) انظر: تفسير النكت والعيون (٢/٣٦٠)، والتفسير الوسيط (٢/٤٩٤)، وزاد المسير (٢/٢٣٦)، ومفاتيح الغيب (١٥/٥٢٤)، وتفسير الخازن (٢/٣٣٦)، والبحر المحيط (٥/٤١٥)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (١/٥٢١)، وتفسير النيسابوري (٣/٤٢٩).

(٢) قال الماوَرْدِي: "واختلفوا في تحريم القتال في الأشهر الحرم هل نسخ أم لا؟ فقال الزهري: هو منسوخ بقوله تعالى: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} . وقال عطاء: هو ثابت الحكم ، وتحريم القتال فيه باقٍ غير منسوخ ، والأول أصح لما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه غزا هوازن بحنين ، وثقيفاً بالطائف ، وأرسل أبا العاص إلى أوطاس لحرب مَنْ بها من المشركين في بعض الأشهر الحرم ، وكانت بيعة الرضوان على قتال قريش في ذي القعدة"، النكت والعيون (١/٢٧٥).

وانظر: تفسير الطبري (٣/٥٨١)، وبحر العلوم؛ للسمرقندي (٢/٥٦)، ومعالم التنزيل ؛ للثعلبي (٥/٤٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٣/٤٣).

قوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم / بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ ٢٦= ب

وذلك أن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة مرجعه من الطائف ثم أمره الله عز وجل بالجهاز لغزوة الروم وأمره بالخروج إلى غزوة تبوك وذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت ثمار أهل المدينة فأمرهم رسول الله ﷺ بالجهاز وكانوا يتثاقلون عن الخروج ويحبون الظلال والثمار فأنزل الله عز وجل هذه الآية[١]، ومعناها أي شيء لكم إذا قيل لكم اخرجوا إلى (جهاد)[٢] المشركين تثاقلتم إلى الأرض وتكاسلتم فاطمأننتم إلى أوطانكم والنفر الخروج إلى الشيء لأمر هيج عليه، ويقال هو الخروج إلى موضع الفزع، ويقال: نفر من كذا إذا فزع منه (ونفر إلى كذا إذا فزع إليه)[٣] [٤].

وقوله عز وجل : ﴿ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ﴾ استفهام بمعنى الإنكار، معناه اخترتم عمل الدنيا على عمل الآخرة والحياة في الدنيا على الحياة الدائمة في

---

(١) جاء معنى ذلك عن مجاهد، ومقاتل، انظر: تفسير مجاهد (٣٦٨/١)، وتفسير مقاتل (١٧٠/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٢٥٣/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٦/٦)، وانظر: بحر العلوم (٥٨/٢)، والنكت والعيون (٣٦٢/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٥/٢)، وتفسير السمعاني (٣٠٩/٢)، وزاد المسير (٢٥٩/٢).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (ثمار).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٥١/١٤).

الآخرة فما متاع الحياة الدنيا (أي ما منفعة الدنيا في الآخرة وفيما يتمتع به أولياء الله)[١] في الجنة إلا يسير؛ لأن الدنيا تضمحل ويفنى أهلها والآخرة هي دار القرار[٢].

ثم خوفهم الله عز وجل بقوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ معناه إلا تخرجوا مع نبيكم في الجهاد يعذبكم عذاب الاستئصال ويستبدل قوما غيركم يستبدل بكم خيراً وأطوع لله عز وجل منكم ولا تنقصوا من ملكه شيئا بقعودكم عن الجهاد والله على كل شيء قدير من العذاب والبدل وغير ذلك قادر، والأصل في قوله عز وجل ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ ﴾ (إن لا تنفروا) وأدغمت النون في اللام .

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (أي ما منفعة الدنيا في الآخرة فيما ينفع به أولياء الله).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٥٢/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٤٧/٢)، وبحر العلوم (٥٨/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٤١/٨)، وتفسير الخازن (٣٦٠/٢)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٢٠٩/٣)، وروح المعاني (٢٨٧/٥).

قوله عز وجل﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾.

وذلك أن كفار مكة لما أرادوا قتل رسول الله ﷺ نزل عليه جبريل عليه السلام فأخبره بذلك (وأمره بالخروج)[١] فقال عليه السلام لعلي كرم الله وجهه:" نم مكاني على الفراش"، وخرج رسول الله ﷺ من ليلته تلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فخرجا إلى غار[٢] جبل ثور وهو جبل بأسفل مكة، ومشى رسول الله ﷺ على أطراف أصابعه حتى حفيت قدماه فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه حمله على عاتقه وجعل يشتد به حتى أتى فم الغار وكان الغار معروفا بالهوام فسبق أبو بكر رضي الله عنه إلى الغار وجعل يسد الجحرة بثيابه خشية أن يخرج منها شيء فيؤذي رسول الله ﷺ فبقي جحران فوضع عقبيه عليهما وكانا في الغار ليلتهما ودخل الكفار على علي عليه السلام ليلا لا يشكون أنه[٣] رسول الله ﷺ فلما نظروا إليه إذا هو علي كرم الله وجه، فقالوا: يا علي أين محمد ؟ فقال لا أدري أين ذهب، فطلبوه من الغد واستأجروا رجلا يقال له **كرز بن علقمة الخزاعي**[٤] فقفا لهم الأثر حتى أتى بهم إلى ثور وقال انتهيا إلى هنا وهذا أثره فما أدري أخذ يمينا أو شمالاً أو صعد الجبل فصعدوا الجبل يطلبونه فيه وأعمى الله عز وجل عليهم مكانه فلم يحسوا فيه أثره فقام رجل

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) الغار: لغة في الغيرة، والغار: الجماعة من الناس، والغاران: فم الإنسان وفرجه، والغار الذي كان النبي، ﷺ، يتحنث فيه قبل النبوة: غار في جبل حراء، وقد مرّ ذكر حراء، والغار الذي أوى إليه هو وأبو بكر، رضي الله عنه: في جبل ثور بمكة. انظر: معجم البلدان (١٨٢/٤)، ومثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن (٨٦/٢).

(٣) في أ (لا يشكون إلا أنه).

(٤)كرز بن علقمة: بن هلال بن جريبة الخزاعي. ويقال: كرز بن حبيش، قال البخاري: لص صحبة، أسلم يوم الفتح، وعمّر طويلا، وعمي في آخر عمره، وكان ممّن جدّد أنصاب الحرم في زمن معاوية، وسكن المدينة، انظر: معرفة الصحابة (٢٤٠٩/٥)، والاستيعاب ١٣١١/٣)، والإصابة (٤٣٥/٥).

منهم يبول مستقبلاً رسول الله ﷺ وأبا بكر بعورته فقال أبو بكر ﷺ يا رسول الله ما أراه إلا قد أبصرنا فقال‌ﷺ لو أبصرنا ما استقبلنا (بعورته)[١] وأقبل فتيان قريش من كل بطن معهم عصيهم وقسيهم حتى أتوا باب الغار وكان رسول الله ﷺ مر على ثمامة وهي شجرة صغيرة ضعيفة يكن على رأسها مثل القطن فأمر أبا بكر ﷺ أن يأخذها معه فلما صارا إلى باب الغار أمره أن يجعلها على باب الغار وألهم الله عز وجل العنكبوت فنسجت حتى سترت وجه النبي ﷺ وصاحبه وبعث الله حمامتين وحشيتين فأقبلتا حتى وقعتا بين العنكبوت وبين الشجرة فلما رأوا الشجرة والحمامة ونسج العنكبوت علموا أن ليس في الغار أحد وكان أبو بكر ﷺ يقول يا رسول الله قد أتينا وما أنا إلا رجل واحد؛ فإن قتلت أنت تملك هذه الأمة فلا يعبد الله عز وجل بعد هذا اليوم، فقال: لا تحزن يا أبا بكر إن الله معنا، ثم نزل المشركون من الجبل ولم يقدروا على رسول الله ﷺ فمكث رسول الله ﷺ/ بالغار ثلاثة أيام ولياليهن وكان (عبد الله بن أبي بكر)[٢] [٣] رضي الله عنهما يأتيهما بأخبار أهل مكة فلما أمنا الطلب وكان رسول الله ﷺ أمر بالهجرة إلى المدينة استأجر رجلا يقال له عبد الله بن أريقط يهديهم إلى الطريق فخرج بهم إلى المدينة فسمع **سراقة بن مالك بن جشعم الكناني**[٤] بخروجه إلى المدينة فلبس لامته وركب فرسه يتبع آثارهم حتى أدرك رسول الله عليه الصلاة والسلام فدعا عليه رسول الله ﷺ فرسخت قوائم فرسه فقال يا محمد ادع الله أن يطلق علي فرسي وأرد عنك من أرى من الناس فقال ﷺ اللهم إن كان صادقا فأطلق فرسه فأطلق الله عز وجل فرسه فرجع سراقة وقدم أبو

٢٧= أ

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (عبدالله بن عمر).

(٣) عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ، هُوَ الَّذِي يَأْتِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَاهُ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ بِزَادِهِمَا وَأَخْبَارِ مَكَّةَ كُلَّ لَيْلَةٍ، رُمِيَ يَوْمَ الطَّائِفِ بِسَهْمٍ فَلَمْ يَزَلْ يَتَعَاهَدُهُ حَتَّى مَاتَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ أَبِيه. انظر: معرفة الصحابة (١٦٩٥/٣)، والإصابة (٢٤/٤).

(٤) سراقة بن مالك بن جعشم بضم الجيم والمعجمة بينهما عين مهملة ساكنة الكناني ثم المدلجي أبو سفيان صحابي مشهور من مسلمة الفتح مات في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين وقيل بعدها. انظر: معرفة الصحابة (١٤٢١/٣)، والاستيعاب (٥٨١/٢)، والإصابة (٣٥/٣).

بكر رضي الله عنه مع النبي ﷺ حتى أتيا المدينة[(١)]، هكذا روي، وفي هذا قصة طويلة رويت من طرق مختلفة بألفاظ مختلفة.

ومعنى هذه الآية إلا تنصروا محمد ﷺ في الخروج معه إلى تبوك فالله عز وجل ينصره كما نصره إذ أخرجه الكفار من مكة وهو ثاني اثنين أي أحد اثنين لم يكن معهما غيرهما[(٢)]، تقول العرب خامس خمسة تريد بذلك أحدهم[(٣)].

وقوله عز وجل: ﴿ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ ﴾ أراد به غار ثور حين خرجا إليه والغار الثقب الذي يكون في الجبل[(٤)].

---

(١) هذا الحديث جاء مقطعا: فأخرج بعضه البخاري في صحيحه (٦٦/٦) رقم (٤٦٦٣) كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: ٤٠] ، وأخرجه مسلم في صحيحه (١٨٥٤/٤) رقم (٢٣٨١) كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه.

وأخرجه مطولا: ابن حبان في السيرة النبوية وأخبار الخلفاء (١٢٧/١)، وأبو نعيم في دلائل النبوة (٣٢٧/١) رقم (٢٣١) و (٤٧٧/٢)، وأخرجه ابن حزم في جوامع السيرة (٧٠/١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤٧٩/٢).

وانظر: تفسير الطبري (٢٥٩/١٤)، معاني القرآن للزجاج (٤٤٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٠/١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٥٧/١٤)، وبحر العلوم (٥٨/٢)، وتفسير الثعلبي (٤٧/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٤٩/٢)، والمحرر الوجيز (٣٥/٣)، وزاد المسير (٢٦٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٨١/٣).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (٣٥٨/١)، وتفسير الطبري (٢٥٧/١٤)، ومعاني القرآن للزجاج (٤٤٩/٢)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١١٩/٢)، وتهذيب اللغة (٤٥/١٥)، والصحاح (٢٢٩٥/٦)، ولسان العرب (١١٦/١٤)، والتفسير الوسيط (٤٩٦/٢)، وتفسير السمعاني (٣١٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٤٣/٨).

(٤) تقدم بيانه قريبا.

وقوله عز وجل :﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ معناه: إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر رضي الله عنه لا تحزن على قتلي وذهاب الإسلام إن الله عز وجل يحفظنا ويدفع شر المشركين عنا[1].

وقوله تعالى :﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ ﴾ أي أنزل طمأنينته على رسول الله ﷺ حتى سكن واطمأن[2]، ويقال أنزل الله سكينته على صاحبه أبي بكر رضي الله عنه فإن النبي ﷺ كان ساكنا[3].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ معناه وأعان محمدا ﷺ وقواه يوم بدر والأحزاب وحنين بجنود لم يعاينوها وهم الملائكة[4].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٥٨/١٤)، وبحر العلوم (٦٠/٢).

(٢) **قال الزجاج**: " يجوز أن تكون الهاءَ التي في عليه لأبي بكر، وجائز أن تكون ترجع على النبي - ﷺ - لأن اللَّه جل ثناؤُه ألقى في قلبه ما سَكَن بِهِ وعلم أنَهمْ غيرُ وَاصِلين إليه"، معاني القرآن (٤٤٩/٢).

وقد أبطل هذا القول الرازي فقال: " وَمَنْ قَالَ الضمير في قوله: عَلَيْهِ عائدا إِلَى الرَّسُولِ فَهَذَا بَاطِلٌ لِوُجُوهٍ...فذكر ثلاثة وجوه مطولة"، انظرها في مفاتيح الغيب (٥٢/١٦).

وانظر: تفسير مقاتل (١٧١/٢)، وتفسير الطبري (٢٦١/١٤)، وبحر العلوم (٦٠/٢)، والنكت والعيون (٣٦٤/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٢٢/٢)، وتفسير ابن جزئ (٣٣٨/١) وقواه.

(٣) وهذا قول ابن عباس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي علي، والأصم، وفي هذا القول حكى القرطبي عن ابن العربي قال: " قَالَ عُلَمَاؤُنَا وَهُوَ الْأَقْوَى"، تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٤٨/٨). وانظر: تفسير الطبري (٢٦١/١٤)، و معاني القرآن (٤٤٩/٢)، والنكت والعيون (٣٦٤/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٣/٢)، والمحرر الوجيز (٣٦/٣)، وتفسير الخازن (٣٦٤/٢)، تفسير القاسمي (٤٢٠/٥).

(٤) قال الماوَرْدِي: "فيه وجهان: أحدهما: بالملائكة. والثاني: بالثقة بوعده واليقين بنصره" النكت والعيون (٣٦٥/٢).

انظر: تفسير مقاتل (١٧١/٢)، وتفسير الطبري (٢٦١/١٤)، وبحر العلوم (٦١/٢)، وتفسير السمعاني (٣١٢/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٤/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٤٩/٨)، وتفسير ابن جزئ (٣٣٨/١).

وقوله عز وجل : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰ ﴾ أي جعل كلمة الشرك مغلوبة مذمومة وجعل أهلها أذلة أسفلين[1].

وقوله عز وجل : ﴿ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ ﴾ أي جعل كلمة التوحيد هي الكلمة العالية الممدوحة أعز الله عز وجل بها الإسلام والله عزيز أي منيع بالنقمة من عصاه حكيم فيما حكم به من أمر[2].

(١) **قال ابن الجوزي**: " فيها قولان: أحدهما: أن كلمة الكافرين الشرك، جعلها الله السفلى لأنها مقهورة، والثاني: أن كلمة الكافرين ما قدَّروا بينهم في الكيد به ليقتلوه،"، زاد المسير (٢٦٢/٢).

وانظر: بحر العلوم (٦١/٢)، وتفسير الثعلبي (٤٨/٥)، وتفسير السمعاني (٣١٢/٢)، وتفسير البيضاوي (٨١/٣)، وتفسير الخازن (٣٦٥/٢)، وتفسير أبي السعود (٦٦/٤).

(٢) انظر: بحر العلوم (٦١/٢)، وزاد المسير (٢٦٢/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٤/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٤٩/٨)، زاد المسير (٢٦٢/٢).

قوله عز جل ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾.

معناه: انفروا إلى الجهاد في سبيل شبانا وشيوخا[١]، وقيل موسرين وقيل معسرين[٢]، وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل نشاطا وغير نشاط[٣]، أي خَفّت عليكم الحركة أو ثقلت وجاهدوا العدو بأموالكم وأنفسكم في طاعة الله ذلكم أي الجهاد بالمال والنفس خير لكم من القعود عن الجهاد إن كنتم تعلمون أن الله صادق بوعده ووعيده، وقيل (إن كنتم)[٤] تعلمون الخير في الجملة فأعلموا أن هذا خير فارغبوا فيه[٥]، وفي الآية دلالة على أن الجهاد بالمال والنفس جميعا واجب لمن استطاع بهما، ومن استطاع الجهاد بأحدهما فعليه أن يجاهد بما

---

(١) قاله أبو طلحة، والمغيرة بن النعمان، والحسن، وأبو صالح، وعكرمة، وبشر بن عطية، ومقاتل بن حيان، ومجاهد، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٢/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٢/٦)، وانظر: بحر العلوم (٦١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٩/٢).

قال المَاوَرْدِي: " فيه عشرة تأويلات: أحدها: يعني شباباً وشيوخاً، والثاني: في اليسر والعسر فقراء وأغنياء، والثالث: مشاغيل وغير مشاغيل، والرابع: نشاطاً وغير نشاط، والخامس: ركباناً ومشاة، والسادس: ذا صنعة وغير ذي صنعة، والسابع: ذا عيال وغير ذي عيال، والثامن: أصحاء وغير أصحاء ومرضى، والتاسع: على خفة البعير وثقله، والعاشر: خفافاً إلى الطاعة وثقالاً عن المخالفة. ويحتمل حادي عشر: خفافاً إلى المبارزة"، النكت والعيون (٣٦٦/٢).

(٢) قاله الحسن، وأبو صالح، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٣/٦)، وانظر: بحر العلوم (٦١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٩/٢).

(٣) قاله ابن عباس، وقتادة، والحكم، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٠/٢)، و أخرجه الطبري في تفسيره (٢٦٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٣/٦)، وانظر: بحر العلوم (٦١/٢)، والتفسير الوسيط (٤٩٩/٢).

(٤) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (أنكم).

(٥) انظر: التفسير الوجيز؛ للواحدي (٤٦٥/١)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٢/١).

استطاع، ويقال: إن هذا كان في غزوة تبوك وكان النَفَر مع رسول الله ﷺ فرضاً على من استنفر وليس كذلك حكم النفر مع غيره[١].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم نسخها بقوله عز وجل : وما كان المؤمنون لينفروا كافة[٢]، ويقال لا نسخ في هذه الآية فإن المراد بهذه الآية أن أهل الثغور إذا لم يقدروا على مقاومة العدو واستنفروا كان النفر فرضا على جماعة المسلمين، والمراد بقوله عز وجل ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾[٣] أن الذين في وجه العدو إذا قدروا على مقاومتهم سقط فرض الجهاد عن الباقين؛ لأن الجهاد فرض على الكفاية[٤]، وقد روي أنه لما نزلت هذه

---

(١) **قال الطبري** :" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنَّفر لجهاد أعدائه في سبيله، خفافًا وثقالا. وقد يدخل في "الخفاف" كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا يُسْرٍ بمالٍ وفراغ من الاشتغال، وقادرًا على الظهر والركاب." تفسير الطبري (١٤/٢٦٩)=

=**وقال الواحدي**: " هذا عام في كل أحد لأنه ما من أحد إلا وهو ممن تخف عليه الحركة، أو تثقل، فهو ممن أمر في هذه الآية بالنفير"، التفسير الوسيط (٢/٤٩٩). وانظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٥١).

(٢) أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٢/٧٨٥)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٠٣)، وأخرجه أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١/٢٠٥)، وأخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ (١/٥٠٣).

(٣) سورة التوبة آية (١٢٢).

(٤) **قال السمرقندي**: "في الحالة التي وقع فيها النفير عاما، وجب على جميع الناس الخروج إلى الجهاد، وإذا لم يكن النفير عاماً، لا يكون فرضاً عاماً. فإذا خرج بعض الناس، سقط عن الباقين، وبه نأخذ."، بحر العلوم (٢/٦١).

وانظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم (١/٢٠٤)، والناسخ والمنسوخ ؛ للنحاس (١/١١٧)، ، والناسخ والمنسوخ لابن المقري (١/٧٥)، والناسخ والمنسوخ؛ لابن حزم (١/٣٤)، وقلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، لمرعي المقدسي (١/٩٢).

الآية سارعوا إلى الخروج مع النبي ﷺ فخرج بهم إلى تبوك فلما رجع بهم أنزل الله عز وجل فيمن تخلف بغير عذر[(١)].

قوله عز وجل ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

معناه: لو كان المدعو إليه غنيمة قريبة وسفرا سهلا لاتبعوك؛ أي: لو علموا أنهم يصيبون مغنما لخرجوا معك؛ ولكن بعدت عليهم المسافة إلى/ الشام، وسيحلفون بالله في اعتذارهم إليكم لو كان لنا سعة في المال والزاد لخرجنا في غزاتكم ، يهلكون أنفسهم باليمين الكاذبة والقعود عن الجهاد ، والله يعلم أن لهم سعة في المال والزاد وإنهم لكاذبون في الاعتذار[(٢)]، والعرض كل ما يعرض لك من متاع الدنيا[(٣)]، والشقة القطعة من الأرض يشق ركوبها على صاحبها لبعدها، ويحتمل أن تكون من الشق ، ويحتمل أن تكون من المشقة[(٤)]، وفي الآية دلالة على نبوة محمد

٢٧= ب

(١) جاء ذلك عن مجاهد، ومقاتل، وابن زيد، وعكرمة، انظر: تفسير مجاهد (٣٧٧/١)، وتفسير مقاتل (٢٠٣/٢)، وتفسير الشافعي (٩٦١/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٥٦٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٩٧/٦)، وانظر: المحرر الوجيز (٣٧/٣).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٧٢/٢)، وتفسير الطبري (٢٧١/١٤)، وبحر العلوم (٦٢/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٠/٢)، وتفسير الكشاف (٢٧٣/٢)، وتفسير البيضاوي (٨٢/٣).

(٣) **قال المَاوَرْدِي**: " فيه وجهان: أحدهما: يعني بالعرض ما يعرض من الأمور السهلة. والثاني: يعني الغنيمة"، النكت والعيون (٣٦٧/٢).

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٤٩/٢)، وتفسير الكشاف (٢٧٣/٢)، وزاد المسير (٢٦٣/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٦/١٦)، وتفسير الخازن (٣٦٦/٢).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٤٩/٢)، وبحر العلوم (٦٢/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠٧/٢)، والنكت والعيون (٣٦٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٥٠/٥)، والتفسير الوسيط (٥٠٠/٢)، والتفسير الوجيز (٤٦٥/١)، وتفسير السمعاني (٣١٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٤/٢)، وزاد المسير (٢٦٣/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٦/١٦)، وافسير العز بن عبد السلام (٢٣/٢).

ﷺ لأنه أخبر أنهم سيحلفون فحلفوا ووقع مخبر خبره على ما أخبر به[١].

قوله عز وجل ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

معناه: تجاوز الله عنك يا محمد لم أذنت لهم في القعود عن الجهاد حتى يظهر لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين في عذرهم[٢]، وفي الآية بيان أن ما فعله ﷺ كان ذنبا منه؛ لأن الصفح لا يكون إلا بعد الذنب إلا أن ذنوب الأنبياء لا تكون إلا صغائر[٣]، وقيل لو أن الله عز وجل أخبره بالذنب قبل أن يخبره بالعفو لكان يخاف على النبي ﷺ من هيبته، قوله عز وجل : لم أذنت لهم، إلا أن الله عز وجل أخبره بالعفو حتى يسكن قلبه ثم قال عز وجل لم أذنت لهم[٤].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣٨/٣)، ومفاتيح الغيب (٥٧/١٦)، وتفسير البيضاوي (٨٢/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٢/١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٧٢/٢)، وتفسير الطبري (٢٧٣/١٤)، والتفسير الوجيز (٤٦٥/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٤/٢).

(٣) إنما هذا عاتب، قال بذلك: مورق العجلي، وعون بن عبد الله، **قال الطبري**: "هذا عتاب من الله تعالى ذكره، عاتبٌ به نبيَّه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين"، تفسير الطبري (٢٧٢/١٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٠٥/٦)، وبحر العلوم (٦٢/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٠/٢)=

= وتكلم الزمخشري هنا بكلام شديد فقال: "ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت" الكشاف (٢٧٤/٢)، وهذا مما لا ينبغي التعبير به بل فيه فيما أرى عدم توقير للنبي ﷺ، وإنما ذكرته تنبيها ليتقى مثل هذا، والله تعالى أعلم.، وما أحسن ما قاله ابن عطية، حيث قال: " عَفَا اللَّهُ عَنْكَ استفتاح كلام، كما تقول أصلحك الله وأعزك الله، ولم يكن منه ﷺ، ذنب يعفى عنه لأن صورة الاستنفار قبول الإعذار مصروفة إلى اجتهاده" المنحرر الوجيز (٣٨/٣).

(٤) وهذا معنى قول قتادة: "قَوْلِهِ {فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ} [النور: ٦٢] قَالَ: «رَخَّصَ لَهُ هَا هُنَا بَعْدَمَا قَالَ لَهُ» {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} [التوبة: ٤٣]"، تفسير مجاهد (٤٩٥/١) ، وأخرجه الطبري في التفسير (٢٧٣/١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٠٨/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٠/٢).

قوله عز وجل ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾.

معناه: لا يستأذنك المؤمنون في القعود عن الجهاد[١].

وقوله عز وجل: ﴿ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ ﴾ معناه: أن لا يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم[٢]، ويقال كراهة أن يجاهدوا[٣]، ويقال معناه: إن المخلصين لا يستأذنوك بعد إذ أمرتهم بالشيء؛ بل يسعون إلى ما أمرتهم به[٤].

وقوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ أي عالم بالمخلصين المطيعين فميزهم عن المنافقين[٥].

---

(١) تفسير الطبري (٢٧٤/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٠/٢)، وبحر العلوم (٦٢/٢)، التفسير الوجيز (٤٦٥/١)، وتفسير السمعاني (٣١٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٤/٢)، وتفسير ابن كثير (١٥٩/٤).

(٢) ذكر الرازي هنا تقديرين، الأول "وَالتَّقْدِيرُ: فِي أَنْ يُجَاهِدُوا" والثاني " وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَسْتَأْذِنُكَ هَؤُلَاءِ فِي أَنْ لَا يجاهدوا"، مفاتيح الغيب (٦٠/١٦).

وانظر: تفسير الكشاف (٢٧٤/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٥٥/٨)، وذحسن الخازن القول الأول في تفسيره (٣٦٨/٢)، وتفسير النيسابوري (٤٧٦/٣)، وفتح القدير (٤١٧/٢).

(٣) انظر: تفسير الكشاف (٢٧٤/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٥٥/٨)، وتفسير البيضاوي (٨٢/٣)، والبحر المحيط (٤٢٧/٥)، وتفسير النيسابوري (٤٧٦/٣)، وتفسير أبي السعود (٦٩/٤)، وفتح القدير (٤١٧/٢).

(٤) انظر: تفسير الكشاف (٢٧٤/٢)، وتفسير البيضاوي (٨٢/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٣/١)، وتفسير ابن جزي (٣٣٩/١)، والبحر المحيط (٤٢٧/٥)، وتفسير النيسابوري (٤٧٦/٣)، وتفسير أبي السعود (٦٩/٤)، وروح البيان (٤٤٢/٣).

(٥) انظر: تفسير البيضاوي (٨٢/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٣/١)، وتفسير الخازن (٣٦٨/٢)، وتفسير ابن كثير (١٥٩/٤)، وتفسير القاسمي (٤٢٤/٥).

وقولـه عـز وجـل ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

معناه: إنما يستأذنك في القعود عن الجهاد الذين لا يصدقون بالله وبيوم البعث وشكت واضطربت قلوبهم فهم في شكهم يتحيرون[١]؛ فالريب شك مع اضطراب القلب [٢].

قولـه عـز وجـل ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾.

معناه: ولو أردوا الخروج معك إلى العدو لا تخذوا له أهبة، لأن من أراد شيئاً لطف به لإيقاع ذلك الشيء[٣].

وقوله عز وجل :﴿ وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ ﴾ معناه: ولكن لم يرد الله خروجهم معك؛ لأنهم لو خرجوا لكان يقع (خروجهم)[٤] على وجه التضريب فيما بين المسلمين وإساءة الأمر وذلك كفر ومعصية[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٧٥/١٤)، وبحر العلوم (٦٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٥/٢)، والمحرر الوجيز (٣٩/٣)، ومفاتيح الغيب (٦٠/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٣/١).

(٢) انظر: روح البيان (٤٤٢/٣).

(٣) **قال المَاوَرْدِي:** "فيه وجهان: أحدهما: صدق العزم ونشاط النفس. والثاني: الزاد والراحلة في السفر ، ونفقة الأهل في الحضر"، النكت والعيون (٣٦٨/٢)

وانظر: تفسير الطبري (٢٧٦/١٤)، وبحر العلوم (٦٣/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠١/٢)، والمحرر الوجيز (٤٠/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٥٦/٨).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) **قال ابن إسحاق:**" ثبطهم الله، لعلمه بهم، أن يخرجوا معهم، فيفسدوا عليه جنده"، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧٧/١٤)، وجاء عن ابن زيد :"يخذونكم"، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٠٧/٦). =

وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ معناه: قيل لهم اقعدوا مع النساء والصبيان[١]، يجوز أن يكون القائل لهم ذلك النبي ﷺ بأمر الله عز وجل[٢]، ويجوز أن يكون قد قال بعضهم لبعض [٣]،

وقيل: قال لهم الشيطان ووسوس لهم ترغيبا في القعود[٤].

ثم أخبر الله عز وجل المسلمين أن لا منفعة لهم في خروجهم؛ بل عليهم مضرة منهم فقال عز من قائل : ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾.

معناه: لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوه؛ ولكن زادوكم شرا وفسادا[٥]. وقوله : عز وجل **وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ** معناه: ولأسرعوا فيما بينكم يطلبون لكم فساد الرأي وعيوب المسلمين[٦] ،

=وانظر: التفسير الوسيط (٢/٥٠١)، وتفسير الكشاف (٢/٢٧٦)، وبحر العلوم (٢/٦٣)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢٠٨)، والنكت والعيون (٢/٣٦٨).

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٧٧)، والنكت والعيون (٢/٣٦٨)، والمحرر الوجيز (٣/٤٠)، وزاد المسير (٢/٢٦٤)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٨٣)، وتفسير الخازن (٢/٣٦٨).

(٢) انظر: النكت والعيون (٢/٣٦٨)، وتفسير الكشاف (٢/٢٧٥)، وزاد المسير (٢/٢٦٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٥٦)، وتفسير الخازن (٢/٣٦٨).

(٣) انظر: النكت والعيون (٢/٣٦٨)، والتفسير الوسيط (٢/٥٠١)، وتفسير السمعاني (٢/٣١٤)، وتفسير الكشاف (٢/٢٧٥)، وزاد المسير (٢/٢٦٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٥٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٨٣).

(٤) انظر: تفسير الكشاف (٢/٢٧٥)، وتفسير البيضاوي (٣/٨٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٨٣)، وتفسير أبي السعود (٤/٧١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٧٨)، وبحر العلوم (٢/٦٣)، وتفسير الثعلبي (٥/٥١)، وتفسير النكت والعيون (٢/٣٦٨)، والتفسير الوسيط (٢/٥٠١)، وتفسير السمعاني (٢/٣١٤)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٨٤).

(٦) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٥١)، وضعف هذا القول ابن عطية؛ المحرر الوجيز (٣/٤١).

ويقال لساروا فيما بينكم بالنميمة[١]، والإيضاع هو الإسراع (في السير)[٢] يقال أوضع البعير و أوضعته إيضاعا[٣]، وقوله وفيكم سماعون لهم معناه: فيكم قابلون منهم ما تسمعون منهم ويقال في عسكركم عيون لهم ينقلون إليهم ما يسمعون منكم[٤].

وقوله عز وجل : ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي عالم بهم يجازيهم على سوء[٥] أفعالهم .

(١) انظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢٠٨)، والتفسير الوسيط (٢/٥٠١)، والكشاف (٢/٢٧٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٨٤).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٧٨)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٥١)، وبحر العلوم (٢/٦٣)، وتفسير الثعلبي (٥/٥١)، والمحرر الوجيز (٣/٤١)، وزاد المسير (٢/٢٦٥).

(٤) **قال المَاوَرْدِي**: " ثلاثة أقاويل: أحدها: وفيكم من يسمع كلامهم ويطيعهم ، قاله قتادة وابن إسحاق. والثاني: وفيكم عيون منكم ينقلون إلى المشركين أخباركم ، قاله الحسن"، النكت والعيون)٢/٣٦٩).

وانظر: بحر العلوم (٢/٦٣)، وتفسير الثعلبي (٥/٥١)، والتفسير الوسيط (٢/٥٠١)، وتفسير السمعاني (٢/٣١٤)، وزاد المسير (٢/٢٦٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٨٤).

(٥) في أ (على قدر أفعالهم).

قوله عز وجل ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

معناه: إن هؤلاء المنافقين قلبوا اختلاف آرائكم وتشتيت كلمتكم من قبل غزوة تبوك فقلبوا لك الأمور ظهرا لبطن فيما ذا يفعلون بك وبأصحابك من الشر وكيف يحتالون في هلاكك وهلاك أصحابك وقلب جعله مرة أعلى ومرة أسفل[1].

وقوله عز وجل : ﴿ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ ﴾ /معناه: حتى جاء الإسلام وأظهره الله عز وجل على سائر الأديان وهم كارهون لذلك [2]. ٢٨= أ

قوله عز وجل ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

نزلت في جد بن قيس من المنافقين دعاه النبي ﷺ إلى الخروج إلى العدو وحرضه على الجهاد وقال يا جد هل لك العام في جلاد بني الأصفر فقال يا رسول الله ائذن لي أقيم ولا تفتني ببنات الأصفر فقد عرف قومي عجبي بالنساء وإني أرى المرأة تعجبني فما أملك نفسي حتى أضع يدي على المحرم ، وكان الأصفر رجلا من الحبشة ملك الروم فتزوج رومية فولد له منها

---

(١) **قال المَاوَرْدِي**: " يحتمل أربعة أوجه: أحدها: معاونتهم في الظاهر وممالأة المشركين في الباطن. والثاني: قولهم بأفواههم ما ليس في قلوبهم. والثالث: توقع الدوائر وانتظار الفرص. والرابع: حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم"، النكت والعيون (٢/٣٦٩).

وانظر: تفسير مقاتل (٢/١٧٣)، وتفسير الطبري (١٤/٢٨٣)، وبحر العلوم (٢/٦٣)، وتفسير السمعاني (٢/٣١٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٧٣)، وتفسير الطبري (١٤/٢٨٣)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢٠٩).

قال الثعلبي: " النصر والظفر"، تفسير الثعلبي (٥/٥٢).

بنات لغش اجتمع (فيهن)[١] سواد الحبشة وبياض الروم لم ير مثلهن فلما سمع رسول الله ﷺ قول جد بن قيس أعرض عنه وقال أذنت (لك)[٢] [٣].

وقوله عز وجل :﴿ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ معناه: ألا في الكفر والإثم وقعوا لمخالفتهم أمرك في الجهاد[٤].

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (فيها).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل؟

(٣) جاء عن ابن عباس مرفوعا، أخرجه البزار في مسنده (١٦٣/١١) رقم (٤٨٩٩)، وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٧٥/٥) رقم (٥٦٠٤)، وفي المعجم الكبير (٢٧٥/٢) رقم (٢١٥٤)،

وجاء عن عروة ، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٧/٩) رقم (١٧٨٧٠).

وجاء عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر بن حزم، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٨٧/١٤)، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣/٢).

والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٨٨).

(٤) **قال المَاوَرْدِي**: "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: لا تكسبني الإثم بالعصيان في المخالفة ، قاله الحسن وقتادة وأبو عبيدة والزجاج. والثاني: لا تصرفني عن شغلي ، قاله ابن بحر. والثالث: أنها نزلت في الجد بن قيس قال: ائذن لي ولا تفتني ببنات بني الأصفر فإني مشتهر بالنساء"، النكت والعيون (٣٧٠/٢).

وزاد ابن الجوزي رابعا فقال: الحرج، قاله ابن عباس، زاد المسير (٢٦٦/٢).

وانظر: تفسير مقاتل (١٧٤/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥١/٢)، وبحر العلوم (٦٤/٢)، وتفسير الثعلبي (٥٢/٥)، والتفسير الوسيط (٥٠٢/٢)، وتفسير السمعاني (٣١٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٦/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٥٩/٨).

وقوله عز وجل : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ معناه أنهم يدخلون جهنم لا محالة؛ لأن الشيء إذا كان محيطا بالإنسان فإنه لا يفوته [١].

قوله عز وجل ﴿ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ۝٥٠ ﴾.

معناه: إن تصبك يا محمد حسنة من فتح وغنيمة تسؤهم تلك الحسنة وإن تصبك شدة ونكبة يقولوا يعني المنافقين قد أخذنا أمرنا أي حذرنا بالتخلف عنهم من قبل هذه المصيبة ويتولوا عنك وهم معجبون بما أصابكم من الشدة [٢].

قوله عز وجل ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١ ﴾.

معناه: قل يا محمد للمنافقين لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ علينا[٣] **قال الحسن** ﷺ: معناه إنا لسنا مهملين؛ بل جميع ما يصيبنا من خير أو شر فهو مكتوب في اللوح المحفوظ[٤][٥]، ويقال معناه: قل لن يصيبنا في عاقبة (الأمر)[٦] إلا ما كتب الله لنا من

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٨٩/١٤)، و النكت والعيون (٣٧٠/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٢/٢)، وتفسير البيضاوي (٨٤/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٥/١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٧٤/٢)، وتفسير الطبري (٢٨٩/١٤)، والنكت والعيون (٣٧٠/٢)، وتفسير الكشاف (٢٧٨/٢)، والمحرر الوجيز (٤٢/٣).

(٣) (علينا) لا توجد في أ .

(٤) كلام الحسن لا يوجد في أ.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٩٠/١٤)، والنكت والعيون (٣٧١/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٢/٢)، وبحر العلوم (٦٤/٢)، ، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٥/١)، وتفسير ابن جزي (٣٣٩/١)، وتفسير الخازن (٣٧٠/٢).

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

الفتح والنصر على الكفار؛ فإن أصابتنا الهزيمة في الحال فإن أمور العباد لا تجري إلا على تدبير قد أحكم وأبرم[(١)].

وقوله عز وجل : ﴿ هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ أي ولينا يحفظنا وينصرنا، وقوله عز وجل :﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ معنى التوكل على الله تفويض الأمر إليه مع الثقة .

قوله عز وجل ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ** ﴿٥٢﴾ ﴾ .

معناه: هل ينتظرون بنا إلا النصرة على الكفار والظفر بهم أو القتل على وجه الشهادة في الدنيا مع ثواب الآخرة ونحن ننتظر بكم إحدى الشرين؛ إما أن يصيبكم الله عز وجل بعذاب الاستئصال من عنده؛ أو أن ينصرنا عليكم فنقتلكم بأسيافنا فانتظروا بنا ما قلنا كي[(٢)] ننتظر نحن بكم عذاب الاستئصال والنصرة عليكم [(٣)].

قوله عز وجل ﴿ **قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ** ﴿٥٣﴾ ﴾.

معناه: إن أنفقتم في الجهاد طائعين من قبل أنفسكم أو مكرهين مخافة القتل لن يتقبل منكم بما أسررتم من الكفر والنفاق وقد يذكر لفظ الأمر ويراد به الشرط والجزاء[(٤)]؛

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٧٤/٢) ، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٢/٢)، وبحر العلوم (٦٤/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٥/١)، وتفسير ابن جزي (٣٣٩/١)،، وتفسير القاسمي (٤٣/٢)

(٢) في أ (حتى).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٧٤/٢)، وتفسير الطبري (٢٩١/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٢/٢)، وبحر العلوم (٦٥/٢)، والمحرر الوجيز (٤٤/٣)، وزاد المسير (٢٦٦/٢).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٤٤١/١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١٢٣/٢)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (١٣٧/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٣/٢)، وتهذيب اللغة (١٨٥/٤، والصحاح (١٢٣٩/٣)، ولسان العرب (٩٦/١).

كما قال الشاعر[١] :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت[٢]

معناه إن أحسنت بنا أو أسأتِ فأنت لا ملومة[٣]، ويقال إنما ذُكر قوله: أنفقوا بلفظ الأمر لبيان التوسعة في التمكين من الخير[٤]؛ لأن التكليف يقتضي التمكين من الخير والشر؛ فإن المكلف لو لم يتمكن من فعل المأمور لم يستحق المدح والثواب على فعله، ولو لم يتمكن من ترك المنهي عنه لم يستحق المدح والثواب فصار التقدير كأنه قال: إنكم متمكنون من الإنفاق فأنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم؛ أي: لن يوجب لكم الثواب عليها وهو مشبه بقبول الهدية التي تقتضي المكافئة عليها[٥].

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ تعليل لنفي قبول نفقتهم لأن النفاق يحبط الطاعة ويمنع استحقاق الثواب .

---

(١) جرير الشاعر أبو حزرة جرير بن عطية.انظر: وفيات الأعيان ج١ص٣٢١).

ونسب هذا البيت أيضا: لكثير، انظر: عيون الأخبار (٣٥٦/٢)، وعيار الشعر (١٤٣/١).

(٢) والبيت من الكامل. انظر: عيون الأخبار (٣٥٦/٢)، وعيار الشعر (١٤٣/١)، وزهر الآداب (٤٠٩/٢)، والتذكرة الحمدونية (١٧٣/٦)، والحماسة البصرية (١٢٤/٢)، والشعر والشعراء (٥٠٦/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٩٣/١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١١/٢)، وتفسير الثعلبي (٥٣/٥)، والمحرر الوجيز (٦٤/٣)، وزاد المسير (٢٦٧/٢)، ومفاتيح الغيب (٦٩/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٦/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٩٣/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٣/٢)، وبحر العلوم (٦٥/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٧/٢)، والمحرر الوجيز (٤٤/٣)، ومفاتيح الغيب (٦٨/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٦/١).

(٥) انظر: تفسير الكشاف (٢٧٩/٢)، ومفاتيح الغيب (٦٩/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٦/١).

قولـــه عـــز وجـــل ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ /إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾.

٢٨= ب

فيه بيان المعنى الذي لأجله لم تقبل نفقاتهم؛ كأنه قال: ما منعهم من إيجاد الثواب لهم على نفقاتهم إلا كفرهم بالله تعالى وبرسوله ﷺ[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ ﴾ فيه بيان أنهم إنما يصلون مراءاة للناس وكذلك ينفقون في الزكاة وغيرها لأجل التستر بالإسلام لا لابتغاء ثواب الله عز وجل[٢]، والكسالى جمع كسلان كما يقال سكارى وسكران[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٩٤)، وبحر العلوم (٢/٦٥)، وتفسير السمعاني (٢/٣١٧)، والبحر المحيط (٥/٤٣٥)، وتفسير أبي السعود (٤/٧٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٩٥) ، وبحر العلوم (٢/٦٥)، والتفسير الوسيط (٢/٥٠٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٥٧)، وتفسير الخازن (٢/٣٧٠)، وتفسير القاسمي (٣/٣٧٨).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٥٣)، والكشاف (٢/٢٨٠)، والصحاح (٥/١٨١٠) مادة (كسل)، ولسان العرب (١١/٥٨٧) مادة (كسل)، والمصباح المنير (٢/٥٣٤) مادة (كسل)، والقاموس المحيط (١/١٠٥٣).

قوله عز وجل ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: في هذه الآية تقديم وتأخير المعنى لا تعجبك يا محمد كثرة أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا؛ إنما يريد الله عز وجل ليعذبهم، بها أي في الآخرة[(١)].

وقال الحسن ﷺ: معناه لا تسرك أموالهم ولا أولادهم؛ إنما يريد الله عز وجل أن يعذبهم بها ليشدد عليهم في التكليف بأن يأمرهم بالإنفاق في الزكوات والغزو وما شاكل ذلك من المكاره التي تشق عليهم؛ لأنهم لا يرجون بذلك ثوابا في الآخرة ويكونون معذبين بالإنفاق إذ كانوا ينفقونها على كره منهم[(٢)]، ويقال: أراد بقوله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا أي ما ينالهم من المصائب في أموالهم لا تكون كفارة لذنوبهم[(٣)] [(٤)].

---

(١) جاء عن ابن عباس، وقتادة، أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٥/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٣/٦)، وتفسير الثعلبي (٥٤/٥)، وتفسير السمعاني (٣١٨/٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٩٦/١٤) ، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٤/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٢/٢)، وتفسير الثعلبي (٥٤/٥).

(٣) جاء نحوه عن ابن زيد، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٣/٦) ، وانظر: تفسير الثعلبي (٥٤/٥)، والتفسير الوجيز (٤٦٨/١)، وتفسير السمعاني (٣١٨/٢).

(٤) ذكر الماوَرْدِي فيها خمسة أقوال فقال: " ه خمسة أقاويل: أحدها: فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة ، قاله ابن عباس وقتادة ويكون فيه تقديم وتأخير. والثاني: إنما يريد الله ليعذبهم بما فرضه من الزكاة في أموالهم ، يعني المنافقين. وهذا قول الحسن. والثالث: ليعذبهم بمصائبهم في أموالهم أولادهم ، قاله ابن زيد. والرابع: ليعذبهم ببني أولادهم وغنيمة أموالهم ، يعني المشركين ، قاله بعض المتأخرين. والخامس: يعذبهم بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والحزن عليها ، وكل هذا عذاب"، النكت والعيون (٣٧٢/٢).

وقال الطبري: "وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا، التأويلُ الذي ذكرنا عن الحسن. لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل، فصرْفُ تأويله إلى ما دلَّ عليه ظاهره، أولى من صرفه إلى باطنٍ لا دلالةَ على صحته.وإنما وجَّه من وجَّه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا، وجهًا يوجِّهه إليه"، تفسير الطبري (٢٩٦/١٤)، وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٤/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ ﴾ معناه وتخرج أرواحهم في حال كونهم كافرين[١]، والزهق خروج الشيء بالصعوبة وأصله الهلاك ومنه قوله عز وجل ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[٢].

قوله عز وجل ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

معناه: أن هؤلاء المنافقين يحلفون أنهم على دينهم[٣].

يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا هُم مِّنكُمْ ﴾ أي ليسوا على دينكم؛ ولكنهم قوم يفرقون من المسلمين فأظهروا الإسلام وأسروا النفاق[٤].

قوله عز وجل ﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

معناه: لو يجدون حرزا يلجئون إليه ويتحصنون فيه أو غيرانا في الجبال أو سَرَباً في الأرض أو قوما يمكنهم الدخول فيما بينهم يحفظونهم عنكم لصبوا إليهم[٥] وهم يستبقون ويسرعون

---

(١) جاء هذا عن ابن عباس، والسدي، والضحاك، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٤/٦)، وانظر: تفسير الطبري (٢٩٧/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٤/٢)، وبحر العلوم (٦٥/٢).

(٢) سورة الإسراء آية (٨١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٧٥/٢)، وتفسير الطبري (٢٩٧/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٤/٢)، وبحر العلوم (٦٦/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٧/١)، وتفسير الخازن (٣٧١/٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٩٨/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٤/٢)، وبحر العلوم (٦٦/٢)، وتفسير القرآن× لابن أبي زمنين (٢١٢/٢)، وزاد المسير (٢٦٨/٢).

(٥) في أ (لصبوا إليه).

إسراعا لا يرد وجوههم شيء[١]، والمغارة هي الموضع الذي من دخله استتر عن الغير[٢]، ومن قرأ مُغارات بضم الميم فهو من قولهم أغرأت وغرت إذا دخل الغور[٣]، والمدخل أصله مدخل مفيعل من الدخول أبدلت الياء بالدال؛ لأن الياء مهموسة والدال مجهورة وهما من مكان واحد فاجتمع حرفان من جنس واحد فأدغم أحدهما في الآخر[٤]، ومن قرأ مدخلا فهو من أدخل يدخل[٥]، والجمح مشي بين مشيين وهو من لغات أهل اليمن يقال فرس جموح للذي إذا ذهب في عدوه لم يرده اللجام[٦] .

---

(١) قال الماوَرْدِي: " فيه أربعة أوجه: أحدها: أنه الحرز ، قاله ابن عباس. والثاني: الحصن ، قاله قتادة. والثالث: الموضع الحريز من الجبل ، قاله الطبري. والرابع: المهرب ، قاله السدي. ومعاني هذه كلها متقاربة"، النكت والعيون (٣٧٢/٢).

وانظر: تفسير مقاتل (١٧٥/٢) ، وتفسير الطبري (٢٩٨/١٤)، وتفسير الخازن (٣٧١/٢).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٤/٢)، وبحر العلوم (٦٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٥٤/٥)، والتفسير الوسيط (٥٠٤/٢)، وتفسير النيسابوري (٤٨٦/٣).

(٣) انظر: روح المعاني؛ للألوسي (٣٠٩/٥)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٤/٢) ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦٥/٨)، وغريب القرآن؛ للسجستاني (٤١٧/١).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٥/٢)، وتفسير الثعلبي (٥٤/٥)، والتفسير الوسيط (٥٠٤/٢)، وتفسير النيسابوري (٤٨٦/٣)، وروح المعاني؛ للألوسي (٣٠٩/٥)،.

(٥) **قال الأزهري:** " قرأ الحضرمي وحده (أَوْ مَدْخَلًا) بفتح الميم، وقرأ الباقون (مُدَّخَلًا) بضم الميم وتشديد الدال"، معاني القراءات (٤٥٥/١).

وقال النحاس: " وتقرأ أو مدخلا بتشديد الدال والخاء وتقرأ أو مدخلا وتقرأ أو مدخلا ومعانيها متقاربة إلا أن مدخلا من دخل يدخل ومدخلا من أدخل يدخل"، معاني القرآن (٢١٩/٣).

وقال الأخفش: "وهي فيما أعلم أردأ الوجهين"، معاني القرآن (٣٥٩/١).

وانظر: تفسير الطبري (٢٩٨/١٤)، انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٥/٢).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٩٨/١٤) ، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٥/٢)، وبحر العلوم (٦٦/٢)، وتفسير السمعاني (٣١٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٨/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٧/١).

قوله عز وجل ﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨ ﴾.

نزل في أبي الجواظ وغيره من اللمازين من المنافقين كما روي أن النبي ﷺ كان يقسم الصدقات فقال أبو الجواظ (أما ترون)[١] صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم !! فقال له رسول الله ﷺ: لا أبا لك، أما كان موسى عليه السلام راعيا أما كان داوود عليه السلام راعيا؟! فذهب أبو الجواظ ، فقال رسول الله ﷺ: احذروا هذا وأصحابه فأنزل الله عز وجل هذه الآية[٢].

وعن أبي سعيد الخدري[٣] رضي الله عنه أنه قال: بينا رسول الله ﷺ يقسم قسما إذ جاءه ابن ذي الخويصرة التميمي فقال اعدل يا رسول الله قال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قال عمر رضي الله عنه ائذن لي أن اضرب عنقه فقال عليه السلام دعه فإن له أصحابا يحتقر أحدكم صلاته مع صلواتهم وصومه مع صومهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"[٤].

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (ماترون).

(٢) الأثر ذكره مقاتل في تفسيره (٢/١٧٥) لكنه قال: أبو الخواص، وذكره السمرقندي في بحر العلوم (٢/٦٦) وسماه (أبو الخواظ، وانظر: تفسير الكشاف ؛ للزمخشري (٢/٢٨١)، وتفسير النكت والعيون (١٦/٧٥)، وتفسير النيسابوري (٣/٤٨٦)، والسراج المنير (١/٦٢٢)، وتفسير البيضاوي (٣/٨٥).

(٣) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري أبو سعيد الخدري له ولأبيه صحبة واستصغر بأحد ثم شهد ما بعدها وروى الكثير مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين. انظر: معرفة الصحابة (٣/١٢٦٠)، والاستيعاب (٤/١٦٧١)، والإصابة (٣/٦٥)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/٩١) رقم (٣١٣٨) كتاب فرض الخمس، بَابٌ: وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الخُمُسَ لِنَوَائِبِ المسْلِمِينَ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢/٧٤٤) رقم (١٠٦٤) ، كتاب الكسوف، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ.

ومعنى الآية ومن المنافقين من يعيبك في الصدقات فإن أعطوا منها من الصدقة مقدار مرادهم رضوا بالقسمة وإن لم يعطوا من الصدقة لا يرضون بالقسمة[١]، وأما قوله عز وجل : ﴿ يَلْمِزُكَ ﴾ بضم الميم وكسرها فهما لغتان بمعنى واحد [٢].

قوله عز وجل ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾.

معناه: لو أنهم رضوا ما رزقهم الله وما يعطيهم رسول الله ﷺ من/ العطية والصدقة وقالوا كافينا الله سيعطينا الله من فضله ورزقه وسيعطينا رسول الله ﷺ ما يكون عنده من السعة والفضل وقالوا إنا إلى الله راغبون فيما عنده من الثواب لكان خيرا لهم وأعود عليهم، إلا أنه حذف الجواب؛ لأن حذف الجواب في مثل هذا الموضع أبلغ من الإثبات لأنك إذا حذفت الجواب ذهبت النفس فيه كل مذهب وبالله التوفيق[٣]. ٢٩= أ

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٧٦/٢)، وتفسير الطبري (٣٠٠/١٤)، والتفسير الوسيط (٥٠٥/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٧/١)، وتفسير الخازن (٣٧٢/٢).

(٢) قرأ يعقوب (يَلْمِزُكَ) ، و (الذين يَلمُزون) و (لا تَلمُزوا) كله بضم الميم. وقرأ الآخرون "بكسر الميم في كل – هذا، إلا ما رَوَى محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير (يَلمُزمكَ)، انظر: السبعة في القراءات (٣١٥/١)، والحجة في القراءات السبع (١٧٦/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٥٥/١).

وانظر: بحر العلوم (٦٦/٢).

(٣) انظر: بحر العلوم (٦٧/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٩/٢)، والكشاف (٢٨٢/٢)، والمحرر الوجيز (٤٧/٣)، ومفاتيح الغيب (٧٦/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٨/١)، والدر المصون (٧٢/٦).

قولـه عــز وجــل ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠ ﴾

في الآية بيان موضع الصدقات وقد اختلفوا في الفقراء والمساكين(فعن)[١] **عبد الله بن عباس**[٢] **والحسن**[٣] **وجابر بن زيد**[٤][٥]

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (قال).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٥/١٤)، وانظر: تفسير الثعلبي (٥٧/٥)، والتفسير الوسيط (٥٠٦/٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٥/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٨/٦)، وانظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٣/٢).

(٤) جابر بن زيد أبو الشعثاء الأزدي ثم الجوفي بفتح الجيم وسكون الواو بعدها فاء البصري مشهور بكنيته ثقة فقيه من الثالثة مات دون المائة سنة ثلاث وتسعين ويقال ثلاث ومائة ع. انظر: الجرح والتعديل (٤٩٤/٢)، وتهذيب الكمال (٤٣٤/٤)، التقريب (٨٦٥).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٥/١٤)، وانظر: تفسير الثعلبي (٥٧/٥)، وزاد المسير (٢٧٠/٢).

والزهري[١][٢] **ومجاهد**[٣] ﭫ أجمعين أنهم قالوا: الفقير المتعفف الذي لا يسأل الناس والمسكين الذي يسأل[٤]، وهكذا روى ابن شاهويه[٥] عن أبي يوسف[٦] عن أبي حنيفة[٧] رحمهم الله جميعا[٨].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الفقراء هم أصحاب الصفة صفة مسجد رسول الله ﷺ كانوا نحوا من أربعمائة رجل لم يكن لهم منازل بالمدينة ولا عشائر فآووا إلى صفة مسجد

---

(١) محمد بن مسلم ابن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله ابن الحارث ابن زهرة ابن كلاب القرشي الزهري وكنيته أبو بكر الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه وثبته وهو من رؤوس الطبقة الرابعة مات سنة خمس وعشرين وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين ع. انظر: الجرح والتعديل (٧١/٨)، وتهذيب الكمال (٤١٩/٢٦)، والتقريب (٦٢٩٦)

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٨/٦)، وزاد المسير (٢٧٠/٢).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٦/١٤)، وانظر: تفسير الثعلبي (٥٧/٥)، والتفسير الوسيط (٥٠٦/٢)، وزاد المسير (٢٧٠/٢).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٧٦/٢)، وجاء عن قتادة، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٢/٢)، وجاء عن ابن زيد ، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٦/١٤)، وانظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٥٩/٢).

(٥) بْن شاهويه الشَّافِعِي أَبُو بكر الْفَارِسِي مُحَمَّد بن أَحْمد بن عَليّ ابْن شاهويه؛ الْفَقِيه الشَّافِعِي قَاضِي بِلَاد فَارس أَقَامَ بهَا بهَا مُدَّة وَبهَا مَاتَ، وَله وَجه فِي الْمَذْهَب ووجوهه فِي الْمَذْهَب بعيدَة تفرد بهَا، توفّي سنة اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ وَثلث مائة . انظر : الوافي بالوفيات (٣٣/٢)

(٦) يَعْقُوب بن إِبْرَاهِيم القَاضِي الْأنْصَارِيّ أَبُو يُوسُف، أَخذ الْفِقْه عَن الإِمَام أبي حنيفة، وَهُوَ الْمُقدم من أَصْحَاب الإِمَام الإِمَام وَولى الْقَضَاء لثَلَاثَة خلفاء، مات ببغداد يوم الخميس وقت الظهر لخمس خلون من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٢٢١/٢)، تاج التراجم في طبقات الحنفية (١٢٣/٢).

(٧) النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفة الإمام يقال أصلهم من فارس ويقال مولى بني تيم فقيه مشهور من السادسة مات سنة خمسين ومائة على الصحيح وله سبعون سنة ت س. انظر:الجرح والتعديل (٤٤٩/٨)، وتهذيب الكمال (٤١٧/٢٩)، والتقريب (٧١٥٣).

(٨) انظر: المبسوط؛ للسرخسي (٨/٣)، وبدائع الصنائع (٤٣/٢)، والمحيط البرهاني في الفقه (١٨٧/٦)، والاختيار لتعليل المختار (٧٦/٥).

رسول الله ﷺ يلتمسون الرزق بالنهار ويأوون إليه بالليل فمن كان عنده فضل من المسلمين أتاهم به إذا أمسوا، قال والمساكين هم الطوافون الذين يسألون الناس[١].

وفيما رويناه عن أبي حنيفة رحمه الله أن المسكين أفقر من الفقير ومن الدليل على ذلك أن الله عز وجل قال : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[٢]الآية ومعلوم أن أن الجاهل بحال الفقير لا يحسبه غنيا إلا وله (ظاهر جميل)[٣] بزة حسنة.

وقال عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [٤] فسماهم فقراء وإن كان لهم ملك، وقال عز وجل : " ﴿ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾ [٥]قيل في التفسير: إنه الذي قد لصق بالتراب وهو جائع عارٍ ليس بينه وبين التراب شيء يقيه[٦].

وقال أبو العباس ثعلب[٧]: حكي عن بعض أهل اللغة أنه قال: قلت لأعرابي أفقير أنت ؟ قال: لا بل مسكين،

---

(١) أخرجه ابن المنذر في تفسيره (٤٢/١)، وانظر: بحر العلوم (١٨١/١).

(٢) سورة البقرة آية (٢٧٣).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) سورة فاطر آية (١٥).

(٥) سورة البلد آية (١٦).

(٦) جاء عن ابن عباس، وعكرمة، ومجاهد، ومقاتل، والحسن، انظر: تفسير مجاهد (٧٣١/١)، وتفسير مقاتل (٧٠٣/٤)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٤٢٩/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٤/٢٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم (٣٤٣٥/١٠).

(٧) أَحْمد بن يحيى بن زيد ثَعْلَب ، أبو العباس الشيباني، لَهُ مصنفات فِي النَّحْو واللغة، مِنْهَا: كِتَابه " الفصيح " و " كتاب فعلت وأفعلت "، وَالْكتاب الْمَعْرُوف ب " المصون فِي النَّحْو "، وَكتاب " اخْتِلَاف النَّحْوِيين ". وَله علم كثير، وَرِوَايَة وَاسِعَة، وأمال جَيِّدَة مولده سنة مِائَتَيْنِ. وَفَاته سنة إِحْدَى وَتِسْعين وَمِائَتَيْنِ.، انظر: تاريخ العلماء النحويين؛ للتنوخي (١٨١/١)، وطبقات الحنابلة؛ لأبي يعلى (٨٣/١).

وأنشد عن ابن الأعرابي[١]

أما الفقير الذي كانت حُلوبته   وفق العيال فلم يترك له سبد[٢]

فسماه فقيراً مع وجود الحلوبة[٣]، وقيل إن الفقير من افتقر إلى غيره والمسكين مفعيل[٤] من السكون وهو الذي سكنت نفسه إلى الفقر والحاجة[٥]، ويقال هو من أسكنه الفقر أي قلل حركته[٦]. وعند **قتادة** رحمة الله عليه أنه قال الفقير ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين الصحيح منهم[٧]؛ كأنه ذهب إلى أن الفقر مشتق من كسر فقار الظهر من الجوع[٨].

---

(١) عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النميري، أبو جندل: شاعر من فحول المحدثين، كان من جلة قومه، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل، وكان بنو نمير أهل بيت وسؤدد، وقيل: كان راعي إبل، من أهل بادية البصرة، عاصر جريرا والفرزدق، وكان يفضل الفرزدق . (الأعلام للزركلي ج٤ص١٨٨).

(٢) البيت من البسيط، وانظر: كتاب الإبل (٥٧/١)، والحيوان (٢٧٦/٥)، وأدب الكاتب (٣٤/١)، والفاخر (١١٩/١)، وأدب الكتاب؛ للصولي (٢٠٣/١).

(٣) انظر: بحر العلوم (٦٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٥٨/٥)، وتفسير السمعاني (٣٢٠/٢)، والمحرر الوجيز (٤٨/٣)، وزاد المسير (٢٧٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٨٤/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦٩/٨).

(٤) في أ (مفعول ..).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٩٣/١٤)، وتفسير الثعلبي (١٨٢/٣)، وتفسير البيضاوي (٩١/١)، والدر المصون (٣٩٧/١)، والسراج المنير (٧٤/١)، وتفسير القاسمي (٣١٥/١).

(٦) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (١٤٤/١)، ولسان العرب (٢١٤/١٣)، والقاموس المحيط (١٢٠٦/١)، وتاج العروس (٢٠٠/٣٥)، وزاد المسير (٨٤/١)، والفواتح الإلهية (١٢٢/٢)، وروح البيان (٤٢٧/٩).

(٧) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٢/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير (١٨٢٠/٦)، وانظر: النكت والعيون (٣٧٤/٢).

(٨) انظر: تفسير الثعلبي (٢٧٠/٢)، والمحرر الوجيز (٤٨/٣)، ومفاتيح الغيب (٥٨٨/٣)، وتهذيب اللغة (١٠٤/٩) مادة (فقر)، والصحاح (٧٨٣/٢) مادة (فقر)، ومقاييس اللغة (٤٤٣/٤) مادة (فقر).

واحتج من قال أن الفقير أفقر بقوله عز وجل ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ ﴾ [(١)] وهذا مما لا دلالة فيه لأنه روي أنهم كانوا أجراء في تلك السفينة فأضاف السفينة إليهم؛ لأنهم فيها، كما يقال: منزل فلان، ومسجد فلان، قالوا: روي عن النبي ﷺ أنه قال " اللهم أحييني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني مسكينا في زمرة المساكين "[(٢)]، واستعاذ من الفقر، فدل أن الفقر أشد قلنا إنما استعاذ من الفقر؛ لأنه هو الافتقار إلى الغير، ولا تعلق لذلك لشدة الحاجة، وأما ما روي **عن أبي هريرة** ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: " ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غناً يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه"[(٣)].

فقد استدل بعضهم بهذا الخبر على أن الفقير هو الذي يسأل الناس والمسكين الذي لا يسأل إلا أن في هذا الخبر أن المسكين أضعف حالا من الفقير وهو الذي ذكرناه لا يتبين معناه إلا في الوصايا كما قال **أبو يوسف عن أبي حنيفة** رحمهما الله فيمن أوصى بثلث ماله لفلان وللفقراء والمساكين أن لفلان الثلث وللفقراء والمساكين الثلثين[(٤)]، وعن أبي يوسف نفسه أنه قال: لفلان لفلان النصف وللفقراء والمساكين النصف[(٥)]؛ لأن الجهة في الفقراء والمساكين جهة واحدة وهي وهي جهة القربة إلى الله عز وجل، فتبين أن هذا الخلاف يظهر في الوصية وأما في الزكاة

---

(١) سورة الكهف آية (٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٥٧٧/٤) رقم (٢٣٥٢) أبواب الزهد، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٣٨١/٢) رقم (٤١٢٦) كتاب الزهد، بَابُ مُجَالَسَةِ الْفُقَرَاءِ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٤/٢) رقم (١٤٧٦) كتاب الزكاة، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} [البقرة: ٢٧٣] وَكَمُ الغِنَى، وأخرجه مسلم في صحيحه (٧١٩/٢) رقم (١٠٣٩) كتاب الكسوف، بَابُ الْمِسْكِينِ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ .

(٤) انظر: المحيط البرهاني في الفقه (١٨٧/٦)، والاختيار لتعليل المختار (٧٦/٥)، والجوهرة النيرة (١٢٨/١).

(٥) انظر: المحيط البرهاني في الفقه (١٨٧/٦)، والاختيار لتعليل المختار (٧٦/٥)، والجوهرة النيرة (١٢٨/١).

فالمقصود هو سد الخلة، وللمتصدق أن يقتصر على صنف واحد من الأصناف المذكورين في الآية[١] ، هكذا روي عن **عمر**[٢] **وعلي**[٣] **وابن عباس**[٤] وجماعة من/ الصحابة ﷺ[٥]، ولم يُروى عن أحد منهم خلاف ذلك، والغرض في ذكر الأصناف في هذه الآية بيان أن لا يجوز إخراج الصدقة منهم إلى غيرهم[٦]؛ لأن الحاجة في جميع الأصناف المذكورين في هذه الآية موجودة؛ ولأن من عليه الزكاة إذا حمل الزكاة بنفسه إلى الإمام لم يكن لأحد من العمال في ذلك نصيب[٧].

٢٩= ب

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٢٢/١٤).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٢/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٧/٦).

وانظر: بحر العلوم (٦٨/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦٨/٨)، والبحر المحيط (٤٤٠/٥).

(٣) انظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٣/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦٨/٨)، والبحر المحيط (٤٤٠/٥).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٣/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٧/٦)، وتفسير الكشاف (٢٨٢/٢).

وانظر: بحر العلوم (٦٨/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦٨/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٨/١)، والبحر المحيط (٤٤٠/٥).

(٥) ومنهم: حذيفة، وعطاء، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وأبو العالية، وميمون بن مهران، ومقاتل، والزهري، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٢/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨١٧/٦)، وانظر: بحر العلوم (٦٨/٢)، وتفسير الكشاف (٢٨٢/٢)، والمحرر الوجيز (٥١/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٨/١).

(٦) انظر: بحر العلوم (٦٨/٢)، والمحرر الوجيز (٤٧/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦٧/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٨/١)، وتفسير الخازن (٣٧٣/٢).

(٧) انظر: الأم (٨٤/٢).

وقال ابن حزم:"وَإِنَّمَا يَسْقُطُونَ هُمْ وَالْعَامِلُونَ إذَا تَوَلَّى الْمَرْءُ قِسْمَةَ صَدَقَةِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَالِكَ عَامِلُونَ عَلَيْهَا، وَأَمْرُ الْمُؤَلَّفَةِ إلَى الْإِمَامِ لَا إلَى غَيْرِهِ"، المحلى (٢٦٨/٤).

وقال الشافعي ﷺ تقسم الصدقة على الأصناف الثمانية كما هو مذكور في هذه الآية إلا أن يفقد صنف فيقسم على الباقين[١]، وقيل يقسم على أصله على سبعة أصناف؛ لأن المؤلفة قلوبهم قد سقطوا؛ وفي سقوط سهم المؤلفة قلوبهم خلاف بين أهل العلم[٢]، قال: ويُعْطى كل سهم من السهام الثمانية ثلاثة من أهل كل صنف وإن أعطى اثنين ضمن ثلث سهم[٣].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الفقير هو المسكين إلا أن الله عز وجل ذكره بالصفتين لتأكيد أمره ، وعلى قول من يقسم على الأصناف كلها إنما ذكر بالصفتين لبيان أن للفقراء سهمين من الصدقات.

وقد اختلف أهل العلم في المقدار الذي إذا ملكه الرجل دخل في حد الغنى وخرج عن حد الفقر، قال بعضهم: إذا كان عند أهله قوت يومهم[٤]، واستدل بما روي عن النبي ﷺ أنه " قال قال من سأل الناس عن ظهر غنى فإنما يستكثر من جمر جهنم "قيل يا رسول الله وما ظهر غنى ؟ قال :" أن يعلم عند أهله ما يغديهم وما يعشيهم"[٥].

---

(١) انظر: الأم (٩١/٢)، ومختصر المزني (٢٥٦/٨)، والإقناع؛ للماوردي (٧١/١)، وروضة الطالبين (٣٢٩/٢).

(٢) فقال مالك وأبو حنيفة يسقط، انظر: الكافي؛ لابن عبد البر (٣٢٥/١)، والبيان؛ للعمراني (٤١٩/٣)، والاستذكار؛ لابن عبد البر (٢١١/٣)، وتبيين الحقائق (٢٩٦/١)، والبناية شرح الهداية (٤٤٤/٣).

قال ابن حزم: "وَادَّعَى قَوْمٌ: أَنَّ سَهْمَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ قَدْ سَقَطَ؟ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَهَذَا بَاطِلٌ، بَلْ هُمْ الْيَوْمَ أَكْثَرُ مَا كَانُوا، وَإِنَّمَا يَسْقُطُونَ هُمْ وَالْعَامِلُونَ إذَا تَوَلَّى الْمَرْءُ قِسْمَةَ صَدَقَةِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ هُنَالِكَ عَامِلُونَ عَلَيْهَا، وَأَمْرُ الْمُؤَلَّفَةِ إلَى الْإِمَامِ لَا إلَى غَيْرِهِ."، المحلى (٢٦٨/٤).

وقال ابن قدامة: "وَبِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ وَالزُّهْرِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَمَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: انْقَطَعَ سَهْمُ الْمُؤَلَّفَةِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ"، المغني (٤٩٧/٢).

(٣) انظر: الأم (٩٧/٤)، والحاوي الكبير (٥٢٥/٨)، وحلية العلماء (١٣٤/٣)، والمجموع؛ للنووي (٢١٦/٦)، والبيان؛ والبيان؛ للعمراني (٤٣٠/٣) .

(٤) انظر: شرح الزركشي (٤٤٥/٢)، وبدائع الصنائع (٤٨/٢).

(٥) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٢٧/١) رقم (٤٨٦)، وأخرجه في شرح معاني الآثار (٢٠/٢) رقم (٣٠٢٦)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (٢٠٢/٣)، وأخرجه ابن بشران في الأمالي (٢٧٦/١) رقم (١٥٠٠).

وقال بعضهم إذا ملك أربعين درهماً أو عدلها من الذهب، واستدل بما روي عن النبي ﷺ أنه قال "من سأل منكم وعنده أوقيه أو عدلها[١] فقد سأل إلحافاً "[٢].

وكانت الأوقية يومئذ أربعين درهما، وقال بعضهم: إذا ملك خمسين درهماً أو عدلها من الذهب[٣] ، لما روي عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ انه قال لا يسأل عبد مسألة وله ما يغنيه إلا جاء يوم القيامة وفي وجهه كدوح أو خدوش قيل يا رسول الله وما غناه قال "خمسون درهماً أوعدلها من الذهب"[٤].

وقال فقهاؤنا رحمهم الله: إذا ملك مائتي درهم أو عدلها من عرض أو غيره فاضلاً عما يحتاج إليه من مسكن وخادم وأثاث وفرس لم تحل له الصدقة، لأن النبي ﷺ قال:" أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها في فقرائكم"[٥]، فجعل الناس فريقين، ولا خلاف أن الذي يملك وزن مائتي درهم يكون غنياً فوجب أن لا يكون داخلاً في الفقراء، ولو كان الاعتبار بالضرورة

وأخرجه أحمد في المسند عن علي نحوه (٤٠٨/٢) رقم (١٢٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٨٠٤).

(١) في أ زيادة (من الذهب).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (١٤٥٤/٥) رقم (٣٦٦٢)، أخرجه أبو داود في السنن (١١٦/٢) رقم (١٦٢٧) كتاب الزكاة، بَابُ مَنْ يُعْطِي مِنَ الصَّدَقَةِ، وَحَدُّ الْغِنَى ، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (٩٨/٥) رقم (٢٥٩٦) كتاب الزكاة، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ دَرَاهِمُ وَكَانَ لَهُ عَدْلُهَا، وأخرجه في السنن الكبرى (٧٨/٣) رقم (٢٣٨٨)، وأخرجه ابن الجارود في المنتقى (٩٩/١) رقم (٣٦٦)، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧١٩).

(٣) قال ابن زنجويه: "لَا يُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ مَنْ لَهُ خَمْسُونَ دِرْهَمًا، وَلَا يُعْطَى مِنْهَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ» ، وَلَا يُعْجِبُنَا قَوْلُهُمْ هَذَا، لِأَنَّ حَدِيثَيْ عَلِيٍّ وَعَبْدِ اللَّهِ لَيْسَا بِثَابِتَيْنِ،"، الأموال (١٢٠٢/٣).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه (٣١/٣) رقم (٦٥٠) أبواب الزكاة، باب من تحل له الزكاة، وأخرجه الترمذي في سننه (٣٣/٢) رقم (٦٥٠) كتاب الزكاة، باب من تحل له الزكاة وقال: حسن، وأخرجه الدولابي في الكنى والأسماء (٤١٨/١) رقم (٧٥٠) ، وأخرجه الدار قطني في السنن (٢٧/٣) رقم (٢٠٠٠)، وأخرجه البغوي في شرح السنة (٨٣/٦) رقم (١٦٠٠)، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٧٩).

(٥) وهو حديث معاذ، أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٤/٢) رقم (١٣٩٥) كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، وأخرجه مسلم في صحيحه (٥١/١) رقم (١٩) كتاب الإيمان، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَشَرَائِعِ الدِّينِ، وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ.

لكان الذي له غداء دون العشاء أو عشاء دون الغداء لا تحل له الصدقة مع أن الأخبار التي رووها وارده في كراهية المسألة لا في تحريم الصدقة، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال:" للسائل حق وإن جاء على فرس والفرس"[(١)]، في أكثر الأحوال يساوي أكثر من أربعين درهماً.

وأما قوله عز وجل : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾ فهم السعاة لجباية الصدقة[(٢)]، وروي عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما أنهم يعطون بقدر عمالتهم[(٣)]، وعلى قول الشافعي يعطون ثمن الصدقات[(٤)].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ قوم كان يعطيهم النبي ﷺ يتألفهم على الإسلام وكانوا رؤساء في كل قبيلة منهم أبو سفيان بن حرب من بني أمية والأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري[(٥)] وغيرهما من بني عامر بن لؤي والحارث بن هشام المخزومي وسهيل بن عمرو العامري من بني عامر بن لؤي من بني أسد[(٦)] وكان يشق على النبي ﷺ تلك العطايا وكان

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/٣٥٣) رقم (٩٨٢٣)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣/٢٥٤) رقم (١٧٣٠)، وأخرجه أبو داود في السنن (٢/١٢٦) رقم (١٦٦٥) كتاب الزكاة، باب حق السائل، وأخرجه البزار في مسنده (٤/١٨٦) رقم (١٣٤٣)، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٢/١٥٤) رقم (٦٧٨٤)، والحديث ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٣٧٨).

(٢) جاء ذلك عن ابن عباس، والزهري، وقتادة، وابن زيد، أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣١٠)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٢١)، وانظر: بحر العلوم (٢/٦٧)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢١٣)، والنكت والعيون (٢/٣٧٥)، والتفسير الوسيط (٢/٥٠٦)، والوجيز (١/٤٦٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣١١)، وانظر: تفسير الثعلبي (٥/٥٨)، وتفسير مقاتل (٢/١٧٦)، والنكت والعيون (٢/٣٧٥)، وتفسير السمعاني (٢/٣٢١)، وزاد المسير (٢/٢٧٠)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٧٧).

(٤) وهو قول الشافعي، والضحاك، ومجاهد، انظر: الأم (٢/٧٧)، والنكت والعيون (٢/٣٧٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٦١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٧٧).

(٥) ذكره مجاهد في تفسيره (١/٣٧٠)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣١٣).

(٦) ذكره مقاتل في تفسيره (٢/١٧٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣١٣).

يقول أعطي رجلاً وادعُ رجلان الذي أدعُ أحب إلي من الذي أعطي ولكنني أتألف هؤلاء بالعطية، وأكل هذا المؤمن على إيمانه[١]، فلما توفي رسول الله ﷺ جاء المؤلفة قلوبهم إلى أبي بكر الصديق ﷺ فطلبوا منه سهمهم فأمرهم أن يكتبوا كتاباً فجاؤا بالكتاب إلى عمر ﷺ ليشهده فقال ﷺ ايش هذا فقالوا سهمنا، فأخذ عمر ﷺ الكتاب ومزقه وقال: إنما كان النبي ﷺ (يعطيكم)[٢] يتألفكم على الإسلام فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام فإن ثبتم على الإسلام وإلا فبيننا وبينكم السيف فرجعوا إلى أبي بكر ﷺ فقالوا أنت الخليفة أم هو فقال: هو إن شاء فبطل سهمهم[٣].

فإن قيل: كيف كان يجوز إعطاء الكافرين من الزكاة ؟ قيل: لأن الزكاة معدة لسد الخلة/ ومعونة المسلمين وسد الخلة ما يصرف إلى الفقراء والمساكين ومعونة (المسلمين)[٤] ما كان يدفع إلى المؤلفة قلوبهم لدفع مضرتهم وكف أيديهم عن المسلمين للاستعانة بهم على غيرهم من المشركين، وقيل كانت الفائدة في ذلك استمالة قلوبهم وقلوب غيرهم من الكفار ليرغبوا في السلام ولئلا يقع المنع منهم لمن أسلم من قومهم على الثبات على الإسلام، ومن أصحابنا رحمهم الله من قال أن المؤلفة قلوبهم والعاملين لا يأخذونها صدقة فإنما تحصل الصدقة في يد الإمام للفقراء ثم يعطي الإمام المؤلفة منها لدفع أذيتهم عن الفقراء وسائر المؤمنين ويعطى

٣٠= أ

---

(١) وأخرج أحمد في المسند إِنَّ مِنْكُمْ رِجَالًا لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا، أَكِلُهُمْ إِلَى إِيمَانِهِمْ مِنْهُمْ» ، فُرَاتُ بْنُ حَيَّانَ قَالَ: مِنْ بَنِي عِجْلٍ، المسند (١٣٨/٢٧) رقم (١٦٥٩٣)، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٨/٥) رقم (٩٣٩٦)، ونحوه أخرجه أبو داود في السنن (٤٨/٣) رقم (٢٦٥٢) كتاب الجهاد، بَابٌ فِي الْجَاسُوسِ الذِّمِّيِّ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٣٢).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) أخرجه الطبري مختصرا في تفسيره (٣١٥/١٤)، وأخرجخ ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٢/٦)، وانظر: بحر العلوم (٦٨/٢).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

العاملين عليها عوضاً عن أعمالهم لا على أنها صدقة (عليهم)[١] [٢].

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالمؤلفة قلوبهم قوم من المسلمين حديثي عهد بالكفر يعطون لئلا يرجعوا إلى الكفر[٣]، **وعن الزهري** أنه قال: المؤلفة قلوبهم هو من أسلم من يهودي أو نصراني فقيل له وإن كان غنياً فقال وإن كان غنيا[٤].

وأما قوله عز وجل: وفي الرقاب؛ فمعناه عند أكثر الناس: في فكاك الرقاب وهم المكاتبون[٥]، وذهب مالك[٦] رحمه الله في قوله عزوجل: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ إلى أنهم رقاب يبتاعون من الزكاة ويعتقون فيكون ولائهم لجميع المسلمين دون المعتقين[٧]، قال ولا يعطى المكاتب من

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) انظر: تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٦١)، وزاد المسير (٢/٢٧٠)، ومفاتيح الغيب (١٦/٨٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٧٨).

(٣) انظر: الطبري في تفسيره (١٤/٣١٢)، والتفسير الوسيط (٢/٥٠٦)، وتفسير السمعاني (٢/٣٢١)، وزاد المسير (٢/٢٧٠)، وتفسير البيضاوي (٣/٨٦).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣١٤) ، وانظر: تفسير الثعلبي (٥/٥٩)، والمحرر الوجيز (٣/٤٩)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٧٨)، والبحر المحيط (٥/٤٤٤).

(٥) وهذا قول الجمهور، قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي، قولُ من قال: "عنى بالرقاب، في هذا الموضع، المكاتبون"، لإجماع الحجة على ذلك".

انظر: أبو موسى الأشعري، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، والزهري، وابن زيد، والحسن، ومقاتل، وسعيد بن جبير، انظر: تفسير مقاتل (٢/١٧٦)، وأخرجه الطبري في التفسير (١٤/٣١٧)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٩٠) و (٦/١٨٢٣)، وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٥٦)، وبحر العلوم (٢/٦٨)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (١/١٩٧)، وتفسير الثعلبي (٢/٥٢)، والنكت والعيون (٢/٣٧٦)، والتفسير الوسيط (١/٢٦٢).

(٦) انظر: المدونة (٢/٥٧٨)، والاستذكار (٣/٢١٢)، الكافي؛ لابن عبد البر (١/٣٢٦)، وبداية المجتهد؛ لابن رشد (٢/٣٩)، والذخيرة؛ للقرافي (١١/١٨٢).

(٧) قال بهذا: ابن عباس، ومالك بن أنس، وأبو عبيد، وأبو ثور.

الزكـاة[١] ولا مـن الكفـارات شيئا ولا يعتـق مـن الزكـاة إلا رقبـة مؤمنـة، والحجـة عليـه أن الآيـة تقتضي صرف الصدقات في الرقاب ولا تخلوا إما أن تكون الصدقة مصروفة إلى العبد أو إلى بائع العبد (ولا يجوز الأول لأن العبد)[٢] لا يملك رق نفسه؛ وإنما يتلف على ملك المولي، ولا يجوز الثاني؛ لأن بائع العبد يأخذ ثمن عبده، وقد روي أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: علمني عملاً يدخلني الجنة، فقال ﷺ: "فك الرقبة واعتق النسمة" فقال الرجل أو ليسا سواء ؟ فقـال عليه السلام:" لا فـك الرقبـة أن يعـين في عتقهـا"[٣]، فاقتضـى قولـه : وفي الرقـاب بالمعونـة في العتق[٤].

قال السمعاني: "فِيهِ قَولَانِ: أَحدهمَا: أَنهم المكاتبون...وَقَالَ مَالك: يشترى بذلك السهْم رِقَاب فيعتقون، والصَّحِيح هُوَ الأول"/ تفسير السمعاني (٢/٣٢١)، وانظر: والنكت والعيون (٢/٣٧٦)، وغرائب التفسير (١/١٩٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (١/٢٠٦)، والمحرر الوجيز (١/٢٤٣)، وتذكرة الأريب (١/٢٦)، وزاد المسير، ومفاتيح الغيب (١٦/٨٦)، وتفسير العز بن عبد السلام (١/١٨٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/١٨٣)، وتفسير البيضاوي (١/١٢١).

(١) (من الزكاة) لا توجد في أ.

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/١٠٤) رقم (٧٧٥)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٠/٦٠٠) رقم (١٨٦٤٧)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/٣٩) رقم (٦٩)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/٩٨) رقم (٣٧٤)، وأخرجه الروياني في مسنده (١/٢٤٣) رقم (٣٥٤)، وأخرجه الدار قطني في سننه (٣/٥٤) رقم (٢٠٥٥)، وأخرجه الثعلبي في تفسيره (١٠/٢١١)، وأخرجه الواحدي في تفسيره (٤/٤٩١) رقم (١٣٥٤)، وأخرجه البغوي في تفسيره (٥/٢٥٧) رقم (٢٣٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٥١).

(٤) انظر: تفسير ابن فورك (١/١٤٣)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣/٤١٣)، وإيجاز البيان (١/١٣٢)، وزاد المسير (١/١٣٦)، وتفسير البيضاوي (١/١٢١)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/١٥٤).

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱلۡغَـٰرِمِينَ ﴾ أراد به المديونين الذين لا يكون لهم فضل نصاب على الدين؛ لأن المال وإن كان في أيديهم فهو مستحق بدينهم[١].

وقال مجاهد[٢] **والزهري**[٣] رحمهما الله: إنما تحل الصدقة للمديون الذي لم يلحقه دين بإسراف أو في معصية[٤]، وقوله عز وجل :﴿ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أراد به المجاهدين في نفقتهم وعُديهم إذا انقطعوا عن زادهم وراحلتهم[٥].

وقال أبو يوسف رحمه الله تعالى: هم الفقراء الغزاة[٦].

وذكر **محمد** -رحمه الله- في السير الكبير في رجل أوصى بثلث ماله في سبيل الله أنه يجوز أن يجعل في الحاج المنقطع[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣١٧/١٤) ، ومعاني القرآ؛ للزجاج (٤٥٦/٢)، وتفسير الكشاف (٢٨٣/٢)، ومفاتيح الغيب (٨٧/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٨٣/٨)، وتفسير البيضاوي (٨٦/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٨/١).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٨/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٤/٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣١٨/١٤)، وانظر: الدر المنثور (٢٢٥/٤)، وفتح القدير (٤٢٧/٢).

(٤) وكذا قال مقاتل، وأبو جعفر، وقتادة، انظر: تفسير مقاتل (١٧٦/٢)، وأخرجه الثوري تفسيره (١٢٧/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣١٨/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٤/٦)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٦/٢)، وبحر العلوم (٦٨/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٦١/٥)، والنكت والعيون (٣٧٦/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦١/٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١٧٦/٢)، وتفسير الطبري (٣١٩/١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٣/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٦/٢)، وبحر العلوم (٦٨/٢)، والنكت والعيون (٣٧٦/٢).

(٦) انظر: المبسوط (١٠/٣)، وبدائع الصنائع (٤٦/٢)، والمحيط البرهاني (٢٨١/٢)، والاختيار لتعليل المختار (١١٩/١)، والبناية شرح الهداية (٤٥٤/٣).

(٧) السير الكبير (٢٠٧٨/١)، وانظر: المبسوط (١٠/٣)، وبدائع الصنائع (٤٦/٢)، والمحيط البرهاني (٢٨١/٢)، وتحفة وتحفة الملوك (١٣٠/١).

وقال الشافعي رحمه الله: يجوز دفع الزكاة إلى الغازي الغني[١]، واستدل بما روي عن النبي ﷺ أنه قال:" لا تحل الصدقة لغني إلا لثلاثة وذكر الغازي وابن السبيل ورجلاً له جار مسكين فتصدق على جاره فأهدى إليه جاره"[٢].

والجواب:

أن الرجل قد يكون غنياً في بلده ويكون له فضل نصاب على ما يحتاج إليه فإذا عزم على الخروج إلى العدو واحتاج إلى السلاح والعدة وآلات السفر فأنفق فضل النصاب في ذلك الوجه فتحل له الصدقة[٣].

وأما قوله عز وجل وابن السبيل: فهو المسافر المنقطع عن ماله[٤]، وسمي ابن السبيل لملازمته السيل كما يقال ابن الغنى وابن الفقر[٥]، ولم يشترط سبحانه وتعالى في ابن السبيل الفقر؛ لأن

---

(١) انظر: الأم (٧٩/٢)، ومختصر المزني (٢٥٨/٨)، والحاوي الكبير (٥٠٧/٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٢٦/٢) رقم (١٠٦٨١)، وأخرجه أحمد في مسنده (٣٧٠/١٧)، وأخرجه أبو داود في السنن (١١٩/٢) رقم (١٦٣٥) كتاب الزكاة، بَابُ مَنْ يَجُوزُ لَهُ أَخْذُ الصَّدَقَةِ وَهُوَ غَنِيٌّ، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب (٢٨١/١) رقم (٨٩٥)، وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٤١٣/٢) رقم (١٢٠٢)، وأخرجه ابن زنجويه في الأموال (١١٠٩/٣) رقم (٢٠٥٥)، وأخرجه الطوسي في مختصر الأحكام (٢٥٦/٣) رقم (٥٩٩)، في بعض ألفاظ: إلا لخمسة، والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٤٥).

(٣) قال بذلك الجمهور.

وانظر: النكت والعيون (٣٧٦/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٦/٢)، وتفسير السمعاني (٣٢٢/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠/٣)، وتفسير العز بن عبد السلام (٣٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٧٦/٨)، وفتح القدير (٤٢٦/٢)، وتفسير المنار (٤٣٢/١٠)، وتفسير ابن باديس (٨٠/١).

(٤) انظر: تفسير الكشاف (٢٨٣/٢)، وتفسير البيضاوي (٨٦/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٨/١)، وتفسير النيسابوري (٤٤٧/١)، والسراج المنير (٢٩٩/٢)، وتفسير أبي السعود (٧٦/٤)، وتفسير الإيجي (٧٧/٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٢٠/١٤)، وتهذيب اللغة (٣٠٢/١٢)، ولسان العرب (٣٢٠/١١)، والنهاية في غريب الحديث (٣٣٨/٢)، وانظر: تفسير الثعلبي (٦١/٥).

ذلك معلوم بالعادة كما لم يشترط في اليتامى والقرابة في الخمس الفقر[١].

وقوله عز وجل : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ تأكيدا لأمر الصدقات أي وضع الله تعالى هذه الصدقات في هذه المواضع فريضة من الله تعالى، وقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ معناه عليم بمصالح عباده حكيم في أفعاله .

قوله عز وجل ﴿ **وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾** ﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن جماعة من المنافقين منهم الخلاس بن سويد ومخشي بن خويلد وأبو ياسر بن قيس كانوا يتناولون رسول الله ﷺ فقال رجل منهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه الخبر فقال الخلاس: بل نقول ما شئنا؛ فإنما محمد ﷺ أذن سامعة ثم نأتيه فيصدقنا/؛ فأنزل الله عز وجل ومنهم هذه الآية[٢]. ٣٠=ب

ومعناها: ومن هؤلاء المنافقين من يؤذي النبي رسول الله ﷺ ويقولون هو أذن (أي صاحب أذن)[٣] يصغي إلى كل أحد ويقبل كل ما قيل له، ويقال الأصل في

قوله عز وجل ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ من أذِن يأذن إذا استمع[٤].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (٨٨/٢٨).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٧٨/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٦/٦)، وأخرجه النيسابوري في أسباب النزول (٢٤٩/١).

وجاء عن ابن عباس أنها نزلت في نبتل بن الحارث، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٢٥/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٢٦/٦)، وانظر: بحر العلوم (٦٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٤/٢).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٢٤/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٧/٢)، وبحر العلوم (٦٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٦٣/٥)، والنكت والعيون (٣٧٧/٢)، وتفسير السمعاني (٣٢٢/٢).

وقال الشاعر[١] : في سَماعٍ يأذَن الشيخُ له ... وحَديثٍ مثل ما ذيّ مشَارْ[٢]
وقال آخر[٣] : أيها القلب تعللْ بِدَدنْ ... إن همّي في سماعٍ وأَذَنْ[٤]
وأما قوله عز وجل :﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ ﴾ فمعناه قل هو مستمع خير لا مستمع شر، ويقال معناه: هو يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي[٥]، وفي قراءة **الحسين**[٦][٧] رضي الله عنه قل أذن خير لكم كلاهما بالتنوين والضم[٨] ، معناه إن كان محمد ﷺ كما قلتم أذن فهو

(١) البيتان لعدي بن زيد، هذا البيت ذكره جماعة له، وانظر الحاشية التي تليها، وهو عدي بن زيد بن حمار بن زيد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم يكنى أبا عمير نصراني، يلقب: عبادي.سكن الحيرة، انظر: معجم الشعراء (٢٤٩/١)، والمؤتلف والمختلف من الأسماء (١٤٦/١)، وطبقات فحول الشعراء (٦٨١/٢).

(٢) انظر: العقد الفريد (٢٦٣/٦)، ورسالة الغفران (٣٢/١).

(٣) هو أيضا لعدي بن زيد، انظر: تفسير الطبري (٣٢٤/١٤)، والنكت والعيون (٣٧٧/٢)، والمحرر الوجيز (٥٢/٣)، وانظر ما تقدم قريبا.

(٤) والبيت من الرمل. انظر: رسالة الغفران (٣١/١)، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال (٣٩٤/١)، والحور العين (١٠٤/١)، والمحرر الوجيز (٥٢/٣)، وتفسير الطبري (٣٢٥/١٤)، وتفسير السمعاني (٣٢٢/٢).

(٥) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (٣٦١/١)، وتفسير الطبري (٣٢٦/١٤)، والنكت والعيون (٣٧٧/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٧/٢)، وتفسير السمعاني (٣٢٢/٢)، وتفسير الكشاف (٢٨٤/٢)، وتذكرة الأريب (١٤١/١)، ومفاتيح الغيب (٩٠/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٩٢/٨).

(٦) والذي وجدته إنما هو عن الحسن البصري، ذكره الطبري في تفسيره (٣٢٥/١٤)، والله تعالى أعلم.

(٧) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته حفظ عنه استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة. انظر: معرفة الصحابة (٦٦١/٢)، والاستيعاب (٣٩٢/١)، والإصابة (٦٧/٢).

(٨) قال ابن خالويه: "يقرا بِضَم الذَّال فِي جَمِيعه وإسكانها فالحجة لمن ضم أَنه أَتَى بِهِ على الأَصْل وَالْحجّة لمن أسكن أَنه أَنه ثقل عَلَيْهِ توالى الضَّم فَخفف وهما لُغَتَانِ فصيحتان والقراء فِي هَذَا الْحَرْف مجمعون على الْإِضَافَة إِلَّا مَا رُوِيَ عَن نَافِع من التَّنْوِين وَرفع خير فالحجة لَهُ فِي ذَلِك أَنه ابدل قَوْله خير من قَوْله أذن "، انظر: الحجة في القراءات السبع (١٧٦/١)،

خير لكم يقبل عذركم[(١)]، وقرأ نافع بالتنوين[(٢)] قل أذن خير لكم بجزم الذال وهو لغة في أذن[(٣)].

وقوله عز وجل : ﴿ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ﴾ أي يصدق بما أنزل الله عز وجل ولا سيما به سبحانه ولا يعمل إلا بالحق[(٤)].

وقوله عز وجل : ﴿ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ معناه: ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه[(٥)]، واختلفوا في اللام التي في المؤمنين قال بعضهم هي زائدة[(٦)] كما في قوله ﴿ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾ [(٧)]معناه ردفكم، وقال بعضهم: إنما ذكر اللام للفرق بين التصديق وإيمان الأمان؛

والسبعة في القراءات (٣١٥/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٥٧/١)، وحجة القراءات (٣١٩/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٨/١)

(١) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٤٤٤/١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١٢٤/٢)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٢٢٨/٣)ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٥٧/١).

(٢) (بالتنوين)لا توجد في أ.

(٣) تقدم قريبا.

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٧٨/٢)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٦١/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٧/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٤/٢)، وتفسير البيضاوي (٨٦/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٨٩/١)، وتفسير الخازن (٣٧٧/٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١٧٨/٢)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٦١/١)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٤٤٤/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٧/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٤/٢)، وفتح القدير (٤٣١/٢) ، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٩٣/٨).

(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن (١١٧/١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١٢٥/٢)، وحجة القراءات (٣٢٠/١).

(٧) سورة النمل آية (٧٢).

فإنه إذا قيل ويؤمن للمؤمنين لم يُعقل منه غير التصديق كما في قوله عز وجل ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [(١)] أي بمصدق لنا[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ ﴾ [(٣)] أي لن نصدقكم[(٤)].

وقوله عز وجل : ﴿ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ معناه: ورحمة للمؤمنين وسماه الله عز وجل رحمة لهم؛ لأنهم إنما قالوا: الإيمان بدعايته وهدايته[(٥)]، ومن قرأ ورحمة بالخفض[(٦)] فهو عطف على خير؛ كأنه قال: أذن خير لكم وأذن رحمة للمؤمنين[(٧)].

ثم أوعد الله عز وجل المنافقين على مقالتهم تلك فقال عز من قائل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ **قال عبد الله ابن عباس** رضي الله عنهما: لما نزلت هذه الآية جاءوا إلى النبي ﷺ يحلفون إنهم لم يقولوا فأنزل الله هذه الآية[(٨)].

---

(١) سورة يوسف آية (١٧).

(٢) قال النحاس: " فاللام على هذا زائدة عند الكوفيين ومثله هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ [الأعراف: ١٥] وعند محمد بن يزيد متعلّقة بمصدر دلّ عليه الفعل"، إعراب القرآن؛ للنحاس (١٢٥/٢).

(٣) سورة التوبة آية (٩٤).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٩٠/٢)، وتفسير الطبري (٤٢٤/١٤)، وبحر العلوم (٨٢/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٢/٥)، والتفسير الوجيز (٤٧٧/١).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١٧٨/٢)، وتفسير الطبري (٣٢٨/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٧/٢)، وبحر العلوم (٦٩/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٧/٢).

(٦) كلهم قَرَأَ {وَرَحْمَة} رفعا إِلَّا حَمْزَة فَإِنَّهُ قَرَأَ: أذن خير لكم وَرَحْمَة، خفضا، انظر: السبعة في القراءات (٣١٥/١)، وحجة القراءات (٣١٩/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٥٨/١)ومعاني القرآن؛ للفراء (٤٤٤/١).

(٧) قال الطبري: "وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي، قراءةُ من قرأه: (وَرَحْمَةٌ) ، بالرفع، عطفًا بها على "الأذن"، بمعنى: وهو رحمة للذين آمنوا منكم. وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه"، تفسير الطبري (٣٢٨/١٤).

(٨) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (٢٥٠/١)، وتفسير الطبري (٣٢٩/١٤).

قوله عز وجل: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾

ولم يقل يرضوهما؛ لأنه يكره الجمع بين ذكر الله عز وجل وذكر اسم رسوله في كناية واحدة، كما روي أن رجلا قام خطيبا عند النبي ﷺ فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال عليه السلام "بئس الخطيب أنت هلا قلت ومن يعص الله ورسوله " [(١)]، وقال ﷺ:" لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان"[(٢)]، فلما كره الجمع بين الله وبين غيره في الذكر تعظيما لله سبحانه رد الضمير في قوله عز وجل :﴿ يُرْضُوهُ ﴾ إلى الواحد أي رضى الله عز وجل ينتظم رضى الرسول ﷺ وقد تحذف الكناية في مثل هذا الموضع استخفافا إذا كان في الكلام دليل عليه، كما قال الشاعر[(٣)] :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك .... راض والرأي مختلف[(٤)]

معناه نحن بما عندنا راضون[(١)]، وقوله عز وجل :﴿ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ معناه إن كانوا كانوا مصدقين بقلوبهم غير منافقين كما تدعون فطلبهم رضى الله عنه أولى من طلبهم رضاكم .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٥٩٤/٢) رقم (٨٧٠) كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، وأخرجه أبو داود في السنن (٢٨٨/١) رقم (١٠٩٩) كتاب الصلاة، بَابُ الرَّجُلِ يَخْطُبُ عَلَى قَوْسٍ، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (٩٠/٦) رقم (٣٢٧٩) كتاب النكاح، مَا يُكْرَهُ مِنَ الْخُطْبَةِ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٩٩/٣٨) رقم (٢٣٢٦٤)، وأخرجه أبو داود في سننه (٢٩٥/٤) رقم (٤٩٨٠) كتاب الأدب، بَابُ لَا يُقَالُ خَبُثَتْ نَفْسِي، وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٠/٥) رقم (٢٦٦٩٠)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٦١/٩) رقم (١٠٧٥٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧).

(٣) نسب هذا البيت لقيس بن الخطيم بن عدي الاوسي، أبو يزيد شاعر الاوس، ونسب أيضا إلى عمرو بن امرؤ القيس.

(٤) البيت من المنسرح، انظر: جمهرة أشعار العرب (١٣/١، ٥٣١)، والبيان والتبيين (٦٩/٣)، وشرح ديوان المتنبي (٢٥٠/١)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص (١٨٩/١)، وخزانة الأدب (٢٧٥/٤).

قوله عز وجل ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾

معناه: ألم يخبرهم الرسول ﷺ أنه من يخالف الله تعالى ورسوله ﷺ في الدين فيجعل نفسه في حد والله عز وجل ورسوله عليه السلام في حد؛ فإن له نار جهنم، معناه فله نار جهنم[٢]، ودخلت أن مؤكدة وهي إعادة أن الأولى؛ لأنه لما طال الكلام كانت إعادتها أوكد ومن قرأ إن بالكسر فهو على الاستئناف[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ معناه ذلك الهوان الشديد الدائم .

قوله عز وجل ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

أكثر المفسرين على أن هذا إخبار عن المنافقين أنهم يحذرون أن ينزل الله عز وجل سورة تخبر بما في قلوبهم من النفاق والشرك فإن بعض المنافقين كانوا يعلمون نبوة النبي ﷺ؛ ولكنهم كانوا يكفرون عند أهل الشرك عناداً وحسداً وبعضهم /كانوا عند أنفسهم شاكين غير مستبصرين، ٣١= أ

(١) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/٨٨)، وتفسير الطبري (١٤/٢٢٩)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٤٥)، وتفسير الثعلبي (٥/٣٩)، وتفسير السمعاني (٢/٣٠٥)، والمحرر الوجيز (٣/٥٣)، وزاد المسير (٢/٢٥٥)، ومفاتيح الغيب (١٦/٩٢).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٧٨)، وتفسير الطبري (١٤/٣٣٠)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤/١١)، والنكت والعيون (٢/٣٧٨)، وتفسير السمعاني (٢/٣٢٣)، والكشاف (٢/٢٨٥)، ومفاتيح الغيب (١٦/٩٢)، وروح المعاني؛ للألوسي (٥/٣١٨).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للأخفش (١/٣٦١)، وتفسير الطبري (١٤/٣٣٠)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤/١١)، والكشاف (٢/٢٨٥)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢/١٢٥).

وكانوا يخافون إذا أذنبوا ذنبا أن ينزل على النبي ﷺ من القرآن ما يكشف أمرهم عن نفاقهم[١]، وفي آخر الآية ما يدل على هذا وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ (أي مظهر ما تخافون من أمور النفاق)[٢] ومن هذا سميت هذه السورة سورة الفاضحة لأنها فضحت المنافقين[٣]، وتسمى أيضا الحافرة[٤]؛ لأنها حفرت عن قلوب المنافقين لما فرض الله عز وجل الجهاد تبين المنافق من غير المنافق[٥].

وقوله عز وجل: قل استهزئوا؛ تهديد وإن كان لفظه بلفظ الأمر (إلا أنه ذكر بلفظ الأمر)[٦] لبيان التوسعة في التمكين في التكليف كما في قوله عز وجل اعملوا ما شئتم[٧]، وذهب

---

(١) انظر: تفسير مجاهد (٣٧١/١)، وتفسير الطبري (٣٣١/١٤)، وبحر العلوم (٧٠/٢).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (أي ينزل الله عز وجل سور من أمر النفاق).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٧١/٢)، وتفسير الطبري (٣٣٢/١٤)، وبحر العلوم (٣٧/٢)، وتفسير السمعاني (٢٨٤/٢)، وغرائب التفسير (٤٤٧/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣١٣/٢)، والمحرر الوجيز (٥٤/٣)، وزاد المسير (٢٣٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٥٢١/١٥)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٦١/٨).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢٨٤/٢)، وتفسير الكشاف (٢٤١/٢)، والمحرر الوجيز (٣/٣)، وزاد المسير (٢٣٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٩٣/١٦)، وتفسير البيضاوي (٧٠/٣)، والسراج المنير (٥٨٦/١).

(٥) **قال ابن الجوزي**: "ولها تسعة أسماء: أحدها: سورة التوبة. والثاني: براءة وهذان مشهوران بين الناس.والثالث: سورة العذاب، قاله حذيفة. والرابع: المُقَشْقِشَة، قاله ابن عمر. والخامس: سورة البَحوث، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين، قاله المقداد بن الأسود. والسادس: الفاضحة، لأنها فضحت المنافقين، قاله ابن عباس. والسابع: المبعثِرة، لأنها بعثرت أخبار الناس وكشفت عن سرائرهم، قاله الحارث بن يزيد وابن إسحاق. والثامن: المثيرة، لأنها أثارت مخازي المنافقين ومثالبهم، قاله قتادة. والتاسع: الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين، قاله الزّجّاج."، زاد المسير (٢٣٠/٢).

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٧) انظر: المحرر الوجيز (٥٤/٣)، وزاد المسير (٢٧٤/٢)، ومفاتيح الغيب (٩٣/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٩٦/٨)، وفتح القدير (٤٣٠/٢).

الزجاج رحمه الله إلى أن قوله عز وجل: يحذر المنافقون لفظه لفظ الإخبار ومعناه الأمر[١]؛ كأنه ليحذر وهذا كما قال الله عز وجل ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾[٢]، وقال عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ﴾[٣].

قوله عز وجل ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبي ﷺ بينما هو في مسيره إذ رجع من غزوة تبوك وثلاثة نفر يسيرون بين يديه فجعل رجلان يستهزآن برسول الله ﷺ ويقولان إن محمداً قال نزل في إخواننا الذين تخلفوا كذا وكذا والثالث يضحك من ما يقولان ولا يتكلم بشيء فنزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ وأخبره بما يقولون فدعا عليه السلام عمار وقال إنهم يتحدثون كذا وكذا ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب انطلق إليهم واسألهم عن من يتحدثون وقل لهم احترقتم أحرقكم الله ففعل ذلك عمار رضي الله عنه فجاؤا إلى النبي ﷺ يعتذرون ويقولون كنا نخوض ونلعب فيما يخوض فيه الركب إذا ساروا فأنزل الله عز وجل هاتين الآيتين[٤]، وعن **الحسن وقتادة** رضي الله عنهما أنهم قالوا في طريق غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن يفتح له قصور الشام هيهات ما أبعده عن ذلك فأطلع الله تعالى نبيه على ذلك[٥].

---

(١) انظر: معاني القرآن (٢/٤٥٩).

(٢) سورة البقرة آية (٢٢٨).

(٣) سورة البقرة (٢٣٤).

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره (٢/١٧٩)، وانظر: بحر العلوم (٢/٧٠)، وتفسير السمعاني (٢/٣٢٣).

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣٣٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٣٠)، وأخرجه الواحدي في أسباب أسباب النزول (١/٢٥٠).

وقوله عز وجل : ﴿ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ هذه ألف استفهام معناه التنبيه لهم على ما كانوا يفعلونه، والاستهزاء طلب الهزء بالشيء والهزء إظهار أمر وإبطان خلافه للتلهي به[١].

وقوله عز وجل : ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ ﴾ معناه: لا تعتذروا عن مقالتكم، وقوله تعالى : ﴿ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ معناه قد أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان وأنهم قط لم يكونوا مؤمنين؛ ولكنهم كانوا منافقين[٢]، وقيل معناه: قد كفرتم بهذا القول بعدما آمنتم على الحقيقة على زعمكم[٣]، وفي هذا بيان أن الجاد والهازل في إظهار كلمة الكفر على غير وجه الإكراه سواء وأن الاستهزاء بآيات الله عز وجل وبشيء من شرائع دينه كفر من فاعله[٤].

وفي قوله وعز وجل : ﴿ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ ﴾ قراءتان أحدهما هذه بالضم على فعل ما لم يسم فاعله، والثاني إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفةً بالنصب[٥]، **قال ابن عباس** رضي الله عنهما: معناه إن نعف عن الرجل منكم[١] لم يتكلم

---

(١) انظر: تاج العروس (٥٠٩/١) مادة (هزأ)، وتهذيب اللغة (١٩٦/٦) مادة (هزأ)، والصحاح (٩٠١/٣) مادة (هزأ)، ولسان العرب (١٨٣/١) مادة (هزأ)، والقاموس المحيط (٥٠٩/١) مادة (هزأ).

(٢) انظر: تفسير السمعاني (٣٢٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٧/٢)، والكشاف (٢٨٦/٢)، وتفسير الخازن (٣٨٠/٢)، والبحر المحيط (٤٥٤/٥)، والسراج المنير (٦٢٨/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٣٦/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٩/٢)، وبحر العلوم (٧٠/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٨/٢)، والتفسير الوجيز (٤٧١/١)، والمحرر الوجيز (٥٤/٣)، وتفسير الخازن (٣٨٠/٢).

(٤) انظر: زاد المسير (٢٧٥/٢)، ومفاتيح الغيب (٩٥/١٦)، وتفسير الخازن (٣٨٠/٢)، والسراج المنير (٦٢٨/١)، وروح المعاني؛ للألوسي (٣٢٠/٥).

(٥) قال ابن مجاهد:" وَاخْتلفُوا فِي الْيَاء وَالنُّون من قَوْله {إِن نعف عَن طَائِفَة مِنْكُم نعذب طَائِفَة} ٦٦ فَقَرَأَ عَاصِم وَحده {إِن نعف عَن طَائِفَة مِنْكُم نعذب طَائِفَة} بالنُّون جَمِيعًا وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: إِن يعف عَن طآئفة، بِالْيَاءِ، تعذب طآئفة: بِالتَّاءِ"، انظر: السبعة في القراءات (٣١٦/١)، وحجة القراءات (٣٢٠/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٨/١)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٤٤٥/١).

بشيء ولكنه كان يضحك وهو جهير بن خمير نعذب الرجلين الذين كانا يتكلمان (بالهزء)[٢] وهما وديعة بن خدام وجد بن قيس؛ بأنهم كانوا مجرمين أي كافرين في السر وكل معصية جرم إلا أنه أراد هنا بالجرم الكفر ، وقد روي عن النبي ﷺ لما بين لهؤلاء الثلاثة ما كان منهم من القول في ذلك الطريق قال جهير: والله يا رسول الله ما تكلمت بشيء ولا قلت، فقال رسول الله ﷺ: " إن لا يكن تكلمت فقد ضحكت من مقالتهما بعدُ "، قال: كان ذلك يا رسول الله[٣].

وأما ذكر الطائفة بمعنى الواحد فقد يذكر الواحد بلفظ الجماعة كما في قوله عز وجل : يا أيها الرسل وهو خطاب لنبينا ﷺ والطائفة في اللغة اسم لما يطيف بغيره ويحيط به[٤]، **وعن الحسن** ﷺ أنه قال في قوله عز وجل:﴿ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ ﴾معناه: إن نعف عن طائفة منهم بالتوبة تعذب طائفة بالإصرار على الكفر[٥].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٣١/٦).

وكذا قال محمد بن كعب، ومحمد بن إسحاق، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٦/١٤).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) عن ابن عباس، نسبه ابن حجر إلى ابن الكلبي بسنده إلى ابن عباس، الإصابة (٤٤/٦).

وانظر: مغازي الواقدي (١٠٠٤/٣)و (١٠٦٧/٣)، وسيرة ابن هشام (٥٥١/٢).

(٤) وبهذا قال: ابن عباس، ومحمد بن كعب، وابن إسحاق، والكلبي، ومعمر، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٨/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٣١/٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره(٣٣٦/١٤)، وأخرجه الجهضمي في أحكام القرآن (١٦٠/١، ١٦٣).

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٥٩/٢)، وبحر العلوم (٧١/٢)، وتفسير السمعاني (٣٢٤/٢)، وتأويل مشكل القرآن (١٧٣/١)، وأحكام القرآن؛ للجصاص (١٠٦/٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٣٧/١٤).

٣١= ب

قولـه عـز وجـل ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾.

معناه: المنافقون من الرجال والمنافقات من النساء بعضهم مضاف إلى بعض؛ لاجتماعهم على الشرك والاستهزاء بالمسلمين وهذا كما يقال أنا من فلان وفلان مني أي أمرنا واحد وكلمتنا واحدة(١).

وقوله عز وجل: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾ أي يأمرون بالكفر والمعاصي وينهون عن الإيمان والطاعات(٢).

---

(١) **قال المَاوَرْدِي**: " يحتمل وجهين: أحدهما: أن بعضهم يجتمع مع بعض على النفاق. والثاني: أن بعضهم يأخذ نفاقه من بعضٍ. وقال الكلبي: بعضهم على دين بعض"، النكت والعيون (٢/٣٧٩). =

=وانظر: تفسير الطبري (١٤/٣٣٨)، وبحر العلوم (٢/٧١)، وتفسير الثعلبي (٥/٦٦)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٦٧)، وزاد المسير (٢/٢٧٦).

(٢) **قال السمعاني**: " فِيهِ قَولَانِ: أَحدهمَا: أَن الْمُنكر: هُوَ الشّرك، وَالْمَعْرُوف: هُوَ الْإِيمَان بِاللَّه. وَعَن أبي الْعَالِيَة الريَاحي أَنه قَالَ: كل مَا ذكر من الْمُنكر فِي الْقُرْآن فَهُوَ عبَادَة الْأَوْثَان والشرك بِاللَّه.وَالْقَوْل الثَّانِي: أَن الْمُنكر: هُوَ مَعْصِيّة الله تَعَالَى، وَالْمَعْرُوف: هُوَ طَاعَة الله."، تفسير السمعاني (٢/٣٢٥).

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٦٠)، وبحر العلوم (٢/٧١)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢/٢١٧)، وتفسير الثعلبي (٥/٦٦)، والنكت والعيون (٢/٣٧٩)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٦٧).

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ **قال الحسن ومجاهد** رضي الله عنهما معناه: يمسكونهما عن النفقة في الجهاد[١]، ويقال: عن الزكاة المفرضة[٢]، **وقال قتادة** رحمه الله عليه: عن الخيرات كلها[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ ﴾ تركوا أمر الله عز وجل وأعرضوا عنه حتى صار كالمنسي عندهم بإعراضهم عنه، فتركهم الله عز وجل من رحمته حتى صاروا كالمنسيين عنده وإن كان النسيان مما لا يجوز على الله عز وجل إلا أنه قال تعالى فنسيهم لمزاوجة الكلام كما في قوله عز وجل ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ ﴾ [٤]وقوله عز وجل : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾ [٥]،[٦] ، والنسيان في اللغة ضد الذكر والحفظ وهو في المعنى ترك الذكر على

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٨/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٣٢/٦)، وانظر: والنكت والعيون (٣٧٩/٢)، وتفسير السمعاني (٣٢٥/٢).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٠/٢)، ومفاتيح الغيب (٧٩/١٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٣٨/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٣٢/٦)، وانظر: والنكت والعيون (٣٧٩/٢).

قال ابن الجوزي: " أربعة أقوال: أحدها: يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد. والثاني: عن كل خير، قاله قتادة. والثالث: عن الجهاد في سبيل الله. والرابع: عن رفعها في الدعاء إلى الله"، زاد المسير (٢٧٦/٢).

(٤) سورة البقرة آية (١٩٤).

(٥) سورة الشورى آية (٤٠).

(٦) **قال الطبري**: "معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته.وقد دللنا فيما مضى على أن معنى "النسيان"، الترك"، تفسير الطبري (٣٣٩/١٤). =

=وانظر: تفسير مقاتل (١٨٠/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٠/٢)، وبحر العلوم (٨٢/١)، وتفسير الثعلبي (٦٦/٥)، والتفسير الوجيز (٤٧١/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٧/٢).

الحقيقة[١]، وقوله عز وجل :﴿ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ أي هم المتمردون في الكفر، والفسق في كل شيء هو التمرد فيه، وإن كان النفاق أعظم من الفسق.

قوله عز وجل ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

في الآية جمع بين المنافقين والكفار في التسمية وإن كان المنافقون هم الكفار لتكون الآية دالة على أن المنافقين يلحقهم الوعيد من جهتين من جهة الكفر والنفاق [٢]، وجهنم من أسماء النار تقول العرب للبئر البعيد القعر جهنام فيجوز أن تكون جهنم مأخوذة من هذا اللفظ لبعد قعرها[٣].

وقوله تعالى : ﴿ هِىَ حَسْبُهُمْ ﴾ معناه هي كفايتهم[٤] على ذنوبهم؛ لأن فيها جزاء عملهم، عملهم، كما يقال حسب فلان ما نزل به أي ذلك على قدر فعله[٥].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٥٥/١٣)، والصحاح (٢٥٠٨/٦) مادة (نسا)، ومجمل اللغة (٨٦٦/١) مادة (نسى)، ومقاييس اللغة (٤٢٢/٥)، ولسان العرب (٣٢٢/١٥)، وتاج العروس (٧٥/٤٠).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (٩٨/١٦)، وتفسير المراغي (١٥٦/١٠).

(٣) انظر: الصحاح (١٨٩٢/٥) مادة (جهنم)، ومجمل اللغة (٢٠٨/١) مادة (جهنم)، والنهاية في غريب الحديث (٣٢٣/١)، والقاموس الفقهي (٧٢/١)، وبحر العلوم (١٩٥/٣)، والنكت والعيون (٣٧٨/٢)، وتفسير السمعاني (٩/٦)، وتفسير الكشاف (١٧١/٤)، وروح البيان (٤٦١/٣).

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٤٠/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٠/٢)، وبحر العلوم (٧١/٢)، وتفسير الثعلبي (٦٦/٥)، وتفسير السمعاني (٣٢٦/٢)، والمحرر الوجيز (٥٦/٣)، ومفاتيح الغيب (٩٨/١٦).

وقوله عز وجل : ﴿ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ معناه أبعدهم الله من الثناء والمدح في الدنيا وعن الثواب والرحمة في الآخرة ولهم عذاب مقيم أي عذاب دائم[(١)].

قوله عز وجل ﴿ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

معناه: وعد الله أهل زمانكم على الكفر والنفاق نار جهنم كما وعد الذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة في البدن وأكثر أموالاً وأولاداً فانتفعوا بنصيبهم وحظهم منها في الدنيا ولم ينفعهم ذلك حين نزل بهم عذاب الله عز وجل وكذلك أنتم [(٢)]، والخلاق هو النصيب من الخير[(٣)].

وقوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ ﴾ معناه فاستمتعتم أنتم بنصيبكم من الدنيا وخضتم فيها كما استمتع الذين من قبلكم، وقوله عز وجل : ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ﴾ معناه وخضتم في الكفر والاستهزاء بالمؤمنين كما خاض الأولون[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٤٠/١٤)، وبحر العلوم (٧١/٢)، وتفسير الثعلبي (٦٦/٥)، وتفسير السمعاني (٣٢٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٧/٢)، وتفسير البيضاوي (٨٨/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٤٠/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٠/٢)، وبحر العلوم (٧٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٠٠/٨)، وتفسير البيضاوي (٨٨/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٣/١).

(٣) انظر: تفسير الكشاف (٢٨٨/٢)، ومفاتيح الغيب (٩٨/١٦)، وتفسير البيضاوي (٨٨/٣)، وتفسير السمعاني (٣٢٦/٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٤١/١٤)، وزاد المسير (٢٧٦/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٣/١)، وتفسير الخازن (٣٨١/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ ﴾معناه أهل هذه الصفة حبطت أعمالهم (التي عملوها)[١] على جهة البر مثل الإنفاق في وجوه الخير ومثل صلة الرحم[٢] في الدنيا حتى لا يستحقوا بها الإكرام والتعظيم في الدنيا وحبطت في الآخرة حتى لا يستحقوا عليها الثوب في الآخرة[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ أي هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة والخسران هو ذهاب رأس المال من دون أن يربح عليه .

قوله عز وجل ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

معناه ألم يأت المنافقين والكفار خبر من قبلهم كيف أهلكهم الله عز وجل حين تمردوا في الكفر فاستهزؤا بالمسلمين وهم قوم نوح/ أهلكهم الله بالغرق وعاد قوم هود أهلكهم الله بالريح وثمود قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة والرجفة وقوم إبراهيم أهلكهم الله عز و جل -نمرود منهم بالبعوض- وسائر قومه بالهدم وأصحاب مدين قوم شعيب أهلكهم الله بالصيحة وعذاب الظلة، ومدين هو مدين بن إبراهيم نسبت القرية إليه، وقوله عز وجل والمؤتفكات معناه والمنقلبات وهي قريات قوم لوط أهلكهم الله عز وجل بالخسف وقلب مدائنهم[٤]؛

٣٢= أ

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) في أ زيادة (حبطت في الدنيا ...).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٨١/٢)، وتفسير الطبري (٣٤٤/١٤)، وبحر العلوم (٧٢/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٩/٢)، وتفسير السمعاني (٣٢٦/٢)، وزاد المسير (٢٧٦/٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٤٥/١٤) ، وبحر العلوم (٧٢/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٨/٢)، والمحرر الوجيز (٥٧/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٠٢/٨)، وتفسير الخازن (٣٨٢/٢).

ويقال: أراد بالمؤتفكات كل من انقلب أمرهم عليهم من الخير إلى الشر يقال للهالك انقلبت عليه الدنيا[١].

وقوله عز وجل: ﴿ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ أي بالبراهين والحجج، وقوله عز وجل: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ معناه وكذبوا الرسل وكفروا بالآيات فأهلكهم الله ولم يكن ذلك ظلماً لهم من الله عز وجل عليهم لأنهم استحقوا ذلك بعملهم فكانوا هم الظالمين لأنفسهم.

قوله عز وجل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾

معناه: والمؤمنون من الرجال والمؤمنات من النساء بعضهم أنصار بعض يأمرون بالمعروف أي بالتوحيد واتباع محمد ﷺ وشرائعه وينهون عما لا يُعرف عنه شريعةً ولا سنةً ويقيمون الصلوات الخمس بشرائطها ويؤتون الزكاة الوجبة في مالهم ويطيعون الله عز و جل في الفرائض ورسوله ﷺ في السنن أولئك ينعم الله عز وجل عليهم في الآخرة[٢]، والرحمة هي الإنعام[٣] على (المحتاج)[٤]

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٦١/٢)، والتفسير الوسيط (٥٠٩/٢)، زاد المسير (٢٧٧/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٣/١)، وغيب القرآن؛ لابن قتيبة (١٩٠/١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٢٣٢/٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٤٧/١٤)، وبحر العلوم (٧٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٩/٢)، ومفاتيح الغيب (١٠١/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٠٣/٨)، والبحر المحيط (٤٥٩/٥).

(٣) وفسره الرازي الرحمة بثواب الآخرة، وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: السِّينُ مُفِيدَةٌ وُجُوبَ الرَّحْمَةِ لَا مَحَالَةَ، فَهِيَ تؤكد الوعيد.

انظر: مفاتيح الغيب (١٠١/١٦)، والبحر المحيط (٤٦٠/٥)، والكشاف (٢٨٩/٢).

قال جامعه: وهذا في الحقيقة تأويل، وإنما ما ذكروه عبارة عن لازم رحمة الله عز وجل، وليست هي رحمة الله، وما قاله الزمخشري من الوجوب أيضا ممتنع على الله أن يوجب العباد عليه شيئا، وإنما هذا من جملة رحمته تعالى.

(٤) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (المؤمنين).

وعن بعض أهل الإشارة سيرحمهم الله عز وجل في خمسة مواضع عند الموت في سكراته وفي القبر وظلماته وعند قراءة الكتاب وحسراته وعند الميزان ونداماته وعند الوقوف بين يدي الله عز وجل وسؤالاته [(١)(٢)].

قوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ معناه غالب في ملكه وسلطانه يُجري أفعاله على ما تُوجبه الحكمة ثم ذكر جل ذكره منازل المؤمنين في الجنة فقال عز من قائل، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

معناه وعد الله المصدقين من الرجال والمصدقات من النساء جنات تجري تحت شجرها وغرفها أنهار الماء والعسل واللبن و الخمر خالدين أي مقيمين دائمين فيها، وقوله عز وجل: ومساكن طيبة معناه منازل طاهرة عامرة تطيب بها النفس[(٣)]، **قال الحسن** ﷺ هي مساكن بناها الله عز وجل من اللآلئ واليواقيت الأحمر والزبرجد الأخضر[(٤)]، وفي الخبر أن ريحاً طيبه تهب من تحت العرش فتدخل عليهم من كثبان المسك الأبيض[(٥)].

---

(١) (وسؤالاته) لا توجد في أ.

(٢) قال هذا أبو سعيد الفاربي، انظر: بحر العلوم (٧٣/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٨٤/١٤)، وبحر العلوم (٧٣/٢)، والنكت والعيون (٣٨١/٢)، ومفاتيح الغيب (١٠١/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٠٤/٨).

(٤) انظر: تفسير الثعلبي (٦٨/٥) ، والكشاف (٢٨٩/٢).

(٥) أخرج ابن أبي شيبة في المصنف (٤٧/٧) رقم (٣٤١١٥)، وأخرجه أحمد في مسنده (٤٣٠/٢١) رقم (١٤٠٣٥)، وأخرجه البزار في مسنده (٣٤٧/١٣) رقم (٦٩٧٣)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٤٥/١٦) رقم (٧٤٢٥)، وأخرجه أب نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢٥٣/٢) رقم (٤١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٢٤).

وقوله عز وجل : ﴿ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ ﴾ أي في بساتين إقامة **قال عبد الله بن عباس**: جنات العدن في بطنان الجنان[١]، أي: في وسطها[٢] والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة منذ خلقها الله عز وجل حتى ينزلها النبيون و الصديقون والشهداء والصالحون، **وعن مجاهد** ﷺ أنه قال: قال عمر ﷺ وهو على المنبر هل تدرون ما جنات عدن قصور في الجنة من ذهب لكل قصر خمسة آلف باب على كل باب خمسة وعشرون ألفا من الحور العين لا يدخلها إلا نبي وهنيئاً لصاحب هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ أو صديق وهنيئاً لأبي بكر أو شهيداً وأنّى لِعُمر بالشهادة[٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ﴾ معناه رضى الرب عنهم أكبر وأعظم من هذا النعيم كله؛ لأنهم إنما نالوا ذلك كله برضوان الله عز وجل عليهم[٤]، ومعنى الرضوان إرادة

---

(١) عن ابن عباس، عزاه له في زاد المسير (٢٧٧/٢).

وهو مروي أيضا عن ابن مسعود، أخرجه ابن وهب في جامعه (٢٤/١) رقم (٣٧)، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢٣٥/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٣/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٠/٦).

(٢) انظر: بحر العلوم (٣٤٥/٢)، وتفسير الثعلبي (٦٨/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٩/٢)، والمحرر الوجيز (٥٠٩/٥)، ومفاتيح الغيب (١٠١/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٠٤/٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩/٧) رقم (٣٤٠٣٢)، وأخرجه السمرقندي في بحر العلوم (٧٣/٢)، وأخرجه النيسابوري في التفسير الأوسط (٥١٠/٢)، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة (١٩٣/٤) رقم (٢٥١٦)، وأخرجه الحارث في مسنده (٨٩١/٢) رقم (٩٦٣).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (٢٦٦/١)، وتفسير الطبري (٣٥٥/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦١/٢)، وبحر العلوم (٧٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٦٨/٥)، والتفسير الوسيط (٥١١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٦٩/٢)، وتفسير الكشاف (٢٩٠/٢)، والمحرر الوجيز (٥٩/٣)، وزاد المسير (٢٧٧/٢).

الخير والثواب[١]وقوله عز وجل: وذلك هو الفوز العظيم معناه: ذلك الذي ذكرت هو الحياة الوافرة نجوا من النار وظفروا بالجنة[٢].

وعن **الحسن** ﷺ أنه قال في قوله عز وجل: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي سرور في الآخرة برضى الله عز وجل/ عنهم يكون أكبر من[٣] سرورهم بهذا النعيم كله[٤]، وهذا ٣٢= ب موافق لما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال:" إذا أنزل الله أهل الجنة منازلهم قال ألا أعطيكم أكبر من هذا فيقولون: بلى يا رب وما أكبر من ذلك فيقول الله تعالى أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً "[٥].

قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معناه: جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان واشدد على الفريقين جميعاً[٦]، ومصيرهم في الآخرة جهنم وبئس الموضع الذي يصيرون يصيرون إليه.

---

(١) وهذا تفسير باللازم، أي أن الله إذا رضي عن عبد أثابه وغفر له.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٥٧/١٤)، وبحر العلوم (٧٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٩٠/٢)، ومفاتيح الغيب (١٠٢/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٤/١).

(٣) (أي سرور في الآخرة برضى الله عز وجل عنهم يكون أكبر من) لا توجد في أ.

(٤) انظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢١٩/٢)، والتفسير الوسيط (٥١١/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٤/٨) رقم (٦٥٤٩) كتاب الرقاق، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢١٧٦/٤) رقم (٢٨٢٩) كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا.

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٩/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤١/٦)، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى الكبرى (١٩/٩) رقم (١٧٧٤٢).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: جاهد باليد؛ فإن لم تستطع فباللسان؛ فإن لم تستطع فاكفهر في وجوههم[١]، أي قطب وجهك في وجوههم.

وقال الحسن ﷺ معناه: جاهد الكفار بالقتل والمنافقين بالحدود؛ فإنهم كثيرو التعاطي للأسباب الموجبة للحدود[٢].

قوله عز وجل ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾** ﴾.

قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي والخلاس بن سويد وعامر بن النعمان وغيرهم كانوا خمسة عشر رجلاً خطب رسول الله ﷺ ذات يوم بتبوك وسماهم رجساً وعابهم فقال الخلاس لئن (كان)[٣] ما يقول محمداً على إخواننا صدقاً لنحن شر من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل والله إن محمداً لصادق ولأنتم شر من الحمير فلما انصرف ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الخلاس، فقال الخلاس: يكذب علي يا رسول الله، فأمرهما رسول الله ﷺ أن يحلفا على المنبر فحلفا جميعاً فرفع عامر بن قيس يده إلى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك وبين الصادق منا، فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين فأنزل الله عز وجل هذه الآية[٤]، ومعناها: يحلف المنافقون بالله عز وجل ما

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣٥٨)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٤١)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/١٢) رقم (٨٩٥٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٥٩)، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٣٥٩)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٤١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) عن ابن عباس، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٤٣)

وجاء عن أنس، أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١/٣٥٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٦/١٨٤٣).

تكلموا بكلمة الكفر ولقد تكلموا بها فأظهروا الكفر بعد إظهارهم الإسلام ويقال كفروا بقولهم ذلك بعد ما كانوا أسلموا على زعمهم[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ أي قصدوا إلى ما لم يصلوا إلى (ذلك)[٢]، والهم بالشيء في اللغة هو مقاربته دون الوقوع فيه[٣]، قيل: إنهم كانوا هموا بقتل الذي أنكر عليهم قولهم[٤]، ويقال: إن هذا أنزل في اثنا عشر رجلاً من المنافقين عزموا على أن يقفوا للنبي ﷺ بعقبة على طريقه ويغتالوه فأعلمه الله عز وجل فلما بلغ إليهم أمر من نحاهم عن طريقه بعد أن سماهم رجلاً رجلا[٥]، والقول الثالث: ما روي أن النبي ﷺ خرج إلى غزوة بني المصطلق وهم حي من خزاعة وقد جمعوا له ليقتلوه والتفوا على ماء ثم أقبلوا فهزمهم الله عز وجل ونَفَل رسول الله ﷺ أبناءهم وأموالهم ونساءهم فلما انصرف رسول الله ﷺ ونزل منزلاً فاصطخب رجل من أصحاب عبد الله بن أبي مع رجل من المخلصين غفاري يقال له جهجاه فلطم

جاء عن عروة بن الزبير مرسلا، أخرجه عبد الرزاق في مصنف (٤٥/١٠) رقم (١٨٣٠٣)، وأخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣٥٥/١)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٦١/١٤).

وانظر: تفسير مقاتل (١٨٢/٢)، وبحر العلوم (٧٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٠/٢).

(١) انظر: تفسير مقاتل (١٨٣/٢)، وتفسير الطبري (٣٦٤/١٤)، وتفسير السمعاني (٣٢٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٠/٢)، والسراج المنير (٢٩٤/٤).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) انظر: لسان العرب (٦٨٥/١١) و (٦٢٠/١٢)، وتهذيب اللغة (٢٤٨/٥)، والصحاح (٢٠٦١/٥)، وتاج العروس (١١٨/٣٤).

(٤) قاله مجاهد، أخرجه الطبري في تفسيره (٣٦٥/١٤)، وانظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٧٠/٥)، وتفسير النكت والعيون (٣٨٣/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٠/٢)، والكشاف (٢٩١/٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل (١٨٣/٢)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٤/٦)، وانظر: بحر العلوم (٧٤/٢)، وتفسير الثعلبي (٧٠/٥)، وتفسير النكت والعيون (٣٨٣/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٢/٢)، وتفسير السمعاني (٣٢٩/٢)، والكشاف (٢٩١/٢)، وزاد المسير (٢٧٩/٢).

الغفاري حليف عبد الله بن أبي فغضب عبد الله وقال ما صحبا محمداً إلا ليلطم ثم نظر إلى أصحابه وقال والله لقد أمرتكم أن تكفوا طعامكم عن هذا الرجل ومن معه حتى يتفرقوا فلم تفعلوا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فقال له الغفاري أتقول مثل هذا والله لئن شئت لألطمنك فقال عبد الله سمِّن كلبك يأكلك فقال له زيد بن أرقم ﷺ وكان غلاماً حدث السن يا عدو الله وعدو رسوله ﷺ تقول هذا والله لأُبلغن رسول الله ﷺ (ما قلت)[1] ثم انطلق إلى النبي ﷺ فاعلمه وعنده عمر ﷺ فقال عمر بن الخطاب ﷺ مر عباد بن بشر فليقتله فقال رسول الله ﷺ كيف يا عمر إذا يتحدث الناس أن محمداً ﷺ يقتل أصحابه فبلغ عبد الله بن أبي ما قال زيد بن أرقم فمشى إلى رسول الله ﷺ ومعه أشراف الأنصار يُصدقونه ويكذبون زيداً ويقولون نخشى أن زيداً أن يكون قد وهم في حديثه وكان ابن أبي يحلف بالله عز وجل ما قال ما أبلغه زيد فاستقبل رسول الله ﷺ/ وسار، فقال أسيد بن حصين: يا رسول الله أرفق بعبد الله فوالله لقد جاء الله تعالى بك وإن قومه ليتوجونه فهو يرى أنك سلبته ملكاً عظيماً فسار النبي ﷺ يومه ذلك حتى أمسى وليلته حتى أصبح ويومهم ذلك حتى آذتهم الشمس واشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، ثم نزل على رسول الله ﷺ

٣٣= أ

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

في قـــول ابـــن أبي ﴿ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ﴾ ونـــزل ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)] [(٢)].

فأمـا قولـه عـز وجـل : ﴿ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ فمعناه: وما طعنوا على النبي ﷺ وأصحابه ﷺ أجمعين إلا بأن أغناهم الله عز وجل من فضله وأغناهم رسول الله ﷺ وذلك أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكان أهلها في شدة من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فلما قدم ﷺ المدينة استغنوا[(٣)].

وقوله عز وجل : ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ معناه: إن يتوبوا من النفاق يكُ خيراً لهم في الدنيا والآخرة وإن يعرضوا عن التوبة يعذبهم الله عز وجل في الدنيا بالقتل، ويقال: بإظهار حالهم وفي الآخرة بالنار وما لهم في الأرض من حافظ يحفظهم ولا دافع يدفع عذاب الله تعالى عنهم[(٤)]، **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما : فلما نزلت هذه الآية قام الخلاس

---

(١)سورة المنافقون آية (٨).

(٢) والحديث جاء مقطعا.

فقد أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣٦٥/١)، وأخرجه الواقدي في المغازي (٤١٦/٢)، وابن هشام في السيرة (٢٩١/٢).

وجاء بسياقات مختلفة عند البخاري في صحيحه (١٥٤/٦) رقم (٤٩٠٥) كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ [ص:١٥٤] أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ} [المنافقون: ٦]، وأخرجه مسلم في صحيحه ١٩٩٨/٤) رقم (٢٥٨٤) كتاب البر والصلة، بَابُ نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا.

وانظر: تفسير النكت والعيون (٣٨٣/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٢/٢)، وزاد المسير (٢٧٩/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣٦٦/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٢/٢)، وبحر العلوم (٧٤/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧١/٢)، ومفاتيح الغيب (١٠٤/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٥/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٦٧/١٤)، وبحر العلوم (٧٤/٢)، ومفاتيح الغيب (١٠٥/١٦)، وتفسير الخازن (٣٨٦/٢)، وفتح القدير (٤٣٧/٢).

بن سويد وقال يا رسول الله اسمع الله عز وجل قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لك لقد قلته وأنا أستغفر الله عز وجل وأتوب إليه فقبل ﷺ منه ثم تاب وحسنت توبته[١].

قولـه عـز وجـل ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ومعناه: ومن المنافقين من عاهد الله تعالى وهو **ثعلبة بن حاطب**[٢] كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهداً شديداً فحلف بالله عز وجل لئن آتانا من فضله يعني المال الذي له بالشام ليصدقن منه وليصلن به الرحم وليؤدين منه حق الله تعالى وليكونن من المقيمين لفرائض الله عز وجل فآتاه الله المال الذي كان له بالشام فخل بما وعد ولم يفعل ما عاهد الله عليه[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٤٥/١٠) رقم (١٨٣٠٣)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٦١/١٤)، وأخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣٥٥/١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٦/٦)، عن عروة مرسلا، وذكره مقاتل في تفسيره (١٨٣/٢).

وانظر: بحر العلوم (٧٤/٢)، وتفسير الثعلبي (٧٠/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٠/٢)، والمحرر الوجيز (٦١/٣)، وتفسير البيضاوي (٨٩/٣)، وتفسير الخازن (٣٨٥/٢).

(٢) ثعلبة بن حاطب: أو ابن أبي حاطب الأنصاري.ذكر ابن إسحاق فيمن بنى مسجد الضرار، قال ابن عبد البر: "مَا رُوِيَ عَنْهُ غَيْرُ صَحِيحٍ. قَالَ القرطبيّ: وَلَعَلَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ فِي ثَعْلَبَةَ أَنَّهُ مَانِعُ الزَّكَاةِ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ الْآيَةُ غَيْرُ صَحِيحٍ"،

قال ابن حجر العسقلاني:" والبدريّ اتفقوا على أنه ثعلبة بن حاطب، وقد ثبت أنه ﷺ قال: «لا يدخل النّار أحد شهد بدرا والحديبيّة» وحكى عن ربّه أنه قال لأهل بدر: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فمن يكون بهذه المثابة كيف يعقبه اللَّه نفاقا في قلبه، وينزل فيه ما نزل؟ فالظاهر أنه غيره"، انظر: معرفة الصحابة (٤٩٤/١)، والاستيعاب (٢٠٩/١)، والإصابة (٥١٦/١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢١٠/٨).

(٣) أخرجه الطبري بلفظ مقارب في تفسيره (٣٧٠/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٨/٦) رقم (١٠٥٠٠).

وعن أبي أمامة الباهلي ﷺ أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ادع الله عز وجل أن يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم رجع إلى النبي ﷺ فقال ادع الله تبارك وتعالى أن يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة أما ترضى أن يكون لك مثل رسول الله ﷺ لو سألت الله عز وجل أن يسيل عليَّ الجبال ذهباً أو فضة لسالت ثم رجع فقال يا رسول الله ادع الله تعالى أن يرزقني مالاً فو الله لئن أتاني مالاً لأوتين كل ذي حق حقه فقال النبي ﷺ اللهم أرزق ثعلبة مالاً ثلاث مرات فاتخذ غنماً فنمت حتى ضاقت بها أزقة المدينة فتنحى بها وكان يشهد الصلوات مع رسول الله ﷺ ثم يخرج إليها ثم نمت حتى تعذرت عليها مراعي المدينة فتنحى بها وكان يشهد الجمع مع رسول الله ﷺ ثم يخرج إليها ثم نمت فترك الجمع والجماعات فلما أنزل الله عز وجل قوله ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[1] واستعمل النبي ﷺ رجلين على الصدقات رجلاً من الأنصار ورجلاً من بني سليم وكتب لهم الصدقة وأسنانها وأمرهما أن يصدقا الناس فأتيا ثعلبة فقال صدّقا الناس فإذا فرغتما فمرا بي ففعلا فقال ما هذه إلا أخت الجزية فانطلقا حتى لقيا رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل على رسوله هذه الآيات فركب ابن عمر لثعلبة راحلته ومضى إلى ثعلبة حتى أتى عليه فقال ويحك يا ثعلبة هلكت يا ثعلبة قد أنزل الله عز وجل فيك من القرآن كذا وكذا فأقبل ثعلبة يبكي ويحثوا التراب على رأسه ويقول يا رسول الله هذه صدقتي فلم

(١) سورة التوبة آية (١٠٣).

يقبل(عليه السلام) من صدقته حتى قبض ﷺ ثم أتى أبا بكر فلم يقبل صدقته ثم أتى عمر فلم يقبل صدقته ثم مات في خلافة عثمان(١).

فأما قوله عز وجل : ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ فمعناه: أعقبهم بخلهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم/ يلقون جزاء البخل فذكر البخل وأراد جزاءه(٢)، ٣٣= ب وهذا كقوله عز وجل ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾(٣)وأراد بذلك جزاء أعمالهم.

وقوله عز وجل : ﴿ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ ﴾ معناه: إنما أصابهم بعملهم وهو إخلافهم لما وعدوا من التصدق وكذبهم فيما قالوا(٤)، والإعقاب في اللغة المصير إلى حال مخصوصة في العاقبة، يقال عقّبه كذا وأورثه كذا وأدّاه إليه كل ذلك من النظائر(٥)، وفي الآية

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٧٠/١٤)، وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٩٥/١) رقم (١٤٠٤)، وأخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب (٢١٠/١)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٤٧/٦) رقم ١٠٤٠٦، ١٠٤٠٨)، وأخرجه ابن أبي عاصم في الآحاد المثاني (٢٥٠/٤) رقم (٢٢٥٣)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير مختصرا (٢١٨/٨) رقم (٧٨٧٣)، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٩٨/٦) رقم (٤٠٤٨)، وأخرجه الشجري في الأمالي الخميسية (٢٦١/١) رقم (٨٩٧)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٥٢/١)، قال العراقي: ضعيف، تخريج أحاديث الإحياء (١١٧٩/١)، وقال ابن حجر الهيثمي: " رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ يَزِيدَ الْأَلْهَانِيُّ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ "، مجمع الزوائد (٣٢/٧)، قال الألباني: ضعيف جدا، السلسلة الضعيفة (١٦٠٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٧٠/١٤)، وبحر العلوم (٧٦/٢)، وتفسير البيضاوي (٩٠/٣)، وزاد المسير (٢٨٣/٢).

(٣) سورة إبراهيم آية (١٨).

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٨٥/٢).

(٥) **قال السمعاني**: " فِيهِ مَعْنيانِ:أَحدهمَا: فعاقبهم نفَاقًا فِي قُلُوبهم، يُقَال: أعقبه وعاقبه بِمَعْنى وَاحِد.وَالْمعْنَى الثَّانِي: أخلفهم نفَاقًا فِي قُلُوبهم"، تفسير السمعاني (٣٣١/٢).

وانظر: زاد المسير (٢٨٣/٢)، وتفسير البيضاوي (٩٠/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٦/١)، وتفسير الخازن (٣٨٨/٢)، والسراج المنير (٦٣٥/١).

بيان أن المنافق المخلف الوعد يموت على نفاقه بإخلاف الوعد، **وقال الحسن وقتادة** رضي الله عنهما: معنى قوله تعالى فأعقبهم نفاقاً فأورثهم الله عز وجل النفاق في قلوبهم بأن حرمهم التوبة كما حرم إبليس[١]، قالوا: وإنما أراد بهذا الله عز وجل دلنا على أنه لا يتوب كما دلنا من حال إبليس أنه لا يتوب؛ لأن الله عز وجل سلب عنه قدرة التوبة.

وقوله عز وجل : ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾ معناه على قول **الحسن** ﷺ **وقتادة** رحمه الله تعالى: إلى يوم يلقون الله تعالى، أي: يلقون اليوم الذي لا يملك فيه الحكم والنفع والضر إلا الله عز وجل[٢].

وفي هذه الآيات دلالة أن من نذر نذراً فيه قربة نحو أن يقول إن رزقني الله عز وجل ألف درهم فعلي أن أتصدق بخمسمائة لزمه الوفاء به[٣]، وفيها دلالة جواز تعليق النذر بالشرط

---

(١) عن الحسن وقتادة، انظر: تفسير الكشاف (٢/٢٩٣)، والبحر المحيط (٥/٤٦٧).

وجاء عن مجاهد، انظر: التفسير الوسيط (٢/٥١٤).

(٢) وهذا تأويل ظاهر، لأن المصنف إنما أراد نفي لقاء الله والمترتب عليه رؤية الله وتجليه لعباده يوم القيامة، ونفي الرؤية هو مذهب المعتزلة، **قال ابن العربي**: كنت بمجلس الوزير، فقرأ القارئ: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب: ٤٤] وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء بن عقيل إمام الحنابلة بمدينة السلام (٤٣١-٥١٣) وكان (مع إمامته في مذهب الإمام أحمد) معتزلي الأصول فلما سمعت الآية قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري: هذه الآية دليل= =على رؤية الله في الآخرة، فإن العرب لا تقول (لقيت فلانا) إلا إذا رأته. فصرف أبو الوفاء وجهه مسرعا إلينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله لا يرى في الآخرة "، العواصم من الفوصم (١/١٨).

وقال ابن القيم: " دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء الله تعالى وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة احدها أن لا يراه إلا المؤمنون والثاني يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك والثالث يراه المنافقون دون الكفار والأقوال الثلاثة في مذهب احمد وهي لأصحابه"، حادي الأرواح (١/٢٨٨).

(٣) انظر: بدائع الصنائع (٥/٩٠) و (٥/٩٢)، والمحيط البرهاني (٢/٣٢٠)، وملتقى الأبحر (١/٢٧٤)، ومراقي الفلاح (١/٢٦٣)، ومجمع الأبحر (١/٥٤٧)، ورد المحتار على الدر المختار (٧/٧٣٥).

نحو أن يقول إن قدم فلان فلله علي صيام أو صدقة وإن ملكت عبدً أو هذا العبد فعلي أن أعتقه[(١)].

قولـه عــز وجــل ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ﴾.

معناه: ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما يسرون من الكفر وما يتناجون به فيما بينهم وإن الله عز وجل عالم بكل شيء خفي على العباد[(٢)]، وهذا استفهام بمعنى التوبيخ[(٣)].

قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن النبي ﷺ خطب ذات يوم حين أراد الخرج إلى غزوة تبوك يحث الناس على الصدقة وقال: اجمعوا صدقاتكم، فجاء **عبد الرحمن بن عوف** ﷺ بأربعة ألاف درهم إلى رسول الله ﷺ، فقال له: أكثرت، هل تركت لأهلك شيءً ؟ فقال: يا رسول الله كان لي ثمانية ألاف درهم؛ فأما أربعة ألاف فأمسكتها لنفسي وعيالي؛ وأما

---

(١) **قال الكاساني**: "{فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [التوبة: ٧٧] .دَلَّتْ الْآيَةُ الشَّرِيفَةُ عَلَى صِحَّةِ النَّذْرِ الْمُضَافِ؛ لِأَنَّ النَّاذِرَ بِنَذْرِهِ عَاهَدَ اللَّهَ تَعَالَى الْوَفَاءَ بِنَذْرِهِ، وَقَدْ لَزِمَهُ الْوَفَاءُ بِمَا عَهِدَ، وَالْمُؤَاخَذَةُ عَلَى تَرْكِ الْوَفَاءِ بِهِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّذْرِ الصَّحِيحِ"، انظر: بدائع الصنائع (٩٠/٥)، والمحيط البرهاني (٣٢٠/٢) و (٢٦٧/٤)، وملتقى الأبحر (٢٧٤/١)، ومراقي الفلاح (٢٦٣/١)، ومجمع الأبحر (٥٤٧/١)، ورد المحتار على الدر المختار (٧٣٥/٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٨١/١٤)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٣/٢)، وزاد المسير (٢٨٣/٢)، ومفاتيح الغيب (١٠٩/١٦)، وتفسير البيضاوي (٩٠/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٦/١)، وتفسير ابن كثير (١٨٤/٤)، وفتح القدير (٤٣٩/٢).

(٣) انظر: بحر العلوم (٢٦٥/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢١٤/٨)، وإعراب القرآن وبيانه (١٣٩/٤).

أربعة ألاف فأقرضتها ربي فهاهي هذه فاقبضها، فقال رسول الله ﷺ:" بارك الله تعالى لك فيما أمسكت وفيما أبقيت"، فبارك الله عز وجل في ماله حتى بلغ ماله حتى مات ، وطلق إحدى نساءه في مرضه وصالحوها من ربع ثمنها على ثمانين ألفا ونيف، وجاء عمر ؓ بنحو من ذلك وتصدق بها، وجاء عثمان بصدقة عظيمة، وجاء عاصم بن عدي الأنصاري ؓ بسبعين وسقاً من تمر وقال تصدق بها[1]، وجاء أبو عقيل بصاع من تمر، وقال يا رسول الله بت ليلتي كلها أجر الجرير حتى نلت صاعين أما احدهما فأمسكت لعيالي وأما الأخر فأقرضت ربي فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره في الصدقة، فطعن فيهم المنافقون وقالوا والله ما جاء هؤلاء بصدقاتهم إلا رياء وسمعة وقالوا في أبي عقيل فأما أبو عقيل فإنه جاء ليُذكر بنفسه ويُعطي من الصدقة أكثر مما جاء به فإن الله عز وجل لغني عن صاع أبي عقيل فأنزل الله عز وجل هذه الآية[2]، ومعناها: الذين يعيبون المطوعين من المؤمنين في الصدقات وهم المنافقون عابوا عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم أجمعين[3].

---

(١) (وجاء عثمان بصدقة عظيمة، وجاء عاصم بن عدي الأنصاري ؓ بسبعين وسقاً من تمر وقال تصدق بها) لا توجد في أ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره عن قتادة (٢/١٥٩) رقم (١١١٢)، و أخرجه الواحدي في أسباب النزول (١/٢٥٥).

وأخرجه الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي (١/٨٧)، وذكره مقاتل في تفسيره (١/٢١٩).

وأخرجه مجاهد عن أبي مالك، تفسير مجاهد (١/٣٧٢، ٣٧٣).

وأخرجه الطبري عن ابن عباس في التفسير (١٤/٣٨٣) و (١٤/٣٩١) وكذا أيضا عن يحي بن أبي كثير به في التفسير (١٤/٣٩١)، وأخرجه أيضا عن الربيع بن أنس (١٤/٣٨٧)، وأخرجه عن ابن إسحاق (١٤/٣٨٧).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٢/٣٣٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٧٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٢١٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٩٧).

وقوله عز وجل :﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ﴾ معناه: ويعيبون على الذين لا يجدون إلا جهدهم أي طاقتهم من الصدقة عابوا المكثر بالرياء والمقل بالإقلال[١]، والجُهد والجَهد بالضم والنصب لغتان بمعنى واحد[٢]، ويقال الجَهد بالنصب المشقة والجُهد بالرفع الطاقة وقيل الجَهد في العمل والجُهد في القوة[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾ أي يجازيهم جزاء سخريتهم ولهم عذاب وجيع[٤] .

قوله عز وجل ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾.

وذلك أنه لما نزلت هذه الآية (التي)[٥] قبل هذه الآية أتى المنافقون إلى رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله استغفر لنا وكان ﷺ يستغفر لقوم منهم على ظاهر إسلامهم من غير علم منه بنفاقهم وكانوا إذا مات الميت منهم يسألون/ رسول الله ﷺ الدعاء والاستغفار لميتهم وكان يستغفر لهم على أنهم مسلمون فأعلمه الله عز وجل أنهم منافقون وأخبر أن استغفار النبي ﷺ

٣٤= أ

---

(١) انظر: بحر العلوم (٧٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٧٧/٥)، والكشاف (٢٩٤/٢)، وتفسير البيضاوي (٩١/٣)، وتفسير ابن جزئ (٣٤٤/١).

(٢) وهو قول البصريون، وبِالضَّمِّ لُغَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ. وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ بِالْفَتْحِ، انظر: النكت والعيون (٣٨٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٤/٢)، والكشاف (٢٩٤/٢)، وزاد المسير (٢٨٤/٢).

(٣) انظر: بحر العلوم (٧٧/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٢/٢)، وتفسير الثعلبي (٧٧/٥)، و النكت والعيون (٣٨٤/٢)، وزاد المسير (٢٨٤/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢١٥/٨)، وتفسير أبي السعود (٨٧/٤).

(٤) قال الزجاج: " والسِخْرِيَّ من الله المجازاة على فعلهم"، انظر: تفسير الطبري (٣٠٢/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٧٧/٥)، والتفسير الوجيز (٤٧٤/١)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٧/١).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

لا ينفعهم[١] فذلك قوله عز وجل :﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ ﴾ وهذا لفظة لفظ الأمر ومعناه الخبر[٢]؛ أي إن شئت استغفر لهم وإن شئت لا تستغفر لهم؛ فإنك إن استغفرت لهم سبعين مرة فلن يغفر لهم[٣].

وقوله عز وجل :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ فيه بيان العلة التي لأجلها لا ينفعهم استغفار الرسول ﷺ[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ أي لا يلطف بهم ولا يوفقهم، ويقال: لا يرشدهم إلى جنته وثوابه وكرامته[٥]، وأما تخصيص سبعين مرة في الآية فهو لتأكيد نفي المغفرة لهم بهذا؛ لأن الشيء إذا بولغ في وصفه أكد بالسبع والسبعين؛ لأن الأشياء تعدل بنصف العقد، وهو الخمس والخمسون ثم يزاد عليها واحد للتأكيد بأدنى العدد ويزاد عليه اثنان للتأكيد بما هو أعلى من ذلك وهذا كما يقول القائل لمن يسأله الحاجة لو سألتني سبعين

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٩٤/١٤) ، والنكت والعيون (٣٨٦/٢)، والتفسير الوسيط (٤٧٥/١)، وزاد المسير (٢٨٦/٢)، ومفاتيح الغيب (١١٢/١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٩٤/١٤)، وبحر العلوم (٧٧/٢)، والنكت والعيون (٣٨٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛للبغوي (٣٧٤/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٧/١).

(٣) جاء عن ابن عباس، وقتادة، وعروة، والشعبي، وعبد الرحمن بن مهدي، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٠/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٣٩٤/١٤، ٣٩٦)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٥٣/٦)، وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٣/٢)، وبحر العلوم (٧٧/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٣٨/٢).

(٤) انظر: بحر العلوم (٧٧/٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٣٩٤/١٤)، وتفسير الخازن (٣٩٠/٢)، وتفسير أبي السعود (٨٧/٤)، وروح البيان (٤٠٤/٣)، وفتح القدير (٤٤١/٢).

مرة لم أقضها لك لا يريد به إذا زاد على السبعين قضى حاجته[١]، وعن هذا قيل: إن السبع إنما سُمي سبعاً للمبالغة في وصفه بالقوة؛ كأنه ضوعف في قوته سبع مرات[٢].

وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالآية التخيير للنبي ﷺ في الاستغفار لهم واستدلوا بما روي عنه ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه الآية لأزيدن على سبعين مرة"[٣]، وقيل ذا خطأ من راويه؛ لأن الله عز وجل قد أخبر بأنهم كفروا بالله عز وجل وكفروا برسوله ولم يكن النبي ﷺ ليسأل الله عز وجل مغفرة للكفار مع علمه بأنه لا يغفر لهم[٤]؛ فإن هذه السورة آخر ما نزل

---

(١) انظر: تفسير الثعلبي (٥/٧٧)، والنكت والعيون (٢/٣٨٦)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٧٤)، ومفاتيح الغيب (١٦/١١٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٩٨)، وتفسير الخازن (٢/٣٨٩)، وتفسير ابن كثير (٤/١٨٨)، وتهذيب اللغة (٢/٧٠)، وتاج العروس (٢١/١٧٠).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/٧٠) مادة (سبع) ، ولسان العرب (٨/١٤٦) مادة (سبع).

وانظر: النكت والعيون (٢/٣٨٦)، وتفسير السمعاني (٢/٣٣٢)، وتفسير الكشاف (٢/٢٩٥)، وزاد المسير (٢/٢٨٥)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٦٩٨).

(٣) **قال ابن جزئ**: " يحتمل معنيين. أحدهما: أن يكون لفظه أمر، ومعناه الشرط، ومعناه: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين، والآخر: أن يكون تخييرا، كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم، وإن شئت فلا تستغفر لهم"، تفسير ابن جزئ (١/٣٤٤).

ورجح ابن عطية التخيير فقال: "وهذا هو الصحيح"، المحرر الوجيز (٣/٦٤).

وانظر: التفسير الوسيط (٢/٥١٥)، والتفسير الوجيز (١/٤٧٥)، وتفسير أبي السعود (٤/٨٧) .

(٤) قال الزجاج: "قال الزجاج: إنما أجاز رسول الله ﷺ الصلاة عليه لأن ظاهره كان الإسلام، فأعلمه الله أنه إذا علم منه النفاق فلا صلاة عليه"، التفسير الوسيط (٢/٥١٦).

وقال الزمخشري: "فإن قلت: كيف خفى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام «٣» وتمثيلاته، والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار، كيف وقد تلاه بقوله ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا ... الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال: «قد رخص لي ربى فسأزيد على السبعين» قلت: لم يخف عليه ذلك، ولكنه خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه"، الكشاف (٢/٢٩٥).

من القرآن وإنما الرواية الصحيحة في هذا الباب ما روي أنه ﷺ قال:" لو علمت أني لو زدت على السبعين غَفَر لهم لزدت عليها "[(١)].

قولـــه عـــز وجـــل ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾.

معناه: فرح المخلفون بقعودهم عن الجهاد بعد رسول الله ﷺ ويقال بقعودهم مخالفه أمر رسول الله ﷺ[(٢)]، والمخلف ما يتركه الإنسان بعده والمتخلف الذي تأخر بنفسه والخلاف قد يكون بمعنى المخالفة وقد يكون بمعنى خلف[(٣)]، كما في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [(٤)]

وقال ابن عطية: "وظاهر صلاته عليه أن كفره لم يكن يقينا عنده، ومحال أن يصلي على كافر، ولكنه راعى ظواهره من الإقرار ووكل سريرته إلى الله عز وجل، وعلى هذا كان ستر المنافقين من أجل عدم التعيين بالكفر"، المحرر الوجيز (٦٤/٣)، وانظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢١٩/٨).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب (٩٧/٢) رقم (١٣٦٦) كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى المُنَافِقِينَ، وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ، وأخرجه الترمذي في سننه (٢٧٩/٥) رقم (٣٠٩٧) أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ.

(٢) انظر: تفسير مقاتل (١٨٧/٢)، وتفسير الطبري (٣٩٧/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٣/٢)، وبحر العلوم (٧٨/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٥/٢)، وتفسير الكشاف (٢٩٦/٢)، ومفاتيح الغيب (١١٣/١٦).

(٣) قال الماوَرْدِي: "فيه وجهان: أحدهما: يعني مخالفة رسول الله ﷺ وهذا قول الأكثرين. والثاني: معناه بعد رسول الله ﷺ"، النكت والعيون (٣٨٦/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٦٩٨/١)، وتفسير الخازن (٣٩٠/٢).

(٤) سورة الإسراء آية (٧٦).

يقرأ خلافك على المعنيين[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾ معناه: وكرهوا أن يقاتلوا المشركين مع رسول الله ﷺ بأموالهم وأنفسهم، والكراهة ضد الإرادة؛ فإنها معنى تصرف عن الفعل كما أن الإرادة معنى يدعوا إلى الفعل[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ ﴾ قال بعضهم لبعض لا تخرجوا؛ فإن الحر شديد والسفر بعيد وكانوا يُدعون إلى غزوة تبوك في وقت نضج الرطب وهو أشد ما يكون من الحر[٣].

---

(١) قَرَأَ نَافِع وَابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَأَبُو بكر: وَإِذا لَا يلبثون خَلفك، بِغَيْر ألف أَي بعْدك كَمَا قَالَ جلّ وَعز {نكالا لما بَين يَديهَا وَمَا خلفهَا} أَي بعْدهَا وَقَرَأَ الْبَاقُونَ: خلافك، بِالْألف أَي مخالفتك قَالَ ذَلِك الْفراء يَقُول لَو أَنَّك خرجت وَلم يُؤمنُوا لنزل بهم الْعَذَاب، انظر: حجة القراءات (٤٠٨/١).

وانظر: معاني القرآن؛ للأخفش (٣٦٢/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٣/٢)، وتفسير الطبري (٣٩٧/١٤)، وتفسير الثعلبي (١١٩/٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٩٩/١٤)، وتفسير السمعاني (٣٣٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٩٦/٢)، والنكت والعيون (١١٣/١٦)، وتفسير البيضاوي (٩١/٣)، وتفسير الخازن (٣٩٠/٢)، وتفسير أبي السعود (٨٨/٤).

(٣) **قال المَاوَرْدِي**: " فيه وجهان: أحدهما: هذا قول بعضهم لبعض حين قعدوا. والثاني: أنهم قالوه للمؤمنين ليقعدوا معهم"، النكت والعيون (٣٨٧/٢)، وزاد المسير (٢٨٥/٢).

وانظر: تفسير الطبري (٣٩٩/١٤)، وبحر العلوم (٧٨/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٧٨/٥)، تفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٥/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ﴾ معناه: قل لهم نار جهنم التي استخففتم بترك الخروج إلى الجهاد أشد حراً من هذا الحر[١]، وقوله عز وجل : ﴿ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴾ معناه لو كانوا يفقهون أوامر الله عز وجل ووعده ووعيده[٢].

قوله عز وجل﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾. معناه: فليضحكوا قليلا في الدنيا؛ لأن ذلك لا يبقى وليبكوا كثيراً في الآخرة في النار[٣]، وهذا لفظ أمر ومعناه الخبر[٤].

وقوله تعالى: جزاء بما كانوا يكسبون؛ معناه: أن هذا جزاء لهم على استهزائهم بالمسلمين وقعودهم عن الجهاد معهم[٥].

---

(١) وقوله عز وجل : قل نار جهنم أشد حرا معناه قل لهم نار جهنم التي استخففتم بترك الخروج إلى الجهاد أشد حراً من هذا الحر) لا توجد في أ .

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٣٩٩)، وبحر العلوم (٢/٧٨)، وزاد المسير (٢/٢٨٥)، ومفاتيح الغيب (١٦/١١٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٢١٦)، وتفسير البيضاوي (٣/٩١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٠١)، و بحر العلوم (٢/٧٨)، والنكت والعيون (٢/٣٨٧)، وزاد المسير (٢/٢٨٥).

وقال السمعاني: " وَفِي الْآيَة قَولَانِ: أَحدهمَا: أَن معنى قَوْله: {فليضحكوا قَلِيلا} أَي: فِي الدُّنْيَا {وليبكوا كثيرا} فِي الْآخِرَة {جَزَاء بِمَا كَانُوا يعْملُونَ} قَالَه أَبُو رزين، وَالْحسن وَجَمَاعَة.وَالْقَوْل الثَّانِي: أَن هَذَا أَمر بِمَعْنى الْخَبَر، فَكَأَنَّهُ قَالَ: يَضْحَكُونَ قَلِيلا، ويبكون كثيرا، يَعْنِي: فِي الْآخِرَة."، تفسير السمعاني (٢/٣٣٣).

(٤) ويراد به: التوبيخ، والتهديد. انظر: بحر العلوم (٢/٧٨)، والنكت والعيون (٢/٣٨٧)، وتفسير السمعاني (٢/٣٣٣)، وتفسير الكشاف (٢/٢٩٦)، والمحرر الوجيز (٣/٦٥)، وزاد المسير (٢/٢٨٥).

(٥) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٢/٤٦٣)، والبحر المحيط (٥/٤٧٣).

وعن أبي رزين[1] أنه قال في هذه الآية: يقول الله عز وجل الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاءوا وإذا صاروا إلى النار بكوا بكاءً لا ينقطع فذلك الكثير[2].

وعن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يرسل الله عز وجل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ثم يبكون الدم حتى يُرى في وجوههم كهيئة الأخدود"[3].

قوله عز وجل ﴿ **فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ** ﴿٨٣﴾ ﴾

معناه: إن رجعك الله عز وجل من تبوك إلى الطائفة من المنافقين بالمدينة/ فاستأذنوك للخروج معك إلى غزوة أخرى فقل لن تخرجوا معي أبد إلى الجهاد ولن تقاتلوا معي عدواً إنكم ٣٤= ب

---

(١) مسعود بن مالك أبو رزين الأسدي الكوفي ثقة فاضل من الثانية مات سنة خمس وثمانين وهو غير أبي رزين عبيد الذي قتله عبيد الله ابن زياد بالبصرة ووهم من خلطهما بخ م ٤. انظر: تهذيب الكمال (٤٧٧/٢٧)، وتهذيب التهذيب (١١٨/١٠)، والتقريب (٦٦١٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠١/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٥٥/٦).

وَكَذَا قَالَ ابن عباس، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ خُثَيم، وَعَوْنٌ الْعُقَيْلِيُّ وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، وانظر: بحر العلوم (٧٨/٢)، وتفسير ابن كثير (١٩١/٤)، وتفسير النيسابوري (٥٢/٤)، والدر المنثور (٢٥٦/٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٠/٧) رقم (٣٤١٣٠)، وأخرجه ابن ماجه في السنن (١٤٤٦/٢) رقم (٤٣٢٤) كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة، وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٣٢٥/١) رقم (٥٩٣)، وأخرجه البغوي في شرح السنة (٢٥٣/١٥) رقم (٤٤١٩)، وأخرجه ابن عساكر في معجم الشيوخ (٦١٠/٢) رقم (٧٥٢).

قال الحافظ العراقي: " أخرجه ابْن مَاجَه من رِوَايَة يزِيد الرقاشِي عَن أنس وَالرَّقَاشِيُّ ضَعِيف"، المغني عن حمل الأسفار (١٩٢٢/١)، **وقال البوصيري**: " رواه أبو يعلى الموصلي بسند فيه يزيد الرقاشي، وهو ضعيف"، إتحاف الخيرة المهرة (٢١٦/٨) وقال أيضا: " هَذَا إِسْنَاد فِيهِ يزِيد بن أبان الرقاشِي وَهُوَ ضَعِيف"، **وصححه الألباني** في صحيح الجامع (٨٠٨٣)، وفي السلسلة الصحيحة (١٦٧٩).

وانظر: بحر العلوم (٧٨/٢)، وتفسير السمعاني (١٢/٥)، وتفسير ابن رجب (٥٥٥/١)، وروح البيان (٤٧٦/٣).

رضيتم بالقعود عن الجهاد في غزوة تبوك فاقعدوا مع النساء والصبيان هذا **قول الحسن** رضي الله عنه[١]، والخالف الذي يبقى بعد الشاخص، وقيل الذي يبقى لنقص يكون به[٢]، وعن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أن معنى الخالفين المتخلفين لغير عذر[٣]، وقيل أن هذا مأخوذ من قولهم خلف اللبن إذا فسد والخالف الفاسد[٤].

قوله عز وجل ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

معناه: ولاتصل على أحد من المنافقين مات أبداً ولا تقم على قبر أحد منهم (لتدفنه وتدعوا له)[٥] إنهم كفروا أي جحدوا بالله ورسوله بقلوبهم وماتوا على الكفر والنفاق[٦]، وروي عن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما أنه قال لما اشتكى عبد الله بن أبي بن سلول عاده رسول الله ﷺ وطلب ابنه إليه[٧] **عبد الله** أن يصلي عليه إذا مات وأن يقوم على قبره وأن

---

(١) وهو قول الضحاك، وقتادة أيضا، انظر: تفسير الطبري (٤٠٣/١٤)، وتفسير النكت والعيون (٣٨٨/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٦/٢)، وتفسير السمعاني (٣٣٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛للبغوي (٣٧٦/٢)، والمحرر الوجيز (٦٦/٣)، وزاد المسير (٢٨٥/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢١٨/٨)، وتفسير البيضاوي (٩٢/٣).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢٦٥/١)، زاد المسير (٢٨٦/٢)، وإيجاز البيان (٣٨٨/١)، وبحر العلوم (٧٨/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٤/٢)، وتفسير السمعاني (٣٣٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٦/٢).

(٣) انظر: أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٤/١٤) ورجحه، وانظر: بحر العلوم (٧٨/٢)، والنكت والعيون (٣٨٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٦/٢)، والمحرر الوجيز (٦٧/٣)، و زاد المسير (٢٨٦/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢١٨/٨).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٢٦٥/١)، وتفسير الطبري (٤٠٥/١٤)، وبحر العلوم (٧٨/٢)، والمحرر الوجيز (٦٧/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢١٨/٨).

(٥) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (١٨٨/٢)، وتفسير الطبري (٤٠٥/١٤)، وبحر العلوم (٧٩/٢)، وزاد المسير (٢٨٦/٢).

(٧) (إليه) لا توجد في أ.

يكفنه في قميصه الذي يلي جلده فقبل رسول الله ﷺ، قال: قال عمر ﷺ فجئت إلى رسول الله ﷺ حين أراد أن يصلي عليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وهو صاحب كذا وكذا ؟! (فقال:" دعني يا عمر")[١] فعدت لمقالتي، فقال:" دعني يا عمر"، فعدت لمقالتي الثالثة؛ فقال:" إني خيرت في ذلك ولو أني أعلم (أي)[٢] إذا استغفرت له أكثر من سبعين مرة غفر له لفعلت"، قال فأنزل الله عز وجل قوله ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾

يعني (بعد ما)[٣] صليت على عبد الله بن أبي[٤]، والوجه في هذه الرواية إن صحت أنه أنه يحتمل أن النبي ﷺ كان يرجوا أن يكون لهم لطف يصلحون به فلهذا عزم على أنه يستغفر لهم ويصلي عليهم ثم لما بين الله عز وجل بعد ذلك أنه ليس لهم لطف كما قال جل ذكره في سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم كف النبي ﷺ عن الاستغفار لهم[٥]، والذي يبين صحة هذا التأويل ما روي أن **ابن عبد الله بن أبي** لما حضرته الوفاة بعث النبي ﷺ يسأله أحد ثوبيه يكفن فيه فبعث إليه بأحدهما فأرسل المنافق إلى رسول الله ﷺ فقال أريد الذي كان يلي جلدك من ثيابك فوجه إليه بذلك فقيل له في ذلك فقال إن

---

(١) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه بألفاظ مقاربة (٢/٩٧) رقم (١٣٦٦) كتاب الجنائز، بَابُ [ص:٩٧] مَا يُكْرَهُ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى المُنَافِقِينَ، وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ، وأخرجه الترمذي في سننه (٥/٢٧٩) رقم (٣٠٩٧) أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (٤/٦٧) رقم (١٩٦٦) كتاب الجنائز، باب الصلاة على المنافقين، وأخرجه الطبري في تفسيره (١٤/٤٠٨).

وجاء أيضا من حديث ابن عمر، أخرجه البخار في صحيحه (٢/٧٦) رقم (١٢٦٩) كتاب الجنائز، بَابُ الكَفَنِ فِي القَمِيصِ الَّذِي يُكَفُّ أَوْ لاَ يُكَفُّ، وَمَنْ كُفِّنَ بِغَيْرِ قَمِيصٍ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٥/١٨٦٥) رقم (٢٤٠٠) كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عمر.

(٥) وقد تقدم هذا.

قميصي لن يغني عنه من الله شيئا[١] وعسى أن يسلم بسبب هذا القميص خلق كثير، فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ[٢].

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الله أعلم أي صلاة كانت (تلك)[٣] وما خادع رسول الله ﷺ إنسانا قط[٤]، وقيل: يحتمل أن النبي ﷺ إنما أجاز الصلاة عليه؛ لأن حكم المنافق في الدنيا حكم المسلمين كما في عصمة المال والدم ونحو ذلك[٥]، وذكر **مقاتل** -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ أراد أن يصلي على **عبد الله ابن أبي** حين جاء ابنه إليه فقال: أنشدك الله أن لا تشمت بي الأعداء وكان ابنه مؤمناً حقاً فأنزل الله عز وجل هذه الآية فانصرف رسول الله ﷺ **ولم** يصل عليه[٦][٧]، وعن **أنس بن مالك** -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ أراد أن يصلي عليه فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا [٨].

---

(١) (شيئا) لا توجد في أ .

(٢) وفي سؤال ابن عبد الله بن أبي القميص ما تقدم في حديث ابن عمر قريبا، وجاء عن جابر، أخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٧/١٤)، وجاء عن قتادة مرسلا، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٦١/٢)

وانظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٣/٢)، وتفسير الكشاف (٢٩٩/٢)، والمحرر الوجيز (٦٧/٣)، ومفاتيح الغيب (١١٥/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٢١/٨)، والسراج المنير (٦٣٨/١)، وروح البيان (٤٧٩/٣).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) انظر: بحر العلوم (٧٩/٢)، والدر المنثور (١٧٧/٨).

(٥) **قال الرازي:** " السُّؤَالُ الثَّانِي: أَلَيْسَ أَنَّ الْمُنَافِقَ يُصَلَّى عَلَيْهِ إِذَا أَظْهَرَ الْإِيمَانَ مَعَ قِيَامِ الْكُفْرِ فِيهِ؟ وَالْجَوَابُ: أَنَّ التَّكَالِيفَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الظَّاهِرِ "، مفاتيح الغيب (١١٦/١٦).

(٦) في أ (إليه).

(٧) انظر: تفسير مقاتل (١٨٨/٢)، وبحر العلوم (٧٩/٢)، وروح البيان (٤٧٩/٣).

(٨) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١٤٤/٧) رقم (٤١١٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤٠٧/١٤).

وانظر: النكت والعيون (٣٨٩/٢)، والكشاف (٢٩٨/٢)، وتفسير ابن كثير (١٩٥/٤).

قوله عز وجل ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٨٥ ﴾

معناه: ولا تعجبك كثرة أموالهم وأولادهم في الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم ويخرج أرواحهم بصعوبة وهم كافرون وهذا على التقديم والتأخير في الآية على ما تقدم ذكره[1]، فأما التأويل على نظم الآية معناه: إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف بالنفاق والأمر بالجهاد[2]؛ فإن قيل لماذا أعاد قوله " ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ ﴾ " قيل: فيه قولان؛ أحدهما: لشدة التحذير عن الاغترار بالأموال والأولاد، والثاني: أنه أراد بالأول قوما من المنافقين وأراد بالثاني قوما آخرين منهم[3]، كما يقال لا تعجبك أموال زيد و أولاده ولا تعجبك أموال عمرو وأولاده والإعجاب في اللغة هو السرور بما (يُتعجب)[4] منه وبالله التوفيق.

قوله عز وجل ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ٨٦ ﴾ / ٣٥= أ

معناه: إذا أنزل الله من القرآن آية[5] مشتملة على آيات أحاطت بها أن ءامنوا أي صدقوا وداوموا على الإيمان وجاهدوا الكفار مع رسول الله ﷺ استأذنك في القعود عن الجهاد

---

(١) وتقدم ذلك.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤١١/١٤)، وبحر العلوم (٧٩/٢)، والنكت والعيون (٣٨٩/٢)، وتفسير الخازن (٣٩٣/٢)، والدر والدر المصون (٩٤/٦).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣٣٥/٢)، والمحرر الوجيز (٦٨/٣)، ومفاتيح الغيب (١١٧/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن القرآن ؛ للقرطبي (٢٢٣/٨)، وتفسير البيضاوي (٩٢/٣)، وملاك التأويل (٢٣١/١)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١)، وتفسير الخازن (٣٩٣/٢)، والبحر المحيط (٤٧٨/٥)، والدر المصون (٩٤/٦).

(٤) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (يُعجب).

(٥) في أ (إذا نزلت من القرآن قطعه).

ذوا الغنى والسعة منهم وقالوا دعنا وائذن لنا نقعد مع القاعدين عن الجهاد[١]، والطول في الحقيقة هو الفضل الذي يُتمكن به من مطاولة الأعداء[٢] .

قولـه عـز وجـل ﴿ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾

معناه: رضي المنافقون بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد مع النساء المتخلفات في الحي بعد غزوة أزوجهن[٣]،

ويجوز أن يقال: في الرجال خالفة[٤]، يقال فلان خالِفةُ أهله إذا كان دونهم والخالفُ والخالفةُ الذي هو غير نجيب[٥]،

---

(١) فيه وجهان: أحدهما: أهل الغنى ، قاله ابن عباس وقتادة والحسن. والثاني: أهل القدرة والكبراء والرؤساء، قاله الأصم.

انظر: تفسير الطبري (٤١١/١٤)، وبحر العلوم (٨٠/٢)، وتفسير السمعاني (٣٣٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٨/٢)، وزاد المسير (٢٨٧/٢)، ومفاتيح الغيب (١١٨/١٦)، والنكت والعيون (٣٨٩/٢)، وتفسير البيضاوي (٩٢/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/١٤) مادة (طول)، والصحاح (١٧٥٥/٥) مادة (طول)، ومجمل اللغة (٥٩٠/١) مادة (طول).

(٣) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: مع المنافقين، قاله مقاتل.والثاني: أنهم خساس الناس وأدناهم مأخوذ من قولهم فلان خالفه أهله إذا كان دونهم ، قاله ابن قتيبة. والثالث: أنهم النساء ، قاله قتادة والكلبي وهو قول جمهور المفسرين. انظر: تفسير مقاتل (١٩٠/٢)، وتفسير الطبري (٤١٣/١٤)، وبحر العلوم (٨٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٠/٥)، والنكت والعيون (٣٩٠/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٧/٢)، وتفسير السمعاني (٣٣٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٩/٢)، والمحرر الوجيز (٦٨/٣).

(٤) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٥/٢).

(٥) انظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٤/٢)، ومفاتيح الغيب (١١٩/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي للقرطبي (٢٢٣/٨)، وزاد المسير (٢٨٧/٢)، معاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٥/٢).

ولم يأت فاعل صفه مجموعاً على فواعل[١] الآخر فإن فارس وفوارس وهالك وهوالك[٢].

وقوله عز وجل: وطبع على قلوبهم، معنى الطبع في اللغة جعل الشيء كالطابع نحو طبع الدنانير والدراهم[٣]، ويجوز أن يكون الطبع على القلب علامة تَقَفُلِ الله عز وجل قلب الكافر المعاند ليعلم من يطلع عليها من الملائكة أنه لا يجتهد في طلب الحق[٤]، ويجوز أن يكون هذا تشبيهاً لقلوبهم[٥] بقلب من هو مطبوع على قلبه من حيث أنهم لا يؤمنون[٦].

وقوله عز وجل: ﴿ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ معناه: لا يفقهون أوامر الله عز وجل ونواهيه ثم نعت الله عز وجل النبي ﷺ والمخلصين من المؤمنين[٧].

---

(١) في أ (في أ مجموعاً على فاعل).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٧٤/٧)، والمحرر الوجيز (٦٨/٣)، وزاد المسير (٢٨٧/٢)، والبحر المحيط (٤٨٠/٥)، معاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٥/٢)، والمحرر الوجيز (٦٨/٣)، وزاد المسير (٢٨٧/٢).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١١٠/٢) مادة (طبع)، ومجمل اللغة (٥٩٢/١) مادة (طبع)، ولسان العرب (٢٣٢/٨) مادة (طبع)، وتاج العروس (٤٣٨/٢١) مادة (طبع).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤١٣/١٤).

(٥) في أ (لقولهم).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب (٥٣٦/١٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١).

(٧) انظر: التفسير الوسيط (٥١٧/٢)، والتفسير الوجيز (٤٧٦/١)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١)، وتفسير أبي السعود (٩١/٤).

فقال عز من قائل ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

معناه: لكن الرسول محمدا ﷺ والذين آمنوا معه وهم أهل اليقين من أصحاب محمد ﷺ جاهدوا بأموالهم وأنفسهم على ضد ما فعله المنافقون[١].

وقوله عز وجل: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ﴾ يجوز أن يكون معنى الخيرات الحسنات المقبولات؛ فإن الخيرات منافع تسكن النفس إليها[٢]، ويجوز أن يكون معناها الزوجات الحسان في الجنة كما قال الله عز جل فيهن خيرات حسان[٣].

قوله عز وجل : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ معناه: هم الظافرون بالمراد والبغية وبالله التوفيق [٤].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤١٤/١٤)، وتفسير البيضاوي (٩٣/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١)، وتفسير الخازن (٣٩٤/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤١٤/١٤)، وبحر العلوم (٨٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٠/٥)، وتفسير السمعاني (٣٣٦/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٨/٢)، والمحرر الوجيز (٦٩/٣)، وزاد المسير (٢٨٧/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٢٤/٨).

(٣) فيها أربعة أوجه: أحدها: أنها غنائم الدنيا ومنافع الجهاد. والثاني: فواضل العطايا. والثالث: ثواب الآخرة. والرابع: حُور الجنان. =

=وانظر: تفسير الطبري (٤١٤/١٤)، وبحر العلوم (٨٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٠/٥)، النكت والعيون (٣٩٠/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٧/٢)، وتفسير السمعاني (٣٣٦/٢)، وزاد المسير (٢٨٧/٢).

(٤) انظر: تفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١)، وبحر العلوم (٨٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٩٣/٣).

قولـه عـز وجـل ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾

معناه: أعد الله لهم في الجنة بساتين تجري من تحت شجرها ومساكنها الأنهار مقيمين دائمين فيها لا يموتون ولا يخرجون منها؛ وإنما قال أعد؛ لأن الشيء إذا كان معداً للإنسان كانت رغبته وطلبته أشد وحرصه عليه أكثر[١].

وقوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ أي ذلك هو النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونعيمها ونجوا من النار وحميمها ووصف الفوز بالعظيم؛ لأن صاحبه يكون على ثقة من دوام النعيم.

قوله عز وجل ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

قرأ **عبد الله بن عباس** -رضي الله عنهما-: وجاء المعذرون بالتخفيف[٢]، وهم الذين اعذروا، أي جاؤوا بالعذر وأمرهم رسول الله ﷺ بالتخلف لعذرهم وهم المخلصين، وكان يقول لعن الله المعذِّرين بالتشديد[٣]، بمعنى الذين يعتلون في التخلف بلا علة يوهمون أن لهم عذراً ولا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤١٥/١٤)، ومفاتيح الغيب (١١٩/١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٦٠/٦)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤١٦/١٤)، وانظر: حجة القراءات (٣٢١/١)، وبحر العلوم (٨١/٢).

(٣) **قال الأخفش**: " خفيفة لانها من "اَعْذَرُوا" وقال بعضهم (المعَذِّرُونَ) ثقيلة يريد: "المعْتَذرُونَ" ولكنه ادغم التاء في الذال كما قال {يَخِصِّمُونَ} وبها نقرأ. وقد يكون (المِعْذِرُون) بكسر العين لاجتماع الساكنين وانما فتح لأنه حول فتحة التاء عليها. وقد يكون ان تضم العين تتبعها الميم وهذا مثل (المرْدِفِين) "، معاني القرآن (٣٦٣/١)، وانظر: معاني القرآن؛ للفراء (٤٤٧/١)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٢٤٢/٣)، وزاد المسير (٢٨٨/٢).

عذر لهم[١]، والتعذير التقصير في الشيء مع طلب العذر وما يُؤكد قراءة التخفيف أن قوله عز وجل : ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ / كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ يقتضي الجمع في الآية بين المعذور وغير المعذور، وأما القراءة المشهورة وجاء المعذِّرون بتشديد الذال[٢]، فمعناها ما تقدم؛ فإن الله عز وجل ذكر المعذورين في الآية التي بعد هذه لآية بقوله عز وجل: ﴿ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ ﴾ [٣]الآية.

٣٥= ب

وأما قوله عز وجل: ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ يجوز أن تكون الفائدة في دخول "من" (بيان)[٤] أن منهم من يُسلم ومن يموت على كفره ونفاقه[٥]، وقيل: إن المعذر هو

---

(١) قرأ الكسائي في رواية قتيبة وجاء المعذرون بالتخفيف أي الذين أعذروا وجاؤوا بعذر، وكان ابن عباس يقرؤها كذلك ويقول هم أهل العذر أي جاؤوا معذرين ولهم عذر والمعذر الذي قد بلغ أقصى العذر والعرب تقول أعذر من أنذر أي بالغ في العذر، وقرأ الباقون وجاء المعذرون بالتشديد أي المعتذرون إلا أن التاء أدغمت في الذال لقرب المخرجين قال الزجاج ومعنى المعتذرين الذين يعتذرون كان لهم عذر أو لم يكن لهم عذر وهو ها هنا أشبه بأن يكون لهم عذر. انظر: حجة القراءات (١/٣٢١)، و تحبير التيسير في القراءات العشر (١/٣٩٢)، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (١/٣٠٥)، والبدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (١/١٣٩)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (١/٤٦٠).

(٢) **قال الزمخشري**: "وهذا غير صحيح، لأنّ التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد، في المطوّعين، وأزكى وأصدق"، تفسير الكشاف (٢/٣٠٠)، وكذا قال ابن حيان في البحر المحيط (٥/٤٨١).

وانظر: بحر العلوم (٢/٨١)، وتفسير الثعلبي (٥/٨٠)، والنكت والعيون (٢/٣٩١)، والمحرر الوجيز (٣/٧٠)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٨/٢٢٥).

(٣) سورة التوبة آية (٩١).

(٤) ما بين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤١٨)، والمحرر الوجيز (٣/٦٩)، ومفاتيح الغيب (١٦/١٢٠)، وتفسير الخازن (٢/٣٩٥)، والبحر المحيط (٥/٤٨١)، وروح البيان (٣/٤٨٤).

المعتذر أُدغمت التاء في الذال لقرب مخرجها، وقد يكون الاعتذار حقاً وقد يكون باطلاً[(١)].

وقوله عز وجل : ﴿ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ معناه وقعدت طائفة من الكفار والمنافقين من دون أن اعتذروا[(٢)].

وقوله عز وجل : ﴿ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ جمع بين الفريقين في الوعيد لاستوائهم في الكفر [(٣)].

قوله عز وجل ﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾** ﴾

ليس على الزَّمَنَا والكبار والشيوخ ولا الذين لا يقدرون على الخروج إلى الجهاد لمرض ولا على الذين لا يكون عندهم نفقة ينفقونها في الجهاد مأثم في القعود عن ذلك إذا كان قعودهم على وجه النصح لله عز وجل ورسوله ﷺ وهو أن يسعوا في إصلاح ذات البين وما يرجع إلى الحث على الجهاد ولا يكون قعودهم للتضريب بين المسلمين وإفساد شيء من أمرهم والنصح إخراج الغش عن العمل[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤١٨/١٤)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٦٣/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٤/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٧/٢)، وتفسير السمعاني (٣٣٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٨/٢)، وتفسير الكشاف (٣٠٠/٢)، ومفاتيح الغيب (١٢٠/١٦).

(٢) انظر: بحر العلوم (٨١/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٧/٢)، والتفسير الوجيز (٤٧٦/١)، وتفسير السمعاني (٣٣٧/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٨/٢)، وتفسير الكشاف (٣٠٠/٢)، وتفسير البيضاوي (٩٣/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١).

(٣) انظر: تفسير الخازن (٣٩٥/٢)، وتفسير القاسمي (٤٧٦/٥)، وتفسير الألوسي (٣٤٥/٥).

(٤) انظر: تفسير الشافعي (٩٤٤/٢)، وتفسير الطبري (٤١٩/١٤)، وبحر العلوم (٨١/٢)، والنكت والعيون (٣٩١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٨/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٨/٢)، وتفسير السمعاني (٣٣٧/٢).

وقوله عز وجل: ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ معناه ما على المطيعين الموحدين من سبيل في العقاب والله غفور أي متجاوز لذنوبهم ولا يعاقب غير ذنب رحيم إذ رخّص لهم القعود بالعذر [١].

قوله عز وجل ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾

معناه: وليس على الذين ما أتوك لتحملهم إلى[٢] الجهاد بالنفقة قلت لا أجد ما أحملكم عليه حرج في القعود عن الجهاد، **وقال عبد الله بن عباس** -رضي الله عنهما-: أنزل هذا في سالم بن عمير وعبد الرحمن بن كعب وعمرو بن الحضرمي ونفر من بني مزينة من أهل الحاجة أتوا رسول الله ﷺ فاستحملوه ليجاهدوا فلم يكن (لهم)[٣] عند رسول الله ﷺ ما يحملهم (عليه)[٤] فتولوا وهم يبكون حرصاً على الجهاد ولا يجدون ما يتحملون به[٥].

وقال الحسن -رضي الله عنه-: نزل في أبي موسى الأشعري وجماعة من الأشعريين[٦].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٢/١٨٩)، وتفسير الطبري (١٤/٤١٩)، وتفسير ابن رجب الحنبلي (١/٥٢٨)، وتفسير الخازن (٢/٣٩٦)، وتفسير ابن جزئ (١/٣٤٥).

(٢) في أ (على).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٥) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/٣٧١) نحوه، وعزاه السيوطي لعبد الغني بن سعيد، انظر: الدر المنثور (٤/٢٦٤).

(٦) في أبي موسى ورهطه، انظر: المحرر الوجيز (٣/٧١)، وزاد المسير (٢/٢٨٩).

وقد ذكروا سبعة نفر في هذا، وهم: من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير ومن بني واقف: هرمي بن عمرو ومن بني مازن بن النجار: عبد الرحمن بن كعب، يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى: سلمان بن صخر ومن بني حارثة: عبد الرحمن بن

وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ﴾ معناه: إنما السبيل في العقاب على الذين يستأذنونك في القعود عنك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع النساء وطبع الله على قلوبهم مجازاة لهم على فعلهم[١] فهم لا يعلمون أوامر الله تعالى [٢].

قوله عز وجل ﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

معناه: يعتذر المنافقون إليكم إذا انصرفتم إليهم من هذا الحرب في قعودهم عن الجهاد، قل لا تعتذروا إلى بصير بكم وهو الله لن يصدقكم إن لكم عذرا قد أخبرنا الله تعالى من أسراركم أنه ليس لكم عذر وسيظهر الله عملكم ورسوله ﷺ ثم تردون في الآخرة إلى عالم ما غاب عن العباد وما عمله العباد فيجزيكم بما كنتم تعملون من الخير والشر[٣]، وفي الآية بيان أن الله عز وجل لم يؤخر جزاء أعمالهم، لا لأنه لم يكن عالما بما يقع منهم؛ ولكن أخر جزاءهم؛ لأنه لا يجازي العباد على ما يعلم منهم وإنما يجازيهم على ما يظهر من أعمالهم [٤].

يزيد، أبو عبلة، وهو الذي تصدق بعرضِه فقبله الله منه ومن بني سَلِمة: عمرو بن غنمه، وعبد الله بن عمرو المزني، انظر: أسباب النـزول؛ للواحدي (٢٥٧/١) ، وتفسير الطبري (٤٢٣/١٤)، وبحر العلوم (٨١/٢)، وزاد المسير (٢٨٩/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٢٨/٨)، وتفسير الخازن (٣٩٦/٢).

(١) (مجازاة لهم على فعلهم) لا توجد في أ .

(٢) **قال المَاوَرْدِي**: " في السبيل ها هنا وجهان: أحدهما: الإنكار. الثاني: الإثم"، النكت والعيون (٣٩٢/٢).

وانظر: تفسير الطبري (٤٢٣/١٤)، وبحر العلوم (٨٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٩/٢)، ومفاتيح الغيب (١٢٣/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٣٠/٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٢٤/١٤)، وبحر العلوم (٨٢/٢)، ومفاتيح الغيب (١٢٣/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٢/١)، وتفسير الخازن (٣٩٧/٢)، والبحر المحيط (٤٨٩/٥).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (١٢٣/١٦)، وتفسير البيضاوي (٩٤/٣)، وتفسير الخازن (٣٩٧/٢).

قوله عز وجل ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾

معناه سيحلف المنافقون بالله فيما يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم لتعرضوا عنهم ولا تعاقبوهم فأعرضوا عنهم أي اصفحوا على جهة الهوان لهم إنهم رجس أي هم كالنتن الذي يجب الاجتناب منه فاجتنبوهم ومصيرهم إلى جهنم جزاء لهم على فعلهم [(١)].

قوله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾

معناه: يحلفون لكم في الاعتذار لترضوا عنهم أنتم من دون أن يطلبوا بذلك رضى الله عز وجل فإن أنت رضيت يا محمد والمؤمنون بحلفهم الكاذب فإن الله لا يرضى عن القوم الخارجين عن طاعة الله عز وجل[(٢)]، (وفي الآية دلالة على أن)[(٣)] الحلف على الاعتذار ممن كان متهما لا يوجب قبول عذره ولا الرضا عنه[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٢٥/١٤)، وبحر العلوم (٨٢/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٧/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٢/٥)، والتفسير الوسيط (٥١٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٧٩/٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٢٨/١٤)، وبحر العلوم (٨٢/٢)، وتفسير الكشاف (٣٠٢/٢)، ومفاتيح الغيب (١٢٤/١٦)، وتفسير البيضاوي (٩٤/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٣/١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) انظر: أحكام القرآن؛ للجصاص (٣٥٣/٤)، وروح المعاني (٦/٦).

قوله عز وجل ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧ ﴾

قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: أراد بالأعراب أسداً وغطفان[١]، بيّن الله عز وجل أنهم في كفرهم ونفاقهم/ أشد من منافقي أهل المدينة وأخبر عنهم أنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لأنهم أبعد من سماع التنزيل وإنذار الرسول ﷺ، ولهذا قيل: إن من بعد عن الأمصار وباين حضرة العلماء كان أجهل بالأحكام والسنن ممن جالسهم وسمع منهم[٢]، ولهذا كره إمامة الأعراب في الصلاة [٣]. ٣٦=أ

(١) انظر: أسباب النزول؛ للواحدي (٢٥٧/١)، وتنوير المقباس في تفسير ابن عباس (١٦٥/١)، وبحر العلوم (٨٢/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٢/٥)، والتفسير الوسيط (٥١٩/٢)، وتذكرة الأريب (١٤٤/١)، وزاد المسير (٢٩٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٠/٢).

(٢) **قال المَاوَرْدِي:** " فيه وجهان: أحدهما: أن يكون الكفر والنفاق فيهم أكثر منه في غيرهم لقلة تلاوتهم القرآن وسماعهم السنن. الثاني: أن الكفر والنفاق فيهم أشد وأغلظ منه في غيرهم لأنهم أجفى طباعاً وأغلظ قلوباً"، النكت والعيون (٣٩٣/٢).

وانظر: تفسير الطبري (٤٢٩/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٥/٢)، و بحر العلوم (٨٢/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٨/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤٠/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٠/٢)، والكشاف (٣٠٣/٢)، والمحرر الوجيز (٧٣/٣)، مفاتيح الغيب (١٢٤/١٦)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٣/١).

(٣)كَرِهَ أَبُو مِجْلَزٍ إِمَامَةَ الْأَعْرَابِيِّ. وَقَالَ مَالِكٌ: لَا يَؤُمُّ وَإِنْ كان أقرأ هم. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَالشَّافِعِيُّ وَإِسْحَاقُ وَأَصْحَابُ الرَّأْيِ: الصَّلَاةُ خَلْفَ الْأَعْرَابِيِّ جَائِزَةٌ. وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ إذا أقام حدود الصلاة، انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٣٢/٨).

وقولـه عـز وجـل ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٩٨ ﴾

معناه: ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق (في الجهاد مغرما)[١] يحسبه غرماً ولا يحتسب فيه الأجر ولا يرجوا به الثواب (وينتظر)[٢] بكم الموت والهلاك[٣]، ومعنى التربص: هو التمسك بالشيء وانتظار العاقبة[٤]، والدوائر: دوائر الزمان وهي صروفه التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر[٥].

وقوله عز وجل: ﴿ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ ﴾ أي عاقبة السوء والهلاك؛ فإن ما ينتظرون بكم ينزل بهم، والسوءَ[٦] بالفتح المصدر وبالضم الاسم يقال رجل سوء إذا كان

---

(١) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (مغرما في الجهاد).

(٢) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (وينتظم).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٣٠/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٥/٢)، وبحر العلوم (٨٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٢/٥)، والتفسير الوسيط (٥١٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٠/٢)، ومفاتيح الغيب (١٢٦/١٦).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٢٧/١٢) مادة (ربص)، والصحاح (١٠٤١/٣) مادة (ربص)، ومجمل اللغة (٤١٤/١) مادة (ربص)، ومقاييس اللغة (٤٧٧/٢) مادة (ربص)، ولسان العرب (٣٩/٧) مادة (ربص)،وتاج العروس (٥٩٣/١٧) مادة (ربص).

(٥) انظر: بحر العلوم (٨٣/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٢/٥)، والنكت والعيون (٣٩٤/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٠/٢)، وتفسير الكشاف (٣٠٣/٢)، والمحرر الوجيز (٧٣/٣)، وزاد المسير (٢٩٠/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٣٤/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٤/١)، وتفسير ابن جزئ (٣٤٦/١).

(٦) فَقَرَأَ ابْن كثير وَأَبُو عَمْرو {دَائِرَة السوء} بِضَم السِّين وَكَذَلِكَ فِي سُورَة الْفَتْح ٦ وَقَرَأَ نَافِع وَعَاصِم وَابْن عَامر وَحَمْزَة والكسائي {دَائِرَة السوء} بِفَتْح السِّين فيهمَا وَلم يخْتَلف فِي غَيرهمَا، انظر: السبعة في القراءات (٣١٦/١)، وحجة القراءات (٣٢١/١)، والحجة في القراءات السبع (١٧٧/١)، ومعاني القراء ؛ للفراء (٤٤٩/١).

خبيثاً[١].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ظاهر المراد .

قوله عز وجل ﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩ ﴾ معناه ومن الأعراب من يصدق بالله عز وجل واليوم الآخر في السر والعلانية[٢]، قيل: إن المراد بهذه الآية أسلم وغفار[٣].

وقوله تعالى : ﴿ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ ﴾ أي يتخذ نفقته في الجهاد تقرباً إلى الله سبحانه في طلب المنزلة عنده بالثواب[٤].

---

(١) انظر: معاني القرآن؛ للفراء (٤٤٩/١)، والحجة في القراءات السبع (١٧٧/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٦١/١)، وتهذيب اللغة (٩١/١٣)، ولسان العرب (٩٨/١)، وتاج العروس (٢٧٢/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٣٢/١٤)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٣٥/٨)، وبحر العلوم (٨٣/٢).

(٣) وهو قول ابن عباس، والكلبي، انظر: بحر العلوم (٨٣/٢)، تفسير الثعلبي (٨٣/٥)، والتفسير الوسيط (٥١٩/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٠/٢)، وتفسير الخازن (٣٩٨/٢)، والبحر المحيط (٤٩٣/٥)، وتفسير أبي السعود (٩٦/٤).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٣٢/١٤).

وقوله عز وجل : ﴿ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾ أي يطلب بذلك دعاء الرسول ﷺ بالمغفرة وصلاح الدنيا والآخرة كما يطلب المنزلة عنده سبحانه[1]، والصلاة في اللغة عبارة عن الدعاء[2] قال الأعشى[3] :

تقولُ بنتي، وقد قرّبتُ مرتحلاً . . . ياربّ جنّبْ أبي الأوصابَ والوجعا

عليكِ مثلُ الذي صلّيتِ فاغتمضي . . . يوماً فإنّ لجنبِ المرءِ مضطجعا[4]

معناه: عليك مثل الذي دعوت والله يفعل ما يشاء.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٣٢/١٤)، وبحر العلوم (٨٣/٢)، وتفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٨/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٣/٥)، والنكت والعيون (٣٩٤/٢)، والتفسير الوسيط (٥١٩/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤١/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨١/٢)، وتفسير الكشاف (٣٠٤/٢).

(٢) انظر: غريب الحديث؛ لابن قتيبة (١٦٧/١)، والزاهر في معاني كلمات الناس (٤٥/١)، والصحاح (٢٤٠٢/٦)، ومجمل اللغة (٥٣٨/١)، لسان العرب (٤٦٤/١٤)،القاموس المحيط (١٣٠٣/١)، والقاموس الفقهي (٢١٦/١)، وتفسير الطبري (٤٣٢/١٤).

(٣) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات، كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرا منه، وكان يغني بشعره، فسمي (صناجة العرب) قال البغدادي: كان يفد على الملوك ولا سيما ملوك فارس ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره.عاش عمرا طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقب بالأعشى لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره، أخباره كثيرة، ومطلع معلقته: (ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي. انظر: الأعلام للزركلي (٣٤١/٧).

(٤) وانظر الأبيات في: جمهرة أشعار العرب (١٨/١)، وعيار الشعر (١١١/١)، ونهاية الأرب (٤٩/٥)، وخزانة الأدب (٢٩٦/٢)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٦/٢)، وتفسير الثعلبي (٩٠/٥)، وتفسير السمعاني (٤٣/١)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (١٦٨/١)، والدر المصون (٩٤/١).

وأما قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ ﴾ فهي كلمة تنبيه[١]، سيقربهم الله سبحانه بهذا الإنفاق إذا فعلوه[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ ﴾ أي في جنته وثوابه إن الله غفور لذنوب العباد رحيم لمن تاب وأطاع [٣].

قوله عز وجل ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما: أراد بالسابقين الذين سبقوا إلى الإيمان وهم الذين صلوا إلى القبلتين وشهدوا بدراً[٤].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (٢٩٦/١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (٢٢٤/٢)، والمحرر الوجيز (٢٠٤/٣)، وزاد المسير (١٤٧/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٣٥/١٥).

(٢) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٣٥/٨)، وتفسير الخازن (٣٩٨/٢)، وتفسير الخازن (٣٩٨/٢).

(٣) وهذا تفسير باللازم، والمقصود سيدخلهم الله فيمن رحمه فأدخله برحمته الجنة، انظر هذا المعنى لابن جرير الطبري (٤٣٤/١٤)، وانظر: تفسير مقاتل (١٩٢/٢)، وبحر العلوم (٨٣/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤١/٢).

(٤) وجاء عن أبي موسى، وقتادة، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن سيرين، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٦١/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٦٨/٦)، وانظر: تفسير القرآن؛ لابن أبي زمنين (٢٢٨/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤١/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٥/١)، وتفسير الخازن (٣٩٩/٢).

وقال الشعبي[١] ﷺ: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية[٢]، وقيل هم الذين أنفقوا قبل الهجرة كما قال عز من قائل ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ﴾[٣][٤].

وإنما مدح السابقين لأن السابق إمام التالي وله مثل أجره كما قال ﷺ " من سن سُنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيء "[٥]،وكذلك السابق إلى الشر قال ﷺ: " من سن سُنة " إلى آخر الخبر.

وأما قوله عز وجل : ﴿ وَالْأَنصَارِ ﴾ فمعناه ومن الأنصار نسقاً على المهاجرين وقرأ بعضهم (والأنصارُ)[٦] بالرفع[٧] نسقاً على السابقين[٨]، **وعن عمر** ﷺ أنه كان يقرأ: والأنصار

---

(١) عامر بن شراحيل الشعبي بفتح المعجمة أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة قال مكحول ما رأيت أفقه منه مات بعد المائة وله نحو من ثمانين ع. انظر: تهذيب الكمال (٢٨/١٤)، وتهذيب التهذيب (٦٥/٥)، والتقريب (٣٠٩٢).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٥/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٦٨/٦)، وانظر: بحر العلوم (٨٤/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤١/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٥/١)، وتفسير الخازن (٣٩٩/٢).

(٣) سورة الحديد آية (١٠).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٣٤١/٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٥٩/٤) رقم (١٠١٧) كتاب العلم، **بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى** هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى (٧٥/٥) رقم (٢٥٥٤) كتاب الزكاة، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ، وأخرجه ابنت ماجه في سننه (٧٤/١) ٢٠٣) في المقدمة، بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً.

(٦) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٧) اختلف في (والأنصار والذين) فيعقوب برفع الراء على أنه مبتدأ خبره ﷺ أو عطف على والسابقون ووافقه الحسن، والباقون بالخفض نسقا على المهاجرين"، انظر إتحاف فضلاء البشر والنشر (٣٠٦/١)، والبدور الزاهرة (١٣٩/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٦٢/١).

(٨) انظر: معاني القرآن؛ للنحاس (٢٤٧/٣)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١٣٢/٢)، ومعاني القرآن؛ للفراء (٤٥٠/١)، ومعاني ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٦٢/١).

والأنصار الذين اتبعوهم[١]؛ بغير الواو، وسمع رجلاً يقرأ: والذين اتبعوهم؛ بالواو فقال من أقرأك هذه الآية ؟ فقال: أبي بن كعب، قال: لا تفارقني حتى أذهب بك إليه، فلما أتاه قال: يا أبي أقرأته هذه الآية ؟ قال: نعم، قال عمر ﷺ: كنت أظن بأنا ارتفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال: أبي تصديق هذه الآية أول سورة الجمعة ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ ﴾[٢] وأوسط سورة الحشر ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾[٣] وآخر سورة الأنفال ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ ﴾[٤][٥].

ومعنى والذين اتبعوهم بإحسان: من يتابع السابقين إلى يوم القيامة، والإحسان هو الفعل الحسن[٦].

وقوله عز جل : ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ أي رضي عنهم الله بإحسانهم ورضوا عنه بالثواب والكرامة[٧].

---

(١) انظر: أخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٨/١٤)، وانظر: تفسير الثعلبي (٨٣/٥)، ومفاتيح الغيب (١٢٩/١٦)، وفتح القدير (٤٥٣/٢).

(٢) سورة الجمعة آية (٣).

(٣) سورة الحشر آية (١٠).

(٤) سورة الأنفال آية (٧٥).

(٥) أخرجه ابن وهب في جامعه (١/١) عن أبي معشر، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤٣٧/١٤) عن محمد بن كعب.=

=وانظر: بحر العلوم (٨٤/٢)، وتفسير ابن كثير (٢٠٣/٤)، والدر المنثور (٢٦٨/٤).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤٣٤/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٦/٢)، وبحر العلوم (٨٤/٢)، والتفسير الوجيز (٤٧٩/١)، وتفسير الخازن (٣٩٩/٢).

(٧) **قال المَاوَرْدِي**: " فيه ثلاثة أوجه: أحدها: ﷺ بالإيمان ، ورضوا عنه بالثواب ، قاله ابن بحر. الثاني: ﷺ في العبادة. ورضوا عنه بالجزاء ، حكاه علي بن عيسى. الثالث: ﷺ بطاعة الرسول ﷺ ، ورضوا عنه بالقبول"، النكت والعيون (٣٩٥/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ ﴾ أي هيأ لهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار، والقراء كلهم يقرأون تجري تحتها/ في هذا الموضع بغير من إلا ابن كثير فإنه كان يقرأ في هذه الآية من تحتها[١]، وهكذا كتب في مصحف أهل مكة[٢].

٣٦= ب

وقوله عز وجل : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ أي في الجنان أبدا ذلك الفوز العظيم أي الثواب الوافر،

قوله عز وجل ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

. معناه: (وممن حول مدينتكم من الأعراب منافقون)[٣] قيل: هم مزينة وجهينة[٤]، وقوله عز وجل : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أي ومن أهل مدينتكم منافقون مردوا أي عتوا وثبتوا على النفاق لا تعلمهم أنت يا محمد بأعيانهم نحن نعلمهم ونعلم نفاقهم ونعرفكم عقيدتهم ونعذبهم مرتين[٥].

وانظر: تفسير الطبري (٤٣٩/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٦/٢)، وبحر العلوم (٤٧/٢).

(١) انظر: بحر العلوم (٨٤/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٦/٥)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٢/٢).

(٢) قَرَأَ ابْن كثير: وَأعد لَهُم جنَّات تَجْرِي من تحتهَا الْأَنْهَار، بِزِيَادَة: من، وَكَذَلِكَ فِي مصاحفهم وَقَرَأَ الْبَاقُونَ {تحتهَا} من غير من وَهَكَذَا فِي مصاحفهم، انظر: حجة القراءات (٣٢٢/١)، ومعاني القراءات؛ للأزهري (٤٦٣/١).

(٣) مابين المعكوفتين من أ والذي في الأصل (ومن حول مدينتكم منافقون).

(٤) قاله ابن عباس، انظر: تفسير مقاتل (١٩٢/٢)، وتفسير الثعلبي (٨٧/٥)، والنكت والعيون (٣٩٦/٢)، والتفسير الوجيز (٤٧٩/١)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٢/٢)، والكشاف (٣٠٥/٢)، والمحرر الوجيز (٧٥/٣)، وزاد المسير (٢٩٣/٢)، وتفسير الخازن (٤٠٠/٢).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤٤٠/١٤)، وبحر العلوم (٨٤/٢)، والكشاف (٣٠٥/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٥/١)، وتفسير الخازن (٤٠٠/٢).

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أراد بالعذاب الأول الفضيحة بالإخراج من المسجد والعذاب الثاني عذاب القبر[١]، وروي أن النبي ﷺ قام خطيباً يوم الجمعة فقال " يافلان أخرج فإنك منافق" فأخرجهم بأسمائهم وكان عمر -رضي الله عنه- لم يشهد الجمعة لحاجة كانت له فلقيهم وهم يخرجون من المسجد فاختبأ منهم استحياء أنه لم يشهد الجمعة وظن أن الناس قد انصرفوا واختبئوا هم من عمر -رضي الله عنه- وظنوا أنه قد علم بأمرهم فدخل عمر -رضي الله عنه- المسجد فإذا الناس لم يصلوا بعد فقال له رجل من المسلمين يا عمر أبشر قد فضح الله المنافقين[٢]، **وقال الحسن** رضي الله عنه: أراد بالعذاب الأول السبي والقتل والثاني عذاب القبر[٣]،

ويقال: أراد بالأول الإنفاق على كره منهم وبالثاني عند قبض أرواحهم[٤].

وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ أراد به عذاب جهنم [٥].

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤١/١٤)، وجاء أيضا عن أبي مالك أخرجه الطبري (٤٤٢/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٠/٦).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٢/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٠/٦).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٢/١٤).

وهو أيضا قول ابن أبي نجيح، ومجاهد، وقتادة، وابن جريج، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٢/٢)، وأخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٢/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٠/٦).

(٤) عند قبض الأرواح، انظر: تفسير مقاتل (١٩٣/٢)، وتفسير الطبري (٤٤٤/١٤).

قال الطبري: " لى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إن الله أخبر أنه يعذِّب هؤلاء الذين مَرَدوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلا يوصِّل به إلى علم صفة ذينك العذابين وجائز أن يكون بعض ما ذكرنا عن القائلين ما أنبئنا عنهم. وليس عندنا علم بأيِّ ذلك من أيٍّ. غير أن في قوله جل ثناؤه: (ثم يردّون إلى عذاب عظيم) ، دلالة على أن العذاب في المرّتين كلتيهما قبل دخولهم النار . والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر"، تفسير الطبري (٤٤٥/١٤).

(٥) قاله قتادة، والربيع بن أنس، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧١/٦)، وانظر: تفسير الطبري (٤٤٥/١٤).

قوله عز وجل ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

معناه: ومن أهل المدينة قوم آخرون أقروا بذنوبهم خلطوا عملا صالحاً بعمل سيء أي تخلفوا عن الغزو ثم تابوا ويقال خرجوا إلى الجهاد مرة وتخلفوا مرة فجمعوا بين العمل الصالح والعمل السيئ[١]، كما يقال خلط الدنانير والدراهم أي جمعها وخلط الماء واللبن أي خلط أحدهما بالآخر[٢]، والاعتراف الإقرار بالشيء عن معرفة لأن الإقرار من قرّ الشيء إذا ثبت والاعتراف من المعرفة وإنما ذكر الاعتراف بالخطيئة؛ لأن تذكر قبح الذنب أدعى إلى إخلاص التوبة وأبعد من حال من لا يعرف موقع الذنب من الضرر[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ ﴾ أي عسى الله أن يتجاوز عنهم إن الله غفور لما سلف من ذنوبهم رحيم بهم إذ قبل توبتهم؛ وإنما ذكر لفظ عسى ليكون الإنسان بين الطمع والإشفاق فيكون أبعد من الإتكال والإهمال، **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في أبي لبابة بن المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن خدام وغيرهم وكانوا عشرة أنفس تخلفوا عن غزوة تبوك فلما بلغهم ما أنزل الله عز وجل في المتخلفين ندموا على صنيعهم فربط سبعة منهم أنفسهم على سواري المسجد الحرام وأقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون

---

(١) فِي هَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ وُجُوهٌ: الْأَوَّلُ: الْعَمَلُ الصَّالِحُ هُوَ الِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ وَالنَّدَامَةُ عَلَيْهِ وَالتَّوْبَةُ مِنْهُ، وَالسَّيِّءُ هُوَ التَّخَلُّفُ عَنِ الْغَزْوِ. وَالثَّانِي: الْعَمَلُ الصَّالِحُ خُرُوجُهُمْ مَعَ الرَّسُولِ إِلَى سَائِرِ الْغَزَوَاتِ وَالسَّيِّءُ هُوَ تَخَلُّفُهُمْ عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ. وَالثَّالِثُ: أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ كَانَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ إِقْدَامَهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ، انظر: تفسير مقاتل (٢/١٩٣)، وتفسير الطبري (١٤/٤٤٦)، والنكت والعيون (٢/٣٩٨)، والتفسير الوجيز (١/٤٧٩)، وتفسير السمعاني (٢/٣٣٤)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٢/٣٨٣)، وزاد المسير (٢/٢٩٤)، ومفاتيح الغيب (١٦/١٣٢)، وتفسير الخازن (٢/٤٠٢)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٠٦)، وتفسير القاسمي (٥/٤٨٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٤٦)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (١/٣٦٤)، وزاد المسير (٢/٢٩٤)، ومفاتيح الغيب (١٦/١٣٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٧٠٦)، وتفسير الخازن (٢/٤٠٢)، والبحر المحيط (٥/٤٩٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٦/١٣٢)، وتفسير الخازن (٢/٤٠٢)، وتهذيب اللغة (٨/٢٢٧)، وتاج العروس (٢٤/١٤٠)، والقاموس الفقهي (١/٢٤٨).

رسول الله ﷺ هو الذي يحلهم وكانوا لا يخرجون إلا لحاجة لا بد منها وكانوا على ذلك حتى قدم ﷺ المدينة فأُخبر بأمرهم فقال ﷺ وأنا لا أحلهم حتى أُؤمر بهم فنزلت هذه الآية[١]، فعرف ﷺ أن عسى من الله واجبة[٢] فأمر بحلهم فانطلقوا إليه بأموالهم وقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا فقال ﷺ ما أُمرت فيها بشيء فأنزل الله تعالى، قوله عز وجل ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

. ظاهر الآية يقتضي رجوع الكناية في قوله عز وجل : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ إلى المذكورين[٣]، قيل: وهم الذين اعترفوا بذنوبهم إلا أن كل حُكم حَكم الله عز وجل ورسوله ﷺ في شخص من عباده فذلك الحكم لازم في سائر الأشخاص إلا ما قام دليل التخصيص به[٤]، وقيل أن قوله عز وجل : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ ابتداء ذكر كلام أريد به[٥]

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٤٤٧/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٧٢/٦)، وأسباب النزول؛ للواحدي (٢٥٨/١)، وانظر: تفسير الثعلبي (٨٩/٥)، والمحرر الوجيز (٧٧/٣)، وزاد المسير (٢٩٣/٢)، والبحر المحيط (٤٩٨/٥)، وفتح القدير (٤٥٧/٢).

(٢) قاله الحسن، انظر: تفسير الطبري (٤٤٧/١٤)، والتفسير الوسيط (٤٨٤/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤٥/٢)، والمحرر الوجيز (١٦/٣)، وزاد المسير (٢٤٣/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٩١/٨)، وروح البيان (٣٩٨/٣)، وفتح القدير (٣٩٣/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٥٠/١٤)، وبحر العلوم (٨٦/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤٥/٢)، والمحرر الوجيز (٧٨/٣)، وزاد المسير (٢٩٤/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٤٧/٢)، وتفسير ابن جزئ (٣٤٦/١)، وتفسير الخازن (٤٠١/٢).

(٤) انظر: بحر العلوم (٨٦/٢).

(٥) (أريد به) لا توجد في أ.

جميع المسلمين لدلالة الحال على ذلك وإن لم يتقدم على هذه الآية ذكر جميع المسلمين وهذا كما في قوله عز وجل ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾[١] يعني القرآن[٢].

وقوله عز وجل ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[٣] يعني/ على الأرض، ٣٧= أ وقوله عز وجل ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴾[٤] يعني الشمس" ومعنى الآية خذ من أموالهم صدقة مطهرة لهم من الذنوب وتزكيهم بها أي تصلح أعمالهم بها ويقال معناه تطهرهم أنت بها من دنس الذنوب[٥].

وقوله عز وجل : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ أي استغفر لهم وادع لهم، إن صلاتك أي دعائك واستغفارك طمأنينة لهم في أن الله عز وجل قبل توبتهم والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم وثوابهم[٦]، وهذه الآية مجملة مفتقرة إلى البيان في مقدار الصدقات التي تؤخذ والنصاب التي تؤخذ منه ووقت وجوب ذلك فيجب الرجوع في معرفتها وفي أجناس الأموال التي تجب فيها إلى

---

(١) سورة القدر آية (١).

(٢) **قال ابن عطية**: " فقوله على هذا خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ. ضميره لجميع الناس، وهو عموم يراد به الخصوص إذ يخرج من الأموال الأنواع التي لا زكاة فيها كالثياب والرباع ونحوه، والضمير الذي في أَمْوالِهِمْ أيضا كذلك عموم يراد به خصوص"، المحرر الوجيز (٧٨/٣)، وانظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٤٥/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٦/١)، وتفسير الخازن (٤٠٣/٢)، وتفسير ابن كثير (٢٠٧/٤).

(٣) سورة فاطر آية (٤٥).

(٤) سورة ص آية (٣٢).

(٥) انظر: التفسير الوسيط (٥٢٢/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٤/٢)، والتفسير الوجيز (٤٨٠/١)، وتفسير السمعاني (٣٤٥/٢)، وزاد المسير (٢٩٥/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٤٧/٢)، وتفسير البيضاوي (٩٦/٣)، وتفسير الخازن (٤٠٣/٢).

(٦) انظر: التفسير الوسيط (٥٢٢/٢)، والتفسير الوجيز (٤٨٠/١)، وتفسير السمعاني (٣٤٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٤/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٤٧/٢).

سنة رسول الله ﷺ، كما روي أن رجلاً قال **لعمران بن حصين**[1] رضي الله عنه إنكم لتحدثون بأحاديث لا نجد لها أصلاً في كتاب الله عز وجل؛ فغضب عمران ، فقال الرجل: أوجدتم في القرآن أن في كل أربعين درهماً درهم وفي كل كذا وكذا شاةً كذا وكذا شاةٌ وفي كل كذا وكذا بعيراً كذا وكذا ؟ قال: لا ، قال :فعن من أخذتم هذا ؟ قال : أخذتموه عنا، وأخذناه عن رسول الله ﷺ[2]، وفي الآية دليل أن السنة في المصدق إذا أخذ الصدقة أن يدعو لصاحبها كما روي عن النبي ﷺ أنه لما أُتي بصدقات ابن أبي أوفى قال " اللهم صل على آل أبي أوفى"[3]، وبالله التوفيق .

---

(١) عمران بن حصين بن عبيد ابن خلف الخزاعي أبو نجيد بنون وجيم مصغر أسلم عام خيبر وصحب وكان فاضلا وقضى بالكوفة مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة . انظر: معرفة الصحابة (٢١٠٨/٤)، والاستيعاب (١٢٠٨/٣)، والإصابة (٥٨٤/٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٩٤/٢) رقم (١٥٦١) كتاب الزكاة، بَابُ مَا تَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ، وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٣/٢).

وللحديث أصل في صحيح مسلم (٦٤/١) كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٩/٢) رقم (١٤٩٧) كتاب الزكاة، بَابُ صَلاَةِ الإِمَامِ، وَدُعَائِهِ لِصَاحِبِ الصَّدَقَةِ، وأخرجه مسلم في صحيحه (٧٥٦/٢) رقم (١٠٧٨) كتاب الكسوف، بَابُ الدُّعَاءِ لِمَنْ أَتَى بِصَدَقَتِهِ.

قوله عز وجل ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ ﴾

معناه – والله أعلم – ما يمنعهم من التوبة والصدقة وكيف لا يتوبون ولا يتصدقون ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وهذا استفهام بمعنى التنبيه[١]، وقبول التوبة إيجاب الثواب عليها وهو مشبه بقبول الهدية التي توجب على المهدى إليه الثواب عليه[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ أراد به أخذ النبي ﷺ والأئمة من بعده؛ لأن أخذهم لا يكون إلا بأمر الله عز وجل؛ وكأن الله عز وجل هو الآخذ[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي المتجاوز عمن تاب الرحيم بمن مات على التوبة وفي هذه الآيات بيان أن العبد إذا عظمت ذنوبه لم يجز أن يقع له اليأس من الله عز وجل عن قبول توبته إلا أن يعرض عن أوامر الله عز وجل إعراضاً كما روي عن الحسن –رضي الله عنه– أنه قال لحبيب بن مسلمة الفهري[٤] وكان من أصحاب معاوية رُب مسير لك

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٦/١٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٤٥٨)، وتفسير الكشاف (٢/٣٠٨)، والمحرر الوجيز (٣/٧٩)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٧٠٧).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٦/١٤١)، وأحكام القرآن؛ لابن العربي (٢/٥٨٠)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٥/٣٦٤)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (١/٣٩١)، وتفسير الخازن (١/٤٢٠)، وتفسير ابن كثير (٤/٢٠٧).

(٤) حبيب بن مسلمة الفهري أبو عبد الرحمن كان يؤمر على الجيوش والسرايا، سكن الشام، مُخْتَلَفٌ فِي صحبته، أدرك من أيام النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة سنة، توفي بأرض أرمينية مما يلي شُمَيْشَاطَ وقيل: بدمشق، ولم يبلغ خمسين سنة، توفي سنة اثنتين وأربعين، وكان حبيب يسمى: حبيب الروم، لمجاهدته الروم، وهو حبيب بن مسلمة بن مالك بن وهب، وقيل: ابن الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن واثلة بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر الفهري من بني فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، نسبه خليفة بن خياط حديثه عن زياد بن جارية، وعبد الرحمن بن أبي أمية، وقزعة بن يحيى، ومالك بن شرحبيل . انظر : معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/٨٢٠) (٢١٤٩)

في طاعة الله عز وجل[١] فقال أما مسيري إلى أبيك فلا، فقال الحسن ﷺ: بلى؛ ولكنك اتبعت معاوية على عرض من الدنيا يسير والله لئن قام بك معاوية في دنياك لقد قعد بك في دينك ولو كنت إذ عملت سوء قلت خيراً كنت ممن قال الله عز وجل خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ولكنك ممن قال الله عز وجل كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون[٢].

قوله عز وجل ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

معناه اعملوا عمل من يعلم أن الله عز وجل يرى عمله ويجازيه عليه[٣].

وقوله عز وجل: ﴿ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ أي ستجزون على أعمالكم وتحاسبون عليها في الموقف حين يجازي كل عامل ما عمل [٤].

قوله عز وجل ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

معناه: ومن أهل المدينة قوم آخرون مرجون لأمر الله أي مؤخرون لأمر الله عز وجل وتُقرأ مرجون بلا همز؛ يقال أرجأت الأمر وأرجيته إذا أخرته[٥].

---

(١) في أ (رب مسير لك في غير طاعة الله عز وجل).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٨/١٢)، وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (٣٢/٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٦٣/١٤)، وتفسير البيضاوي (٩٧/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٧/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٦٣/١٤)، وبحر العلوم (٨٧/٢)، والمحرر الوجيز (٨٠/٣)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٧/١)، وتفسير الخازن (٤٠٥/٢)، وتفسير ابن كثير (٤٦٥/٧).

(٥) قَرَأَ نَافِع وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ وَحَفْص وَآخَرُونَ {مرجون} بِغَيْر همز وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالْهَمْز وهما لُغَتَانِ يُقَال أرجأت الْأَمر إِذا أَخَّرته وأرجيته أَيْضا ، انظر: حجة القراءات (٣٢٣/١)، ومجاز القرآن؛ لأبي عبيد (٢٦٩/١)، وغريب القرآن؛ لابن قتيبة (١٩٢/١)، وإعراب القرآن؛ للنحاس (١٣٣/٢)، ومعاني القرآن؛ للنحاس (٢٥١/٣)، ومعاني القرآن؛ للأخفش (٣٦٥/١)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٧/٢)، والكشاف (٣٠٨/٢)، وزاد المسير (٢٩٦/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ معناه إما يعذبهم بتخلفهم عن الجهاد وإما يتجاوز عنهم بتوبتهم عن الذنوب والله عليم بهم حكيم يحكم في أمرهم ما يشاء[1]، وإما في الكلام لوقوع أحد الشيئين[2]، والله عز وجل أعلم بما يصير إليه أمرهم إلا أن هؤلاء العباد خوطبوا بما يتفاهمون فيما بينهم المعنى ليكون أمرهم عندكم على هذا أي على الخوف، **قال عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما: نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين خُلفوا وهم كعب بن مالك[3] ومرارة بن الربيع[4] وهلال بن أمية[5] وهم الأنصار تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال هلال أنا أفره أهل المدينة جملاً فمتى شئت لحقت برسول الله ﷺ فأقام حتى مضى ثلاثة أيام ثم أيس أن يلحقهم وندم على صنيعه وأقام صاحباه معه وندما ولكن لم يفعلوا ما فعله أبو لبابة وأوس ووديعة ففقدهم رسول الله ﷺ بعد/ نزول هذه الآية ونهى الناس أن يجالسوهم أو يواكلوهم أو يشاربوهم وأرسل إليهم أن اعتزلوا نساءكم وأرسلوهن إلى أهاليهن فجاءت امرأة هلال فقالت إن هلالا شيخ كبير وإن لم آته بطعام هلك فقال ﷺ آتيه وإياك أن يقربك قال كعب فمررت على أبي قتادة فسلمت فلم يرد عليّ السلام وكلمته فأبى أن يكلمني

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٦٧/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٨٦/٢)، والكشاف (٣٠٨/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٨/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٦٧/١٤)، ومعاني القرآن؛ للزجاج (٤٦٨/٢)، وزاد المسير (٢٩٦/٢)، ومفاتيح الغيب (١٤٥/١٦).

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السلمي بالفتح المدني صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا مات في خلافة علي ع. انظر: معرفة الصحابة (٢٣٦٦/٥)، والاستيعاب (١٣٢٣/٣)، والإصابة (٤٥٦/٥).

(٤) مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيُّ لأوسيّ : من بني عمرو بن عوف، ويقال: إن أصله من قضاعة، حالف بني عمرو بن عوف. صحابي مشهور، شهد بدرا على الصحيح، هو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم،، انظر: معرفة الصحابة (٢٥٧٠/٥)، والإصابة (٥٢/٦).

(٥) هلال بن أميّة بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأنصاريّ الواقفيّ.شهد بدرا وما بعدها. وقد تقدم خبره في ترجمة مرارة بن الربيع، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم. انظر: معرفة الصحابة (٢٧٤٩/٥)، والاستيعاب (١٥٤٢/٤)، والإصابة (٤٢٨/٦).

فاستعبرت فقلت أما والله إنك تعلم أني أحب الله ورسوله فقال الله ورسوله أعلم فمضى على هذا خمسون يوماً فلما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت أنزل الله عز وجل توبتهم بقوله عز وجل : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ إلى قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

قوله عز وجل ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن سبعة عشر رجلاً من المنافقين من بني عمرو بن عوف قالوا فيما بينهم تعالوا نبني مسجداً يكون متحدثنا ومجمع رأينا فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ فاستأذنوه أن يبنوا مسجداً لذوي العلة والليلة الممطرة فأذن لهم فبنوا مسجدا وكان يؤمهم في ذلك المسجد مجمع بن حارثة وكان قارئاً للقران فأنزل الله تعالى هذه الآية والذين اتخذوا مسجداً للضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين[2].

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ معناه وانتظارا لمن حارب الله سبحانه وهو أبو عامر الراهب كان حارب رسول الله ﷺ قبل بناء هذا المسجد ومضى إلى هرقل ملك الروم يستعين به على رسول الله ﷺ وأصحابه فسماه رسول الله ﷺ فاسقاً[3]، وقال

(١) الحديث مطولا جاء من رواية كعب بن مالك، أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٦) رقم (٤٤١٨) كتاب المغازي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: ١١٨]، وأخرجه مسلم في صحيحه (٢١٢٠/٤) رقم (٢٧٦٩) كتاب التوبة ، بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ.

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٣/١٢) رقم (٤٧٣٩) عن سعيد بن جبير، وأخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٥٢/١)، وأخرجه الواحدي في أسباب النزول (٢٥٩/١).

وانظر: تفسير مقاتل (١٩٥/٢)، وبحر العلوم (٨٧/٢)، .

(٣) انظر: السيرة الحلبية (١١٦/١) و (٢٠٣/٣)، وبهجة المحافل وبغية الأماثل (٢٠٢/١)، وبحر العلوم (٨٧/٢).

ﷺ لا تسموه الراهب ودعا عليه رسول الله ﷺ فمات كافراً[١]............ [٢] موضع بالشام وقد كان آمن بالنبي ﷺ قبل مخالفته إياه ثم رجع عن الإسلام فضلّ، وكان المنافقون يقولون نبني هذا المسجد وننتظر أبا عامر حتى يرجع إلى الإسلام فيصلي فيه وهو كان يكتب إلى المنافقون في السر إني آتٍ بجندٍ من قِبل ملك الروم فأُخرج النبي ﷺ من المدينة[٣].

وأما قوله عز جل : ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ فمعناه وليحلف المنافقون أنا لم نرد ببناء هذا المسجد إلا الخير وقدوم عامر، يقول الله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ما بنوا للخير [٤].

قوله عز وجل ﴿ **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨)** ﴾

وذلك أن هؤلاء المنافقين كانوا طلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي في مسجدهم فيتبركوا به فأنزل الله سبحانه لا تقم فيه أبداً أي لا تصل فيه أبداً[٥].

---

(١) انظر: الخصائص الكبرى؛ للسيوطي (٤٨/١)، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١٣١/٢).

(٢) بياض بالأصل ، وفي السيرة النبوية لابن حبان (٣٩٢/١) وتاريخ الخميس (١٥٣/٢) قال: فمات عند هرقل قال: كذا في سيرة مغلطاي ، وقال البيضاوي: مات بقنسرين ، تفسير البيضاوي (٩٧/٣).

(٣) انظر: مغازي الواقدي (٤٤١/٢)، والدرر في اختصار المغازي والسير؛ لابن عبد البر (١٤٨/١)، والسيرة النبوية؛ لابن كثير (٣٩/٤)، وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس (١٣٠/٢)، وتفسير مقاتل (١٣٧/٥)، وتفسير عبد الرزاق (١٦٥/٢)

(٤) انظر: تفسير مقاتل (١٩٦/٢)، وتفسير الطبري (٤٧٠/١٤)، وبحر العلوم (٨٧/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤٨/٢)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧٠٩/١)، وتفسير الثعلبي (٩٤/٥).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤٧٤/١٤)، وبحر العلوم (٨٨/٢)، والنكت والعيون (٤٠٢/٢)، وتفسير السمعاني (٣٤٨/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٥٣/٨)، وتفسير الخازن (٤٠٧/٢).

وقوله عز وجل : ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ معناه لمسجد أُصل وبُني لوجه الله عز وجل على طاعة الله عز وجل من أول يوم بُني وهو مسجد قباء[١]، ويقال هو مسجد النبي ﷺ[٢]، أحق أن يُصلى فيه أي لو كان القيام في هذا المسجد الذي بناه أهل النفاق من الحق الذي يجوز لكان هذا المسجد الذي أسس على التقوى (أحق بالقيام فيه من غيره ولا يمتنع أن يكون المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى كلا المسجدين) [٣] كلا المسجدان مسجد النبي ﷺ ومسجد قباء[٤]، وهذا كما يقال لرجل صالح أحق أن تخشى الله لا يراد به الرجل الواحد.

---

(١) وهو قول ابن عباس، وعبد الله بن بريدة، وابن زيد، وعروة بن الزبير، أخرجه الطبري في تفسيره (٤٧٨/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨١/٦).

(٢) وهو قول أبي هريرة، وابن عمر، وزيد بن ثابت، وأبي سعيد، وسعيد بن المسيب، أخرجه الطبري في تفسيره (٤٧٦/١٤)، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٨١/٦).

قال الطبري: " وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: هو مسجد الرسول ﷺ، لصحة الخبَر بذلك عن رسول الله"، تفسير الطبري (٤٧٩/١٤).

(٣) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٤) والجمع بينهما ممكن: لأن كل واحد منهما أسس على التقوى، غير أن قوله سبحانه: مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ يرجح الحديث الأول لأن مسجد قباء أسس قبل مسجد النبي ﷺ غير أن اليوم قد يراد به المدة والوقت، وكلا المسجدين أسس على هذا من أول يوم، أي من أول عام من الهجرة، انظر: التعريف والإعلام؛ للسهيلي (ص٧٣)، وحاشية إيجاز البيان (٣٩٢/١)، وتفسير المنار (٣٤/١١)، وتفسير المراغي (٢٦/١١).

وقال الرازي: " لَا يَمْنَعُ دُخُولُهُمَا جَمِيعًا تَحْتَ هَذَا "، مفاتيح الغيب (١٤٧/١٦).

وقال الحدادي:" لا يمتنع ان يكون المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى كلا المسجدين مسجد النبيﷺ ومسجد قبا"، روح البيان (٥٠٧/٣).

وفي الآية دليل على أن بعض البقاع أولى بفعل الصلاة فيه من بعض؛ فإن الصلاة تكون منهية أصلا في كل بقعة كانت لغير الله عز وجل على وجه الرياء والسمعة[١].

وأما قوله عز وجل : (فمعناه في مسجد قباء)[٢] رجال يحبون أن يتطهروا ، **وقال الحسن** ﷺ: معناه يتطهروا من الذنوب بالتوبة[٣]، والمشهور أن المراد بالتطهر في هذه الآية الاستنجاء بالماء[٤]، كما روي أنه لما نزلت هذه الآية وقف رسول الله ﷺ بباب مسجد قباء وقال:" يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أحسن الثناء عليكم في طهوركم فبم تتطهرون فقالوا نتبع الأحجار الماء أي نستجمر بالحجر ثم نستنجي بالماء فقرأ عليهم النبي ﷺ هذه الآية"[٥]. وسن النبي ﷺ الاستنجاء بالماء.

---

(١) **قال ابن كثير**: "دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ الْقَدِيمَةِ الْمُؤَسَّسَةِ مِنْ أَوَّلِ بِنَائِهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ" تفسير ابن كثير (٢١٦/٤).

(٢) مابين المعكوفتين من أ ولا توجد في الأصل.

(٣) انظر: تفسير أبي السعود (١٠٣/٤)،

وقال به أبو العالية، انظر: النكت والعيون (٤٠٣/٢)، وزاد المسير (٤٠٣/٢)، وبحر العلوم (٨٨/٢)، وتفسير السمعاني (٢٢٥/١)، وتفسير البيضاوي (٩٨/٣)، وتفسير النيسابوري (٥٢٩/٣)، والسراج المنير (٦٥٠/١).

(٤) وهو قول جميع المفسرين، انظر: تفسير الشافعي (٩٥٨/٢)، التفسير الوسيط (٥٢٥/٢)، وتفسير الطبري (٤٨٢/١٤)، وتفسير الخازن (٤٠٧/٢).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (١١/١) رقم (٤٤) كتاب الطهارة، بَابٌ فِي الِاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ، وأخرجه الترمذي في سننه (٢٨٠/٥) رقم (٣١٠٠) أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، وأخرجه ابن ماجه في سننه (١٢٨/١) رقم= =(٣٥٧) كتاب الطهارة وسننها، بَابُ الِاسْتِنْجَاءِ بِالْمَاءِ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤)، وفي صحيح الجامع (٦٧٦٠).

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ أي يثني على المطهرين من الذنوب والمتطهرين بالماء من الأدناس، وفي الآية دلالة أن فضيلة أهل المسجد فضيلة للمسجد والصلاة فيه[١] .

قوله عز وجل ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ / بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ ٣٨= أ

الألف في أول الآية ألف استفهام دخلت في الكلام للإنكار[٢]، المعنى أفمن أصل بناه على إرادة الخير ورضى الرب خيرٌ أمن أصل بناه على طرف هوة[٣].

وقوله عز وجل : ﴿ هَارٍ ﴾ أي ساقط، وأصله هاير إلا أنه حذف الياء كما يقال شاك السلاح فهو شاكي ولاث الشيء به إذا دار فهو لاثٍ[٤]، والجرف ما تجرفه السيول من

(١) انظر: التفسير الوسيط (٥٢٥/٢)، ومفاتيح الغيب (٤٢١/٦)، وتفسير الخازن (٤٠٨/٢).

وقال ابن كثير: "دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ الْقَدِيمَةِ الْمُؤَسَّسَةِ مِنْ أَوَّلِ بِنَائِهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَعَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّلَاةِ مَعَ جَمَاعَةِ الصَّالِحِينَ، وَالْعِبَادِ الْعَامِلِينَ الْمُحَافِظِينَ عَلَى إِسْبَاغِ الْوُضُوءِ، وَالتَّنَزُّهِ عَنْ مُلَابَسَةِ الْقَاذُورَاتِ"، تفسير ابن كثير (٢١٦/٤).

(٢) انظر: النكت والعيون (٤٠٣/٢)، والمحرر الوجيز (٨٤/٣)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٦٣/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧١٠/١)، وتفسير ابن جزئ (٣٤٨/١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (١٩٧/٢)، وتفسير الطبري (٤٩١/١٤)، وبحر العلوم (٨٨/٢)، وتفسير البيضاوي (٩٨/٣)، وتفسير الخازن (٤٠٨/٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٩١/١٤)، تفسير الثعلبي (٩٥/٥)، والتفسير الوسيط (٥٢٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٩٠/٢)، ومفاتيح الغيب (١٤٩/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٦٤/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧١١/١).

الأودية فيصير جانبه بحيث لو وقف الإنسان عليه سقط[١]، وشفا الشيء حرفه وهو مقصور يكتب بالألف وتثنيته شفوان[٢].

وقوله عز وجل : ﴿ فَٱنْهَارَ ﴾ معناه انهار الجرف بالبنا أي غار به ويقال انهار البناء بالباني وهذا على التشبيه كما أن من بنا على جانب نهر صفته ما ذكرنا انهار بناءه في الماء وكذلك بناء أهل النفاق مسجد الشقاق كبناء على جرف جهنم يتهور بأهله فيها[٣]، وقرأ بعضهم أفمن أُسِس على فعل ما لم يسم فاعله[٤] وبنيانُه بالضم[٥].

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ أي لا يلطف بهم ولا يوفقهم ويقال لا يهديهم إلى جنته وثوابه .

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٩١/١٤)، وبحر العلوم (٨٨/٢)، و النكت والعيون (٤٠٣/٢)، والتفسير الوسيط (٥٢٥/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٩٠/٢)، والمحرر الوجيز (٨٤/٣)، وزاد المسير (٣٠١/٢)، وتفسير العز بن عبد السلام (٥٢/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٦٤/٨).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٧٠/٢)، وبحر العلوم (٨٨/٢)، النكت والعيون (٤٠٣/٢)، والتفسير الوسيط (٥٢٥/٢)، والمحرر الوجيز (٨٤/٣)، وزاد المسير (٣٠١/٢)، ومفاتيح الغيب (١٤٩/١٦)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٦٥/٨).

(٣) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٧٠/٢)، وبحر العلوم (٨٨/٢)، وتفسير الجامع لأحكام القرآن ؛ للقرطبي (٢٦٤/٨)، وتفسير مدارك التنزيل ؛ للنسفي (٧١١/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤٩١/١٤)، وبحر العلوم (٨٨/٢)، وتفسير معالم التنزيل ؛ للبغوي (٣٩٠/٢)، والحجة في السبع (١٧٨/١).

(٥) فَقَرَأَ ابْن كثير وَعَاصِم وَأَبُو عَمْرو وَحَمْزَة والكسائي {أسس} بِفَتْح الْألف فِي الحرفين جَمِيعًا: بنينه ، بِفَتْح النُّون فيهمَا وَقَرَأَ نَافِع وَابْن عَامر {أسس} بِضَم الْألف: بنينه، بِرَفْع النُّون، انظر: السبعة في القراءات (٣١٨/١)، والحجة في القراءات السبع (١٧٨/١)، وحجة القراءات (٣٢٣/١)، والتيسير في القراءات السبع (١١٩/١)، وتحبير التيسير (٣٩٤/١).

قوله عز وجل ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾.

معناه: أن لا يزال بنيانهم مسجد الضرار حيرة مترددة في قلوبهم ويقال شكاً واضطرباً يعني أن شكهم لا يزول وإن أُزيل ذلك البناء بل يبقى ذلك في قلوبهم حين خاب أملهم واشتد أسفهم بأن بعث رسول الله -ﷺ- رجلين من أصحابه بعد رجوعهم من غزوة تبوك وهما عامر بن قيس ووحشي مولى مطعم بن عدي فحرقاه وهدماه ثم أمر الأنصار بإلقاء الجيف والعذرات والكناسات فيه إذْ لم يُبْنِ الله عز وجل فيبقى ذلك حسرة وندامة في قلوب المنافقين حتى تقطع قلوبهم أي حتى يموتوا على ذلك[(١)]، ويقال معناه لا يزالون شاكين حتى يموتوا فإذا ماتوا صاروا على اليقين حتى لا ينفعهم اليقين[(٢)]، ويقال معنى إلا أن تقطع إلى أن يتوبوا توبة ينقطع قلوبهم بها ندماً على تفريطهم[(٣)]، ومن قرأ إلا أن تَقطع بنصب التاء[(٤)]؛ فعلى معنى تتفرق[(٥)].

---

(١) جاء هذا المعنى عن ابن عباس، ومقاتل، ومجاهد، وقتادة، والحسن، وحبيب، انظر: تفسير مجاهد (٣٧٤/١)، وتفسير مقاتل (١٩٨/٢)، وتفسير عبد الرزاق (١٦٧/٢)، وتفسير الطبري (٤٩٥/١٤)، وبحر العلوم (٨٩/٢)، والتفسير الوجيز (٤٨٢/١).

(٢) انظر: معاني القرآن؛ للزجاج (٤٧٠/٢)، وبحر العلوم (٨٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٩٦/٥)، والتفسير الوسيط (٥٢٥/٢)، وتفسير السمعاني (٣٥٠/٢)، وتفسير الكشاف (٣١٣/٢)، وزاد المسير (٣٠١/٢)، وتفسير ابن جزئ (٣٤٨/١)، وتفسير الخازن (٤٠٩/٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٩٧/١٤)، و معاني القرآن؛ للزجاج (٤٧٠/٢)، وتفسير الثعلبي (٩٦/٥)، وتفسير الكشاف (٣١٣/٢)، وزاد المسير (٣٠١/٢).

(٤) وَاخْتلفُوا في فتح التَّاء وَضمّهَا من قَوْله {إِلَّا أَن تقطع قُلُوبهم} فَقَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو والكسائي {أَن تقطع} بِضَم التَّاء وَقَرَأَ ابْن عَامر وَحَمْزَة {أَن تقطع} بِفَتْح التَّاء وَاخْتلف عَن عَاصِم فروى أَبُو بكر عَنهُ مثل أَبى عَمْرو وروى حَفْص عَنهُ {تقطع قُلُوبهم} بِفَتْح التَّاء مثل حَمْزَة، انظر: السبعة في القراءات (٣١٩/١)، ، وحجة القراءات (٣٢٤/١)، والتيسير في القراءات السبع (١٢٠/١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤٩٧/١٤)، و معاني القرآن؛ للزجاج (٤٧٠/٢)، وبحر العلوم (٨٩/٢)، وتفسير الثعلبي (٩٦/٥).

(٩٦/٥).

وقوله عز وجل : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ أي عليم بأعمالكم حكيم فيما حكم من هدم مسجدهم وإظهار نفاقهم [١]./

٣٨= ب

الخاتمة

- **أهم النتائج /**

١– أنَّ هذا السِفر العظيم قد اشتمل على كثير من العلوم والفوائد النفيسة مع كونه متوسط الحجم .

٢– أنَّ مؤلفه – رحمه الله –كان ذو قوةٍ علميةٍ واطلاع واسع .

٣– اعتمادُ مؤلِفه على التفسير بالمأثور وبالرأي المحمود .

٤– أنَّ مؤلفه رحمه الله كان حنفي المذهب ومقلداً في ذلك .

٥– اشتماله على كثير من النقولات عن الصحابة والتابعين وغيرهم؛ واعتمادُ المؤلِف عليها .

٦– عناية مؤلفه –رحمه الله– بجانب القراءات وتوجيهها، وبأسباب نزول الآيات، واستنباط الفوائد والدلالات من الآيات .

---

(١) انظر: بحر العلوم (٨٩/٢)، وتفسير السمعاني (٣٥٠/٢)، ومفاتيح الغيب (١٥٠/١٦)، وتفسير البيضاوي (٩٨/٣).

٧- أنَّ المؤلف –رحمه الله- سلك منهج المتكلمين في تأويل بعض صفات الله تعالى الذاتية والفعلية .

٨- أنَّ المؤلف –رحمه الله- كان ينقل من كتب المعتزلة فيتعقبها أحياناً قليلة؛ ويتركها أحياناً كثيرة .

- أهم التوصيات /

١- الحرص على جمع أجزاء الكتاب وطباعته، لما فيه من العلوم والفوائد الغزيرة .

٢- إفراد بعض مباحث الكتاب بالجمع والدراسة، وارشاد طلبة الدراسات العليا إليها .

٣- جمع الآيات التي خالف فيها المؤلف – عفا الله عنه – أهل السنة والجماعة وإفرادها بالدراسة والتفنيد .

الفهارس العامة

فهرس الموضوعات